رواية

مريم الحيسي

إنني أتعفن رعباً


إنني أتعفن رعباً

الإهــداء

«إلـى كوابيسـي التـي كانـت مصـدر إلهامـي شـكراً لـكِ، بقـدر مـا كنـتِ مرعبـة بقـدر مـا كنـتِ إلهامـاً حقيقيّاً لي»..

ماريـــــا

مقدمة

يقول فان جوخ:

إلى أين تمضي الحياة بي؟ وما الذي يصنعه العقل بنا؟ إنه يفقد الأشياء بهجتها ويقودنا نحو الكآبة!

وأنا أقول:

إلى أين تمضي الحياة بي؟ وما الذي تصنعه كوابيسي بي؟ كل أحلامي وكوابيسي تقودني نحو الكآبة والجنون!

إنني أتعفن رعباً وخوفاً وهلعاً لولا ريشتي وألواني هذه، أعيد بها خلق كوابيسي من جديد على ألواح الكانفس حتى تخرج من باطن عقلي وتستقر على لوحة بيضاء..

ماذا أصنع؟ أريد أن أبتكر خطوطاً وألواناً جديدة غير تلك التي تتعثر بها حياتي كل يوم..

كل الألوان والرسومات لها بريق بشع ومخيف ومرعب وكئيب في عقلي، وهل هي هكذا في الطبيعة؟ أم أن عقلي المريض؟

دائماً أتساءل: هل كل رسام كئيب؟ أم كل كئيب رسام؟ رغم أننا نمارس أجمل موهبة زرعت على الأرض لكن لَمَ ينتهي المطاف دائماً بنا نحو التعاسة؟

عني أنا لا أعرف هل أبتكر فنّاً جديداً؟ هل أرسم عالماً وخطوطاً وألواناً جديدة؟ أم هل اتجهت إلى طريق الفن لكي أرمي بكوابيسي على أشخاص آخرين؟ أم هل أنا أصنع وحوشاً جديدة؟! وحوشاً تغزو هذا العالم، وحوشاً مخلوقة من كوابيسي وأصبحت في لوحات فنية..

ماريا..

ملاحظـــة:

قبل أن تبدأ جميع الرسومات في الكتاب تعود إلي أنا، بعضها مقتبس من أفكاري بعضها مقتبس من عقلي وأكثرها مقتبسة من كوابيسي وجميعها رسمت بيدي، الرجاء عدم التعمق فيها حتى لا تصبح كوابيسي هي كوابيسك..»

ماريا العيسى..

أجلس على كرسي خشبي هزاز في غرفة فارغة لا تحتوي على أي غرض، أمامي فقط لوحة بيضاء عملاقة الحجم، بجانبها طاولة عليها فرش رسم ولون واحد وهو الأسود! اللون الأسود هو لوني المفضل بالطبع، أحب أن أتعامل مع كل شيء باللون الأسود لذلك حياتي أصبحت سوداء اللون بدون ألوان، أمسكت بالفرشاة وغمستها في اللون الأسود وبدأت أخط بها على اللوحة العملاقة بدون توقف بدون أن أشعر بنفسي استمررت بالرسم من دون نفس واحد حتى انتهيت! نظرت إلى اللوحة وقد اكتملت الرسمة وكانت كالتالي:

امرأة ذات عينين سوداوين مع فمها المفتوح باتساع ثلاثة أمتار في فمها يوجد رجل ذو رأسين تسيل الدماء من عيونه الأربع، وأيضاً كان يصرخ من فميه الاثنين فمه الأول بداخله أوجه بشعة كثيرة وجميعها تصرخ والفم الثاني في الرأس الثاني بداخله امرأة تصرخ وتلتهم طفلها الرضيع!! كانت لوحة بشعة عبارة عن رسمة بداخل رسمة، قطع تأملي في الرسمة صوت صرير باب يفتح التفت خلفي كان هناك باب خشبي وهو الباب الوحيد بالغرفة وكان يفتح بهدوء مميت بدأت أشعر بالتوتر قلبي أصبح يخفق بسرعة، التفت إلى اللوحة مرة أخرى وجدت ألوانها تسيل هل اللوحة تبكي من الخوف مثلي؟ عدت ونظرت إلى الباب ببطء ثم!!؟؟

شهقت بقوة وفتحت عينيّ لأجد نفسي أتصبب عرقاً وعلى وشك أن أغرق به فوق سريري! نعم بالطبع كالعادة كان كابوساً لا يقل رعباً وغرابة عن الكوابيس الأخرى التي أراها طوال الـ ١٦ عاماً في حياتي..

١٦ عاماً وأنا أعيش في زحام هذه الكوابيس بدأت معي فجاءة بدون سابق إنذار لا أعلم مصدرها ولا أعلم سببها؟ لا أتذكر أنني تعرضت لحادثة مخيفة لكي أصبح معقدة ولا أي شيء آخر! لم أترك ولا طبيباً نفسياً إلا وقمت بزيارته، ولم أترك أي علاج إلا وتناولته، لم أترك ولا مستشفىً في البلاد إلا ودخلته اضطرت أمي أن تعرض حالتي في مواقع كثيرة في الإنترنت المواقع التي تخص الحالات الغريبة والنادرة لكن بدون أي فائدة..!

عندما كنت في الـ ١٨ من عمري اكتشفت بالمصادفة علاجاً أو بالأحرى شيئاً يجعل الكوابيس لا تتكرر تلك الكوابيس التي تتكرر معي وتزعجني وتقتلني وأنا حية التي تأخذ من عمري وروحي شيئاً فشيئاً منعتها عن التكرار، أخبرتني أمي أن الكوابيس الصغيرة مجرد كوابيس يجب ألا أعطيها أكبر من حجمها يجب أن أمنعها أن تأكل مني في كل مرة تتكرر وتكبر؛ لذلك قالت لي: ارسمي تلك الكوابيس الصغيرة ارسميها ودعيها تخرج من عقلك، فكل كابوس تخرجينه إلى أرض الواقع سيموت في مخيلتك ولن يزعجك مرة أخرى، إن الكوابيس لا تستطيع أن تعيش في الواقع إنها تحيا في الخيال فقط كانت خطة نوعاً ما ناجحة ومن هنا أصبحت رسامة مع

الممارسة لكن كلام أمي حول موت الكوابيس إذا أصبحت في الواقع يبدو أنه كان خطأً..!

أغلب كوابيسي أصبحت أراها مرة واحدة ولا تتكرر أصبحت عندما أرى كابوساً أستيقظ وأبدأ برسم أحداث الكابوس والشخصيات الموجودة فيه بسرعة كل كابوس أرسمه أصبح لا يأتيني مرة أخرى كانت أمي محقة أنه يموت في اللوحة ولكن لم أكن أعلم بأنها ستحيا من جديد!

من ثمانية أعوام تقريباً وأنا رسامة ترسم كوابيسها أتذكر أول لوحة رسمتها وأنا في السنة الأولى من الجامعة كيف كان الجميع يلقبونني بغريبة أطوار عندما يسألني الجميع: ما هو مصدر إلهامك لهذه الرسومات المخيفة والغريبة؟

دائماً يكون جوابي: كوابيسي هي مصدر إلهامي وأفكاري..

أصبحت مع السنوات رسامة مشهورة وناجحة أنا الآن أبيع كوابيسي إلى العالم بثمن عالٍ، دائماً أكتب خلف اللوحة مع توقيعي: «احذر أن تتأمل اللوحة كثيراً لأن الكابوس قد ينتقل إليك»

بالطبع يظنون أنني أفعل ذلك من باب التشويق وجذب الانتباه لكسب المبيعات، لكن أنا محقة حيث أتذكر قبل ست سنوات تواصل معي شخص مجهول يقول بأنه اشترى إحدى لوحاتي يقول هذا الرجل بأنه أصبح يرى ما بداخل اللوحة يخرج إليه! لم أصدقه في المرة الأولى وظننت أنه مثل أشخاص كثيرين

يرسلون لي المزحة أو الكذبة نفسها لكن أرسل لي إيميلاً آخر وكان وصف الكابوس نفسه بالتفصيل الدقيق الذي رأيته أنا رغم أنني لا أخبر أي أحد عمّا أراه في الكوابيس!! بعدها أرسلت رسالة له أنني أريد مقابلته لكن لم يرد أبداً ولم يرسل أي شيء آخر أبداً حتى هذا اليوم! لا أعلم إذا صادف الشيء نفسه مع شخص آخر غيره أو هو الوحيد الذي حدث له ذلك؟؟

حسناً نسيت أن أعرفكم على نفسي:

اسمي ماريا أبلغ من العمر ٢٧ عاماً، لا يوجد شيء آخر أستطيع أن أخبركم به لأنني لا أملك أي شيء حياتي فارغة كفراغ لوحة تنتظر رسامها يأتي ويملؤها بالألوان والعوالم والأشخاص، لولا كوابيسي وعلاج أمي لما كنت أرسم وكنت فقط مستلقية وأتنفس! نعم أنا شديدة الكسل كسولٌ لدرجة لو كان التنفس يطلب مجهوداً كنت سأتوقف عن التنفس، تخرجت من الجامعة بمجهود شخصي ودرست والتحقت بالجامعة لأنها عادات وتقاليد العالم فالجميع يدرسون لذا يجب أن أدرس، درست التخصص الأقل تعباً ومجهوداً نعم لا أمزح لقد بحثت عنه حتى وجدت أنه تخصص لا يتطلب الكثير سوى الحفظ فأنا ماهرة في الحفظ وقليلة النسيان أوه هذا جيد لدي موهبتان،، حسناً بعد تخرجي لم أحاول ولم أفكر أصلاً أن أبحث عن وظيفة لأنني لا أستطيع تحمل المشقة والتعب على مرتب في نهاية الشهر غير محفز حتى، هذا المرتب أنا أستطيع أن أحصل عليه أضعافاً وأضعافاً في يوم واحد من بيع لوحة واحدة!!

لا أحد يلومني على هذه الصفة أو اللعنة لأن الكسل لم أحصل عليه إلا بسبب تلك الكوابيس هذه الكوابيس تأخذ من نشاطي وشغفي للحياة ومن نفسيتي ومن روحي شيئاً ضخماً، بعد كل كابوس أستيقظ منه أشعر بأنني لا أريد أي شيء ولا أرغب في أي شيء أظل مستلقية على سريري أستعيد أنفاسي ببطء لمدة ساعة أو ساعة ونصف الساعة تقريباً بعدها أنهض وأرسم الكابوس بعدها أعرض اللوحة في موقعي ويتكدس المشترون عليها بعدها لا شيء، يتكرر الروتين هذه هي حياتي باختصار قبل أن تخرج الكوابيس من اللوحات إلى أرض الواقع..!!



«الرجـــل المعلـــق»

بـدأ كل ذلك من هـذا الكابـوس! الكابـوس الذي لطالمـا لازمني مـدى الحيـاة أول كابـوس وحتى هـذه اللحظـة مـا زال يرافقنـي أراه فـي الأسـبوع الواحد مـا يقـارب مرتيـن! مـع الكوابيس الأخـرى هو الثابـت وهـي المتحركـة، هـذا الكابـوس يظـل يتكـرر ويتكرر مـراراً وتكـراراً بـدون ملـل أو حتـى بـدون تغيـر واختـلاف فـي الأحـداث يتكـرر كالمـوت البطيء كالمـرض القاتـل البطـيء يأخذ مـن روحي مـع كل مـرة قطعـة، هـذا هـو الكابـوس الأكثـر تكـراراً فـي جميـع الكوابيس هذا الكابوس أصبح يلازمني كظلي..!

والغريـب فـي هـذا الكابـوس أننـي لـم أسـتطعْ رسـمه أبـداً لكـي أتخلص منـه! فـي كل مرة أحـاول أن أرسـمه أفشـل!! رغم أنـه ليس بتلـك الصعوبـة لقد رسـمت بالفعـل كوابيس أصعـب وأكثـر تعقيداً! لكـن هـذا الكابـوس يختلـف بالفعـل فـي كل شـيء أشـعر بأنـه أكثر كابوس خنقـاً واختناقاً رغـم أن مدته لا تتجـاوز الثـلاث الدقائق لكن عندما أراه أشعر بأنني أجلس به ثلاثة أعوام!.

«أسـتيقظ مـن النـوم أشـعر بعطش لم أشـعر بـه فـي حياتـي أبداً! وكأننـي أرض قاحلـة لـم يروِهـا المطـر منـذ سـنوات، أشـعر بـدوار شـديد وكأن الإرض تهـوي بـي عـدة مـرات أتماسـك وأنهـض مـن السـرير أضـع قدمـيّ علـى الأرض بصعوبـة أسـير إلـى الأمـام أفتـح بـاب الغرفـة وأشـعر بأنني طائـرة في الهـواء من شـدة الـدوران، أنزل

من السلالم أراها لا تنتهي متكررة مليون مرة أظل أنزل وأنزل وأنزل حتى تنتهي بعد معاناة وإرهاق وتعب وكأنني مسافرة سيراً على الأقدام أخيراً أصل إلى الطابق الأول، أريد المطبخ لكي أشرب بعض الماء أبدأ برؤية أنوار المطبخ هي الوحيدة المضاءة في المنزل

أخيراً أصل إلى مدخل المطبخ بعد رحلة طويلة أدخل بأقدام وجسد ترتعش ولكن أتوقف فجأة! وأرى رجلاً في منتصف المطبخ معلقاً بالسقف! أشهق شهقة قوية وكأنها شهقة الموت قلبي ينبض بسرعة وبقوة لدرجة أشعر بأنه سيخرج من بين أضلعي! جسدي يرتعش، تراجعت للخلف وعيناي تتسعان أكثر وهما تراقبان هذا الرجل المعلق أو بالأحرى المشنوق أو المنتحر كانت أقدامه بيضاء شاحبة مزرقة ولا ينتعل حذاء، يرتدي بنطالاً أسود وسيعاً قطنياً لا أعلم موديل هذا البنطال لكنه يبدو قديماً، أرفع عينيَّ ببطء وأميل رأسي أكثر أحاول أن أرى وجهه كالعادة وقلبي دقاته تزداد سرعة أشعر بأن روحي تُسلَب مني ببطء! لكن في كل مرة أريد أن أرى وجهه لا أنجح في ذلك على عدد المرات التي في حياتي تكرر هذا الكابوس أعداد لا تحصى ولا تعد طوال هذه السنوات لكن لم أستطع ولا مرة رؤية وجه هذا الرجل! أمر بجميع تفاصيله ببطء لا أعلم لماذا؟ أقدامه أولاً ثم ملابسه العتيقة يلبس ساعة في اليد اليمنى على عكس الناس ويلبس أسورة واحدة في اليسرى لونها أحمر وبها شعار لكن غير واضح! أخيراً رقبته التي يحتضنها بقوة ذلك الحبل ثم!!!!

أستيقظ كالعادة بنفس مثقل وروح منهكة ودموع تنهمر من عينيَّ وعرق يكاد يغرق غرفتي هذا هو كابوس الرجل المعلق في مطبخي الذي بدأ منه كل شيء..

استيقظت كالعادة بعد انتهائي من رؤية كابوس الرجل المعلق للمرة المئة أو أكثر، كان يوم الثلاثاء بالنسبة لي الأيام كلها متشابهة حتى أنني لم أعد أفرق بينها، ولم أعد أعرف ما هو اليوم بسبب الروتين المتكرر وكوابيسي التي تلازمني لم أعد أهتم بالواقع وكل اهتمامي بكوابيسي! كعادتي المعتادة بقيت مستلقية في الفراش لمدة ساعة ونصف الساعة تقريباً حتى سمعت صوت أمي تناديني، لكن أمي حقّاً تعرف أنني لن أرد عليها حتى لا تعطيني مهمة ما فهي تعرف أن ابنتها تخطت حدود الكسل لولا الخادمة التي تحضرها لها لكان المنزل الآن كومة من الأوساخ وكانت أمي ماتت من شدة الجوع! وأيضاً أمي لم تكن بذلك العجز فهي ليست كبيرة في السن لدرجة لا تستطيع فعل شيء وهذا من حسن حظها أنها ما زالت تستطيع خدمة نفسها فهي أصبحت معتادة من سنوات على تصرفاتي ولم تعد توبخني، نهضت أخيراً من على السرير بعد ما أزعجني صوت رنين هاتفي المتكرر توجهت إلى المكتب والتقطت الهاتف كان رقماً غريباً غير مسجل لذلك لم أجبْ ووضعته في وضع الصامت ليس لأنني لا أجيب على الأرقام الغريبة لكن لم تكن لدي رغبة في أن أتحدث إلى أحد مع الصباح الباكر..

توجهت إلى دورة المياه أخذت حماماً بارداً حتى أستعيد به روحي وأنفاسي التي أفقدها كل مرة مع كابوس الرجل المعلق وغيره، بعد الانتهاء من الاستحمام خرجت من غرفتي حتى أقوم بالجولة الأولى والأخيرة في يومي حول المنزل، توجهت إلى المطبخ أولاً حتى أجد شيئاً أسد به جوعي في هذا الصباح الباكر ،،

هل استيقظتِ؟

سألتني أمي وهي داخلة إلى المطبخ بابتسامة مشرقة كالعادة ومعها بعض المواد الغذائية ووضعتها فوق طاولة الطعام ثم أكملت:

هل ترغبين بالإفطار؟ أحضرت الكثير من البيض وبعض أنواع الجبن وأيضاً دجاج البيرغر والنقانق المدخنة التي تحبينها.. ثم تابعت ضاحكة:

صحيح نسيت أنك لا تستطيعين أن تطبخي حتى بيضة واحدة، أخبريني إلى متى ستظلين هكذا؟ على هذا الحال! من سيتزوج بك وأنتِ بهذا العجز؟؟

بدأت أمي بسرد محاضرتها المعتادة وسرد قصص من سيتزوجك؟ هذه هي هموم الأمهات إنها بالنسبة لهن أحلام سعيدة بينما بالنسبة لنا أحلام تعيسة..

قلت لها وأنا ألتقط موزة من أحد الأكياس:

أمي ألا تشعرين بالملل من هذا الموضوع؟ لا أحد هذه الأيام من الفتيات يبحث عن الزواج إنه تفكير قديم

التقطت الأكياس وبدأت بفرز الأغراض في الثلاجة:

منذ متى أصبح الزواج تفكيراً قديماً؟ وأنتِ ألا تشعرين بالملل من عيش حياتك بهذه الطريقة؟! أخبريني متى آخر مرة خرجتِ من المنزل؟

حسناً أنا أخرج بالفعل عندما أشتري أدوات الرسم والكتب أين تريدينني أن أذهب غير ذلك؟

بالطبع تفعلين هذا فقط كل شهر لكن ألا تستطيعين الالتقاء بصديقاتك وتخرجين إلى المطاعم والمقاهي مثل جميع الفتيات؟!

حسناً أمي لقد اكتفيت من محاضراتك اليوم لدي طلبات متراكمة يجب أن أنتهي منها..

قالت: ألن تسأليني لماذا أحضرت كل هذه الأغراض إلى المنزل؟

قلت لها وأنا خارجة من المطبخ: أعلم لقد قالت لي الخادمة إن خالتي وبناتها قادمات في المساء، ولا تطلبي مني الجلوس معهن لأنني لست متفرغة..

توجهت إلى الأعلى بعد أن أخبرت الخادمة بأن تحضر لي البيض والنقانق للإفطار، وكنت أسمع صوت أمي تتذمر مني كالعادة، وصلت إلى غرفتي.ودخلت بعدها إلى مرسمي كانت تقع غرفة الرسم بداخل غرفتي، عالمي الفسيح والمرعب في آن واحد، الذي يحتوي على الكثير من الألوان المتناثرة في كل مكان

ويغلب عليها اللون الأسود واللوح المصطفّة في كل أرجاء الغرفة بأحجام مختلفة تسكنها رسومات كئيبة وغريبة ومظلمة ومرعبة وغير مفهومة ، وثلاجة صغيرة تحتوي على بعض المفرحات والمشروبات، وركني المفضل للقهوة ويوجد به ثلاثة أنواع من آلات القهوة والعديد من أنواع القهوة وأنواع الأكواب، هذه هي غرفة كوابيسي..

كالعادة أغلب الأيام بعد ما أنتهي من الطلبية أحاول أن أرسم كابوس الرجل المعلق ولكن أفشل في النهاية خسارة وقت وألوان ولوح فقط..

قمت بتشغيل قائمة أغاني المفضلة لم تكن موسيقى هادئة كجميع الرسامين ولا سمفونية خاصة، بل أحب أن أستمع إلى الأغاني الصاخبة والموسيقى المرعبة! نعم فهي تلهمني أكثر للرسم وإتقان الكابوس.. أخرجت لوحة متوسطة الحجم لا بد أن أرسم طلبية شخص يقول إنه يريد لوحة فريدة من نوعها في الكثير من الرعب والكثير من السوداوية والكثير من السواد اللا منتهي السواد القاتل،، نظرت إلى اللوحة البيضاء أفكر أحاول إخراج تفاصيل طلبه، لكن قاطع أفكاري صوت غريب أولاً ظننت أنه قادم من الموسيقى لذا تجاهلته وعدت أتأمل اللوحة وأتخيل ماذا سأرسم؟ وأخيراً حصلت على فكرة مبدئية تناولت قلم الرصاص وبدأت بالتخطيط خططت تقريباً لمدة سبع دقائق حتى استوقفني سماع صوت غريب مرة أخرى وكان في هذا الوقت لا توجد موسيقى!! انتهت الموسيقى وأنتظر تشغيل

موسيقى أخرى التفت خلفي وأطفأت الموسيقى التي للتو بدأت لكي أركز في الصوت أصبح الهدوء سيد الموقف انتظرت لمدة دقيقة تقريباً لكن لم يكن هناك أي صوت عدت لتشغيل الموسيقى وأكملت الرسمة غير مبالية ظناً مني أنني أتوهم..

مضت نصف ساعة وأنا مندمجة في الرسم حتى أوقفني رنين هاتفي، توجهت إليه وكان الرقم نفسه الغريب الذي أيقظني في الصباح الباكر! حسناً أنا مستعدة الآن للإجابة والتحدث وبالفعل أجبت على الهاتف:

مرحباً من معي؟

الصوت: مرحباً آنسة ماريا معك المتحدث الرسمي والمنظم لمعرض الفن التشكيلي العالمي السيد فلادان..

قلت ببرود: حسناً وما الأمر؟؟

قال بحماس: آنسة ماريا تم اختيارك لتمثيل وعرض لوحاتك في معرض «الليالي الحالكة» أيضاً أعمالك في كل مكان ووجدنا أنها تستحق الترشيح وعرضها في المعرض سيكون المعرض الشهر القادم..

قاطعته قائلة: وهل يجب علي الحضور؟

أجاب بحماس: نعم بالطبع سيكون من الرائع وجودك الجميع يريدون مقابلتك الكثير من الإعلام والفنانين والجماهير..

امم.. حسناً أمهلني وقتاً حتى أرى جدولي ثم سأعطيك خبراً..

حسناً يمكنكِ مراسلتنا على البريد الإلكتروني وتعبئة الاستبيان كما أن الرحلة ستكون على حسابنا والإقامة كذلك وأرجو ألا تتأخري في الرد وشكراً..

العفو وداعاً..

أغلقت الهاتف وقلت ضاحكة في نفسي: جدول!! نعم جدولي هو الاستلقاء طوال اليوم على السرير وأنتظر الكوابيس هراء..

حسناً الآن علي أن أفكر في كل هذا كالعادة أشعر بأنه هم حتى أنني لا أستطيع الاستمتاع أفكر بأنني سأستيقظ في الصباح وأجهز حقائبي ولوحاتي العملاقة، وأحضر سيارة وأحدهم يساعدني لنقل اللوح ويجب علي أن أسافر وأذهب إلى المطار وأنتظر ثم أركب الطائرة ثم أصل ثم أتوجه إلى الفندق بعد أن أضيع عدة مرات وأصل وأنا متعبة وأقوم بإكمال لوحاتي الناقصة لأنه يجب علي أن أوصلها للمعرض ثم أعود إلى الفندق، ثم يأتي اليوم التالي أذهب إلى المعرض أقف متسمرة بتلك الابتسامة المجاملة أستقبل آلاف الناس، وأشرح لهم لوحاتي بكذبات مختلفة لأنني لا أستطيع أن أقول لهم كل شيء عن كوابيسي التي أنا لا أفهمها حتى!! ناهيك عن الإعلام والمقابلات المملة والخخخ..!

آه إنها دوامة كارثية! على الرغم من سنوات وجودي في هذا الفن والشهرة والنجاح لكن إلى الآن لا أحد يعرفني ولا يعرفون شكلي، أفضل دائماً البيع عبر الإنترنت من دون أن يتحدث ويعرفني أحد إنها نعمة بالنسبة لي..

عدت لأستكمل تلك الرسمة السوداوية لم أشعر بنفسي حتى انتهيت منها بالفعل نظرت إلى الساعة وكان الوقت الخامسة مساء صعقت لأنني بدأت بالرسم الساعة التاسعة صباحاً هذا يعني تقريباً رسمت لمدة ثماني ساعات متواصلة! الصدمة أنني لم أشعر بنفسي ولم آخذ فترة واحدة راحة! ولم أصنع قهوتي كالعادة؟ ولم أصور خطوات الرسم لمواقع السوشل ميديا كالعادة! أنا حتى لم أشرب المياه! وكانت الصدمة الأكثر نظرت إلى يساري لأجد الخادمة قد وضعت لي الإفطار من الصباح على الطاولة ولم أشعر بها حتى طبق البيض أصبح متجمداً!! هذه المرة الأولى يحصل معي شيء هكذا وكأنني كنت منومة مغناطيسياً،، تجاهلت الأمر وأعدت نظري للوحة السوداوية بتمعن وكنت قد أنهيتها تماماً وكان المشهد في اللوحة كالتالي:

« خلفية سوداء كالفحم، أيادٍ صغيرة بيضاء مطبوعة بصماتها على الجانب الأيسر من اللوحة، رجل يقف في منتصف اللوحة ويضع يده على عينه اليسرى. والعين اليمنى متدلية على وجهه هذا يعني أن عينه سقطت من مكانها! في الجانب الأيمن من اللوحة خمس أعين مليئة بالدماء، أسفلها طفلان يصرخان ودماء الأعين تنهمر عليهما!!

هذا كان مختصر اللوحة رسمة كالعادة مليئة بالرعب والسوداوية والعنف، لكن أين رأيت هذه التفاصيل من قبل؟؟ هل رأيتها في كابوس من كوابيسي؟! على الأغلب دائماً أضع لمسة خاصة مستوحاة من كوابيسي لا بأس انتهيت منها سأرسلها

لصاحبها غداً صباحاً، وحان الوقت لكي أرتاح وأصنع لي كوباً من القهوة المثلجة وسأتناول شيئاً طبعاً غير طبق البيض والنقانق المتجمد، التفكير في ماذا سأتناول سيكلفني مجهوداً وأيضاً صناعة القهوة أنا متعبة من الرسم جداً لذلك سأطلب الطعام والقهوة من الخارج كالعادة الأهم أن أرتاح..

بعد أن طلبت وأنتظر الطلب قمت بتجفيف اللوحة وبدأت بتغليفها وكان ذلك الوقت لا يوجد أي صوت لأنني أطفأت الموسيقى، فجأة سمعت الصوت الذي سمعته صباحاً وهذه المرة كان بشكل أقوى!! تركت التغليف وتوجهت إلى الباب وفتحته بالطبع تؤدي إلى غرفة نومي كنت أظن أن أمي دخلت الغرفة لكن كانت الغرفة فارغة ولا يوجد أحد بها ولا يوجد فيها شيء غريب! لكن رغم ذلك أنا واثقة بأن الصوت قادم من هنا غرفة الرسم وليس من غرفة النوم! عدت إلى داخل المرسم وانتظرت دقيقتين أرغب بالتقاط الصوت لكن لم يظهر وظهر بدله صوت رنين الهاتف..

قفزت من مكاني عندما رن الهاتف فزعاً: تباً كنت على وشك الموت لماذا صوته عالٍ هكذا؟ التقطته لكي أرى أنه مندوب التوصيل لذا قمت بإرسال الخادمة لتستقبله وتحضر لي الطعام والقهوة.. بعد انتهائي من تناول الطعام أحضرت الجهاز اللوحي الخاص بي وبدأت أتصفح مواقعي وطلباتي وفتحت إيميلي لكي تنهال علي كالعادة العديد من الإيميلات أغلبها عروض وإعلانات، وجدت عدة إيميلات من طبيبي النفسي نعم أنا من عدة سنوات وأنا أرى وأراجع أطباء مختلفين لكي تنتهي هذه

الكوابيس لكن بدون فائدة! كانت آخر جلسة حضرتها مع طبيبي قبل خمسة أشهر تقريباً لأنني لم أعد مهتمة بالعلاج واصبحت متعايشة مع كوابيسي وصراعاتي..

فتحت آخر إيميل منه وكتب لي هذه الرسالة:

مرحباً عزيزتي «ماريا» أتمنى أن تكوني بخير لقد اتصلت بك عدة مرات لكن كالعادة لم تجيبي على اتصالاتي، أريد أن أخبرك بأن تلك الطبيبة المجنونة تواصلت معي بشأنك تريد أن تعرف هل انتحرتِ أم لا؟! أرجوك لا تتواصلي معها مرة أخرى واتصلي بي رجاء خلال هذا الشهر إذا لم تتصلي فسأضطر لإرسال رسالة لوالدتك..

تحياتي: دكتور موريس..

حسناً لا بأس فأنا لن أرد عليها أصلاً، لكن لمَ يناديها بالمجنونة؟ لأن تلك الطبيبة مهنتها غريبة والجميع يعرفونها إنها مشهورة حقّاً وناجحة، مهنتها أن تهيئ الذين يرغبون بالموت تساعدهم للوصول إلى مرادهم بشكل لائق وبدون ألم! نعم قبل سنة تقريباً عندما اشتدت علي الكوابيس ونوبات الاكتئاب بطريقة قاسية وغير طبيعية كنت أرى كابوساً كلما رمشت عيني! لدرجة أصبحت لا أفرق بين الواقع والكوابيس! استخدمت جميع الأدوية والمسكنات بدون فائدة كنت أقاوم النوم حتى لا أرى كابوساً أصبت بالأرق والجنون حتى وصل بي الحال إلى الانتحار وقد عزمت أمري بالفعل ولكن كنت في كل مرة أتردد وكنت خائفة تعلمون ما مدى صعوبة أن تقتل نفسك إنه ليس شيئاً سهلاً أبداً!

لذلك التجأت إلى هذه الأخصائية حتى تمهد لي الطريق إلى الموتِ!! نعم هذا ما تفعله مع الذين على وشك الموت سواء المرضى الميئوس من حالتهم، أم السجناء المحكوم عليهم بالإعدام، أو حتى الأشخاص الذين يرغبون بالموت من تلقاء أنفسهم بسبب صراعات الحياة، عمل غريب لكنني تواصلت معها لفترة وحتى لا أبالغ بالفعل كانت تسحبني للموت مثل الشيطان، لقد بدأت بإقناعي وأعطتني عدة طرق للموت بدون ألم وخوف وأنه سيكون لدي حياة أخرى بعد موتي حياة جيدة وسعيدة بدون معاناة ولا كوابيس وأن هذه الحياة مجرد جحيم!!

لكن أنقذتني أمي في آخر لحظة عندما علمت بشأن هذه الطبيبة وحبستني بالغرفة وأخذت مني جميع هواتفي وحتى نقلنا إلى مدينة أخرى غير التي تسكن بها تلك الطبيبة وأحضرت أمي لي هذا الطبيب وكان أكثر من ممتاز حتى إنه استطاع في فترة قصيرة أن يمحي تفكير الانتحار من رأسي لكنه لم يستطعْ مثل غيره أن يمحي الكوابيس من عقلي..

بعد الانتهاء من فقرة الإيميلات قررت أن أقرأ قليلاً عن المعرض الذي دعوني له لأنه معرض عالمي ومشهور قررت أن أبحث عنه قليلاً وأرى القليل من الصور للمكان على أمل أن تثير حماسي.. قاطع أفكاري للمرة المليون هذا الصوت الغريب!! اللعنة على هذا الصوت من أين يأتي؟! نهضت من مكاني وأنا على وشك أن أفقد أعصابي، لكن استوقفتني اللوحة التي رسمتها



قبل قليل لقد غلفتها متيقنة لكن الآن لا يوجد أي تغليف عليها!؟ مستحيل هل عادت الهلاوس إلي!؟

حسناً لا بأس لن أضخم الأمور سأعيد تغليفها وأعتبرها نسياناً مني، أحضرت ورق التغليف مرة أخرى وغلفتها وجهزت كرت المعلومات والاسم والعنوان لكي أرسلها للبريد غداً، لذا انتهيت من عمل اليوم تقريباً توجهت إلى السرير في الساعة الثامنة مساء كنت أشعر بدوار شديد لا أعلم ما سببه رميت نفسي على السرير، وتناولت هاتفي إنها بالطبع العادة المفضلة للجميع قبل النوم تصفح المواقع والدردشات، لكن لم أستخدمه لدقيقة فجأة بدون سابق إنذار غرقت بالنوم وكأنني غرقت في نوم عميق..



المسوحة ضوئيا بـ CamScanner



ها أنا أرى نفسي في ممر طويل خافت الإضاءة ملغم بإضاءات في السقف جميعها تعمل لكنها خافتة جدّاً! سرت إلى الأمام كان الممر لا يحتوي على أي باب ومن الجهتين جدران فقط، استمررت في السير أسير وأسير دون نهاية لهذا الممر بدأت دقات قلبي تتسارع عندما سمعت صوتاً قادماً من الأمام! والأكثر رعباً كان قادماً من الظلام، كان صوتاً غريباً صوت حشرجة وكأن أحدهم يتنفس بخشونة، اقتربت أكثر من الصوت بدأت الأضواء الخافتة بالرمشان تضيء وتطفئ! الآن قلبي على وشك الخروج من مكانه، ما زلت أتقدم نحو الظلام بدون توقف حتى أخيراً اصطدمت قدماي بشيء! أنزلت نظري إلى أسفل قدمي وأنا أرتعش خوفاً حتى رأيت ذلك الشيء الذي كان يمسك بقدميَّ:

كان مخلوقاً صغيراً مثل الطفل بعمر ثلاث سنوات لكنه كالمسخ مرعب ذو وجه مقزز لديه أسنان طويلة وبارزة إلى الخارج، مليء بالعروق الحمراء شعره أسود مجعد يداه طويلتان أطول من جسده، رأسه كبير الحجم! ما أن التقت عيناي بعينيه صرخنا معاً!! أثناء صرخته المزعجة التي سببت لي طنيناً في أذني وضع يديه على رأسه وكأنه خائف بشدة!! عفواً يا عزيزي أنا من عليه الخوف حتى الموت منك ولست أنت من يجب أن يخاف بعدها وقعت على الأرض شعرت بأن روحي وقعت قبلي،

ركض ذلك المخلوق الغريب إلى الظلام واختفى فيه وهو يصرخ بصرخات مخيفة بقيت وحدي واقعة على الأرض ألتقط أنفاسي لكن سرعان ما عاد الخوف عندما سمعت صوتاً غريباً مختلفاً قادماً من الجهة الأخرى وأنا ما زلت مستلقية مسلمة أمري الصوت يقترب بسرعة أصبح بقربي جدّاً أشعر بأنفاسه وصرخت صرخة الموت واستيقظت أخيراً...

استيقظت أخيراً وأنا على وشك الانهيار كان الكابوس مزعجاً جدّاً ومرعباً جدّاً، شعرت بأن جسدي يؤلمني، أشعر وكأن أحداً حطمه بمضرب ما لا أعلم السبب؟ حاولت النهوض من على السرير بثقل، أزلت الغطاء من على جسدي أنزلت قدميّ إلى الأسفل لمحت شيئاً غريباً على كاحل قدمي الأيمن وكذلك الأيسر ظننت في البداية أنها كدمات من شيء ما، لكن حلت علي الصاعقة عندما تفحصتها عن قرب وكانت العلامات الموجودة على أقدامي هي آثاراً ليدين وأصابع نحيلة وطويلة!!! مستحيل! ما هذا؟؟ هل ما زلت بداخل ذلك الكابوس؟! إنهما يدا ذلك المسخ الصغير! هذه المرة الأولى التي يحصل فيها معي شيء كهذا؟ خلال كل تلك السنوات الطويلة وأنا أشاهد الكوابيس لم أتعرض لشيء مثل هذا! هل عدت للهلوسة؟ أم هذا الشيء حقيقي؟ نهضت بسرعة من على السرير، وتوجهت لخارج غرفتي أبحث عن أمي كالطفل الذي عجز عن النوم ويظن أن هناك وحشاً سيخرج من الخزانة أو من أسفل السرير، لم أجد أمي في المنزل شعرت بالجنون والإحباط، عرفت كالعادة أنها

ذهبت إلى جاراتها وصديقاتها أو تتسكع مع خالتي في الأسواق فهي امرأة اجتماعية لأبعد حد على عكسي أنا، وجدت العاملة في المطبخ توجهت إليها بسرعة وهي غارقة بالعمل، أمسكت بيدها حتى شعرت بالخوف والاستغراب قلت لها وأنا أرتجف:

أعتذر على إخافتك لكن الأمر طارئ..

تفضلي يا آنستي لقد أخفتِني ما الأمر؟

رفعت البنطال من على أقدامي قلت لها: انظري هل ترين شيئاً غريباً أو كدمات أو علامات؟؟

قالت متلعثمة وهي تتفحص أقدامي:

نعم يا آنسة، ما هذا الشيء؟ هل أنتِ بخير؟ ما الذي حدث لك؟

أصبت بصدمة أخرى هذا يعني أنني لا أهلوس وبالفعل اليدان مطبوعتان على أقدامي!

قلت لها بتوتر:

اسمعي لا تخبري أمي بذلك، أنا بخير إنها مجرد كدمات بسيطة حسناً؟..

أومأت الخادمة برأسها بملامح كلها تعجب واستغراب مني، خرجت من المطبخ وعدت إلى غرفتي، توجهت إلى دورة المياه وملأت حوض الاستحمام بالماء الدافئ وغطست به وأغمضت عينيَّ على أمل أن أستيقظ من هذا الكابوس الواقعي ...!

مضت دقيقة فقط وأنا غاطسة بجسدي كله في وسط حوض الاستحمام، شعرت بشعور الارتياح والطمأنينة قليلاً، حان وقت

الخروج والتنفس لكن المفاجأة لم أستطع أن أخرج ولا أتحرك وكان هناك يدين تضغطان على كتفيّ وتثبتانني في قعر الحوض لكي أغرق!!

حاولت النهوض مراراً وتكراراً أصرخ بصوت مخنوق تحت الماء، أحرك قدميّ بسرعة فائقة أرفعهما وأنزلهما، الكثير من الماء دخل إلى جسدي أنفاسي بدأت بالانتهاء أرى الموت أمام عينيّ!! وأخيراً فجأة شعرت بأن الثقل زال عن جسدي ونهضت بسرعة فائقة مع شهقة التقطت فيها أنفاسي الأخيرة مع السعال لأخرج ماء الحوض من رئتيّ، استنشقت نفساً طويلاً عيناي أصبحتا حمراوين من كثرة ابتلاع المياه، تلفت يميناً ويساراً لكن لم يكن يوجد أحد في الحمام غيري بالطبع والباب ما زال مقفلاً!! نهضت بسرعة والتقطت المنشفة ووضعتها على جسدي على استعجال، فتحت باب الحمام بهدوء أبحث بعينيّ في غرفتي يميناً ويساراً ما زلت أظن أن هناك قاتلاً أو سارقاً أو معتدياً دخل إلى المنزل وهو من كان يمسك بي ويحاول إغراقي! كانت الغرفة فارغة أيضاً!

خرجت إلى الغرفة بخطوات حذرة وما زال قلبي ينبض بشدة وجسدي يرجف، توجهت إلى غرفة المرسم وأيضاً فتحتها بحذر وكانت هي الأخرى فارغة! تنفست الصعداء قليلاً لكن أنا متيقنة بأن أحدهم كان يمسك بي ويحاول إغراقي لذا ارتديت ملابسي على عجل وخرجت من الغرفة كان المنزل مضاءً كثيراً لذا شعرت بالارتياح علمت بأن أمي لم تعد بعد إلى المنزل، ذهبت إلى العاملة ووجدتها كالعادة في المطبخ ثم سألتها :

هل هناك أحد دخل المنزل؟

ردت باستغراب:

لا يا آنسة لم يدخل أحد ولم يأتِ أحد!

إذاً هل أنتِ دخلتِ غرفتي؟

لا.. لم أدخل غرفتك أنتِ تعلمين بأنني لا أدخل إلى غرفتك حتى تستدعيني أنتِ..

العاملة حقاً تعلم بأنني غريبة أطوار قليلاً لكن اليوم رأيت الخوف في عينيها والاندهاش مني وكأنها تقول هل أصبحت تقف على عتبة الجنون؟!

عدت إلى غرفتي وأنا أشعر بالتشتت والضياع والخوف، سألت نفسي: هل حان الوقت لأعود وأتحدث مع طبيبي النفسي؟! دخلت إلى المرسم وأنا مشتتة الذهن لكن سرعان ما لفت انتباهي شيء ما!! لم يكن هناك على ستاند الرسم لوحة، كان الستاند فارغاً! أنا متيقنة فأنا لا أضع أي لوحة إلا إذا كنت أريد الرسم فقط! تقدمت إلى اللوحة البيضاء هل هذا يعني أنه حان الوقت لرسم هذا الكابوس المزعج؟! هو أول كابوس شعرت بأنه خرج معي إلى أرض الواقع! نظرت إلى أقدامي والبصمات ما زال أثرها مطبوعاً، حاولت أن أمسك الفرشاة وأبدأ بالرسم، لكن لم أستطع عقلي مشوش تماماً الأفكار تدور في رأسي باستمرار، أشعر بغثيان رهيب صداع يريد أن يشق رأسي إلى نصفين! ما زال قلبي يخفق بشدة وأنفاسي متقطعة وجسدي ويداي ترتعش دون توقف، لذا قررت أن أضع الفرشاة وأصفي ذهني جيداً، توجهت إلى

الكرسي الهزاز وشربت بعض المياه مع فوار مهدئ للأعصاب ومسكن للألم حظيت ببعض الراحة لمدة ساعة تقريباً، وما زلت أفكر بهدوء ونظري لا يفارق اللوحة البيضاء والبصمات المطبوعة على قدميّ! والصوت الذي يظهر فقط في المرسم هل هو قادم من السقف؟ أو من الجدران؟ أو من الأرضية؟ لا أعلم حقاً!

قررت أن فترة الاستراحة انتهت ونهضت وجهزت لي كوباً من القهوة وبدأت برسم ذلك المخلوق أو المسخ المرعب، إذا كنتم تتساءلون: ألا أنسى تفاصيل أحلامي مثل أغلب البشر؟ الإنسان بمجرد أن يحظى بأحلام سواء كانت جميلة أم قبيحة فإنه فور ما ينهض من النوم سرعان ما ينسى كل شيء رآه في ذلك الحلم وأنا أجد هذه نعمة، بعض الأحلام لا تنسى، قد تبدو غير مترابطة ومفككة الأحداث والشخصيات أحياناً، وبعضها مخيف ويحمل رسائل مثيرة للذعر، والبعض الآخر يصبح متنفساً عن ضغوط اليوم، نبدو فيها منتصرين ومنتقمين في بعض الأحيان، وهناك جانب مضحك في الأحلام، ولا سيما إن لم يرتبط بشخصية الرائي في الواقع، إلا أن هناك آلافاً من الأحلام التي لا نتذكرها يومياً، وقد نتذكر جزءاً منها عند الاستيقاظ.

يقول أرنست هارتمان أستاذ الطب النفسي في كلية الطب بجامعة تافتس الأميركية ومدير مركز اضطرابات النوم في مستشفى نيوتن-ويليسلي: «ننسى تقريباً كل الأحلام بعد فترة وجيزة من الاستيقاظ، ويعزى نسياننا عموماً إلى الظروف الكيميائية العصبية في الدماغ التي تحدث أثناء النوم من خلال حركة العين، وهي

مرحلة من النوم تتميز بحركات العين السريعة أثناء الحلم». وأضاف أن «الأحلام -خاصة الأحلام العادية مثل أحلام اليقظة- يعتبرها الدماغ عديمة الجدوى بحيث لا يمكن تذكرها؟ لكن قد لا تكون هذه القصة كاملة». ربما يكون التفسير الأكثر إقناعاً هو عدم وجود هرمون نورإبينفرين في القشرة الدماغية، وهي منطقة من الدماغ تلعب دوراً رئيساً في الذاكرة والفكر واللغة والوعي. وتدعم دراسة نشرت عام ٢٠٠٢ في المجلة الأميركية للطب النفسي النظرية القائلة إن وجود هرمون نورإبينفرين يعزز الذاكرة لدى البشر على الرغم من أن دوره في التعلم والتذكر لا يزال مثيراً للجدل، ومع ذلك فإن نقص هذا الهرمون لا يفسر تماماً سبب نسيان الأحلام بهذه السهولة.! رغم ذلك ليس هناك دراسة واضحة للحالة التي أمر بها وهي أنني لا أنسى كوابيسي أبداً وأتذكرها بكل تفاصيلها لفترات طويلة وكأنها واقع وليست حلماً أو كابوساً؟!

دعونا الآن نجعل الدراسات جانباً، بدأت برسم ذلك المسخ، مخلوق صغير بعمر ثلاثة أعوام أو أربعة! لديه شعر مجعد ووجه مخيف وبشع، ملامح مرعبة أسنان متباعدة بعضها عن بعض وبارزة للخارج على وشك أن تسقط! فمه كبير عيناه بارزتان ومتحجرتان مليئتان بالشقوق الحمراء، أيادٍ طويلة وأصابع نحيلة رسمته وهو يصرخ ويضع يديه على رأسه! بالمنظر نفسه عندما رآني وكأنه هو الطبيعي وأنا الوحش!! نعم اكتملت الآن لوحة «صرخة وحشي» هكذا قمت بتسمية اللوحة الصرخة على طريقة لوحة «الصرخة» للفنان النرويجي «أدفارت مونك»..



«كابــوس يتجــول»

استيقظت على صوت أمي:

ماريا،، كم مرة أخبرتك ألا تنامي في المرسم هكذا على الأرض؟ سيتأذى جسدك هيا انهضي، وأيضاً هاتفك يرن مراراً وتكراراً..

اهدئي يا أمي قليلاً أعطيني فرصة أستوعب ما الذي أفعله على أرض المرسم؟!

لا أتذكر أنني نمت على الأرض في المرسم البارحة؟ ولا أتذكر شيئاً من الأساس، كل ما أتذكره آخر شيء انتهيت من رسم لوحة «صرخة وحشي»! ثم بعدها ماذا؟؟

كل هذا الحديث في نفسي بالطبع ليس أمام أمي، ثم نهضت بشكل مثقل وجسدي مليء بالخمول وأمي مستمرة في ترتيب أغراضي وفتح الستائر من على النوافذ، تسلل ضوء أشعة الشمس حتى لم أعد أستطيع فتح عينيّ، قالت وهي تهم بالخروج :

أنتظرك على الغداء لا تتأخري..

حسناً يا أمي سأستحم ثم سأنزل..

خرجت أمي من غرفتي وأنا ما زلت متسمرة واقفة أمام اللوحة أحاول أن أعصر مخي وأتذكر ما الذي حدث بعد أن انتهيت من الرسم؟ لقد أنهيت اللوحة تقريباً في الساعة الخامسة







مساء يعني ما زال الوقت مبكراً على نومي ولا أذكر أنني شعرت بالنعاس أو الدوران! هل نمت من ذلك الوقت حتى اليوم التالي في الساعة الثانية عشرة ظهراً!؟ كل هذه الساعات وعلى الأرض!!

خرجت من المرسم وتوجهت إلى دورة المياه تذكرت ما حدث معي بالأمس! لذلك تحممت بشكل سريع من الممكن أسرع استحمام أفعله في حياتي وخرجت.. خرجت على صوت رنين هاتفي تذكرت عندما أخبرتني أمي بأنه كان يرن من الصباح الباكر، التقطت الهاتف وكان رقم صديقتي الوحيدة ومديرة أعمالي أجبت عليها أهلاً روجينا:

مرحباً ماريا كيف حالك؟

مرحباً أنا بخير، ألم تقولي بأنك ستأتين اليوم؟! أريد أن أخبرك بشيء..

نعم سآتي ولكن أولاً علي أن أخبرك بشيء!

قلت باستغراب:

ما هو؟!

هل تتذكرين الرسام والفنان الكبير «فرانك زينكون»؟ الذي اشترى منك لوحتين؟..

نعم أتذكره ما به؟؟

لقد تواصل معي ويريد أن يضم لوحك في معرضه القادم، وقال من الجيد أن تحضري سيكون هناك مقابلات وستظهرين بشكل مباشر على التلفاز، يجب ألا ترفضي أبداً هناك ملايين من العروض دائماً ترفضينها لكن الآن لن أسمح لك..



قاطعتها: الآن تعالي بسرعة وسنتحدث عن كل الموضوعات لاحقاً..

قالت بحماس: حسناً عِديني بأنك لن ترفضي هذه المرة!

حسناً تعالي فقط وبعدها سأعدك بكل شيءٍ..

حسناً ساعة فقط وأكون عندك..

أغلقت الخط هذا هو روتين روجينا اليومي فهي تتصل بي كل يوم لكي تخبرني بالأخبار والعروض التي تأتيني وأنا أرفضها بكل بساطة، لكنها لا تمل أبداً ولا تستسلم من إحضار الفرص والعروض لي.. توجهت إلى المرسم وعدت لتأمل لوحة «صرخة وحشي» بعدها فعلت ما أفعله كالعادة وأحضرت الكاميرا وأضأت التصوير والتقطت صوراً للوحة وعرضتها على صفحتي للبيع.. وكالعادة بدأ بسرعة السوم عليها حتى وصلت إلى أعلى سوم وبعتها لشخص ما، وأخبرته أن يرسل تفاصيل مكانه واسمه بعد تحويل المبلغ لي، تخلصت منك أيها الوحش تخلصت من كابوسك للأبد.. وصلت روجينا واحتضنتها بقوة شعرت بأنني محتاجة إلى شخص أخبره عن كل شيء حدث معي هذين اليومين..

طلبنا كوبي قهوة مثلجة وبعض الدونات وجلسنا كالعادة في المرسم، بدأت روجينا تحكي لي الكثير والكثير عن رحلتها إلى فالنسيا كانت في رحلة عمل وأخبرتني عن العروض وكيف كان جميع الناس هناك يعرفون لوحاتي الغريبة والمرعبة وكيف أنهم لا يعرفونني كثيراً ولا يعرفون شكلي..

قاطعتها كالعادة: غير مهم..

روجينا: ماذا؟ ما هو غير المهم؟

غير مهم أن الناس يعرفونني ويعرفون شكلي.

روجينا بعصبية: هل أنتِ مجنونة!؟ أرجوك ماريا عليك أن تخرجي للعالم هذا يكفي أن تعيشي في عالمك الغامض، من الجميل أن تكوني في الصورة مثل جميع الفنانين والمشاهير والمبدعين في العالم..

قلت وأنا أحتسي القهوة: أنا مشهورة بالفعل..

روجينا: مشهورة بدون شكل أو هوية..

وهذه أجمل شهرة..

ثم وضعت كوب القهوة مستأنفة حديثي: اسمعي الآن هذا ليس هو موضوعنا أريد أن أخبرك عن الكابوس الجديد.!

روجينا صاغية: ما هو!؟

أخبرتها بالكابوس بالتفصيل وبعد أن انتهيت قالت: مخيف ومبهم كالعادة لكن ما هو الشيء الجديد؟ طوال حياتك تشاهدين الكوابيس

قلت لها: حسناً اسمعي سأخبرك هذا لأنك صديقتي الوحيدة ودائماً ما تصدقينني وتفهمينني لا تقومي بمقاطعتي حتى أنتهي هل هذا مفهوم؟.!

حسناً..

أخبرتهـا بـكل الأحـداث التـي حدثت معـي بعـد الكابـوس على أرض الواقـع وبعـد مـا انتهيـت مـن سـرد القصـة، كانـت مصدومـة ومتفاجئة ثم قالت:

تقصدين أن الكابوس خرج معك على أرض الواقع؟!!

ألا تصدقينني؟؟

روجينا: ليس موضوع تصديق أو تكذيب،.. صمتت قليلاً ثم أضافت:

حسناً هل ما زلتِ تتناولين دواءك باستمرار؟

قلت ضاحكة بسخرية:

إذاً أنـتِ لا تصدقيننـي وتظنيـن أننـي أهلـوس! حسـناً سـأخبرك بصراحـة: وأنـا أيضـاً فـي البدايـة ظننـت أننـي أهلـوس لكـن سـألت الخادمة عن الآثار التي بقدمي وقالت بأنها تراها..

أين هي الآثار؟

رفعت بنطالي عن قدميّ بحماس لكي أقنعها لكن كانت الصدمة! أن الآثار اختفت تماماً!! لم يكن هناك أي شيء وكأنها لم تكن!!

مستحيل أين ذهبت؟ كنـت أراهـا اليوم فـي الصبـاح وكانت قبل سـاعة موجـودة! كيـف اختفـت بهـذه السـرعة؟ روجينـا هـل تظنين أنني مجنونة؟

روجينا وهيا تمسك بيديّ:

ماريا اهدئي أرجوك لا بأس أنا أصدقك، لكن سأخبرك بشيء أخبرني به طبيبك بما أنك لم تتواصلي معه ولم يستطع التواصل معك..



ما هو؟ ما الذي أخبرك به؟

روجينا: قال إنه يجب أن تغيري نظام حياتك على الأقل حاولي أن تتوقفي عن حبس نفسك بين كوابيسك يجب أن تخرجي إلى العالم الواقعي..

لم أرد على كلام روجينا واكتفيت بالصمت..

ثم أكملت روجينا:

حسناً لن أضغط عليك لكن لا بأس من المحاولة وأنا ووالدتك وجميع من يحبونك سنساعدك بالتأكيد فكري بالأمر..

قلت متنهدة: حسناً سأفكر..

غادرت روجينا بعد أن تحدثنا في موضوعات كثيرة وتناولنا وجبة الغداء معاً أصبح الوقت ليلاً وأنا ما زلت أقرأ كتاباً ما وكان يتحدث عن معاناة أشخاص مع الكوابيس المستمرة استمررت في القراءة حتى أصبح الوقت في منتصف الليل، قررت أن آخذ جولة في المنزل قبل النوم أولاً كالعادة توجهت إلى المطبخ، وجدت العاملة تقطع الكثير من الجزر كانت واقفة بشكل غريب ومستقيم كالحجر الصلب، وتقطع بشكل منظم ومثالي أنا أعرفها من ثلاث سنوات وهي معنا عشوائية جداً في التقطيع ودائماً ما تنجز عملها بعشوائية، وأيضاً كسول قليلاً من المستحيل أن تقف في منتصف الليل وتقطع الكثير من الجزر فجأة! فهي تنام مبكراً وبحكم أن المنزل فارغ لا يوجد فيه أحد سواي أنا وأمي إذاً ليس هناك عمل كثير ودائماً ما تنتهي من عملها في تمام الساعة السادسة مساء،

تفضل أن تسهر على برامج ومسلسلات نتفليكس وهاتفها النقال والدردشة مع أقاربها من بلادها، لكن الآن أجدها تقطع الكثير من الجزر الذي لسنا بحاجة إليه وفي هذا الوقت المتأخر من الليل؟!

لم أقترب منها وكنت أتفحص الثلاجة باحثة عن سناك خفيف قبل النوم، ثم سألتها:

ما بك لمَ تقطعين كل هذا الجزر؟ هل أمي غداً لديها مناسبة؟؟

لم ترد علي واستمرت في التقطيع، أخرجت بعض الفواكه ثم عدت لسؤالها مرة أخرى: لماذا أنتِ مستيقظة في هذا الوقت؟ غريب! هل عاقبتك أمي؟

لم ترد أيضاً الهدوء يطغى على المنزل لا يوجد أي صوت سوى صوت السكين وهو يضرب بقوة على لوح التقطيع!..

أغلقت الثلاجة ونظرت إليها: ألا تسمعينني أتحدث معك؟ ما بك لماذا لا تردين علي؟؟

توقفت أخيراً عن التقطيع، ولكن في اللحظة نفسها سمعت صوت ضربة قوية قادمة من الأعلى! خرجت من المطبخ بسرعة وصعدت إلى الطابق الثاني، علمت بأن الصوت قادم من غرفة أمي، وصلت إلى الغرفة وفتحت الباب لأجد أمي واقفة وهي تضع يدها على فمها في صدمة قائلة:

يا إلهي ماريا لا أعلم كيف وقعت فجاءة هكذا!!

نظرت إلى الأرض لأجد الكثير من الزجاج محطماً كان من مرآة أمي المفضلة، كانت مرآة طويلة وعملاقة الحجم دائماً ما تحب

أمي أن تنظر إلى نفسها بشكل كامل وتتباهى بجمالها، إنها امرأة معتنية بنفسها ومتألقة على عكس ابنتها التي كانت كالكابوس..

تقدمت إلى أمي فقالت: انتبهي لخطواتك هناك الكثير من قطع الزجاج المتناثرة في الأرجاء..

لا بأس يا أمي سنحل هذه المشكلة وسأشتري لكِ غيرها..

قالت بحزن: هذه المرآة كانت معي من سنوات عديدة المحزن أنها تحطمت فجاءة..

ثم أكملت متنهدة: حسناً الآن سننظف هذه الفوضى..

قلت لها وأنا متجهة نحو الباب للخروج: لا بأس أنتِ ارتاحي أنا «وليسان» سننظف معاً..

أمي باستغراب: ألم تودعك؟؟

توقفت عند عتبة الباب باستغراب ثم التفت إلى أمي:

من الذي لم يودعني؟؟

أمي وهي تلتقط بحذر بعض الزجاج:

العاملة ليسان ما بك؟ لقد رحلت اليوم الرابعة مساء بعد الغداء، كانت مضطرة لأن ابنها مرض فجأة لذلك سمحت لها بالرحيل وقالت ما أن يتحسن ستعود، لذا فكرت أن أبدأ بالبحث عن عاملة جديدة من غدٍ، ظننت أنها ودعتك لكن لا بأس المسكينة كانت متعجلة وقلقة على ابنها، لا بأس اذهبي وأحضري المكنسة دعينا نقمْ بالتنظيف..



بعد كلام أمي الذي جاء إلي كالرصاصة في رأسي، والقشعريرة بدأت تسري في جسدي! قلبي نبض بشدة وبسرعة رعشة في يديّ لم أستطع أن أسيطر عليها، لم أستطع إخبار أمي بأنني رأيتها قبل دقيقتين في المطبخ تقطع كميات هائلة من الجزر، ذهبت أركض إلى المطبخ كالمجنونة، وصلت إلى المطبخ ولم أجد أي شيء لم تكن هناك العاملة لا أثر لها حتى ولا أثر للجزر ولا أثر لأي أحد سوى الفواكه التي أخرجتها أنا! هل هذا يعني أن كابوساً خرج متجولاً إلى واقعي أم ماذا؟ ثم سقطت على الأرض منهارة فاقدة الوعي..



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«الباكية الضاحكة»

فتحت عينيّ وجدت نفسي في مكان غريب! ليس منزلي ولا غرفتي؟ أرى نفسي في ساحة واسعة ومظلمة وكأنني في ساحة قصر قديم منذ الأزل، مهجور وخاوٍ من كل البشر، فقط بشر لكن هل يوجد غير البشر؟! علمت بأنني في كابوس آخر، عندما رأيت نفسي مرتدية فستاناً أبيض به نقوش يبدو عليه طراز قديم من الثمانينيات أو السبعينيات لا أعلم لست واثقة كان الفستان متسخاً جدّاً، ويداي وأقدامي متسخة أيضاً يبدو أنني كنت في مغامرة ما! نهضت من مكاني ووقفت على قدميّ وأنا أشعر بدوار خفيف، بدأت أسير وأتفحص المكان يميناً ويساراً، حتى لمحت سلالم عملاقة تقع في آخر الساحة توجهت إليها ووصلت إليها نظرت إلى الأعلى على أمل أن أستطيع أن أرى أين نهاية هذه السلالم وما هو الشيء الموجود بالأعلى بالطابق الثاني لكن الظلام كان يبتلع الطريق إلى الأعلى عزمت أمري وبدأت بالصعود درجة درجة أصعد فحسب ولا أعلم ما الذي ينتظرني، أصعد إلى المجهول! حتى انتهت السلالم أخيراً ووصلت إلى المكان أو الطابق الثاني، كان عبارة عن ساحة أيضاً لكن أصغر مساحة بها أبواب متفرقة. وفي المنتصف يوجد على الحائط ثلاث لوحات عملاقة جدّاً، الأولى كانت عبارة عن سواد قاتم يملأ اللوحة لكنْ بها عين واحدة في المنتصف وكانت تبدو وكأنها عين حقيقية وليست رسمة، بارزة للخارج وكأنها تراقبني!!

اللوحة الثانية بها ثلاثة أوجه: وجه مبتسم بطريقة غريبة ووجه عابس ووجه غير مبالٍ!! اللوحة الثالثة بها رسمة أعرفها وأنا أعرفها حقاً إنها لوحتي لوحة «صرخة وحشي» التي رسمتها وبعتها سابقاً! قاطع أفكاري صوت قادم من أحد الأبواب الموجودة إنه الباب الثاني من على اليسار، كان الصوت غريباً ومخيفاً إنه يزداد أكثر وأكثر هناك صوت امرأة تبكي تارة وتضحك تارة! توجهت إلى الباب بأقدام ترتعش وقلب ينبض بقوة، أنا أعلم بأنه كابوس ولكن هذه الكوابيس تكلفني أنفاسي وتكلفني روحي وصلت إلى الباب وصوت البكاء والضحك يعلو أكثر وأكثر، وضعت يدي على المقبض وأدرته أنفاسي تتسارع وفتحت الباب أخيراً، كانت عبارة عن غرفة فارغة ولكن السقف كان يتدلى منه أشياء غريبة أو بمعنىً أصح كأنها أكياس قماشية مربوطة! فجأة يظهر صوت البكاء بشكل مفزع انتفض جسدي بأكمله تراجعت للخلف أبحث عن مصدر الصوت، أخيراً وجدت مصدر صوت البكاء كانت امرأة ترتدي مثل فستاني الأبيض لكنه بنقوش حمراء، تجلس منطوية في الزاوية اليمنى للغرفة لا أرى سوى ظهرها وشعرها الأسود القصير، كانت مستمرة بالبكاء والضحك دون توقف، تقدمت إليها بخطوات بطيئة وحذرة حتى وصلت إليها، مددت يدي وهي ترتعش أمسكت بكتفها ما أن لمستها توقفت عن البكاء والضحك وعمَّ الهدوء، استدارت نحوي ببطء شديد وأنا على وشك حافة الموت من شدة الفزع أنتظر ما الذي سأراه! كنت أعلم بأنني لن

أرى امرأة طبيعية، أخيراً استدارت بالكامل! ما أن رأيتها صرخت صرخة مدوِّية من هيئتها حتى وقعت أرضاً! كان شكلها كالتالي:

عيناها جاحظتان وبارزتان تنزل منهما دموع لكن دموع من دم! والأسوأ: كان فمها مشقوقاً كالمهرج من الأذن اليمنى حتى الأذن اليسرى، وأطرافه مخيطة بخيط! وتبدو وكأنها ابتسامة رغماً عنها، استمررت بالصراخ وهي استمرت بالضحك والبكاء، كانت تزحف باتجاهي بشكل مرعب وأنا واقعة على الأرض عاجزة عن الحركة ولم أعد أستطيع حتى أن أقف على قدميّ! استمررت بالزحف والتراجع للخلف وأنا أصرخ أريد أن ينتهي هذا الكابوس، وهي ما زالت تزحف باتجاهي قادمة إلي حتى أمسكت بقدميّ! زحفت فوقي حتى التصق وجهها بوجهي وبدأت بفتح فمها، تقطعت الخيوط في منظر مقزز ومرعب حتى الموت! كانت تريد أن تقول شيئاً! تريد أن تنطق حتى نطقت أخيراً وقالت بصوت مخنوق:

«بعل فغور»..

ثم شهقت شهقة ظننت أنها شهقة خروج روحي من جسدي لكن كانت شهقت الخروج من هذا الكابوس واستيقظت أخيراً..

استيقظت أخيراً الأعراض كالعادة: تنفسي بطيء عرقي يتصبب كالشلال قلبي ما زال يخفق بشدة.. حسنا أحضري الحساء الآن..

سمعت صوت أمي قادماً من خارج غرفتي، ثم فتحت الباب ودخلت ما أن رأتني مستيقظة ابتسمت ابتسامة سعادة واراحة قالت وهي تجلس بجانبي على السرير وتقوم باحتضاني:

الحمد لله لقد قلقت عليك كثيراً الحمد لله الرب أنك بخير لقد قال الطبيب: تحتاجين للراحة والنوم أكثر..

قلت في نفسي: نوم! أي نوم؟ إنني الإنسانة الوحيدة التي لا تشعر بالراحة أبداً في النوم على عكس جميع البشر..

أكملت أمي بعد أن صمتت قليلاً قالت بتلعثم:

حبيبتي يقول الطبيب بأن مشكلتك نفسية ويجب أن...

قاطعتها:

ويجب أن أخرج من هذه العزلة وأعيش حياة طبيعية..

نعم هذا ما قاله،، لا أعلم إلى متى ستستمرين بحبس نفسك مع تلك اللوح الغريبة؟!

حسناً.. أمي سأبدأ بمحاولة العيش بطريقة طبيعية..

تفاجأت أمي بكلامي المفاجئ الذي طالما تمنت أن تسمعه مني وتحققت أمنيتها، ثم ابتسمت بسعادة واحتضنتني بقوة:

أخيراً أنتِ لم تقولي لا كالعادة أخيراً لقد استجاب الرب لدعواتي أنتِ موهوبة وتستحقين أن تعيشي حياة الرفاهية والنجاح..

قلت بابتسامة ذابلة:

حسناً أمي سأفعلها من أجلك فقط.. بدأت أمي بالبكاء من شدة السعادة..

نعم هذا هو الأمر ليس مبالغاً فيه أو من أجل مجاملتها لكن بالحقيقة فقد تعبت أمي لكي تغير حياتي من ٢٠ عاماً تقريبا منذ

الطفولة وأنـا أعيش حيـاة الانطوائيين وغريبـي الأطـوار والعزلة، عانت أمي كثيـراً وحدهـا فـي تربيتي بـدون أب نعـم لا أعرف أبـي ولا أعرف شـكله وليس لـدي صور لـه وعندما أسـأل أمي تقـول إنه مـات بحادث سـيارة وأنـا بعمـر السـابعة تقريبـاً ولا تملك لـه أي صـور! أعـرف أنها تكـذب وهنـاك سـر أو أسـرار تخفيهـا علي هـي حتـى لا تتحـدث عنه أبـداً، أيضـاً رغـم عـروض الـزواج التـي تأتيهـا لأنهـا جميلـة ناجحـة سـيدة أعمـال ومصممـة إلا أنهـا ترفـض أي عـرض زواج وكرسـت حياتهـا ووقتهـا لـي فقـط، لـذا قـررت هـذا القـرار فقـط من أجـل أمي وعلى أمل أن تختفي هذه الكوابيس إذا خرجت للعالم الواقعي..

مضـى يومان وأنـا ما زلت مستلقية علـى الفراش أستعيد صحتي النفسـية والجسـدية حتـى أخيراً شـعرت بأنـني بخير ونهضـت بدأت بتفقـد هاتفـي ومواقـع التواصـل الاجتماعـي، بعدهـا انتقلـت إلـى موقعـي أتفقـد الطلبـات ثـم فجـأة تذكـرت كابـوس وحشـي عندمـا انتقـل معـي إلـى أرض الواقـع! هـل هـذا يعنـي أن هـذه المـرة أيضـاً ستنتقل معـي تلـك المـرأة علـى الواقـع؟!! شـعرت بالخـوف جـداً فتلـك المـرأة مخيفـة أكثـر مـن ذلـك المسـخ الطفـل!! لن أستطيع تحمـل رؤيتهـا فـي الواقـع! لـذا ذهبـت بـكل نشـاط إلـى الحمـام وتحممـت بميـاه بـاردة حتـى أسـتطيع التركيـز، بعدهـا توجهـت إلـى المطبـخ صادفـت أمـي والعاملـة الجديـدة مـا أن رأيـت العاملـة الجديـدة تذكـرت مـا حـدث معـي فـي المـرة الأخيـرة وهـو مـا تسـبب لـي بالانهيـار! لا أعلـم مـا رأيتـه هـل هـو خيـال أم هـلاوس أم واقـع؟ قالت أمي وهي ترحب بي:

الحمد لله لقد قلقت عليك كثيراً الحمد لله الرب أنك بخير لقد قال الطبيب: تحتاجين للراحة والنوم أكثر..

قلت في نفسي: نوم! أي نوم؟ إنني الإنسانة الوحيدة التي لا تشعر بالراحة أبداً في النوم على عكس جميع البشر..

أكملت أمي بعد أن صمتت قليلاً قالت بتلعثم:

حبيبتي يقول الطبيب بأن مشكلتك نفسية ويجب أن...

قاطعتها:

ويجب أن أخرج من هذه العزلة وأعيش حياة طبيعية..

نعم هذا ما قاله،، لا أعلم إلى متى ستستمرين بحبس نفسك مع تلك اللوح الغريبة؟!

حسناً..أمي سأبدأ بمحاولة العيش بطريقة طبيعية..

تفاجأت أمي بكلامي المفاجئ الذي طالما تمنت أن تسمعه مني وتحققت أمنيتها، ثم ابتسمت بسعادة واحتضنتني بقوة:

أخيراً أنتِ لم تقولي لا كالعادة أخيراً لقد استجاب الرب لدعواتي أنتِ موهوبة وتستحقين أن تعيشي حياة الرفاهية والنجاح..

قلت بابتسامة ذابلة:

حسناً أمي سأفعلها من أجلك فقط.. بدأت أمي بالبكاء من شدة السعادة..

نعم هذا هو الأمر ليس مبالغاً فيه أو من أجل مجاملتها لكن بالحقيقة فقد تعبت أمي لكي تغير حياتي من ٢٠ عاماً تقريبا منذ

الطفولة وأنا أعيش حياة الانطوائيين وغريبي الأطوار والعزلة، عانت أمي كثيراً وحدها في تربيتي بدون أب نعم لا أعرف أبي ولا أعرف شكله وليس لدي صور له وعندما أسأل أمي تقول إنه مات بحادث سيارة وأنا بعمر السابعة تقريباً ولا تملك له أي صور! أعرف أنها تكذب وهناك سر أو أسرار تخفيها علي هي حتى لا تتحدث عنه أبداً، أيضاً رغم عروض الزواج التي تأتيها لأنها جميلة ناجحة سيدة أعمال ومصممة إلا أنها ترفض أي عرض زواج وكرست حياتها ووقتها لي فقط، لذا قررت هذا القرار فقط من أجل أمي وعلى أمل أن تختفي هذه الكوابيس إذا خرجت للعالم الواقعي..

مضى يومان وأنا ما زلت مستلقية على الفراش أستعيد صحتي النفسية والجسدية حتى أخيراً شعرت بأنني بخير ونهضت بدأت بتفقد هاتفي ومواقع التواصل الاجتماعي، بعدها انتقلت إلى موقعي أتفقد الطلبات ثم فجأة تذكرت كابوس وحشي عندما انتقل معي إلى أرض الواقع! هل هذا يعني أن هذه المرة أيضاً ستنتقل معي تلك المرأة على الواقع؟!! شعرت بالخوف جداً فتلك المرأة مخيفة أكثر من ذلك المسخ الطفل!! لن أستطيع تحمل رؤيتها في الواقع! لذا ذهبت بكل نشاط إلى الحمام وتحممت بمياه باردة حتى أستطيع التركيز، بعدها توجهت إلى المطبخ صادفت أمي والعاملة الجديدة ما أن رأيت العاملة الجديدة تذكرت ما حدث معي في المرة الأخيرة وهو ما تسبب لي بالانهيار! لا أعلم ما رأيته هل هو خيال أم هلاوس أم واقع؟

قالت أمي وهي ترحب بي:

مرحباً عزيزتي هل أنتِ بخير؟ من الجيد رؤيتك هنا وغادرتِ غرفتك أخيراً، أخبريني الآن ما الذي تشتهينه؟ سأطبخ لك أي شيء تريدينه يجب أن تقللي من الأكل بالخارج من أجل صحتك..

قلت بابتسامة: حسناً لا بأس بقليل من المكرونة الحمراء بالدجاج..

قالت بحماس: حسناً سأطهوها الآن من أجلك، آه نسيت هذه العاملة الجديدة إنها جيدة وأيضاً طيبة القلب اسمها «سوكي» سوكي هذه ابنتي ماريا، رحبت بسوكي بشكل سريع وأخذت مياهاً وعدت إلى غرفتي..

وأنا في طريقي للغرفة كانت غرفة التطريز والخياطة الخاصة بأمي أول غرفة بعد السلالم، وبعدها غرفة أمي وبعدها غرفتي، وصلت للأعلى إذ أسمع صوت البكاء والضحك نفسه الذي في الكابوس كان قادماً من غرفة التطريز والخياطة!! بدأت أشعر بالتوتر والخوف الصوت قريب جداً واثقة بأنه قادم من الغرفة! ها نحن مرة أخرى الأمر يتكرر أصبحت الكوابيس تنتقل معي إلى الواقع! تقدمت بهدوء إلى الباب وأمسكت بالمقبض وأدرته حتى فتح الباب بصوت صرير مخيف، أمي مصممة أزياء لذا هذه الغرفة الخاصة بعملها فيها الكثير من آلات الخياطة والتطريز والأقمشة والدبابيس والمنيكانات المصطفة! نعم الكثير من المنيكانات هذا ما يحتاجه كل مصمم منذ طفولتي لا أدخل إلى مقر أعمال أمي لأنني أخاف كثيراً من هذه المنيكانات، دخلت إلى الغرفة وأنا

أحـاول أن أجمع شـتات نفسـي وأنفاسـي سـمعت الصوت مـرة أخرى التفـت إلـى الخلف إنهـا تبكـي وتضحـك تناثرت جميـع أنفاسـي التي جمعتهـا للتـو، بـدأت أرتعـش خوفـاً رغـم هـذا لم أخـرج ولـم أهرب أريـد أن أقنـع نفسـي أن هـذه ليسـت حقيقـة أنهـا مجـرد هـلاوس، اسـتمررت بالتقـدم نحـو الصـوت مـع كل خطـوة إلـى الأمـام الصوت يقتـرب مني الصـوت قادم مـن أحـد المنيكانـات! إنهـا أمامي إنـه قادم مـن هـذا المنيكان كان مغطّـىً بالقمـاش الأبيـض أنـا واثقة هـذا ليس منيـكان إنهـا تلك المـرأة! إنهـا امـرأة هيئتهـا وصوتهـا وتحركاتها حتى أنها تتنفس مـن خلف القمـاش ليس منيـكان أبـداً! وصلت إليهـا أخيراً قلبي علـى وشـك السـقوط بين قدمـيّ مـددت يـديّ المرتعشـتين أريد أن أسـحب القمـاش وأزيله إنهـا اللحظـة التي ربمـا سـأفقد حياتي إلى الأبد سأسحبها وليحدث ما يحدث! أمسكت به بقوة وأزلته ...!!

ماريا..

قفزت من مكاني التفت إلى الخلف لأرى أمي تقف..

ما بك هل أنتِ بخير؟؟

أعـدت نظـري إلـى المنيـكان وبالفعـل كان منيـكان طبيعيّـاً! تنفست الصعداء وشعرت بأن عمري ما زال طويلاً..

أمي: ماريا هل تحتاجين لشيء يا عزيزتي؟؟

قلـت بابتسـامة مصطنعـة وأنـا أحـاول أن أخفـي توتـري: لا أمـي كنـت أريد بعـض الدبابيـس من عنـدك لأني سـأعمل على فـن جديد أيضاً أرغب بالرسم الآن أشعر بأن لدي طاقة رهيبة للرسم..

قالت أمي: حسناً إذا كان الرسم يشعرك بالراحة فلترسمي..

نعم يا أمي الرسم يخلصني من كوابيسي أليست هذه طريقتك التي اقترحتها علي؟

بلى عزيزتي وأنا سعيدة بأن هذه الطريقة تنجح معك ولو بشكل بسيط..

حسناً أنا ذاهبة إلى غرفتي إذا انتهيت من تحضير المكرونة فدعي العاملة تحضرها لي أنتِ ارتاحي..

قبلت أمي وتوجهت إلى الغرفة..

«قالت لي أمي ذات مرة بأن هذه مجرد كوابيس وقالت بأن لا أعطيها أكبر من حجمها، وقالت لي إن الكوابيس تبقى كوابيس وإنها لا تخرج إلى الواقع، وقالت إنه يجب أن أرسم كوابيسي حتى أتخلص منها وأنقلها وأحبسها داخل اللوحات البيضاء، قالت إن كوابيسي مجرد كوابيس صغيرة ولا تصبح كبيرة أبداً..

هذا ما كانت تقوله لي أمي لكي تخفف عني لكن الآن كل شيء أصبح عكس كلام أمي، أصبحت الكوابيس ليست مجرد كوابيس إنها تأخذ مع كل كابوس قطعة من روحي ونفسيتي وصحتي، أنا لا أعطيها أكبر من حجمها لكن هي أصبحت تأخذ من حجمي، أصبحت الكوابيس تخرج للواقع، أصبحت كوابيس كبيرة وليست مجرد كوابيس صغيرة..

لكنْ هناك شيء واحد لم يتغير! في كل مرة أرسم الكابوس على لوحة أو ورقة حتى أتخلص بالفعل منه يختفي للأبد مثل ما

حدث معي مع وحشي يصرخ، عندما رسمته وبعت اللوحة اختفت الأحداث وحتى البصمات من على جسدي، لذا سأرسم هذه المرأة أيضاً يجب أن أفعل ذلك حتى لا تقضي كوابيسي علي..

وصلت إلى المرسم وأخرجت لوحة جديدة ووضعتها على الستاند، وأخرجت الفرشاة واللونين الأسود والأحمر وشغّلت الموسيقى وبدأت برسم تلك المرأة وكانت اللوحة بعنوان: «الضاحكة الباكية»..



٢٨ يناير،،

«أحلام جديدة أم كوابيس جديدة؟»

اليوم هو يوم ٢٨ يناير بدأنا سنة جديدة منذ أيام وهو شهر ميلادي، وهذا اليوم هو يوم ميلادي لقد أردت أن أبدأ حياة جديدة حياة غير الحياة التي كنت أعيشها، غير حياة العزلة والانطوائية، أردت أن أجرب هذا العلاج الذي لطالما الكل نصحني به الطبيب وأمي وصديقاتي وأقاربي وكل من حولي أخبروني إذا خرجت من عزلتي فلن أرى الكوابيس مجدداً، لذلك اتخذت هذا القرار وهذه الخطوة أخيراً في هذا اليوم الذي كان بالنسبة لي بداية حياة جديدة، قررت أن أقوم بتجاهل الكوابيس حتى لو رأيتها على الواقع ويجب أن أنشغل بحضور المعارض والسفريات والحفلات حتى لا يكون كل تركيزي عليها، كان اليوم هو بداية معرض الفن معرض عالمي يقام كل عام في عدة دول ويأتي فيه جميع الفنانين من مختلف الجنسيات وجميع الزوار من جميع أنحاء العالم، معرض ضخم ومتكامل وكل فنان يتمنى أن يعرض أعماله فيه، استيقظت الساعة الخامسة صباحاً كان الجو بارداً جداً بما أننا في فصل الشتاء الثلوج ما زالت تتساقط، كنت متوترة جداً فهذه هي المرة الأولى التي سأكشف فيها عن نفسي بشكل رسمي كالرسامة التي ترسم كوابيسها! هاتفي لا يتوقف عن الرنين بعد ما أعلن المعرض عبر حساباتهم الرسمية أنني سأكون حاضرة هذا المعرض لأول مرة، بدأ الإعلام والصحافة والقنوات

يتصلون بي يتسابقون من يجري معي أولاً مقابلة شخصية! أمي استيقظت وبدأت بالاستعداد والتجهز وارتدت أفضل الملابس والحلي كالعادة وتتحدث مع صديقاتها ولم تترك أحداً إلا وأعطته دعوة لحضور المعرض، جهزت سابقاً جميع اللوح التي سأعرضها وأرسلتها من يومين حتى يتم تنظيمها وأشرفت عليها «روجينا» قررت أن أعرض أربع لوح وكانت منها آخر كابوس لوحة «الضاحكة الباكية» فأنا لم أعرضها بعد للبيع، أتت صديقتي لكي تضع لي بعض المساحيق للتجميل واختارت لي لبساً مناسباً للمعرض، فأنا كنت لا أخرج كثيراً ولا أحضر مناسبات أكتفي بملابسي الرياضية التي أرتديها في المنزل والبلوفرات الواسعة فكنت أخرج فقط للمكتبة لكي أشتري الكتب وأدوات الرسم وإلى المقهى لأشتري قهوة فقط هذان المكانان الوحيدان اللذان أذهب إليهما، سرحت روجينا أيضاً لي شعري وارتديت تنورة سوداء ممسكة على جسدي وبها فتحة خلفية وتيشيرت أبيض عليه رسمة من رسوماتي فأحياناً أرسم وأبدع على ملابسي أنا حقاً أجعل كوابيسي تحيط بي من كل مكان، وجاكيت صوفياً أسود وشالاً أحمر، وقفت أمام المرآة متأملة نفسي فأنا لم أعتذ على هذه الأمور متنهدة قائلة في نفسي بأن كل شيء سيكون بخير وإنني أستطيع فعلها وسأغير حياتي..

وصلنا للمعرض أخيراً كانت المرة الأولى في حياتي أحضر معرضاً بصفتي صاحبة أشهر اللوحات، وليس أي معرض كان معرضاً عالمياً باهراً بكل التفاصيل: مكان كبير وضخم، ساحات تمتد في الأرجاء، لوح مزروعة في كل زاوية، الزخرفات التي

تزين الجدران الديكور الذي يبدو كالتحف الفنية، وكأنه قصر للرسم.. تم استقبالنا من قبل منظمي المعرض رحبوا بي وكنت متوترة كثيراً وكأنني طفلة في يومها الدراسي الأول! أرشدني المنظم إلى منصتي الخاصة التي سأكون بها ومساحتي الصغيرة بالمعرض التي تعرض أعمالي، وصلت إلى مساحتي ورأيت لوحاتي الأربع معروضة بشكل فخم، لا أخفي عليكم عندما رأيتها شعرت بالفخر والانبهار وكأنني لأول مرة أراها، جلست على المقعد المخصص لي وسط لوحاتي، بدأ الناس بالتوافد على المعرض والتجمهر في كل مكان، فلاشات الكاميرات بدأت بالانطلاق والهواتف بدأت بالارتفاع للتصوير هنا وهناك، بدأ حشد من الناس يتجمعون حولي شعرت بالتوتر والاختناق لكن قررت ألا أجعلهما يتمكنان مني، كان الناس مبهورين من طريقة رسمي وشكل رسوماتي المخيف والمرعب! فانطلقت حملة تصوير والفلاشات تغزو عينيّ لدرجة لم أعد أستطيع أن أفتحهما شعرت بالدوران، علمت أمي بأنني بدأت بالتوتر لذا اقتربت مني بابتسامتها المطمئنة وأمسكت بيدي قائلة:

لا بأس ستكونين بخير..

أردت أن ينتهي هذا اليوم فحسب، لكن سرعان ما أتت المديرة منظمة المعرض السيدة «أليز» بابتسامة حماس قائلة وهي تشق طريقها من حشود الصحافة:

مرحباً ماريا كيف حالك؟ إنه لشرف عظيم أن ألتقي بك أخيراً، ومدت يدها لي بحماس حتى تصافحني..

مددت يدي مصافحة لها وأنا أحاول أن أخفي التوتر: أهلاً الشرف لي أيضاً أن أكون هنا..

قالت: حسناً هناك قناة ستجري معاك مقابلة قصيرة بعد قليل هل أنتِ مستعدة؟؟

نظرت إلى أمي محاولة أن أتجنب النظر إلى الآخرين ثم قلت: نعم أنا مستعدة..

بدأت المقابلة والإعلام والجمهور كله من حولي إنها المرة الأولى لي في هذا المنظر المرعب،، كانت الأسئلة خفيفة وسريعة وسهلة استطعت النجاة منها..

المذيع:

مرحباً ماريا أخيراً الفنانة والرسامة ذات الأسلوب الغريب والأكثر رعباً وسوداوية الرسامة التي تستوحي وتستلهم الرسومات من كوابيسها، حضرت معنا اليوم أخيراً في معرض الفن العالمي..

أهلاً بك وتشرفت بالجميع..

المذيع:

أولاً والسؤال الأهم السؤال الذي دائماً يسأله الجميع: لماذا كنتِ تخفين هويتك؟؟

بسبب أنني أرى هذا ليس ضرورياً أبداً، أقصد الإفصاح عن هويتي ليس ضرورياً وليس من اهتمامي كنت أرغب في إخفاء هويتي حتى أعيش خصوصية تامة بعيدة عن الشهرة..

المذيع:

بالطبع هذا من حقوقك، السؤال الثاني والذي يريد أن يعرف إجابته الجميع: هل حقّاً تستلهمين وتستوحين رسوماتك وأعمالك من كوابيسك؟ أم أنها مجرد إشاعة لجذب انتباه الناس؟

بصراحة: نعم هناك الكثير من اللوح وأغلبها من مخيلتي، لكن البعض أيضاً تكون من كوابيسي!! بالطبع كنت أكذب هنا فأنا لم أخبرهم بأن أغلب اللوح من كوابيسي أخبرتهم الكلام الذي طلبت أمي مني أن أقوله لكي أظهر بمظهر طبيعي معتدل وليس غريبة أطوار..

المذيع:

حسناً ماريا ما هي آخر لوحة رسمتِها؟؟

أشرت إلى اللوحة التي تقع في آخر الصف اللوحة الرابعة قائلة: هذه اللوحة بعنوان «الضاحكة الباكية»

المذيع:

كما نرى كالعادة هذه المرأة شكلها مخيف ولكن من أين استلهمتِ هذه الرسمة؟؟

من أحد كوابيسي الأخيرة..

المذيع:

إذاً هل رأيت هذه المرأة في كابوسك؟!

نعم..



المذيع:

لكن هناك نظرية تقول إن أغلب البشر أو ٩٠٪ من البشر يحلمون سواء كوابيس أو أشياء جميلة أو أشياء عادية، فور استيقاظهم ينسون كل شيء حتى لو تذكروا لا يتذكرونها بالتفاصيل، لكن أنتِ كيف يمكن أن تتذكري كل هذه التفاصيل دائماً وتقومي برسمها!؟

أنت قلت: ٩٠٪! إذاً اعتبرني أنا من الـ ١٠٪ الذين لا ينسون أحلامهم..

ضحك المذيع بشكل متصنع..

المذيع:

«بعل فغور»

نبض قلبي بقوة وجسدي بدأ بالارتعاش اتسعت حدقتا عينيَ ثم قلت له بدهشة:

ماذا قلت!؟؟

المذيع باستغراب:

عفواً!! لم أقل شيئاً!.

آنسة ماريا لقد استمتعنا بوجودك هنا معنا شكراً لك..

وأنهى المذيع اللقاء وأنا لم أعد قادرة على الحراك من شدة الصدمة! متيقنة بأنني سمعته يقول هذه الجملة نفسها التي قالتها لي المرأة «الضاحكة الباكية» في الكابوس!؟ هل أتخيل؟ ثم نظرت إلى اللوحة: ألم ينتهِ أمرك بعد؟!! لن تختفي الأحداث

التي تحصل معي بسببها! لن ينتهي هذا الكابوس إلا عند بيع اللوحة والتخلص منها مثل لوحة «وحشي يصرخ»!..

قاطع أفكاري صوت امرأة قائلة بحماس:

سأشتريها..

التفت إليها، كانت شابة بعمر الثلاثين تقريباً، جميلة الملامح تملك شعراً أشقر متوسط الطول لديها ابتسامة جميلة شكلها وهيئتها يوحيان بأنها شخص ثري بالطبع لا يوجد في هذه المعارض إلا الأثرياء..

قلت لها: ماذا؟

استمرت بحماس وهيَ تتأمل اللوحة:

لقد أحببتها حقّاً، أرى أن هذه المرأة كانت تعاني أكثر من كونها مخيفة!..

قلت لها:

وكيف عرفتِ؟!

أكملت:

انظري إلى الدمعتين الداميتين هذا يعني أنها تبكي بالطبع وتعاني وحزينة، وأن تبكي دماً هذا يكون أكثر ألماً من البكاء بشكل طبيعي، ثم إنها لا تريد أن تبتسم لكن وكأن أحداً ما أجبرها على الابتسام بشق فمها من الأذن اليسرى حتى الأذن اليمنى ليصنع لها ابتسامة مصطنعة..

قلت لها باستغراب:

وكيف توصلتِ إلى هذا التحليل؟؟

قالت وهيَ تمد يدها لي للمصافحة:

أعتذر لم أعرفك على نفسي أنا «إليزابيث» أعمل محللة لأشهر الرسومات واللوح لمختلف الفنانين، وأيضاً ناقدة في الفن التشكيلي تشرفت بك لطالما أردت مقابلتك وأن أقتني إحدى لوحاتك وها هو أتى هذا اليوم..

مددت يدي بابتسامة:

أهلاً إليزابيث الشرف لي أيضاً..

اشترت إليزابيث اللوحة ثم التقطت لي بعض الصور مع اللوح ومعها، تحدثنا كثيراً عن أمور الفن ومجالاته، وأيضاً تعرفت على فنانين كثيرين في المعرض لا أخفي عليكم لقد كنت سعيدة لاحتكاكي بالعالم الخارجي والواقعي، انتهى المعرض أو انتهى اليوم الأول من المعرض ويوم وجودي فيه لأن المعرض يستمر لمدة أسبوع وكان اليوم الأول افتتاحاً مع حضور الفنانين، والأيام البقية ستعرض اللوح والأعمال الفنية واستقبال الزوار أكثر، بالنسبة لي بعت ثلاث لوح وبقيت لوحة وجميع اللوح لن تذهب إلى مشتريها حتى ينتهي المعرض هذه سياسة معارض الفن، ودعت بعض أصدقاء العمل وأنا في طريقي للخروج من المعرض لفت انتباهي صالة عرض واسعة جداً فخمة الطراز وفي نهايتها يوجد سلالم ضخمة ذهبية اللون تؤدي إلى دور ثانٍ كما قلت سابقاً كأنه قصر ملكي لكن هذه الصالة بالذات وهذه الساحة وكأنني رأيتها في مكان ما؟!!

صعدنا إلى السيارة أنا وأمي وصديقتي روجينا، طوال الطريق كانت أمي متحمسة وتحكي لي عن كل شيء، كيف هيَ ردة فعل الناس عن أول ظهور لي، وكيف شعورهم، وتعليقات الناس في جميع مواقع التواصل الاجتماعي، وردود فعل الصحافة والإعلام، والأهم صديقاتها ومعارفها كيف امتدحوني وكيف أمي شعرت بالفخر أمامهم وكانت سعيدة..

ذهبنا إلى مطعم راقٍ كانت أمي مصرة أن تحتفل بعيد ميلادي في هذا المطعم مع بعض صديقاتها المقربات وخالتي وبناتها، صراحة دائماً لا أحب أجواء الاحتفال ودائماً ما أكتفي بكعكة وشمعة وقهوة وأنا في غرفتي واستقبال الهدايا فقط من أمي وروجينا، ولكن اليوم كان مميزاً بالنسبة لأمي كانت سعيدة لذلك تركتها تفعل ما تريد وتتفاخر بي قدر الإمكان، أحضروا الكعكة كان شكلها مميزاً وجميلاً وتترصع عليها شموع النافورة وعمري واسمي وأيضاً خالتي أحضرت كعكة أخرى فيها تهنئة لنجاحي في المعرض، وأحضر لي الجميع العديد والعديد من الهدايا، ولكن أنا كنت شاردة الذهن تقريباً وأكتفي بتوزيع ابتسامات مصطنعة هنا وهنا وأفكر أريد أن أعرف هل ستختفي أحداث كابوس «الضاحكة الدامعة» لأنني بعت اللوحة أو ستستمر؟؟

على كلٍّ يجب الآن أن أعيش هذا اليوم السعيد، انتهى الاحتفال وتناولنا العشاء والجميع غادرن، يبدو أن أمي قامت بحجز المطعم كاملاً من أجلي لأنه لم يكن يوجد غيرنا مستمتعات، الجميع غادرن حتى روجينا بقيت أنا وأمي قامت

بمناداة السائق حتى يأخذ الهدايا إلى السيارة لذا أخبرتها بأنني سأذهب إلى دورة المياه، قالت: حسناً أسرعي لا تتأخري..

ذهبت مسرعة إلى دورة المياه كان المطعم يعم بالهدوء القاتل، بسبب عدم وجود أي أحد غيرنا نحن والعاملين لذا دخلت إلى دورة المياه جلست على المقعد فجاءة سمعت صوت فتح الباب أحدهم دخل إلى دورة المياه! رغم أنه لا يوجد في المطعم غيرنا والعاملون جميعهم رجال وهذه دورة مياه للنساء! هل يوجد في العاملين امرأة ولم أرَها؟ وحتى لو كان يوجد الموظفون لهم دورة مياه خاصة لهم! لم أتوتر كثيراً في النهاية هذا مطعم وبالتأكيد يوجد أحد غيرنا، لكن لم أسمع صوت أي مغسلة أي أنها لم تفتح أي مياه لكي تقوم بغسل يديها! وأيضاً لم أسمع أي صوت لباب حمام يفتح أو يغلق هذا يعني أنها لم تدخل أي حمام! إذاً هل تكتفي بالنظر في المرآة وستخرج؟! لكن أنا لا أسمع أي نفس أو صوت، هدوء قاتل!! فجأة سمعت صوت خطوات تسير كان صوت كعب أي يعني أنها امرأة شممت رائحة عطرها كان مميزاً جداً وجميلاً وغريباً! تختلط معها رائحة الدخان يبدو أنها دخلت لتتناول السجائر، شعرت بالارتياح لا أعلم من هيَ ولكن يبدو أنها طبيعية وهذا الأهم.. انتهيت من الحمام وفتحت الباب وخرجت لم أجد أي أحد؟؟ هل من المعقول أنها خرجت ولم أسمع صوت الباب؟ على ما يبدو هذا ما حدث! لذا قمت بغسل يديَّ وأنا في طريقي للخروج وجدت على إحدى المغاسل قداحة كانت غريبة الشكل جداً تناولتها كانت مليئة بأشياء أو مصنوعة من

أسنان!! نعم كانت تلغمها الأسنان من جميع الجهات، خمنت بالطبع أنها للمرأة التي دخلت هنا يبدو أنها نسيتها، لذا أخذتها معي ولا أعلم لماذا؟ وتوجهت للخارج وجدت أمي تنتظرني ثم قالت:

لماذا تأخرتِ؟ هيا أسرعي السائق ينتظرنا،،

انتظري يا أمي هل رأيت امرأة دخلت إلى دورة المياه؟؟

امرأة؟ لا.. لا يوجد هنا أحدٌ غيرنا نحن والعاملين..

لا يا أمي يبدو أنك لم تنتبهي لها..

قاطع حديثنا أحد مديري المطعم قائلاً لأمي:

أتمنى أنك استمتعتِ كثيراً يا سيدة «روبرت» أنتِ وضيوفك..

أمي:

نعم بالطبع أنا وضيوفي وابنتي كنا سعداء لقد فعلتِ كل شيء خططت له بانتظام وبشكل جميل والخدمة كانت مميزة جداً شكراً لكم..

المدير:

العفو وأتمنى النجاح الأكثر لابنتك الموهوبة..

قلت له:

شكراً.. لكنْ لدي سؤال؟

أمي وبدأت علامات التوتر تظهر عليها فهي تعرف تصرفاتي وأسئلتي الغريبة مع الناس..

المدير: تفضلي ما هو؟

هل هناك أحد غيرنا اليوم؟ أقصد هل هناك زبائن غيرنا؟

لا.. لقد حجزت والدتك المطعم بالكامل اليوم ولم يكن هناك أحد غيركم..

حسناً.. هل هناك نساء يعملن هنا في المطعم؟؟

المدير وبدا عليه التجهم:

صراحة مطعمنا العاملون هنا فقط رجال ولا يوجد نساء بيننا وأبداً هذه ليست عنصرية لفئة محددة أو شيئاً من هذا القبيل لكن منذ افتتاح المطعم وهو يسير على هذا النهج..

صعقت عندما قال بأنه لا يوجد نساء قلت له:

لا لا.. لا، عليك ألا تفهمني بشكل خاطئ أنا لن أضر بسمعة مطعمكم لكن..

المدير:

لكن ماذا؟؟

أمي مقاطعة الحديث بضحكة مصطنعة:

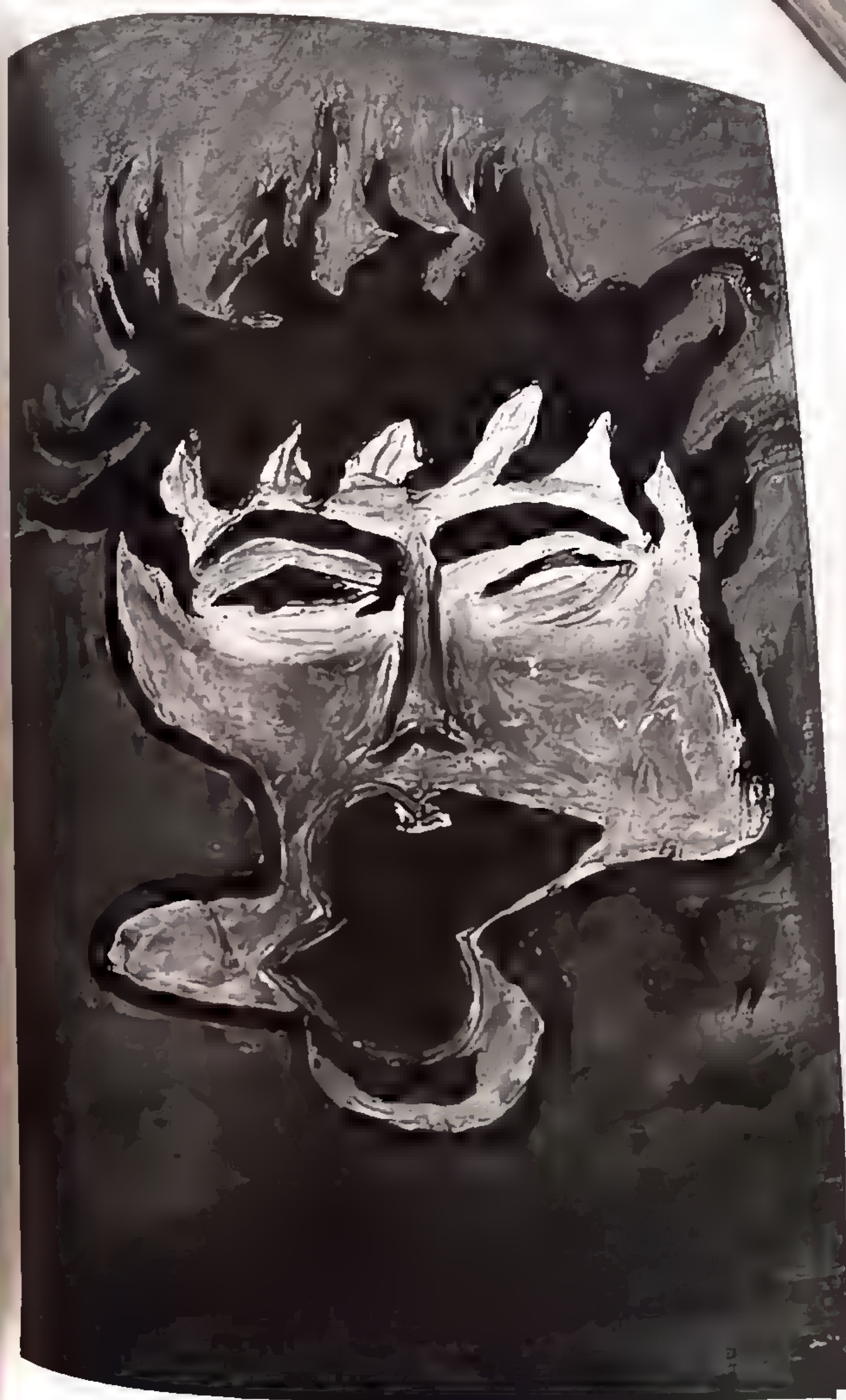
انتهى الأمر الآن شكراً لكم على هذه الليلة الرائعة والمميزة سيكون مكاني المفضل للاحتفال لقد تأخر الوقت هيا يا ماريا..

المدير:

العفو سنستقبلكم في أي وقت..

وصلت إلى المنزل أخيراً توجهت إلى دورة المياه وتحممت سريعاً وخرجت، عندما رأيت غرفتي شعرت بأنني اشتقت لها كثيراً، شعرت بأنني غبت عنها شهراً وليس بضع ساعات فقط، فهذه تقريباً أول مرة أخرج منها لساعات طويلة أو يوم كامل تقريباً، وضعت هواتفي في الشاحن وتوجهت إلى المرسم لكي أقوم بترتيبه بعد الفوضى التي أحدثتها وأنا متعجلة..

قمت بالترتيب وتجميع الأغراض والتقليل من الفوضى،، وأنا منشغلة بالترتيب سمعت الصوت المعتاد! الصوت الذي اعتدت عليه وأصبح جزءاً من روتين يومي، الصوت الذي لم أستطع أن أميزه حتى الآن ولا أعرف كيف أشرحه ولا أعرف أين مصدره!! هذا الصوت يصدر دائماً ظننت في البداية أنه مع كل كابوس لكن حتى الأيام التي لا أرى فيها كوابيس أيضاً يظهر أنه كوجبة رئيسة! توقفت عن الترتيب كالعادة وجلست لوهلة أنتظر الصوت يظهر مرة أخرى محاولة التركيز من أين يظهر وما هو!؟؟ لكن كالعادة بدون أي نتيجة مهما بحثت لا أجد أي شيء ولا أتوصل لشيء!.. انتهيت من الترتيب بعدها توجهت إلى السرير إنها اللحظة المفضلة لي بعد يوم طويل متعب وشاق، أمسكت الهاتف تفحصت جميع مواقع التواصل الاجتماعي والمقالات التي تحدثت عني وعن ظهوري الأول مع لوحاتي.. لم أشعر بنفسي من شدة التعب رغم أن الأمر لم يكن متعباً، لكن هذه المرة الأولى التي أبذل فيها مجهوداً وغصت في نوم عميق ...





«اعوجــــــاج»

«لقد وعدوا بأن الأحلام يمكن أن تتحقق! لكن نسوا أن يذكروا أن الكوابيس تتحقق أحياناً»!!

مستلقية على شاطئ ذي رمال سوداء الرياح الشديدة متوسطة البرودة، أمواج البحر تتراقص وتتلاطم بعضها في بعض، صوت الطيور من فوقي تغني هل هذا كابوس؟ لا يبدو كذلك على الإطلاق كل شيء هنا مثالي وطبيعي وجميل!!..

فجأة تحول المشهد من النهار إلى السواد الكامل أصبح كل شيء من حولي ظلاماً دامساً!! نهضت من مكاني ووقفت على قدميّ بيدأ قلبي بالخفقان بشدة، ما زلت أشعر بالرياح الباردة واسمع صوت البحر، وأقدامي تتحسس الرمال هذا يعني أنني ما زلت في المكان نفسه لكنه مظلم بشدة لدرجة لا أستطيع معها أن أرى كفي!! أسير بخطوات متعجلة ما زلت أسمع صوت البحر لكن لم أعد أراه، فجأة لمحت ضوء شمعة في طريقي توجهت إليها حتى وصلت إليها والتقطت الشمعة، اختفى صوت البحر والرياح وحتى الرمال الآن أشعر بأنني أقف على أرض صلبة، ومكان مغلق وكأن الشمعة قامت بنقلي إلى مكان آخر..

ساعة الحائط تدق بعنف معلنة عن قدوم منتصف الليل بكل جبروته وسكونه وهدوئه وظلمته إنه الظلام المخيف، إنه الوحدة المميتة والجنون المطبق..



ها أنا أقف في قلب الظلام مرة أخرى أو للمرة المائة بعد المليون، أحمل بين يديّ شمعة تتراقص نيرانها لتداعب وحش الظلام!! ينعكس لهيبها على وجهي فأبدو كخاطفة الأرواح التي جاءت لتسلبك روحك لكن على العكس دائماً أنا المهددة بسلب روحي! أواجه مرآة الحائط مع الساعة وأنظر لها في تركيز شديد، أنظر إلى لهيب الشمعة المنعكس في المرآة، إنه يختلف عن حركة الشمعة التي في يدي! وكأنها ليست عكسها! كأنها شمعة أخرى!!

لهيب الشمعة التي في المرآة بدأ يتراقص بسرعة ذهاباً وإياباً وكأن هناك رياحاً داخل المرآة تلعب به!! عكس الشمعة التي بيدي إنها ساكنة تماماً!

لهيب الشمعة التي بالمرآة وكأن هناك أحداً يقوم بنفخه! بدأ بالانطفاء شيئاً فشيئاً، أنظر إلى شمعتي فهي ما زالت ساكنة ومشعة! أعيد نظري في الشمعة التي في المرآة إنها على وشك أن تموت! أنا واثقة بأن هناك أحداً يقوم بنفخها وبالفعل انطفأت الشمعة التي في المرآة!!!

لكن الشمعة التي بيدي ما زالت مضيئة لكن الغريب هنا أن المكان أصبح ظلاماً جدّاً! لا أستطيع أن أشرح لكم لكن الشمعة في يدي ما زال لهيبها مشتعلاً لكن المكان أصبح مظلماً جدّاً جدّاً وكأن الضوء كان من الشمعة التي في المرآة بينما شمعتي مزيفة!..

نظرت في المرآة بدأ يظهر بداخلها شيء غريب راحت تتشكل في المرآة وجوه كثيرة لأشخاص من كافة العصور الأزياء مختلفة وقديمة جدّاً! جميع الأوجه اجتمعت معاً وكأن المرآة أصبحت

لوحة فنية أصبحت وجهاً واحداً مخيفاً وغريباً يتربص بي ويحملق في وجهي!! وجه شاحب مائل إلى اللون الرمادي، وشعر أسود مجعد! أصبحت المرآة لوحة حمراء بالكامل توسطها هذا الوجه، حتى فتح فمه وبدأ بالصراخ لكن بدون صوت! كان وجهه يتموج أو ينعوج شيئاً فشيئاً! وأنا أراقب كل هذا في هدوء وسكينة! شيئاً فشيئاً يتوسع فمه ووجهه!! قلبي بدأ بالاضطراب جبيني أضبح كتلة من العرق، الخوف يلامس روحي من الداخل، فجأة خرج صوت الصراخ مدوياً بقوة تحطمت المرآة وتناثر الزجاج على وجهي صرخت صرخة قوية لأعلن بها الهروب أو الخروج من هذا الكابوس..

أسمع صوت رنين هاتفي لكن لم أستطع النهوض من على السرير، غارقة بعرقي كالعادة لا أستطيع الحراك وكأن الجاثوم مجثم بجسده فوقي! أراهن أن هذا الكابوس وكأنه سرق حركتي!!

أخيراً استطعت النهوض من علي السرير كنت أشعر بصداع العالم أجمع في رأسي، وأشعر بدوران وغثيان شديدين، التقطت الهاتف أخيراً بعد معاناة للوصول إليه، وأجبت كانت روجينا بالطبع:

مرحباً ماريا..

أهلاً روجينا.. قلتها بصوت راجف

إنها العاشرة صباحاً إذا كنت لا تعلمين!

قلت باستغراب:

أعلم ماذا؟؟

أتعرفين الفتاة المهتمة بالفن والمحللة التي تحدثت أمس إليك؟ إليزابيث..

نعم اشترت مني لوحة،، ما خطبها؟

لقد وصلني خبر بأنها ماتت صباح هذا اليوم!!

صدمت لوهلة سرت القشعريرة بجسدي حتى شعرت بالنشاط وذهب التعب والخمول، صحيح أنني لا أعرفها لكن تلك الدقائق التي قضيتها معها كانت كفيلة بأن أشعر بالحزن عليها، كانت فتاة صغيرة وجميلة وشغوفاً..

روجينا:

ماريا هل أنتِ معي؟؟!

آه نعم.. نعم.. معك لقد شعرت بالصدمة والحزن عليها، لكن هل تعرفين كيف ماتت؟ كانت تبدو بخير كلياً!؟

لا أعلم صراحة إلى الآن لكن قال صديق لي بأنها ماتت في شقتها، وقال بأنه شاهد العديد من سيارات الإسعاف أيضاً بدأت الأخبار والمقالات تنشر عن موتها بالطبع الآن ستنتشر الأكاذيب والإشاعات في النهاية حقيقة موتها ستظهر لكن ليس اليوم..

قلت: آه حقاً هذا غريب جداً!

روجينا: حسناً أنا لدي رحلة عمل ومن الممكن أن أغيب أسبوعين هل يمكن أن تديري بعض أعمالك البسيطة؟

نعم بالطبع عزيزتي ما الذي تقولينه؟ لا بأس اذهبي سأكون بخير..

بعد أن أنهيت المكالمة مع روجينا، توجهت إلى دورة المياه وأنا أفكر بتلك الفتاة لقد تبادلنا أرقامنا حتى إنها أول صديقة لي في عالم الفن! هل حظي لهذه الدرجة بائس؟! انتهيت من الاستحمام وتناولت وجبة الإفطار وأعددت لي كوباً من القهوة حتى أبدأ بالرسم، تذكرت فجأة الكابوس الذي شاهدته اليوم! هل أرسمه؟ أم أنتظر قليلاً حتى أشاهده على الواقع؟

لم أنهِ كلامي إلا وبدأت أشم شيئاً ما هذه الرائحة؟ أنا أعرفها جيداً، إنها رائحة شموع!! تلفت يميناً ويساراً ونهضت من مكاني وخرجت من المرسم إلى غرفتي لا يوجد أي شمعة ولا أي شيء يحترق ولا حتى شيء يخص الكهرباء لأن جميع المقابس مغلقة ولا أشحن أي شيء الرائحة أصبحت أقوى إنها بالفعل رائحة احتراق الشمعة! استوعبت وقتها أن الكابوس بدأ يتحول إلى واقع!! عرفت أنه يجب أن أرسمه قبل أن يتوغل أكثر إلى واقعي..

أخرجت لوحة كبيرة الحجم حتى أرسم كل شيء أستطيع تذكره وبدأت بالرسم،، رسمت تقريباً قرابة ساعتين ونصف الساعة حتى أنهيتها أخيراً، لم يكن في هذا الكابوس تفاصيل كثيرة أو أنا على الأغلب دائماً ما أركز على رسم الشخصيات وأترك التفاصيل بالطبع كالأماكن والمباني وغيرها، لأن الشخصيات هيَ الرئيسة والأكثر شراً ورعباً،، أنهيت الرسمة وتأملتها كانت الخلفية حمراء اللون، ووجه ذلك الرجل يتوسطها الوجه الشاحب الرمادي المموج المعوج أطلقت عليها لوحة «اعوجاج»..

وضعت الفرشاة وذهبت لأغسل يديّ، لكن فجاءة وأنا متوجهة إلى الحمام أحسست بغرق في قدميّ نظرت إلى الأسفل كانت أرضية غرفتي كلها ماء!! صدمت من منظر المياه الكثير إنها غارقة بالفعل!! مستحيل من أين أتى هذا الماء؟! كانت أرضية الغرفة معبأة بشكل كامل لدرجة أن المياه وصلت إلى كعبيْ قدميّ!! لم أستوعب الأمر حتى بدأت المياه بالارتفاع والازدياد بشكل سريع ارتفعت شيئاً فشيئاً كل هذا حدث في ثوانٍ وأنا أقف متصلبة حتى وصلت المياه إلى ركبتيّ!! كنت أقف مصدومة بدون حراك أنا متيقنة بأنني مستيقظة أنا لست نائمة! هل من المعقول نمت وأنا ارسم؟ لكن للتو استيقظت ولست أشعر بالنعاس هذا ليس كابوساً إنه كابوس واقعي!!

تراجعت إلى الخلف بسرعة لا أعلم أين أذهب عقلي توقف عن التفكير وقلبي سيتوقف عن النبض بعد قليل من شدة الخوف استوعبت أن باب الغرفة أمامي يجب أن أتقدم إليه لأخرج من الغرفة نعم يجب أن أخرج قبل أن أغرق، حاولت أن أركض باتجاه الباب طبعاً ركضتي كانت ثقيلة وبطيئة بسبب المياه وكأنني محملة بأثقال اقتربت أخيراً من الباب لكن فجأة أحدهم أمسك بقدميّ وسحبني إلى الأسفل، سقطت تحت الماء وأنا أصرخ وأصرخ بدون صوت لأنني تحت الماء وكل أصوات صرخاتي تتحول إلى فقاعات شعرت بأن بحراً يبتلعني وليس مجرد مياه في غرفتي حاولت أن أنظر إلى الشخص الذي يمسك بقدميّ، التفت إلى الخلف حتى رأيته! كان الرجل نفسه صاحب الوجه الرمادي

المعوج!! صرخت صرخة تحت الماء حتى شعرت بأنني ابتلعت كل المياه التي في غرفتي،، أخيراً فتحت أمي الباب وكان وجهها وملامحها في دهشة وصدمة وتنظر إلي بملامح متسائلة! وأنا مستلقية على الأرض!

ماريا!! ما بك يا عزيزتي؟ هل أنتِ بخير؟ لماذا أنتِ مبللة هكذا؟

نظرت حولي وكانت الغرفة جافة تماماً ولا يوجد بها شيء غريب وكانت طبيعية! وكأني بالفعل أنا ابتلعت المياه وأنا المبللة والغريقة وحدي!!.. هل أتخيل؟ لكن لماذا أنا مبللة؟؟

نهضت رميت بنفسي في حضن أمي منهارة وجاهشة بالبكاء لا أعلم تفسير هذا الشيء بالذات الذي حدث معي، إلى الآن هذا هو أكثر وأقوى حدث مرعب حدث معي من كابوس إلى أرض الواقع..

استيقظت من النوم لا أعلم كم ساعة نمت بعد أن أعطتني أمي مهدئات من أدويتي التي أوقفتها بدون استشارة الطبيب، أشعر بأن جسدي وكأنه خارج للتو من معركة مميتة! مددت يدي إلى الهاتف ونظرت إلى الطلبات الهائلة على لوحة «اعوجاج»، لم أعد أهتم بالسعر لذا أخذت أول طلب ونهضت بحماس وغلفت اللوحة بسرعة بدون أن أنظر إليها حتى، واتصلت على السائق وأعطيته إياها بسرعة ليسلمها إلى صاحبها، شعرت بأنني تخلصت من عبء كابوس آخر كابوس كان أشد ثقلاً على النفس..



«الكوابيس لم تعد تحت السيطرة»

مضى أسبوع على ذلك الكابوس الواقعي لغرقي في الغرفة! بعد أن بعت اللوحة مررت بأسبوع هادئ وطبيعي وخالٍ من الكوابيس سواء في النوم أو في اليقظة، كان يوم الاثنين بداية أسبوع جديد، استيقظت في الصباح الباكر وقررت قبل ذهابي إلى موعدي الأول مع طبيبي النفسي بعد التوقف بعد أن أقنعتني أمي بأنه من الضروري أن أستكمل العلاج، لذلك أصبحت أكتب لي خططاً وأخرج كثيراً لأنسى الكوابيس فقررت أن أخرج أولاً لتناول الإفطار ثم إلى مقهى الرسم إنه مقهىً للرسم تستطيع فيه أن ترسم وتشرب القهوة بتركيز عالٍ وغير مشوش ناهيكم عن الديكور المريح والمبدع، قد افتتح هذا المقهى للتو قريباً من منزلي ولا أنكر أن ذلك المقهى ساعدني كثيراً للخروج من انطوائيتي وكسلي وعزلتي، وأصبحت أخرج إليه كثيراً وتعرفت فيه على عدد من الرسامين، كان المقهى كبيراً وبه ثلاثة طوابق الطابق الأول يحتوي على جلسات غير الجلسات الخارجية، والطابق الثاني يحتوي على ورش عمل للفن والرسم والنحت وأدوات الرسم بجميع أنواعها الألوان والأقلام والفرش بكل مكان بشكل مثير ومدهش، والطابق الثالث يحتوي أيضاً على جلسات والعديد من اللوح وفنانون مشهورون يقومون بعرضها هناك كالمزاد..

وصلت إلى المقهى بعد تناول الإفطار وطلبت قهوتي ومعها قطعة تشيز كيك باللوتس إنها المفضلة لدي، وجلست بالداخل لم أستطع أن أجلس بالجلسات الخارجية بسبب الطقس البارد، قررت أن آخذ استراحة هذا الأسبوع من الرسم لذلك أحضرت معي كتاباً أو بالأحرى رواية تصنيفها جريمة وغموض فكانت من التصنيفات المفضلة لي، انغمست بالقراءة بدون توقف حتى رن منبه الهاتف بأنه حان الوقت على الموعد، لذا نهضت بسرعة وتوجهت إلى العيادة النفسية لطبيبي، وصلت إلى هناك على الوقت كان المكان هادئاً كالعادة بالطبع لم أشتقْ لهذا المكان من يمكنه أن يشتاق للعيادات النفسية التي تسمع من جدرانها همساً لأصوات أناس يعانون نفسياً وعقلهم لا يتوقف عن الحديث! وخيالاتهم لا تتوقف عن صنع مشاهد سيئة ومرعبة؟! قامت الممرضة المساعدة والسكرتيرة الخاصة للطبيب بالترحيب بي بابتسامة:

مرحباً آنسة ماريا لقدومك هنا مجدداً اعلمي بأنك اتخذتِ القرار الصحيح..

قلت لها بابتسامة مصطنعة:

شكراً لكِ..

قالت بحماس:

أوه أيضاً تهانينا على نجاحك في الأيام السابقة لقد شهدت صورك بكل مكان أنتِ تستحقين هذا النجاح..

شكراً لتشجيعي ممتنة لكِ..

قاطع حديثنا الطبيب وهو يخرج مع مريض آخر:

المريض: شكراً لك أيها الطبيب كريستوفر سأحاول الحضور إلى الجلسات العلاجية الجماعية..

الطبيب: لا لا تحاول يجب أن تأتي ومن الضروري أن تأتي على الأقل مرة في الشهر سيساعدك ذلك كثيراً..

المريض: حسناً سآتي وداعاً أراك الأسبوع القادم،، التفت المريض مغادراً ولكن أتت عيناي بعينيه نظر إلي بطريقة غريبة ومخيفة لذلك أنزلت عينيّ بعدها ذهب وبدا عليه الخوف وكأنه شاهد شبحاً للتو..

الطبيب كريستوفر:

انظروا من هنا! أخيراً ماريا استطعتِ أن تتخذي هذه الخطوة وتعودي إلى علاجك

نعم شكراً لك أيها الطبيب وأيضاً الفضل يعود إلى أمي وإليك بإصراركما علي..

قال بابتسامة وهو يدخل قبلي إلى العيادة:

الفضل الأول يعود إلى إصرارك أنتِ بالتأكيد هناك شيء بداخلك يريد أن يستمر في العلاج، هيا تفضلي..

دخلت إلى العيادة النفسية لأعترف أنه أكثر مكان مشع وجميل ومريح مع الكتب الموضوعة في كل الجوانب والمجسمات اللطيفة التي تبعث الارتياح والنوافذ العملاقة التي يخترقها ضوء الشمس الصافي والساعة الرملية التي ينبعث منها رائحة معطر للجو جميل عيادة مثالية لكنها تظل عيادة نفسية..

جلست على المقعد المخصص لي وهو جلس أمامي، سألني:

هل ترغبين بشرب شيء؟

ماء فقط، شكراً لقد تناولت الإفطار والقهوة قبل مجيئي إلى هنا..

طلب المياه لي،، ثم قال: حسناً أولاً أهنئك على نجاحك الباهر لقد قامت والدتك بدعوتي لكن أعتذر كنت وقتها خارج البلاد أنا حقاً فخور بك تستطيعين أن تصلي إلى أعلى من ذلك..

شكراً أيها الطبيب، لا داعي للاعتذار فكل شخص لديه عذره، أيضاً يجب أن أشكرك أنا لقد فعلت الكثير من أجل مساعدتي وما زلت تفعل..

قال وهو يناولني المياه ويرتشف من قهوته:

لا داعي للشكر فهذا عملي، وأنتِ فتاة صغيرة في السن موهوبة شغوف وتستحقين الحياة الطبيعية بدون معاناة،،

شكراً على كلامك اللطيف يا دكتور..

كان الطبيب «ستيف كروستفر» هذا اسمه الكامل من أشهر الأطباء ليس فقط في البلاد بل في العالم لديه شهادات عديدة في الطب النفسي وخبرات طويلة فهو يتعامل مع مرضاه وكأنهم أصدقاؤه لذا دائماً ما تأتيه الانتقادات والإشاعات لكنه لا يهتم، لديه صفات خاصة وبسحر خاص في جذب المرضى وغير المرضى أيضاً مؤلف لعديد من الكتب، يمتلك مظهراً وسيماً: لون حنطي طويل ورفيع القامة يبلغ من العمر ٤٧ عاماً ولكنه يبدو

بعمر العشرين وأنا من يبدو بعمر الـ ٤٧! مطلق ولديه فتاة صغيرة اسمها «مارينا» لذلك دائماً ما يخبرني بأنني أذكره بابنته اسمانا يتشابهان وأيضاً يقول بأنها تحب الرسم وهيَ ما زالت بعمر الـ ١١ عاماً! لا تسألوني كيف عرفت كل ذلك بالطبع هو يخبرنا بكل شيء كما نحن نخبره بكل شيء لهذا من الممكن أن هذا أحد الأسباب التي تجعل المرضى من جميع أنحاء العالم يصطفون من أجل أن يأخذوا مواعيد معه ويكون طبيبهم الخاص..

لنعدْ إلى الجلسة: بعد أن انتصفنا الجلسة كانت الجلسة الأولى بعد التوقف خفيفة حكيت له بشغف وحماس عن الأشياء الجميلة التي حدثت معي خلال بداية السنة وهو مستمع إلي بابتسامة لطيفة، ثم قال:

حسناً أنتِ تبلين حسناً كما أرى، ولكن أخبريني الآن: ماذا عن الأشياء غير المرغوب بها وحدثت معك؟

صمت قليلاً أفكر من أين أبدأ؟ وكيف أخبره عن الكوابيس التي أصبحت معي في الواقع؟ وأني أتخلص منها أثناء رسمي لها وبيع اللوحة! وكيف سيصدقني؟ إذ حتى صديقتي روجينا لم تصدقني وأمي لم تصدقني! بالتأكيد هو سيحسم الأمر وسيقول مجرد هلاوس! وأنا واثقة بأنها ليست هلاوس ولا أوهاماً، واثقة بأنها حقيقية!

قاطع أفكاري الطبيب:

أنتِ لا تعرفين من أين تبدئين أليس كذلك؟

صراحة.. بلى.. لا أعلم إذا هل ستصدقني أم لا؟

الطبيب:

ما الذي تقولينه؟! أنتِ تعرفين جيداً أن موضوع التصديق من عدمه ليس المشكلة، المشكلة هيَ إذا احتفظتِ بمعاناتك في داخلك ولم تخرجيها..

أعلم لكن لو كان ذلك خارج مقدار العقل والخيال والهلاوس!!

قال بابتسامة:

إذاً أنتِ خائفة أن أقول لك: كل ذلك هلاوس أليس كذلك؟

قلت بحزن:

بلى.. وأنا لا ألومك صراحة..

حسناً إذاً لن أضغط عليك إنها الجلسة الأولى لك لذلك لن أجبرك أن تخبريني بكل شيء، ولكن هل أستطيع إخبارك بشيء؟

قلت:

نعم تفضل..

الطبيب:

ما رأيك أن أقترح عليك اقتراحاً سيكون مؤقتاً ولكن ليس للأبد؟!

قلت بتعجب:

ما هو؟؟



الطبيب:

أنتِ مقتنعة تماماً بأن كوابيسك تختفي عندما تقومين برسمها، لقد ناقشت حالتك مع عدة أطباء ووصلنا إلى نتيجة..

ما هي!؟

من الممكن واحتمال أن هذا كله يا ماريا يدور في ذهنك لدرجة أن عقلك الباطني أصبح مبرمجاً على هذه المعادلة، أي عندما بدأت معك الكوابيس قبل سنوات كان من الممكن من الطبيعي أنه شيء اعتيادي أنك مررت بحالة نفسية سواء من الضغوط أو أشياء أخرى لذلك بدأت معاك الكوابيس كثير من الناس يمرون بهذه الحالة وتتوقف الكوابيس بعد فترة لكن أنتِ منعتِها بسبب أن والدتك اقترحت عليك هذا الاقتراح بالطبع على نية أن تساعد ابنتها، وبدأت بالرسم وأوهمتِ عقلك الباطني أنك إذا رسمتِ فسيختفي الكابوس وهكذا إلى أن توصلتِ إلى هذه الحالة! لقد ربطتِ كوابيسك وموهبتك مع عقلك الباطني، لذا القرار هو دعينا نجرب لفترة: مهما رأيتِ من كوابيس لا تقومي برسمها أبداً، ولا تقومي برسم أي شيء آخر توقفي عن الرسم لفترة على الأقل مدته شهرين لنجرب هذا الاقتراح ما رأيك..؟

اكتفيت بالصمت لدقيقة مصدومة من الكلام الذي قاله لي الطبيب؟ هل من المعقول أن يكون كل ذلك صحيحاً؟ وأنا من جعلت من موهبتي نقمة وليست نعمة؟ هل كان اقتراح أمي خطأً وهي تظن أنه صح؟!

لكن كيف أتوقف عن الرسم؟ هذا يعني يطلب مني أن أتوقف عن التنفس التوقف عن العيش! التوقف عن الشغف! التوقف عن حب الحياة! ألا يعلم بأن الرسم يجعلني أشعر بالشجاعة لمواجهة كوابيسي ولمواجهة الحياة؟ ألا يعلم بأنني إذا توقفت عن الرسم فسأتعفن رعباً وخوفاً من الكوابيس، سينال الخوف مني ستلتهمني كوابيسي وأنا حية، إذا توقفت عن الرسم فكوابيسي ستحتل واقعي ستحبسني للأبد فيها! أن أتوقف عن الرسم هذا يعني سأموت ببطء..

قاطع أفكاري صوته مرة أخرى:

لا بأس فكري في الموضوع وعندما تتوصلين إلى قرار أخبريني وأذكرك أيضاً بأن هذا الحل ليس للأبد بل مجرد حل تجريبي حسناً؟ أي يعني إذا تعافيتِ ونجح الحل فستعودين بعدها إلى الرسم بشكل طبيعي..

حسناً شكراً لك أيها الطبيب..

انتهت الجلسة وغادرت العيادة، وبقيت أجول لساعة تقريباً في الشوارع أفكر في كلام الطبيب، وأفكر كيف أستطيع التوقف عن الرسم؟ وإلى أي مدىً ستتمادى كوابيسي إذا توقفت عن الرسم؟! مليون سؤال يدور في ذهني في الدقيقة الواحدة! الحيرة تقتلني من الممكن أن يكون كلام الطبيب صحيحاً ولكنني خائفة كثيراً إذا توقفت عن الرسم فهذا يعني أن الكوابيس ستأكلني! كيف سأستطيع تجاهلها وكأنها لم تكن؟ كيف أستطيع نسيانها وهيَ أصبحت تأتي إلى واقعي؟ كيف سأقاومها وأنا سلاحي الوحيد هو الرسم؟ من دون الرسم لا أستطيع مقاومتها وهزيمتها!..



قاطع أفكاري اتصال من أمي رفعت الهاتف لأجد عشرة اتصالات! حسناً لن أستغرب هيَ دائماً ما تتصل علي بهذا الكم الهائل عندما أخرج وكأنني طفلة بعمر سبعة أعوام! على العموم أنا عائدة إلى المنزل وسأخبرها بكلام الطبيب أعرف أنها ستحزن وستشعر بتأنيب الضمير كونها صاحبة فكرة الرسم لكن سأحاول أن أخبرها بأن هذه كلها توقعات فقط..

لكن عاودت الاتصال مرة أخرى لذا اضطررت أن أجيب عليها:

مرحباً أمي..

ما الأمر لماذا لا تجيبين؟

آسفة، لقد خرجت للتو من موعد الطبيب ولم أسمعه، على كل حال أنا سآتي بعد قليل..

شعرت بأن صوتها متوتر قليلاً! لذا سألتها:

هل كل شيء بخير يا أمي؟!

نعم.. لكن عليك العودة الآن إلى المنزل بسرعة هناك ضيوف يرغبون في مقابلتك..

قلت باستغراب: ضيوف؟

تعالي فقط الآن ولا تتأخري..

حسناً لقد اقتربت من المنزل أراك بعد قليل..

وصلت إلى المنزل بسرعة كبيرة، فتحت الباب على عجل ودخلت إلى المنزل استقبلتني أمي وكانت ملامحها مليئة بالتوتر!

ما الأمر يا أمي؟ هل كل شيء على ما يرام؟؟

نعم تعالي هناك بعض الأشخاص في غرفة المعيشة..

من هم؟!!

وصلت إلى غرفة الاستقبال مع أمي دخلتها، كان هناك رجلان يجلسان فيها! الأول كان يرتدي معطفاً أسود وهو ضخم البنية ذو بشرة سمراء وشعر خفيف جداً، والثاني كان يرتدي جاكيت جلد أسود اللون وبنطال جينز كان ممتلئ الجسم قليلاً أبيض البشرة شاحب اللون وكأنه جثة تسير!..

تقدمت إلى الداخل وقف الاثنان معاً بابتسامة خفيفة:

قال الأول ذو البشرة السمراء:

مرحباً بك آنسة ماريا..

قلت بتلعثم:

أهلاً.. من أنتما؟؟

قال ذو البشرة السمراء:

أنا المحقق «أرلند» وهذا شريكي المحقق «صامويل«

قلت وأنا أحاول أن أخفي توتري، بالطبع سأتوتر ما الذي يفعله محققان من الشرطة في وسط منزلي!؟

أهلاً بكما تفضلا بالجلوس..

جلس المحققان على الأريكة الكبيرة وجلسنا أنا وأمي على الأريكة الصغيرة المقابلة لهما:

هل تريدان أن تشربا شيئاً؟؟



المحقق أرلند:

لا، شكراً لقد عرضت علينا والدتك بالفعل لكن رفضنا لا بأس بالماء لأنه ليس لدينا وقت..

حسناً كما تشاءان أخبرني الآن هل هناك مشكلة؟!

المحقق أرلند وهو يخرج مغلفاً من جيب معطفه:

هناك بعض الأسئلة أود طرحها عليك فقط آنسة ماريا..

نعم بالطبع تفضل..

فتح المغلف وأخرج منه بعض الصور وضع على الطاولة أمامي صورة امرأة شقراء جميلة، أنا أعرف هذا الوجه تماماً أين رأيته؟!

هل تعرفين هذه الفتاة؟؟

قلت وأنا أنظر إلى الصورة بتمعن:

نعم.. أقصد تعرفت عليها في معرض الرسم قبل أسبوعين تقريباً أليست هذه إليزابيث محللة الرسوم؟! لقد قابلتها فقط في ذلك اليوم واشترت مني لوحة ولم أتواصل معها بعدها أبداً..

المحقق أرلند:

حسناً جيد،، هل تعلمين أنها ماتت..؟

قلت بتردد:

نعم.. صراحة وصلني خبر من صديق لي لقد أحزنني خبر موتها، ولكن أنا ما علاقتي بالأمر..!؟



لـم يـرد علـى سـؤالي وأخـرج صـورة أخـرى هـذه المـرة صـورة رجـل تقريبـاً يـبدو فـي عمـر الثلاثينيـات نحيـل الهيئـة يلبـس نظـارة طبيـة يـبدو وكأنـه مديـر مؤسسـة أو مديـر أعمـال أو شـيء مـن هـذا القبيل، قال وهو يضع الصورة أمامي:

ماذا عن هذا الرجل؟ هل تعرفينه؟

تمعنت بالصورة وقلت:

أمممم.. صراحة لا، هذا الرجل لا أعرفه ولم أرَه في حياتي..

المحقق أرلند:

هـذا الرجـل اسـمه «لويـس» وهـو فـي سـن السـابعة والثلاثيـن ومؤسس وصاحب شركة إنتاج الأدوات الخاصة للرسامين..

قلت مسترسلة:

وإذاً؟!

بالحقيقـة لقـد مات الأسـبوع الماضـي أو علـى الأغلـب قتل كما قتلت الآنسة إليزابيث أيضاً..

بـدأ الخـوف والتوتـر يسـيطران علـي: جريمتا قتـل والشـرطة هنا تحقق معي وأنا لا أفهم بعد ما علاقتي بالأمر!!

قلت وأنا أحاول أن أخفي رعشة يديّ:

إنه لأمر مؤسف حقّاً! لكن لم أفهم بعد ما علاقتي بالأمر؟!

المحقق أرلند:

بالحقيقـة الآنسـة إليزابيـث قتلت بطريقـة بشـعة جدّاً! لسـت واثقـاً مـن أنـك سـتتحملين رؤيـة صورهـا لكـن لأختصـر لـك

الموضوع قتلها القاتل وشق فمها من الأذن اليسرى حتى اليمنى كالمهرج تماماً وقام بعدها بتخييط أطرافه! ثم جعل عينها تنزف دماً بعد أن جرح أجزاء من عينيها! والأهم من ذلك كله رأينا اللوحة معلقة في غرفة نومها ومسرح الجريمة، وكانت اللوحة تماثل طريقة قتلها تماماً واكتشفنا أن هذه اللوحة تعود إليك لذلك نحن هنا.. وينطبق أيضاً الشيء نفسه على الرجل،،ثم سكت قليلاً!!

قلت بتوتر:

ماذا! لماذا صمت؟!

حقيقة كان مقتل الرجل أبشع بكثير وكان مرعباً وغريباً ولم نفهم أن هناك حقاً شخصاً قادراً على أن يقتل بهذه الطريقة! حسناً إذا كنتِ ستتحملين رؤية الصور فسأريك صورة!؟

قلت وأنا أحاول أن أمد الطاقة والشجاعة في نفسي أمسكت أمي بيدي ثم قلت:

حسناً لا بأس يمكنني رؤيتها..

هل أنتِ مستعدة؟؟

نعم..!

وضع ثلاث صور أمامي للجثة على الطاولة ما أن رأيتها ارتعشت بقوة وشهقت أصابتني صدمة وتجمد الدم في عروقي اتسعت حدقتا عينيّ! من هول الصدمة التقطت صورة من الصور

الثلاث ورفعتها لنظري أتمعن فيها أكثر! أريد أن أصدق ما أراه؟ هل هذا حقيقي!؟ هل هذا رجل حقيقي؟

قال المحقق وأنا ما زلت أتفحص الصورة وعيناي ممتلئتان بالدموع والخوف:

نعم إنه السيد لويس نفسه صاحب هذه الهيئة الطبيعية سابقاً هكذا وجدناه ميتاً وكانت اللوحة معلقة خلفه على الحائط أيضاً بغرفة نومه، واتضح أيضاً أن هذه اللوحة تعود إليك ولقد اشتراها منك من أسبوعين..

قلت بصوت مخنوق وخافت وراجف:

نعم.. إنها.. إنها، لوحة «اعوجاج»!!

وبالفعل لقد طبقت الرسمة على ذلك الرجل حتى ظننت أنه هو نفسه الذي رأيته في الكابوس!!

أي قاتل يستطيع أن يقتل بهذه الطريقة؟ أي قاتل يستطيع أن يجعل وجه إنسان يصبح معوجّاً!؟ أي قوة يمتلكها؟ وأي قلب يمتلك؟

المحقق وهو يلتقط الصور ويعيدها في الظرف:

لهذا السبب أتينا إليك آنسة ماريا لأن هاتين الجريمتين مرتبطتان بعضهما ببعض والرابط هو اللوحتان واللوحتان تعودان إليك..

أمي بتوتر:

ماذا تقصد هل تتهم ابنتي؟؟!

المحقق بكل برود:

من قال ذلك يا سيدة؟! هذه إجراءات فقط ضرورية لا يوجد اي أدلة أن ابنتك قاتلة وأيضاً سنجعلها من ضمن قائمتين، قائمة سيكون عليها الحذر ومن الممكن أن القاتل سيخطط لأذيتها، وقائمة ستكون من المشتبه بهم وهذا عملنا..

أمي وهيَ تقف بعصبية من مكانها:

ماذا؟ من المشتبه بهم!! من الممكن أن تتأذى ابنتي وأنت تضعها من المشتبه بهم؟! وتتهمها بأنها ارتكبت هذه الجرائم البشعة؟! كيف لفتاة أن تفعل هذا؟ هذا ليس منطقاً؟!

أمسكت بيدَيْ أمي أحاول تهدئتها:

أمي أرجوك اهدئي سيكون كل شيء على ما يرام، إنها إجراءات ضرورية فقط حتى يقبضوا على القاتل الحقيقي سأكون بخير..

الضابط وهو يهم بالرحيل:

ذلك كل ما لدينا الآن، ستكونين تحت المراقبة والحماية في آن واحد، وأيضاً يجب أن تتوقفي عن بيع أي لوحة في الوقت الراهن، وأيضاً إذا كان لديك قائمة أو تتذكرين أسماء بعض الأشخاص الذين اشتروا منك لوحات يرجى منك أن تعطينا هذه الأسماء..

هذا صعب أنا في هذا المجال من أكثر ما يقارب ١٤ عاماً! لقد بعت آلاف اللوحات ومن المستحيل أن أتذكر أي اسم وأيضاً عندما أبيع اللوح لا أهتم بحفظ معلومات الزبون..!

المحقق:

حسناً على الأقل أسماء الزبائن هذه الفترة القريبة مثل هذه السنة والسنة الماضية وخلال هذه الأشهر، إذا عرفتِ فاتصلي بي هذا رقمي..

التقطت بطاقة المحقق:

حسناً سأفعل كل ما بوسعي للمساعدة..

وداعاً..

- غادر المحقق وشريكه تنفست الصعداء كدت أن أفقد قلبي لوهلة ظننت أنه سيتم القبض علي! احتضنتني أمي باكية:

ما هذا ما الذي يحدث يا ماريا؟!

قلت لها وأنا أمسك بكتفيها:

أمي أرجوك اهدئي وتنفسي انتظري هنا سأحضر لك ماء وأعود هيا اجلسي..

توجهت إلى المطبخ فتحت الثلاجة تناولت قارورة ماء كانت يداي وجسدي بأكمله ترتعش من هول ما سمعت وما رأيت لكنني أمثل أنني قوية أمام أمي! تمالكت نفسي وتنفست بقوة وعدت إلى أمي،،بعد أن جعلت أمي تهدأ وتنام، توجهت إلى غرفتي يجب أن أركز يجب أن أستوعب ما حدث!!

يداي ترتعشان بقوة قلبي يخفق بشدة لدرجة أشعر بأنه يكاد أن يخرج من مكانه! حاولت السيطرة على نفسي دخلت إلى

المرسم وأغلقت الباب وجلست على الأرض ويداي على رأسي أحاول أن أستوعب ما حدث للتو!؟ تلك الصور للجرائم البشعة جميعها طبق الأصل مثل رسوماتي، حتى ظننت لوهلة أنه يعرض علي صور لوحاتي وليست جثثاً حقيقية متشكلة على هيئة لوحاتي!؟ من يمكنه أن يفعل ذلك؟ وأي قاتل يمكنه أن يقتل بهذه البشاعة! أي إنسان يمكنه أن يحول وجه إنسان آخر ويجعله معوجاً وكيف فعل ذلك أصلاً؟!

انقطعت أفكاري وتساؤلاتي عندما سمعت صوت رنين هاتفي، نهضت من مكاني وخرجت من المرسم أبحث عن الهاتف، أسمع صوته لكن أين هو؟ لقد توقف صوته هذا يعني أنه انتهى الاتصال، اللعنة ليس وقت إضاعة الهاتف الآن أين هو؟؟ أخرجت هاتفي الخاص بالعمل وقمت بالاتصال منه على هاتفي الشخصي، وبالفعل بدأ بالرنين بدأت أبحث عنه لكن بدون جدوى! أخيراً استوعبت أن صوت الرنين قادم من المرسم، عدت إلى المرسم لم يكن المرسم بتلك المساحة الكبيرة كان صغيراً ومرتباً ونظيفاً أي كل شيء واضح أمام الأعين ولكن لا أرى الهاتف أسمع صوته فقط! استمررت بالبحث حتى انتهى الاتصال وعاودت مرة أخرى الاتصال به ها هو أسمع صوته فقط دون رؤيته! الرنين يعلو اقتربت منه أكثر أسمعه الآن بوضوح، إنه خلف تلك اللوحة! توجهت إلى اللوحة وأزحتها لكي أرى ما خلفها لكن لم يكن موجوداً أي هاتف!! انقطع الاتصال



عاودت مرة أخرى الاتصال وها هو يرن أيضاً أسمع صوته في هذه البقعة إنه واضح أنه هنا لكن أين؟ لا أستطيع رؤيته؟!

لحظة!! مستحيل!!... الصوت قادم من داخل اللوحة..!!!!

صعقت بالكامل ارتعش كامل جسدي أطرافي تنملت وضعت أذني على اللوحة رغم أنني أرجف خوفاً إلا أنني سمعته!! إنه بعمق اللوحة سمعته بوضوح هذه المرة!! كانت اللوحة بها رسمة عبارة عن وجه مخيف كالعادة ويضع يديه على أذنيه وكأنه منزعج من صوت ما!.. في الحقيقة هذه اللوحة إحدى رسماتي التي رسمتها هكذا من مخيلتي بدون كابوس..

لم أعرف ماذا أقول شلت أطرافي عن الحركة ولساني شل عن الكلام! اكتفيت بالصمت والنظر إلى اللوحة هل أنا في كابوس!؟ مستحيل أن يكون هذا حقيقياً!؟ هل أنا في دوامة أخرى من الكوابيس؟ ما الذي يحدث معي؟ هل أنا مختلة أو ما شابه؟ هل هيَ نهاية عقلي وسأصبح مجنونة؟ أسئلة كثيرة تدور في عقلي أصبت بالصداع والدوران لا أعرف لمن ألتجئ؟ من سيساعدني؟ قررت أن أخرج من المرسم وأقفله بالقفل وبالفعل فعلت.. يجب أن أهدأ وأجمع شتات نفسي وأفكاري وأنفاسي..

ما يحدث لي يفوق العقل والتفكير والواقع والخيال! هل أخبر المحقق!؟ لا بالطبع لا تجرئين على ذلك الشرطة بالذات لا تصدق هذه الأمور الغريبة.وستخمن بسرعة أنني مختلة

ومجنونة ولـدي كل الأمـراض النفسـية وأنـني صاحبة الجرائـم وسيتهي الأمر بي في المصحة النفسية للأبد أو بالحكم علي بالإعدام نهاية متوقعة!..

جلست خلف مكتبي وأنا لا أعرف كيف سأتصرف؟ وماذا سأفعل؟ ومن يستطيع تصديقي ومساعدتي؟! لذا التقطت جهاز اللاب توب خاصتي وفتحته أردت أي شيء أي معلومات هل سيستطيع السيد قوقل مساعدتي؟ ولكن ماذا أكتب له؟ وكيف أشرح؟ ما الذي أريده أصلاً؟! شعرت بتعب قاسٍ ونعاس شديد وإرهاق وصداع هل هذا نوم أم حالة إغماء؟ في كلتا الحالتين أغمضت عينيّ ودخلت في سبات عميق..





استيقظت من سباتي أو إغمائي الذي دام ساعتين على صوت رنين هاتفي أيضاً، نهضت وفتحت المرسم شغّلت الأضواء ودخلت إذ أتفاجأ بأن هاتفي على الأرض أسفل اللوحة وكأن هذا الوحش ألقى به إلى الخارج منزعجاً من كثرة اتصالاتي، نظرت إلى الشاشة كانت مديرة المعرض الذي أقيم قبل أسبوعين وعرضت فيه رسوماتي وظهرت ظهوري الأول، قمت بالإجابة على الفور:

مرحباً ماريا..

أهلاً سيدة أليز

هل من الممكن أن تأتي للمعرض؟

استغربت من طلبها لأن الوقت كان متأخراً وكانت الساعة تقريباً العاشرة مساء وأيضاً المعرض مغلق الآن!!

أخبرتها:

الآن!؟ في هذا الوقت؟ أليس المعرض مغلقاً؟؟

السيدة أليز:

نعم مغلق ولكن أنا والإدارة موجودون في المكتب هناك أمر طارئ بخصوص إحدى لوحاتك والأمر لا يؤجل للغد!..

ما بها؟؟ هل تلفت إحدى اللوحات؟ أو سرقت؟!

لا أعلم ما الذي أقول لكن أرجوك تعالي بسرعة لا أستطيع أن أشرح في الهاتف يجب أن تري أنتِ بنفسك يجب أن تتدارك الوضع لأن اللوحة بيعت والمشتري دفع المال وأنت تعرفين ما أن ينتهي المعرض ستذهب كل لوحة إلى المشتري الخاص بها..

حسناً حسناً أنا قادمة الآن سأصل إليكم في دقائق..

حسناً أنتظرك شكراً لتفهمك..

أغلقت الخط وكنت أفكر بتعجب ما الذي حدث للوحة إن لم تسرق أو تتلف؟! هل تنقصني متاعب الآن؟؟ حتى أنني لم ألحق أن أفكر كيف خرج الهاتف فجأة؟ الآن يجب أن أفكر بهذه المشكلة!

ارتديت ملابس مناسبة للخروج وخرجت بسرعة ركضاً أخذت حقيبتي وهاتفي وحتى لم أخبر أمي كانت نائمة والعاملة كذلك! صعدت في سيارتي كان الجو بارداً جداً الليل المعتم والجو البارد الضبابي الهدوء يسيطر على الشارع والسيارات مصطفة بانتظام في جميع الجوانب هذا يعني أن أغلب الناس في منازلهم بالطبع، رغم ذلك شعرت بأن هناك أحداً يراقبني! لذلك توجهت مسرعة قدت السيارة بسرعة كبيرة لم أهتم بالأنظمة والمخالفات لم يكن المعرض بعيداً جداً عن منزلي كان بيننا ما



يقارب ٢٥ دقيقة وبما أن الشوارع فارغة وصلت في ٢٠ دقيقة، نزلت من السيارة بعد أن ركنتها وتوجهت إلى مدخل إدارة المعرض وجدت المديرة في استقبالي ومعها اثنان من الإدارة، واثنان من حراس الأمن وعامل من المعرض! لوهلة قلت لا بد أن اللوحة سرقت! كانت ملامحهم عبارة عن حيرة وصدمة وخوف ووجوههم شاحبة وكأنهم للتو شاهدوا شخصاً ميتاً عاد إلى الحياة! وصلت إليهم وأنا أجمع شتات نفسي:

مساء الخير سيدة أليز ماذا حدث في هذا الوقت المتأخر؟

رحبت بي السيدة أليز وهيَ تحاول أن تخفي توترها ورعشتها:

أهلاً آنسة ماريا نعتذر بشدة لإزعاجك في هذا الوقت المتأخر..

لا بأس هل حدث شيء سيئ؟!

قالت السيدة أليز وهيَ تشير إلى الأمام:

تفضلي آنسة ماريا اتبعيني من فضلك أرى أنه من المناسب أن تري هذا بنفسك..

سرنا معاً أنا والسيدة أليز ومعنا حراس الأمن الذين لم ينطقوا بحرف واكتفوا بالنظرات المتبادلة المتوترة!!

حتى وصلنا إلى شاب يبدو بعمر العشرينيات كان أيضاً يرتدي لباسَ حراس الأمن نفسَه، كان يجلس على الكرسي ومعه اثنان يقومان بتهدئته! كان الشاب يرتعش حرفيّاً لدرجة





شعرت بأنه من الممكن أن يطير من شدة الرجفان والعرق يتصبب منه بغزارة رغم أن الجو متجمد من البرودة، لون شاحب لدرجة الزرقة!

قالت السيدة أليز متحدثة مع الشخص الذي يقوم بتهدئة الشاب:

هل تواصلتم مع عائلته؟

الرجل:

لا.. قال إنه هنا للدراسة والعمل إنه يعيش وحده في هذه المدينة، وعائلته في مدينة أخرى، قال إنه لا يريد أن يقلقهم عليه..

أليز متحدثة إلى الشاب:

أخبرني يا «رويس» كيف حالك الآن؟

رويس بتلعثم وهو يحاول أن يجمع شتات نفسه:

أنا.. أنا أصبحت أفضل، سيدتي شكراً أستطيع الآن أن أذهب إلى المنزل..

السيدة أليز:

أعتذر،، ولكن لا يمكنك أن تذهب إلى المنزل قبل أن تخبرنا بكل شيء..

كنت أقف كالصنم لا أعرف ما الذي يحدث هنا؟ ولا أعرف عن ماذا يتحدثون؟! ولا أعرف ما سبب وجودي هنا!!؟



لذا قررت أن أقاطع حديثهم:

عفواً سيدة أليز! هل من الممكن أن أفهم ما الذي يحصل هنا؟ أنا لا أفهم شيئاً!؟

السيدة أليز:

تعالي معي ماريا وأنت أيضاً يا رويس والجميع أيضاً، سرنا خلفها حتى وصلنا إلى قاعة العرض الرئيسة وتوجهنا إلى منصة العرض التي فيها لوحاتي الأربع، ثم قام أحد حراس الأمن بتشغيل الإضاءة للقاعة بالكامل أضيء كل المعرض كان فارغاً من البشر بالطبع ومليئاً باللوحات التي وكأنني من شدة الهدوء أستطيع سماع أصوات اللوحات، ما أن التفت إلى لوحاتي صعقت!! كانت لوحاتي الثلاث مثل ما تركتها لكن اللوحة الرابعة كانت معلقة لكنها فارغة!! لا توجد أي رسمة فيها لوحة بيضاء فقط!!

اقتربت بخطوات مسرعة إلى اللوحة تحسستها بيدي وأنا في حالة ذهول، ثم التفت إلى السيدة أليز:

ما هذا يا سيدة أليز؟ أين لوحتي؟!

قالت السيدة أليز بتوتر:

بصراحة لا أعرف ماذا أقول شيء غريب حدث ولا نستطيع أن نشرح ما حدث؟ الموضوع يبدو كالجنون أو نعلم بأنك ستغضبين وتظنين أننا نستخف بك فقط لكي نغطي على إهمالنا وأن اللوحة سرقت.!

قلت باستغراب:

وما الذي حدث؟ غير أن إحدى لوحاتي سرقت بالفعل! وأيضا هذه اللوحة مبيعة كان من المفترض أن تذهب إلى صاحبها بعد الغد!!

اهدئي أرجوك يا آنسة ماريا لكن على ما أظن أن لوحتك لم تسرق..!

ماذا؟!

السيدة أليز وهيَ تقترب من اللوحة وتتفحصها بيدها وتشم رائحتها:

انظري هذا توقيعك ما زال موجوداً..

قلت بغضب:

بالطبع موجود على الأغلب هذه حيلة من السارق استطاع تزوير ونسخ توقيعي على هذه اللوحة البيضاء وكأنه يسخر منكم..

نطق أخيراً أحد الرجال الموجودين بتردد متحدثاً للسيدة أليز:

اعذريني يا سيدة أليز لكن أنا أتفق مع كلام الآنسة ماريا ولا أتفق مع خزعبلات هذا الشاب «رويس»، أظن أنه ساعد السارق للدخول إلى هنا كونه يتحكم بالكاميرات وفتح الأبواب وكانت المناوبة الليلة هو المسؤول عنها! أنا أرى أنه هو شريك السارق وهذه خطط منهما، ثم يأتي ويكذب علينا بهذه القصة

التافهة، ثم استرسل في حديثه وهو يتوجه بخطوات مهددة إلى الشاب المرتعش خوفاً وكأنه أساساً ليس موجوداً في عالمنا بل سارح بعالم آخر! قال الرجل الذي كان من الإدارة للشاب رويس وهو يمسكه من ياقته:

اسمعني أيها الطفل اعترف الآن قبل أن نستدعي الشرطة وستكون أنت المتهم الأول بعدها ستخسر وظيفتك وحياتك من الممكن أن نسامحك إذا اعترفت بكل شيء..

توجهت السيدة أليز بسرعة إلى الرجل الذي يمسك بالشاب رويس وينهال عليه بالاتهامات والتهزيء، أمسكت السيدة أليز يد الرجل قائلة:

ماذا تفعل يا «نيث»؟ اترك الصبي وشأنه..

نطق رجل آخر وهو أحد حراس الأمن:

إذاً أنت يا سيد نيث توجه لحراس الأمن الاتهامات؟ صحيح أهملنا في عملنا ولكن ليس معناها أننا نحن من قمنا بسرقتها!

نيث بغضب:

هل تحدث أحد معك أيها الغبي؟ أم أنك تحاول تبرئة نفسك قبل أن تصل الشرطة إلى هنا؟

قال حارس الأمن الثالث:

إذاً دعونا ننهِ الأمر ونتصل بالشرطة فحسب وهيَ ستعرف من السارق!

نيث بسخرية:

بالطبع وسيقدم هذا الشاب الذي يدعي الجنون خزعبلاته وقصته الخيالية كدليل للشرطة وبعدها جميعنا سنذهب إلى السجن..

شعرت بأنني في متاهة لن أستطيع فهمها أو الخروج منها! بدأ الصداع يتدفق إلى أعماق رأسي، هذا ما كان ينقصني أن أتوسط في مشاجرة بين أناس لا أعرفهم في الساعة الحادية العشرة ليلاً!!

أخيراً قاطعتهم بغضب:

توقفوا الآن!! أرجوكم اصمتوا؟ وأوقفوا هذه المسرحية! كما قال ذلك السيد أنا سأتصل بالشرطة الآن لأنها هي الوحيدة التي تعرف أن تنهي هذه المهزلة..

أخرجت هاتفي من حقيبتي لكي أتصل بالشرطة وكنت جدية بالفعل، لكن السيدة أليز أمسكت بيدي:

أرجوك توقفي واسمعي ما الذي سيقوله هذا الشاب..

نيث كالعادة وهو مندفع:

أليز هل جننتِ؟؟ هل ستجعلين صاحبة اللوحة تسمع تلك القصة الخيالية من ذلك الشاب وستصدق؟؟ نحن سنخسر أعمالنا وسمعتنا وكل شيء وأنا لست مستعداً لهذا بسبب ذلك الشاب الكاذب..

نطق الشاب «رويس» أخيراً ولكن كان وضعه يبدو غريباً ومزرياً قال وهو يضع يديه على أذنيه:

أنا.. أنا.. لست كاذباً.. لقد رأيتها! لقد رأيت تلك المرأة تخرج!! رأيتها تخرج!!

توجهت إليه وهو يكرر هذه الكلمات حتى وصلت إليه جلست بجانبه وقلت له هامسة:

رأيت من؟؟ أخبرني أرجوك سأصدقك!

رويس وما زال بالوضعية نفسها:

هيَ،، خرجت،، رأيتها تخرج..

أنا وبدأ قلبي ينبض بقوة من شدة الخوف والتوتر:

من؟؟ ومن أين خرجت؟!

نطق أخيراً الكلمات التي أتت كالصاعقة على روحي:

المرأة التي في اللوحة!! المرأة التي كانت مجرد رسمة لقد خرجت من اللوحة تسير وأنا رأيتها بأم عينيّ لديها ست أعين وأنا واثق بأنها خرجت..!!!!

لحظة صمت عمت على الجميع أولهم أنا!! لوحتي التي تقبع فيها امرأة بست أعين وفمين وأنفين! أعين مجوفة بيضاء وبعضها سوداء يسيل منها السواد، فم أول طبيعي والآخر فيه كل الشر والبشاعة! تملك ابتسامة بشعة مخيفة وأسناناً بارزة متراكمة! ابتسامة عريضة مع فم مشقوق ومَخِيط أيضاً! بالمختصر لوحة «ذات الوجهين» أو «ذات الأعين الست» تحولت إلى حقيقة وخرجت من اللوحة!!! لو لم تحدث معي كل هذه الأحداث

التي ظننت أنها هلاوس لقلت هذا الشاب كاذب لكن الآن أنا أصدقه! لم يعد هناك شيء مستحيل!

كسر الصمت نيث كالعادة:

آنسة ماريا لا تصدقي هذا المجنون إنه لأمر مضحك أن يقول حديثاً كهذا في معرضنا العالمي الذي لطالما لسنوات لم يتعرض لشيء مثل هذه التفاهة! أنا أرى أن تتصلي بالشرطة أو سأتصل بهم أنا،،ما أن رفع نيث هاتفه انطفأت جميع أضواء المعرض بالكامل وتحول إلى ظلام دامس معتم لدرجة لم نستطع أن نرى كفوف أيدينا!!

بدأ الجميع يتوترون أخرجنا هواتفنا وشغلنا الكشافات، السيدة أليز وهيَ توجه كشافها يميناً ويساراً:

حسناً اهدؤوا يبدو أنه عطل بالتيار الآن دعونا نسِرْ معاً لنتوجه إلى المخرج ونخرج بعدها نكمل حديثنا،،

نيث وهو يسير أولاً:

أي حديث؟ انتهى الحديث سنخرج الآن وأتصل بالشرطة وأمسكوا بهذا الشاب الكاذب لكي لا يهرب منّا في الظلام..

فجأة سمعنا صوت ضحكة امرأة قادماً من عمق الظلام يتردد صدى ضحكتها في كل أنحاء المعرض!!! قفزنا من مكاننا، بدأ الرعب يدب في قلوبنا..!!

السيدة أليز وهيَ توجه كشافها يميناً ويساراً:

هل سمعتم؟ ما هذا!!!؟

حارس الأمن الأول:

ما هذا الصوت؟ إنه قادم من ذلك الاتجاه سنذهب ونتفقد الصوت وأنتم اخرجوا إلى الخارج..

لم أعد مرتاحة للوضع لذا قلت بتوتر:

لا.. دعونا جميعاً نخرج من هنا بعدها نتصل بالشرطة..

مرة أخرى وبصوت أقوى ضحكات مدوّية في الأرجاء!!

هل سمعتم الآن؟!!

نيث:

اكتفيت من هذه المزحة والهراء سآتي إليك وألقنك درساً أيها السارق..

أمسكت بنيث وأخبرته:

سيد نيث افهمني علينا أن نخرج من هنا بسرعة هل تفهم؟ هذه ليست مزحة،،!

إنها هنا.. أخبرتكم أنها هنا!! هم رويس بالنهوض والارتعاش وهو يشير في كل الاتجاهات ويصرخ بهذه الكلمات: لم يصدقني أحد أخبرتكم ما زالت هنا تلك المرأة التي خرجت من اللوحة..!!!

نيث:

هل تغلق فمك الآن!! سنتوجه إلى المخرج ونخرج جميعنا هيا سيروا خلفي..

سرنا بخطوات متسارعة جميعنا الخمسة وبمن فيهم أنا السادسة، نسير بسرعة في عمق الظلام لا نسمع سوى خطواتنا وصوت نبضات قلوبنا وأنفاسنا وبينها ضحكات تلك المرأة ذات الأعين الست!! حرفياً توقف عقلي عن التفكير! أو لا يوجد وقت للتفكير عن ماذا حصل؟ أو لماذا كل هذا؟ أو ما الذي يحدث؟ كنت أركض فقط معهم باتجاه باب الخروج راجية أن أرى نور الشارع مرة أخرى، لكن توقفت أقدامنا عن السير وتقريباً توقفت قلوبنا عن النبض عندما سمعنا صوت صرخة مدوّية كانت على وشك أن تفقدنا السمع!! لم يعد الآن الأمر تحت السيطرة الجميع هلعوا ركض رويس أولاً وتركنا إلى عمق الظلام وهو يصرخ: إنها هنا إنها هنا!! صرخنا جميعنا نناديه لكن بدون جدوى! اختفى وكأن الظلام ابتلعه!!

أمسك نيث بيدي وبيد السيدة أليز وركضنا بسرعة باتجاه المخرج ومعنا الحارسان الاثنان، وأخيراً وصلنا إلى البوابة لكن الصدمة أنها كانت مغلقة بإحكام!!

نيث بتوتر لحراس الأمن:

من أغلق الباب اللعين؟؟

حارس الأمن الأول وهو يتفحص الباب:

لم نغلقه إنه باب الإدارة وهو كان المفتوح الوحيد وبعد دخول الآنسة ماريا لم نغلقه أيضاً!!

السيدة أليز وهيَ ترتعش:

إذاً أين المفاتيح؟؟

حارسا الأمن الاثنان وهما ينظران بعضهما في بعض بتوتر:

صراحة نسخ موجودة في المكتب، والنسخ الأخرى مع الشاب «رويس» لأنه اليوم كان المسؤول عن الشفت الليلي!!

نيث:

تباً لكما هل تعرفان ما مدى فشلكما؟؟؟

السيدة أليز بخوف وتوتر:

إذاً هذا يعني أنه يجب أن نعود إلى المكتب الذي يقبع في الطابق السفلي حتى نحصل على مفاتيح الخروج! سنموت رعباً قبل أن نفعل ذلك!!

نيث:

لن نذهب لأي مكان سيعود الاثنان فقط إلى مكتبهم لإحضار المفاتيح لنا فهما المسؤولان عن كل هذه الفوضى،،

خلال استماعي إليهم كنت أحاول الاتصال بالشرطة لكن كانت الشبكة معدومة كلياً لذا قلت:

لا لن يذهب أحد! لدي خطة تحافظ على سلامة الجميع..

نيث:

ما هي؟



يجب أن نحطم شيئاً نافذة باباً أي شيء أو نشعل شيئاً بسيطاً بعدها سيشتغل المولد الإلكتروني الاحتياطي وتنطلق أجهزة الإنذار وستأتي الشرطة على الفور..

السيدة أليز:

خطة جيدة،،

لم تنتهِ السيدة أليز من كلامها حتى أتى سكين طائر من عمق الظلام بسرعة هائلة مخترقاً عينها وخارجاً من رأسها!!

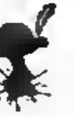
عم الصمت على الجميع من هول الصدمة وبعد عشر ثوانٍ من الصمت صرخ حارس الأمن الأول وطار أمام عيني وكأن أحدهم سحبه إلى عمق الظلام وهو يصرخ بشدة ويستنجد حتى عم الهدوء واختفت صرخاته! أتى الدور بسرعة على الحارس الآخر وبدأ بالصراخ وأمسك عينيه وهما تذرفان سيلاً من الدموع الدامية!! وهو يصرخ: عيناي عيناي! ما الذي يحدث لي؟ في مشهد مرعب ومخيف وصادم! حتى وقع أرضاً ميتاً! ما أن التفت إلى الشخص الوحيد المتبقي السيد نيث فلم يكن في حال أحسن منهم، فقد أخرج السكينَ من وسط رأس السيدة أليز وكأنه يبدو منوماً مغناطيسياً وبدون تردد قربه من حنجرته وذبح نفسه من الوريد للوريد حتى تناثر دمه على وجهي وجسدي!!!

كل ذلك حدث في ثلاث دقائق تقريباً! بسرعة لا يستوعبها العقل وأحداث لا يستوعبها القلب! وارتسمت أمامي أبشع لوحة

أراها على أرض الواقع! لوحة ليست من أحد كوابيسي ولا أحد أوهامي ولا خيالاتي ولا هلوستي لوحة تجسدت في الواقع في ثلاث دقائق فقط أمام عيني هذا ما حدث عندما اشتغلت أضواء المعرض فجأة وأنا ما زلت أقف متسمرة في مكاني ودماء السيد نيث ملطخة بجسدي! التفت حولي والدموع تنهمر من عينيّ وجسدي كله يرتعش لأرى الدماء تكونت كالمسبح في أرضية المعرض الجثث متناثرة بطريقة عجيبة في كل زاوية من القاعة ! في الزاوية اليسرى حارس الأمن الأول الذي تم سحبه! وكان ميتاً بطريقة من الممكن أن تكون في المركز الأول من البشاعة حرفياً كان لسانه مسحوباً للخارج في منظر مقزز مع فكه الذي انقسم إلى نصفين وأسنانه الخارجة إلى الخارج ذهبت عيناي إلى الزاوية الأخرى وكان بها الحارس الثاني الذي نزفت عيناه بالدم وكان بدون عينين!! وفي الزاوية الثالثة كانت السيدة أليز رغم أنها ماتت بجانبي وفي الزاوية الرابعة السيد نيث وهو أيضاً مات أمامي حتى تناثر دمه على جسدي لا أعرف كيف وصلا إلى هناك وهل يجب الآن أن أتعجب وأستغرب من شيء سخيف يعتبر لا شيء أمام الأشياء التي شهدتها الليلة، وكان مسك الختام بعد أن لحظت أن هناك دماً يقطر قادماً من سقف القاعة رغم أن سقف القاعة مرفوع ومجوف جداً كما أخبرتكم سابقاً كانت مثل القصر، إلا أنني رفعت رأسي وأنا مستعدة لكل شيء وأي منظر ولكن اتسعت حدقتا عينيّ ونزلت الدموع أخيراً وأطلقت صرخة

مدوّية عندما رأيت الجثة الأخيرة في آخر زاوية للقاعة وهي
السقف كانت للشاب «رويس» كانت جثته مسلوخة!! نعم
مسلوخ جلده عن لحمه! ومعلق بالمقلوب رأسه أسفل وقدماه
في الأعلى مثل الذبيحة التي يتم تعليقها في المسلخة!! لم
أتحمل كل هذا لماذا ما زلت في المكان نفسه؟ لماذا لا أستيقظ؟
أنا متيقنة بأن هذا كابوس مستحيل أن يكون هذا واقعاً
مستحيل!!! صرخت بكل قوتي وركضت بأسرع ما لدي فتحت
الباب وكان مفتوحاً لم أركز بالطبع في أي تفاصيل أخرى عقلي
طار مني خرجت إلى الشارع أركض كالمجنونة وأصرخ وأبكي،
وصلت إلى سيارتي أخرجت المفاتيح أسقطتها أرضاً، مرة أخرى
التقطتها ومرة أخرى أسقطتها أرضاً يداي أصبحتا مشلولتين كلياً
لا تستطيعان أن تمسكا بشيء وأخيراً التقطتها للمرة الثالثة وفتحت
السيارة وارتميت على المقعد وضعت حزام الأمان وشغّلتها
اشتغلت مصابيح السيارة الأمامية رفعت عينيّ المليئتين بالدموع
لأراها واقفة أمامي في منتصف الشارع في منظر مهيب ومرعب
تقف بشعرها الأسود الكثيف ووجهها الذي يملك وجهاً آخر
وست أعين إنها تقف بطريقي بشكلها المرعب لا يوجد سوانا
بالشارع أنا وهيَ والظلام، يبدو أنها نهايتي انتهى أمري هذه المرة
بالفعل لأن كل شيء خرج عن السيطرة، قررت أن أقود بأسرع
ما لدي وأدعسها أو ستبتلعني أنا وسيارتي لا أعلم كل ما أعلمه أن
هذا الطريق الوحيد الذي يجب أن أسير فيه وتلك اللعينة تقف في

طريقي! وضعت يديّ على المقود بقوة ودست بقدمي على دواسة الوقود وانطلقت نحوها كالصاروخ وهيَ لم ترمش بأي من أعينها الست رمشة واحدة حتى، اقتربت إليها حتى كان بيني وبينها أقل من خطوة صرخت صرخة قوية صرخة خوف وألم وصدمة فجاءة!! اختفت ما أن اختفت ظهرت أمامي سيارة أخرى وشهقت شهقة الموت وانحرفت بسيارتي كنت أسمع صوت الفرامل والكفرات وأنا أحاول أن أسيطر على السيارة ولكن بدون جدوى بسبب سرعتي الغبية باعتقادي أنني أستطيع أن أدعس امرأة خرجت من لوحة وكانت مجرد رسمة! حتى أتت أمامي شجرة عملاقة أغمضت عينيّ ومر شريط حياتي السخيف والمزري بسرعة أمامي واصطدمت سيارتي بقوة بتلك الشجرة التي لم تتأثر حتى بخدش وعم الهدوء في الأرجاء....





«أمسكت بيدي السواد»

لطالما جميع البشر يعتبرون أن المواهب نعمة، أي موهبة كانت، عندما كنت طفلة لا أتذكر طفولتي كثيراً صراحة لكن كانت مبهمة نوعاً ما من أنا؟ من أين أنا؟ كيف أتيت إلى هذا العالم؟ بغض النظر من هو أبي؟ أسئلة كانت تدور في رأسي دائماً! أحياناً تأتي أفكار إلى عقلي مثلاً هذه ليست أمي! أو أنا فاقدة للذاكرة؟ أو هل أعيش حياة فتاة أخرى!؟ أحياناً أشعر بأنه ليس لي وجود أو مكان على هذه الأرض! منذ أن أصبحت بعمر الثالثة عشرة تقريباً بدأت أميل للرسم ولكن كنت أرى كل الرسومات الطبيعية باهتة مملة غير لافتة بالنسبة لي، في دروس الفنون كان دائماً الطلبة الآخرون يقومون برسم شجرة أنا أقوم برسم جذورها فقط، عندما يقومون برسم وردة أنا أقوم برسم أشواك، عندما يقومون برسم أرنب أنا أقوم برسم أسد! كانت المعلمات يظنَّ أنني أخالفهن من باب عدم التهذيب أو الشقاوة! حتى في مرة من المرات قام الطلبة برسم أنفسهم كل طفل يمسك بيد والده، إلا أنا رسمت نفسي ممسكة بيد وحش غريب طويل ذي أيادٍ طويلة ورأس بارز وأسنان كبيرة لديه ابتسامة عريضة وعينان سوداوان!! عندما أخذتني المعلمة إلى مدير المدرسة وشاهد جميع رسوماتي الغريبة سألني لماذا لا ألتزم بالرسومات التي تعطيها لي المعلمة ولماذا لا أرسم أشياء طبيعية مثل أصدقائي؟ أخبرته بأنني أريد أن أكون مختلفة رسم الأشياء



الموجودة حولنا في الحياة ونسخها لا تغريني! أريد أن أصنع عالماً مختلفاً أشياء مختلفة أرغب بأن أرسم بطريقة كما لو أنني أصور الكوابيس! دائماً أتساءل لماذا لا نستطيع شرح الأحلام أو الكوابيس هيَ أيضاً عوالم أخرى تستحق أن نعبر عنها لكن بعد هذه الحادثة تم استدعاء أمي وقالت لي: يجب أن أتوقف عن الرسم بهذه الطريقة يجب ألا أكون غريبة أطوار! وبالفعل توقفت عن الرسم حتى بعمر الثامنة عشرة عدت إليه بعد أن رأيت أول كابوس وهو كابوس «الرجل المعلق» وكأن مصيري وقدري مرتبطان بهذه الرسومات! أمي قالت لي بأن طبيباً أخبرها بأن الرسم علاج وهناك أيضاً علاج بالرسم في الطب النفسي لذلك اقترحت علي أن أبدأ برسم كوابيسي لكي تختفي! الغريب أنني بعد أن رسمت تلك الرسمة وأنا ممسكة بيد وحش عوضاً عن أبي غضبت أمي غضباً لم أرَه بحياتي كانت المرة الأولى التي أراها تغضب بهذه الطريقة حيث أمسكت بالرسمة ومزقتها لقطع صغيرة وبدأت بتوبيخي وهيَ تدمع لا أعلم لماذا وإلى الآن ما زلت لا أعلم! أمسكت بيديّ السواد منذ أن كنت طفلة أتذكر هذا الحلم أو الكابوس كان أول كابوس في حياتي وأغرب حلم! كنت بعمر العاشرة أرى نفسي أسير في مكان وكأنه سجن أو زنزانات متعددة وقتها لم أكن أفهم ما هذا المكان! أو أين أنا؟ كنت أسير في ممر الزنزانات وجميعها مغلقة حتى وصلت إلى زنزانة مفتوحة كان مستلقياً بها رجل وكان مديراً ظهره لي أي أنني لا أستطيع أن أرى وجهه! كان جسده ضخماً كثيراً وشعره طويلاً

بشرته تقريباً تميل إلى الحنطية، مستلقٍ وكأنه نائم دخلت حتى وصلت إلى منتصف الزنزانة بدون أن أشعر بنفسي وأنا أنظر إلى ذلك الرجل المستلقي بخوف كنت خائفة أن يستيقظ ويراني، شعرت بأن قدميّ مبللتان لذا نظرت إلى الأرض حتى أرى مياهاً أو كأنها مادة ثقيلة لزجة حالكة السوادا رفعت قدميّ رأيت أنهما اتسختا وأصبحتا سوداوين بالكامل! «أمسكي السواد بيديك» ارتعش جسدي ونبض قلبي عندما سمعت هذه المقولة من ذلك الشخص المستلقي وما زال على وضعيته نفسها ولم أستطع أن أرى وجهه،، كرر الرجل مرة أخرى وبصوت أعلى..:

«أمسكي السواد بيديك»

لم أعرف ماذا أفعل كنت طفلة لذلك من شدة الخوف نزلت بنفسي إلى الأرض وأدخلت يديّ في تلك المياه السوداء وأمسكتها بيديّ ما أن أمسكتها بدأ الرجل بالضحك بهيسترية وأنا أصرخ حتى استيقظت!!

كان الغريب أن هذا الكابوس رأيته فقط هذه المرة وكانت المرة الأولى والأخيرة ولم أره بعدها بحياتي ولكن لم أنسه أبداً بحياتي..!





«الكوابيس حرة»

فتحت عيني أسمع صوت طنين جهاز أعرف هذا الصوت، احاول أن أتفحص المكان برؤية ضبابية، بدأت الملامح تظهر نعم أنا في المستشفى تذكرت آخر كابوس واقعي حدث معي، لقد تعرضت لحادث بعد أن وقفت المرأة ذات الأعين الست بطريقي لحظة أين كنت ماذا حدث قبلها؟؟ ما أن تذكرت اتسعت حدقتا عينيَ قلبي بدأ بالخفقان بسرعة لقد ماتوا! الجميع هناك في المعرض قتلوا على يدها؟؟ هل كان هذا حقيقيّاً أم كابوساً؟! أنا لم أعد أستطيع التفرقة حتى بين الواقع والكابوس! رأيت بعدها وجهاً شعرت من خلال رؤيته بالراحة والأمان والاطمئنان:

أمي..

قالت وهيَ تبتسم وتربت على شعري:

أو عزيزتي الحمد لله لقد استيقظتِ.. كيف تشعرين الآن؟ الطبيب سيأتي الآن ويقوم بفحصك مرة أخرى..

أمي!

ما الأمر يا عزيزتي؟؟ لا تخافي أنتِ بخير

لم أعرف ماذا أقول؟ وماذا أفعل؟! ولا أعرف كيف أسألها ما الذي حدث؟ وهل هناك شرطة بالخارج تنتظرني لكي تقبض علي بالطبع سأكون أنا المتهمة الأولى! هل أصلاً علم الناس عن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

موتهم؟؟ انهرت باكية بدون أن أقول شيئاً حتى احتضنتني أمي بقوة وهيَ تطمئنني بأن كل شيء سيكون على ما يرام..

دخل الطبيب بعد أن هدأت قليلاً ومعه ملف حالتي وقال بابتسامة عريضة:

جيد يا آنسة ماريا جسمك قوي ولديك عزيمة قوية لم تتأذي كثيراً غير رضوض سطحية بسيطة كانت نجاتك هكذا كمعجزة بما أنكِ سقطتِ أنتِ وسيارتك في البحر من على جسر مدينة «ساولا»!

صعقت عندما سمعت كلمات الطبيب!؟ مدينة ساولا؟؟ جسر؟؟ سقطت في البحر؟؟ لا هذا كله لم يحدث!! أنا تعرضت لحادث قرب المعرض الذي لا يبعد إلا دقائق عن منزلي واصطدمت بشجرة! كيف وصلت إلى جسر العاصمة الذي يؤدي إلى مدينة أخرى ويبعد الجسر قرابة ساعتين!!! أنا لم أعد أفهم شيئاً!؟ كل هذه الأفكار كانت في عقلي قاطع تفكيري مرة أخرى الطبيب قائلاً:

الآن وبما أنها ظهرت جميع النتائج بأنها سليمة سأكتب لك خروجاً بعد أسبوع للاطمئنان على صحتك أكثر، ومرة أخرى حمداً لله على سلامتك..

أمي:

شكراً لك أيها الطبيب..

خرج الطبيب من الغرفة وأنا ما زلت في صدمة كلياً لم أستوعب أي شيء من كلامه لم أعد قادرة على فهم أي شيء من حياتي! لماذا لم أمتْ في الحادث وأرتح من كل هذا العناء والضياع!! حياتي أصبحت جحيماً بل كابوساً بدون نهاية!!

دخلت روجينا مع والدتها وهما تحملان أزهاراً بيضاء التي أحبها ومعها بعض حلوى الشوكولاتة، احتضنتني روجينا بقوة وهيَ تدمع:

يا إلهي عندما وصلني الخبر كدت أن أموت الحمد لله أنك بخير..

قلت بابتسامة وأنا أمسح دموعها:

لا بأس أنا بخير،،

والدة روجينا وهيَ تحتضنني:

الحمد لله على سلامتك يا ابنتي..

شكراً لكِ يا خالة ...

أمي:

هذا لطف منكما أن تحضرا هذه الأشياء الجميلة..

والدة روجينا:

أوه ماذا تقولين! هل نسيت؟ نحن عائلة..

انتهت الزيارة بعد ساعة صحيح لا يوجد شيء ينقذني من هذه الفوضى لكن الحديث مع روجينا ووالدتها أراحني قليلاً لم

أستطع إخبار روجينا عن شيء ولن أستطيع إخبار أي أحد لأنني لا أعرف أساساً ما الذي حدث!؟ أخبرتني روجينا بأن الصحافة تنتظرني عند باب المستشفى بسبب الحادث والجميع يريدون أن يعرفوا حالتي وعندما سألتها إذا كان هناك شيء آخر؟ قالت: لا، لا يوجد! حاولت أن ألمح لها عن أي حادثة بالمعرض أو شيء؟ قالت بأنه لا يوجد أي شيء وقالت بأن المعرض انتهى البارحة وتم إغلاقه حتى العام المقبل بالطبع!!

لذلك بعد أن أقنعت أمي أن ترتاح وتنام قليلاً أخذت هاتفها لكي أتصل بالسيدة أليز هاتفي قد تلف من الحادثة وخصوصاً على قولهم أنني سقطت في البحر! أخذت هاتف أمي ومن حسن حظي أن أمي دائماً تتصرف على أنها مديرة أعمالي وتقوم بتنظيم كل شيء يخصني لذا كان رقم السيدة «أليز» مسجلاً في هاتفها، أخذت نفساً عميقاً وبعدها ضغطت على زر الاتصال، هدوء دام خمس ثوانٍ ثم أتى صوت الجهاز بأن الهاتف مغلق حالياً استغربت وسألت نفسي: هل من المعقول أن تكون نائمة الآن بما أن الوقت متأخر!؟ ما زال لدي أملٍ بأن ما رأيته مجرد كابوس واقعي وربما أصبحت أسير وأنا نائمة لذلك خرجت من المنزل وكنت أحلم وأنا أقود في السيارة وأن الجميع أحياء!..

وضعت الهاتف وحاولت أن أنام قليلاً ولكن فجأة سمعت صوت بكاء من خارج الغرفة في الممر حاولت تجاهل الموضوع بما أننا في مستشفىً وبالطبع سأسمع هذه الأصوات، لكن ارتفع

الصوت كثيراً حتى شعرت بأنه مزعج جداً! الغريب في الموضوع أن أمي لم تستيقظ رغم صوت صراخ وبكاء هذه المريضة أمي نومها خفيف جداً فهي من ذرة صوت تستيقظ على الفور! لذا انتابني الفضول وقررت أن أخرج إلى الممر لكي أرى ما خطب هذه المرأة؟ أليس معها أي طبيب؟

فتحت الباب بهدوء وأخرجت رأسي فقط ولكن عم الهدوء فجأة! اختفى صراخ وبكاء المرأة! كان الممر هادئاً جداً لدرجة تسمع أنفاسك إضاءة الممر خافتة جداً بما أنه وقت النوم في المستشفى! قررت العودة للداخل لكن لمحت ظلّاً في نهاية الممر! كان ظلّاً لشخص وكأنه يراقبني وعندما انتبهت له قام بالانسحاب إلى الخلف! شعرت بالخوف لذا عدت إلى الغرفة واستلقيت بدون أي نوم وأنا أفكر وأفكر حتى بزغت الشمس..

أتى صباح اليوم الخامس وخرجت من المستشفى من الباب الخلفي بسبب ازدحام الصحافة في البوابة الأمامية، صعدت إلى السيارة أنا وأمي مع السائق وعدنا إلى المنزل أخيراً، دخلت إلى غرفتي شعرت بأنني اشتقت إليها كثيراً، لكن سرعان ما دخلت أمي علي وهيَ تتحدث بالهاتف:

حسناً هذه المرة فقط أخبرتكم أن تتوقفوا عن إزعاج ابنتي وأيضاً هيَ مريضة للتو خرجت من المستشفى لا تقل بأنك تريد الاطمئنان عليها فقط! أنت تريد أن تزعجها بأسئلتك مرة أخرى..

كنت أقف بدهشة قلت باستغراب:

أمي من المتصل؟ هل هو صحفي؟!

أمي وهيَ غاضبة وتناولني الهاتف:

للأسف لا.. إنه المحقق المزعج يقول بأنه يريد الاطمئنان عليك وأنا أعرف أنه يكذب.

شعرت بالتوتر بدأت يداي تتعرقان تناولت الهاتف من أمي وأنا أقنعها بأنني سأكون بخير:

لا بأس يا أمي سأكون على ما يرام..

أخذت الهاتف وأنا أحاول أن أخفي أنني خائفة أو متوترة:

مرحباً سيدي المحقق هذه أنا ماريا

المحقق:

مرحباً آنسة ماريا يسعدني سماع صوتك الحمد لله على سلامتك

شكراً لك أيها المحقق وأيضاً أود الاعتذار بالنيابة عمّا بدر من أمي..

لا بأس معتاد على تهزيء الأمهات لي فهن دائماً ما يرين الوجه والجانب الجيد لأولادهن!!

بدأ قلبي بالخفقان عندما قال المحقق هذه الكلمات ثم قلت:

عفواً ماذا تقصد؟؟

المحقق:

لا، لا أقصد شيئاً إنها مجرد كلمات! المهم الموضوع الذي أريد أن أتحدث فيه معك هو عن السيدة «أليز» مديرة.المعرض العالمي بالتأكيد تعرفينها!

هنا بالفعل شعرت بالغثيان والاختناق! هل تم اكتشاف الجثث؟ هل هذا يعني أن موتهم حقيقي؟؟

قلت وأنا أحاول أن أخفي توتري:

نعم بالطبع أعرفها..

المحقق:

لقد أبلغ زوجها عن اختفائها وأيضاً الغريب أنها ليست وحدها بل معها شريكها السيد «نيث» ومعهما ثلاثة من حراس الأمن كانوا يعملون بالمعرض جميعهم قالت عائلاتهم بأنهم لم يعودوا إلى المنزل منذ ذلك اليوم، هل تعرفين أي يوم؟

أي يوم؟؟

اليوم الذي كنتِ فيه في مدينة «ساولا» وتعرضتِ للحادث،،!

قلت وصوتي بدأ بالرجفان:

حسناً ما هو الغريب بالموضوع أنني كنت في مدينة «ساولا» في وقت اختفائهم؟

أكمل المحقق وهو يتجاهل سؤالي:

أيضاً الغريب أكثر أن السيدة أليز قال زوجها بأنها قالت له ستبقى في المعرض لوقت متأخر بسبب مشكلة وأيضاً قال زوجها بأنها لا تبقى في المعرض حتى ذلك الوقت! والأغرب أنهم ليسوا هم من اختفوا فحسب! بل لوحاتك الأربع التي كانت بالمعرض اختفت أيضاً في اليوم نفسه!!

ماذا؟؟ لوحاتي اختفت!!؟ كيف؟

المحقق:

يبدو أن والدتك لم تخبرك بسبب صحتك، لكن اللوح اختفت وتم تسوية الأمر مع المشترين بمساعدة إدارة المعرض ووالدتك وأيضاً ما أن ينتشر الخبر ستبدأ التساؤلات والإشاعات عن هذا الاختفاء الغريب الجماعي! القضية كبرت كثيراً ولا أريد أن أتهمك بشيء ولكن يبدو أن هناك قاتلاً طليقاً مهووساً بك وهو سبب كل هذه الجرائم والفوضى ولكن الأكثر غرابة أي قاتل يمكنه أن يخفي خمسة أشخاص راشدين بالغين؟! لذلك ستضعهم في موضع الاشتباه بهم حتى نجد أثراً لهم،، هل أنتِ معي آنسة ماريا؟

نعم.. نعم معك لكنني مصدومة من كل هذه الأحداث..! ماذا علي أن أفعل لمساعدتكم؟

أقدر مساعدتك لكن الحقيقة فقط هيَ ما تساعدنا!

ماذا تقصد؟؟

أقصد أنك يجب أن تقولي فقط الحقيقة لا غيرها مهما كان تورطك بالموضوع..

قلت بعصبية:

هل تتهمني مرة أخرى؟؟

المحقق ببرود:

أنا لا أتهمك ولكن الآن لديك حجة غياب أريد أن أسألك ماذا كنتِ تفعلين في مدينة «ساولا» فجأة!؟ أيضاً على حسب الكاميرات تمت رؤيتك وأنتِ تغادرين العاصمة في الساعة العاشرة عبر الجسر بالطبع المسافة بين ساولا والعاصمة ساعتان أنتِ وصلتِ في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل والأكثر غرابة أنك لم تذهبي إلى أي مكان في مدينة ساولا أقصد وصلتِ إلى حدود مدينة ساولا ثم عدتِ في التوقيت نفسه وعبرت الجسر وفي الساعة الثانية تقريباً وأنتِ في طريقك إلى العاصمة فقدتِ السيطرة فجأة على القيادة ووقعتِ بالبحر! لم يكن هناك أي ازدحام ولا سيارات كثيرة! أيضاً لم تكوني مسرعة! أيضاً فإن سقوطك من الجسر إلى البحر ووجودك على اليابسة يعني أنكِ استطعتِ الخروج من السيارة من عمق البحر وأنتِ مصابة وتضعين الحزام الذي بالطبع كان خمسين بالمئة عالقاً لكن رغم ذلك خرجتِ! أو أن هناك أحداً قام بإخراجك وهو من قام

بالتبليغ أيضاً لكن لا نعرف من هو؟ هذه تفاصيل حادثتك التي قالت أمك بأن الطبيب قال إنك لا تتذكرين أي شيء منها؟ لذا سأحاول تصديق والدتك والطبيب وأنتظرك حتى تتذكري وما السبب الذي جعلك تذهبين إلى مدينة «ساولا» أو فقط تقومين بزيارة حدودها وتعودين وكأنك كنتِ تريدين أن تصنعي لنفسك حجة غياب وهذا يعني أنك تعرفين ماذا حدث للسيدة «أليز» ومساعدها وحراس الأمن!؟..

سيطر علي الصمت وكأنني فقدت لساني من سماع هذه الأحداث المهولة التي لا أتذكر أي شيء منها!! استرسل المحقق في حديثه:

أتمنى حتى ذلك الوقت الذي تستعيدين فيه ذكرياتك أن تكوني بالجوار واعلمي بأننا نراقبك جيداً تحياتي وأتمنى لك مرة أخرى الشفاء العاجل..

أغلق المحقق الخط.. وأنا ما زلت من شدة الصدمة أضع الهاتف على أذني! أريد أن أستوعب، أرغب بأن أعرف هل هناك واحدة أخرى تعيش حياة أخرى تشبهني!؟ نعم مضحك لكنني لا أتذكر أن كل تلك الأحداث حدثت معي أنا شخصياً! ما حدث معي وما أتذكره شيء آخر تماماً!! ما سبب كل هذا الذي يحدث معي؟ هل هناك روح غاضبة تلاحقني؟! أو قوة خارقة!! أو سحرٌ ما؟ لا أفهم حقاً ولم أعد أرغب بالفهم!! ما الذي أفعله الآن؟ الشرطة تشك بي أنا المتهمة الوحيدة في اختفاء السيدة أليز ومن

معها! ولكن أنا الوحيدة أيضاً أعرف أنهم أموات! لكن من سيصدقني؟ وأين جثثهم؟ وكيف تم تنظيف كل تلك الفوضى من بحر الدم الذي كان يملأ المعرض؟!!

قاطع تفكيري صوت نغمة الرسائل من هاتفي وهذا يعني أن هناك رسالة وصلتني! توجهت إلى هاتفي وهو هاتف العمل الذي لا أستخدمه وهاتفي الآخر الشخصي فقد في الحادث، أخرجت الهاتف وعندما رأيت الاسم الذي أرسل لي الرسالة ارتعشت وصعقت!! كان أنا! أقصد من هاتفي الشخصي الآخر الذي فقدته!!! كنت مسجلة اسمي بالطبع في هاتفي هذا! فتحت الرسالة وأنا أرجف كانت رسالة نصية أتى محتواها كالتالي:

«مرحباً آنسة ماريا أعتذر لأنني أخذت هاتفك ولكن كان من الممكن أن يعطي أدلة كثيرة للشرطة تحتاجها لتثبت عليك التهم! أردت أن أقابلك في المستشفى لكن لا أستطيع الظهور أمام الناس! أيضاً أعتذر لأنني أحدثت كل هذه الفوضى في عقلك وغيرت السناريو الخاص بك الحقيقي من ذهابك للمعرض وجعلتك تذهبين إلى ساولا كنتِ تحتاجين إلى حجة غياب! آه أيضاً الفوضى التي حدثت في المعرض أنا توليت أمرها وأعتذر لأنني أخذت لوحاتك كان من باب التمويه فقط للشرطة وهيَ بخير ومعي، أتمنى أن نتقابل سريعاً لأن كل شيء ليس في مصلحتك أيضاً هل من الممكن أن تعيدي لي قداحتي التي أخذتِها من حمام النساء في المطعم أثناء احتفالك مع والدتك أكون شاكراً لكِ تحياتي»

لحظة! ما هذا؟ ومن تكون هذه؟! هل خلف كل هذه الفوضى هذه المرأة؟! هل هيَ تقوم بمساعدتي أو تدمير حياتي؟ لا أفهم كيف استطاعت أن تجعلني في ساولا بدلاً من المعرض وبالتوقيت نفسه الذي كنت فيه في المعرض؟؟؟ كيف استطاعت تنظيف فوضى الجثث وأخذت خمس جثث وأخفتهم؟! كيف استطاعت أن تخرجني من السيارة من عمق البحر؟ أرسلت لها ويداي ترتعشان:

من أنتِ؟؟

انتظرت تقريباً نصف ساعة لم أجد أي رد! لذا بعد تفكير عميق ولن يفرق معي أصلاً أي صدمة سأتلقاها أو فوضى أو أذىً لي لم أعد أهتم لذا قررت مقابلتها أرسلت لها:

حسناً لنتقابل، لكن أين؟

ردت بسرعة كبيرة بثوانٍ فقط:

سنتقابل في موقع بناء قديم سأرسل لك الموقع..

قلت:

مستحيل،، لا أعرف من تكونين يجب أن نتقابل في مكان عام والأفضل أن يكون في الصباح وأنا سأحدد المكان ،،

أرسلت:

لا أستطيع أعتذر إذا تذكرتِ أنني قبل قليل أخبرتك لا أستطيع أن أظهر أمام الناس..

قلت لها باستغراب:

ماذا!! لماذا؟ هل أنتِ أيضاً مطلوبة للعدالة!؟

أرسلت:

اسمعي ليس لدي وقت إن كنت تريدين المساعدة قبل أن تنهار حياتك وينتهي بك المطاف في السجن أو مستشفى المجانين فتعالي إلى هذا الموقع غداً الساعة الثانية فجراً لا تخافي صدقيني.إنني لا أرغب في أذيتك أبداً..

أتت أمي ومعها بعض الطعام ووضعته بجانبي:

عزيزتي لماذا أنتِ شاردة الذهن هكذا؟ وأيضاً لماذا لا تستلقين على الفراش لكي ترتاحي؟

قلت لأمي مازحة حتى لا أبين لها أي شيء من معاناتي غير المفهومة:

غريبة كنتِ دائماً تتذمرين مني لأنني مستلقية على الدوام والآن تريدين مني أن أستلقي!؟

قالت أمي وهيَ تقترب مني وتضع يديها على وجهي:

بالطبع كنت أفعل ذلك لأنني أريد رؤية وجه ابنتي الجميل معي في صالة المعيشة أليس كذلك؟

قلت وأنا أحتضنها:

بالطبع أمي أعدك بأنني سأعوضك عن كل شيء وسأكون معك دائماً..

وأنا في أحضان أمي كنت أفكر: من هذه المرأة ومن تكون؟ ولماذا تريد مساعدتي؟ أيضاً كيف أستطيع الخروج من المنزل غداً في وقت متاخر جداً بدون أن تشعر أمي؟ وهل سأثق في تلك المرأة أنها لن تؤذيني؟؟

لم أستطع أن أنام في تلك الليلة من شدة الخوف والتفكير بهذا اللقاء رغم أنني كنت في أحضان أمي طوال الليل، أشرقت الشمس وأتى الصباح ويوم جديد هل يحمل لي هذا اليوم الكثير من الاشياء السيئة والصدمات والفزعات لأن هذه هيَ حياتي لا توجد بها خيارات متعددة أبداً، نهضت من السرير وتوجهت إلى الحمام تحممت بشكل سريع فهذه أصبحت عادتي منذ حادثة الحمام بعدها نظرت إلى نفسي في المرآة شعرت بأنني فقدت الكثير من الوزن هالات كثيرة تحت عينيّ وكأنني مدمنة مخدرات الكدمات التي تملأ جسدي من الحادث ومن الكوابيس وكأنني خرجت من معركة مميتة للتو أو أنني أعيش في معركة للأبد معركة مع كوابيسي

ارتديت ملابسي بعد أن أخبرت روجينا أن تساعدني في مهمة اليوم وأن توصلني إلى ذلك المكان في الساعة الثانية فجراً بحكم أنه ليس لدي سيارة، رغم أنني لم أكن أرغب بأن أدخلها في مشكلاتي المرعبة لكن كانت ملجئي الوحيد لذا أصرت أن أخبرها بكل شيء لكن بالطبع لم أستطع أن أخبرها بأنني رأيت السيدة أليز ومساعدها وحراس الأمن يموتون أمام عينيّ أخبرتها فقط



أنني التقيت بها في ذلك اليوم لأن إحدى الشخصيات في لوحاتي اختفت وبعدها غادرت المعرض ولا أتذكر شيئاً، اتفقنا أنا وهيَ على أنني سأقول لأمي: سأذهب إلى منزل روجينا لكي أبيت عندها وسأعود مع مطلع الصباح لتغيير جوي قليلاً، وافقت أمي بالطبع رغم أنها أصرت أن أرتاح هذه الأيام وروجينا تأتي إلى هنا لتبيت في منزلنا، ولكن أقنعتها بأنني مللت من المنزل وأشعر بالاختناق منه لذا وافقت! تناولت الإفطار والغداء مع أمي، بعدها دخلت إلى غرفتي وأخذت حقيبة ظهر على أساس أنني سأبيت في منزل روجينا ولكن بالحقيقة لدي مغامرة أخوضها، وضعت في الحقيبة هاتفي الجديد اشتريت هاتفاً جديداً رغم أني أعرف أن هاتفي لم يفقد وإنما مع تلك الفتاة، ووضعت أيضاً صاعق كهرباء سلاح الفتيات المعتاد تحسباً لهجوم ما! لحظة بقي شيء واحد القداحة؟؟ أين هيَ؟ لقد وضعتها في المرسم لكن هل سأجدها الآن؟ أتمنى أن العاملة لم تلمس المرسم للتنظيف، دخلت إلى المرسم شعرت بأنني لم أدخله منذ عشر سنوات، بدأت أبحث عن القداحة الغريبة التي تخص تلك المرأة حتى وجدتها في ركن القهوة الحمد لله.. تفحصتها مرة أخرى كانت غريبة الشكل مزروعة عليها أسنان وكأنها أسنان بشرية! كتب عليها كلمتان ولكن بلغة غريبة لم أرَها في حياتي!!

عاد شعور التوتر عندما تذكرت أول ظهور لتلك المرأة: في حمامات النساء بالمطعم وكيف سمعت صوت كعبها الذي

كان يدق بالأرض ورائحة عطرها الغريبة التي اكتسحت دورات المياه مع رائحة الدخان والأغرب أن الجميع قالوا بأنهم لم يروا أي امرأة هنا وأننا الوحيدتان الموجودتان في المطعم في تلك الليلة!!

ودعت أمي بعد أن وصلت روجينا الساعة الثامنة مساء تقريباً واحتضنتها بقوة فأنا لا أعلم هذه الأيام الموت يصاحبني مثل ظلي فأصبحت دائماً أضع خيار أنني من الممكن أن لا أعود

قالت أمي لنا وهيَ تحتسي فنجان قهوتها:

استمتعا ولا تنسي يا روجينا أن تبلغي تحياتي لوالدتك ووالدك..

حسناً يا خالة

وأيضاً انتبهي لماريا تعلمين أنها للتو خرجت من المستشفى..

قلت وأنا أنتعل حذائي:

ماذا تقولين يا أمي؟ أنا لست طفلة.. هيا روجينا وداعاً أمي

روجينا:

وداعاً يا خالة ولا تقلقي ماريا في أيادٍ أمينة..

وصلنا إلى منزل روجينا ودار بيننا أحاديث طويلة كانت طوال الوقت تقنعني أن لا أذهب إلى تلك المرأة أخبرتها وأنا أمسك بيديها:

هل تثقين بي؟؟

بالطبع أثق بك ولكن أنا خائفة عليك، ولم أفهم أي شيء بعد من كل الأشياء التي قلتِها!!

أخبرتك ياروجينا بأن تلك المرأة هيَ من ساعدتني على الخروج من السيارة وهيَ بعمق البحر حتى أن هاتفي معها،،

حسناً إذاً لماذا لا تخبرين الشرطة فحسب؟ من الممكن أن تكون هيَ المسؤولة عن كل شيء؟!

لا لن أخبر ذلك المحقق الغبي إنه يتهمني في كل شيء لن يعطيني فرصة أبداً ولن يصدق هذه القصص الخرافية الخيالية أيضاً إذا لزم الأمر فسيجعلني شريكتها..

حسناً سأخبرك بأنني سأقوم بإيصالك إلى هناك ولكن لن أتركك سأقابل معك تلك المرأة

لا، يجب أن تنتظريني بالسيارة كما اتفقنا إذا هناك أي شيء طارئ فسأقوم بالضغط على ساعتي لكي يصل لك تنبيه بعدها اتصلي بالشرطة..

قالت بغضب:

هل أنتِ مجنونة؟؟

افهميني يا روجينا ليس لدي خيار آخر حياتي على وشك الانهيار والشرطة تراقبني على الدوام وهيَ تتهمني بجرائم شنيعة..

حسناً حسناً ولكن سأكون بالقرب منك هل فهمتِ!؟

حسناً موافقة..

دقت ساعة الوقت المحدد الساعة الواحدة بعد منتصف الليل قررنا أن نتحرك متجهتين نحو الموقع، أخبرنا والدة روجينا بأننا ذاهبتان إلى صديقة أخرى أيضاً ولكن لن نتأخر سنعود سريعاً وأساساً وقتها كانت نائمة وبالطبع أغلب الناس نائمون في هذا الوقت إلا الكوابيس! سرنا على خطا الموقع الذي أرسلته لي تلك المرأة كان يبعد عن المنزل أو عن معالم الحياة والمدينة تقريباً ساعة ونصف الساعة!! خرجنا وابتعدنا عن كل شيء يشع بالحياة والأنوار والأنفس والبشر والمنازل وأصبحنا في شبه صحراء طريق غير معبد رمل وحصىً وظلام دامس بالطبع!! لا توجد سيارة غير سيارتنا بدأ الرعب يدب في قلبي وقلب روجينا نظرت إلي وأنا ما زلت مركزة ببصري على السيد قوقل ماب:

لا أعلم ولكن يقول بأن وجهتك هنا! أين لا أعلم؟

روجينا وهيَ توزع بصرها في الظلام:

عن أي وجهة يتحدث!؟ لا يوجد شيء هنا سوى الظلام يا ماريا هل ترين؟

نعم أرى!! لا تحاولي أن توتريني لا أريد أن أتوتر!!

روجينا:

انظري ألم تقل لك بأنه مبنىً مهجور أو لم يكتمل بناؤه!؟

بلى، أين؟ هل ترينه؟

نعم إنه هناك أمامنا..

انطلقت روجينا نحو الأمام كان هناك مبنىً ضخم أبيض لم يكتمل بناؤه وكأنه مهجور منذ قرن! وكأنه ظهر من عمق الظلام فجاءة! وصلنا إليه كان مبنىً تقريباً من خمسة طوابق متهالكة ومتآكلة! لا أعلم أي مبنىً هذا تم وضعه هنا في عمق هذه الصحراء بالتأكيد سيكون مشروعاً فاشلاً! نزلتِ ونزلت معي روجينا كان الجو بارداً جداً والرياح جافة والظلام دامساً، تركنا السيارة في قيد التشغيل لأننا نحتاج إلى إضاءتها،

قالت روجينا وهيَ تضم يديها من شدة البرد:

الآن أين هيَ؟ هل يمكن أن ترسلي لها أو تتصلي بها؟

قلت وأنا أتفحص الهاتف:

لا أعرف لأخشى أننا تأخرنا، لقد قالت الساعة الثانية يجب أن أكون هنا ولكن الآن الساعة أصبحت الثانية والنصف

حسناً وما أدرانا بأنها ستختار مكاناً هكذا في نهاية العالم؟! جربي وقومي بمراسلتها.

حسناً لقد أرسلت لها أتمنى أن ترد..

انتظرنا قرابة دقيقتين فجأة سمعنا صوتاً قادماً من العدم أو من الظلام!!

روجينا بتوتر:

هل سمعتِ؟؟

نعم.. تقريباً!! لا أعرف من الممكن أن يكون حيواناً هنا مكان خالٍ وبالطبع ستوجد حيوانات!!

روجينا وهيَ تشعل كشاف هاتفها وتوجهه يميناً ويساراً:

أعلم يا ماريا وأيضاً الحيوانات مخيفة وخطرة ماذا إن هجم علينا حيوان مفترس فجأة؟

كنت سأرد عليها ولكن وصلت رسالة أخيراً من تلك المرأة وكان محتوى الرسالة كالتالي:

مرحباً ماريا لقد تأخرتِ كثيراً حتى ظننت أنكِ لن تأتي، أنا أراك إذا رفعتِ رأسك فسترين ضوء الهاتف في الطابق الخامس ولكن هناك مشكلة يجب على صديقتك أن تبقى في السيارة وإلا فلن أستطيع مقابلتك ومساعدتك وأيضاً لا تقلقي عليها من هنا نستطيع مشاهدتها ستكون في أمان أنتظرك لا تفكري كثيراً الوقت ينفذ منك.»

قرأت الرسالة بصوت عالٍ لتسمع روجينا ثم رفعنا رؤوسنا إذ نشاهد ضوء الهاتف كما قالت لكن لم نستطع أن نميز من الشخص الذي يمسك الهاتف من شدة الظلام،، لكن.. لن أسمح لكِ بالذهاب إلى هناك وحدك أنا لا أشعر بالارتياح، قالت روجينا وهيَ ما تزال تنظر للأعلى..



لا بأس أنتِ ابقي في السيارة فقط خمس دقائق أستطيع أن أراكِ من الأعلى،، ولكن أنا لا أستطيع أن أراكِ إذا حدث لكِ شيء ماذا أفعل؟ ؟

أمسكت بكتفيها:

روجينا أرجوك اهدئي سأكون بخير وسيكون كل شيء على ما يرام حسناً؟! قمت باحتضانها وجعلتها تصعد إلى السيارة وتقوم بتأمين الأبواب وأنا بدوري نظرت إلى روجينا نظرة اطمئنان وكانت تمثيلاً وأنا في قلبي كل الخوف والتوتر في الكرة الأرضية واستنشقت نفساً عميقاً وتوجهت إلى المبنى ولم أكن أعلم بأن هذه المرة الأخيرة التي سأرى فيها صديقة عمري «روجينا»

كان درج المبنى طويلاً ومخيفاً ومتهالكاً وكأنه سيهوي بي مع كل خطوة أخطوها ومعها سيهوي قلبي من شدة الخوف! درجة درجة ومع كل درجة يأتي في مخيلتي مليون سيناريو عن اللقاء الذي سيحدث بعد ثوانٍ فقط! درجة درجة مع كل درجة أحسب عمري السابعة والعشرين وهل سينقص الآن؟ أم يزيد؟ درجة درجة مع كل درجة أتخيل إذا أصابني شيء فكيف ستعيش أمي وكيف ستتصرف بقية حياتها؟ درجة درجة وأخيراً وصلت إلى الطابق الخامس وأنا أشعر بأني مع كل درجة صعدتها فقدت خمسين نفساً وخمسين حياة ماذا تبقى لي لأواجه المرأة التي سأقابلها الآن وماذا ستقول لي؟ وكيف ستساعدني؟ ومن هيَ أصلاً؟؟



روجينا بتوتر:

هل سمعتِ؟؟

نعم.. تقريباً!! لا أعرف من الممكن أن يكون حيواناً هنا مكان خالٍ وبالطبع ستوجد حيوانات!!

روجينا وهيَ تشعل كشاف هاتفها وتوجهه يميناً ويساراً:

أعلم يا ماريا وأيضاً الحيوانات مخيفة وخطرة ماذا إن هجم علينا حيوان مفترس فجأة؟

كنت سأرد عليها ولكن وصلت رسالة أخيراً من تلك المرأة وكان محتوى الرسالة كالتالي:

مرحباً ماريا لقد تأخرتِ كثيراً حتى ظننت أنكِ لن تأتي، أنا أراك إذا رفعتِ رأسك فسترين ضوء الهاتف في الطابق الخامس ولكن هناك مشكلة يجب على صديقتك أن تبقى في السيارة وإلا فلن أستطيع مقابلتك ومساعدتك وأيضاً لا تقلقي عليها من هنا نستطيع مشاهدتها ستكون في أمان أنتظرك لا تفكري كثيراً الوقت ينفد منك.»

قرأت الرسالة بصوت عال لتسمع روجينا ثم رفعنا رؤوسنا إذ نشاهد ضوء الهاتف كما قالت لكن لم نستطع أن نميز من الشخص الذي يمسك الهاتف من شدة الظلام»، لكن.. لن أسمح لكِ بالذهاب إلى هناك وحدك أنا لا أشعر بالارتياح، قالت روجينا وهيَ ما تزال تنظر للأعلى..



لا بأس أنتِ ابقي في السيارة فقط خمس دقائق أستطيع أن أراكِ من الأعلى،، ولكن أنا لا أستطيع أن أراكِ إذا حدث لكِ شيء ماذا أفعل؟.؟

أمسكت بكتفيها:

روجينا أرجوك اهدئي سأكون بخير وسيكون كل شيء على ما يرام حسناً؟! قمت باحتضانها وجعلتها تصعد إلى السيارة وتقوم بتأمين الأبواب وأنا بدوزي نظرت إلى روجينا نظرة اطمئنان وكانت تمثيلاً وأنا في قلبي كل الخوف والتوتر في الكرة الأرضية واستنشقت نفساً عميقاً وتوجهت إلى المبنى ولم أكن أعلم بأن هذه المرة الأخيرة التي سأرى فيها صديقة عمري «روجينا»

كان درج المبنى طويلاً ومخيفاً ومتهالكاً وكأنه سيهوي بي مع كل خطوة أخطوها ومعها سيهوي قلبي من شدة الخوف! درجة درجة ومع كل درجة يأتي في مخيلتي مليون سيناريو عن اللقاء الذي سيحدث بعد ثوانٍ فقط! درجة درجة مع كل درجة أحسب عمري السابعة والعشرين وهل سينقص الآن؟ أم يزيد؟ درجة درجة مع كل درجة أتخيل إذا أصابتني شيء فكيف ستعيش أمي وكيف ستتصرف بقية حياتها؟ درجة درجة وأخيراً وصلت إلى الطابق الخامس وأنا أشعر بأني مع كل درجة صعدتها فقدت خمسين نفساً وخمسين حياة ماذا تبقى لي لأواجه المرأة التي سأقابلها الآن وماذا ستقول لي؟ وكيف ستساعدني؟ ومن هيَ أصلاً؟؟

تقدمت إلى الطابق بخطوات حذرة ومرتعشة أشعر بالحر الشديد رغم أن الجو بارد جدّاً! بدأ جبيني بالتعرق وأنفاسي متقطعة وصلت إلى منتصف الطابق أو الغرفة أو السطح أو أيّاً يكن!! شممت رائحة أعرفها! تذكرت رائحة الدخان الغريبة هذه مختلطة مع ذلك العطر الغريب إذاً هيَ نفسها تلك المرأة التي كانت في دورات المياه في المطعم، فجأة بدأ قلبي بالخفقان اتسعت حدقتا عينيّ تراجعت خطوات للوراء بعد أن خرج من عمق الظلام رجل وليس امرأة!!

ما زلت أتراجع بخطوات مرتعشة وأحاول أن أتحسس بيدي في الحقيبة للبحث عن سلاحي الهش الكهربائي الذي لا يخيف حتى فأراً! خرج أخيراً بشكل كامل وفزعت أكثر عندما رأيت أنه كان يلبس نصف قناع على وجهه!! كان طويل القامة عريض المنكبين يرتدي معطفاً أسود طويلاً وبنطلوناً وقميصاً أسود مع شال أيضاً أسود وحذاء أسود وقفازات سوداء! وقناعه النصفي كان أيضاً أسود! كان شكل القناع المنتصف الوجه ذا ملامح غاضبة شريرة وكأنه نصف وجه لشيطان ما!! شعره أيضاً لا يخرج عن الأمر كان أسود وناعماً ومنسدلاً مع قصته النصفية ونحته! وما ميزته من النصف الآخر لوجهه الحقيقي كان أبيض البشرة رموشه طويلة وحادة وكأنها مستعدة لجرح شخص ما! عيناه سوداوان والسواد يغطي على البياض بشكل غير طبيعي أنفه أيضاً حاد كالسيف ويقف بشكل مستقيم، يملك شفاهاً صغيرة، وهناك

علامة جمال محفورة بشدة حتى إنها تلمع من عمقها على خده الأيسر بالطبع لأن جهة اليمين كان يغطيها بالقناع! هذا كان وصف الرجل الذي ظننت أنه امرأة! كان باختصار وكأنه قادم من عمق الظلام أو هو سيد الظلام..

رعب رعب رعب!! نطق بأولى كلماته هذه بصوته الحاد، قالها وهو يرمي سيجارته أرضاً ويدوس عليها،، ثم أكمل وهو ما زال يقترب بخطوات واثقة ومرعبة باتجاهي وأنا ما زلت أتراجع للخلف وما زلت لا أجد هذا الصاعق اللعين الذي لا أعرف ما الذي سيفعله في جسد هذا الرجل الطويل! وأين سأضعه؟ وكيف أصلاً؟

لماذا برأيك الإنسان يكون مرتعباً دائماً؟

سأل هذا السؤال وهو يخرج من جيبه شيئاً ما ومن شدة توتري وقعت أرضاً حين ظننت أنها نهايتي كالعادة!

هل تبحثين عن هذا؟؟

قالها وهو يقلب الصاعق الكهربائي الخاص بي بين يديه!!؟ ماذا مستحيل! كيف أخذه مني؟ ومتى؟

ثم استأنف حديثه:

هل تتوقعين أن هذا سيؤثر على أحد؟؟ مبتذل جداً يجب أن تطوري من مهاراتك لقتال شخصٍ ما

قلت وأنا ما زلت واقعة على الأرض وجسدي كله يرجف بصوت متلعثم:

أين؟؟ أين هيَ..؟ أخبرني هل أرسلتك أنت؟؟

قال ببرود:

من؟

تلك المرأة التي تحدثت معي عبر الهاتف!

انحنى بجسده الطويل باتجاهي وجلس على قدميه أمامي وكأن أمامه طفلة باكية أضاعت منزلها ووالدتها وقال وهو ما زال يقلب في الصاعق الكهربائي:

ومن قال إن من تحدثت معكِ امرأة؟ كنت أنا من أرسل لك الرسائل وأنتِ قررتِ من تلقاء نفسك أنني امرأة وحدثتني بصيغة مؤنث لذا تركتك ولم أصحح لكِ أحياناً اكتشاف الحقيقة يجعل المرء يتراجع عن قرارات!

لا مستحيل! أخبرتني أن أحضر القداحة التي تركتها في دورة المياه للنساء في المطعم وأيضاً أنا متيقنة من أن مَن رأيتها في دورات المياه كانت امرأة!! أنت شخص كاذب!

وقف وهو يمد لي يده:

هيا انهضي سأخبرك بكل شيء،،،

قلت وأنا أتراجع للخلف:

لا تلمسني أنا سأغادر لأنني أتيت إلى هنا لمقابلة شخص آخر وليس أنت أيها الغريب!

صدقيني أنا هو الشخص الذي تريدين مقابلته، أيضاً لا أستطيع أن أفسر لك كل المعادلات الصعبة في هذا الوقت

الضيق! مثلاً لا أستطيع إقناعك بأنني أنا من كنت بدورة المياه في المطعم في ذلك اليوم، وأنا من أخرجتك من المعرض الذي ماتت فيه السيدة أليز ومساعدها نيث وحارس الأمن الشاب رويس والاثنان الآخران! أيضاً أنا من جعلتك تذهبين إلى ساولا أو بطريقة ما أوهمت الجميع والشرطة بأنك لم تذهبي إلى المعرض وذهبتِ وقتها إلى ساولا وكنتِ خارج العاصمة! وأنا من جعلتك تسقطين في البحر من أعلى الجسر وحرصتَ أن لا يصيبك أذىً وأخرجتك بعدها! وأيضاً أنا من كنت بالمستشفى عندما سمعتِ صوت امرأة تصرخ ورأيتِ ظلي! وأنا وأنا وأنا كنت ألازمك فترة طويلة من حياتك! أعلم بأنك لن تصدقي كل هذا لذلك أخبرتك من المستحيل أن أقنعك وأفسر لك كل شيء اليوم دعينا فقط نتحدث في الموضوع الأهم بهدوء حتى عقلك يستوعب كل شيء سأقوله..

قلت وأنا في صدمة:

يستوعب!! لماذا؟ يوجد أكثر من هذا الذي قلته؟ أيضاً أنا لا أفهم أي شيء مما قلته كيف استطعت فعل كل ذلك!؟ وأنا متيقنة بأن من في دورات مياه النساء كانت امرأة!؟ كيف تقول بأنه أنت؟؟

أخبرتك يتطلب الأمر هدوءاً لكنك ترفضين الإنصات إلي!

بالطبع لن أنصت إليك، من تكون أنت أصلاً؟؟

لا أعرف..

قلت بتعجب:

ماذا؟؟

قال وهو يسير للأمام ويقف على حافة السطح:

صديقتك،،

قلت بتوتر:

ما بها؟؟

مـا زالت تنتظـر أقصد يجـب أن ننهـي حديثـنـا لليوم حتـى تعودي إليها..

حسناً قل ما لديك الآن وبسرعة..

الضحية التالية أعرف من سيكون الضحية التالية..

قلت وأنا أتقدم إليه:

ضحية ماذا؟

ضحيتك القادمة،،

مـاذا؟؟ كيـف تتجـرأ وتقـول هـذا أمامـي؟ هـل تظنـنـي أنـني القاتلة!!؟

لا أنتِ لست القاتلة ولكنك عون للقاتل بطريقة ما..!

مـاذا تقصـد؟؟ لا تتلعـب بـي وتظـن أنني سـأصدقك وسـأصدق كل كلمة تقولها،!

قال وهو يشعل سيجارة ويضعها في النصف الظاهر من فمه:

ومـن قـال بأننـي مهتـم بتصديقـك أو عدمـه؟ فـي النهايـة أنـتِ الخاسـرة الوحيـدة هنا لا أحـد غيرك،، استرسـل في حديثه وهو ينفث بعض الدخـان من سـيجارته ذات الرائحـة الغريبة! علـى العموم يجب أن أثبـت لـكِ حتـى تصدقينـي أو بالأحـرى حديثـك المطـول معـي والمماطلة في عدم الإنصات لي ستكون عاقبتهما وخيمة!!

قلت بتوتر:

ماذا تقصد؟ هل تهددني؟؟

قال وهو يعود إلى الحافة وينظر إلى سيارة روجينا:

أنـا لا أهـددك كنـت أريـد أن أخبـرك بـأن الضحيـة القادمـة هـيَ صاحبـة لوحـة «يولـد بداخلنـا وحش» هـل تعرفيـن من هـو صاحب اللوحة؟ لأنه على ما يبدو الوقت نفد!



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner



«كل إنسان يولد وداخله وحش»

في عز خوفي وتوتري ونفسيتي الصعبة التي كنت أعاني منها في الأيام الماضية ومن الأحداث المرعبة والغريبة، بعد المعرض تقريباً وبعد حفلة ميلادي ونجاحي وقبل حادثة موت السيدة «أليز» في يوم مشرق ولطيف وفي يوم العاشر من شهر فبراير أتت إلي «روجينا» وكانت سعيدة ومتحمسة وأحضرت العديد من الحلوى والقهوة، جلسنا معاً كالعادة في المرسم ثم سألتها وأنا أتناول الحلوى:

تبدين اليوم غريبة! وجميلة أيضاً! وسعيدة أكثر! أخبريني ما الأمر؟؟

قالت بخجل وحماس:

«مانويل» لقد عرض علي الزواج..

فتحت فمي باتساع مترين من شدة الدهشة والسعادة وقلت وأنا أصرخ:

ماذا!!!! أخيراً!! إحتضنتها وأنا أردد: تهانينا يا عزيزتي أخيراً سأحضر زفافكما،،

قالت بسعادة وهيَ تمسك يديّ:

انتظري هناك شيء آخر أيضاً

قلت بحماس:

ماذا أيضاً؟ ما هو الشيء الأفضل من عرض الزواج؟

قالت هامسة وبخجل:

أنا حامل من مانويل لذلك كان سعيداً واتفقنا على الزواج!...

صرخت مرة أخرى بسعادة عارمة وهيَ تحاول أن تسكتني لكن بدون فائدة، كان هذان أجمل خبرين تلقيتهما في الفترة الأخيرة!

ثم بعد سهرتنا الطويلة معاً قالت روجينا:

هل ستعطينني لوحة هدية؟؟

قلت لها بابتسامة:

ماذا تقولين؟! سأعطيك عينيَ إن أردتِ لكن سأفكر لكِ في هدايا أخرى ما الذي تريدينه بلوحاتي المرعبة الكئيبة؟ وأنتِ مقبلة على حياة جديدة؟

قالت وهيَ تنهض بحماس متجاهلة كلامي:

أريد هذه اللوحة..

التفت حتى رأيتها تشير على لوحة رسمتها تقريباً من عامين لكنني لم أعرضها للبيع لأنني كنت معجبة بها جداً

وأيضاً قبل عامين وقبل عام حتى كنت أتخلص من كوابيسي فقط عن طريق رسمها وليس هناك الحاجة لبيعها لكي أتخلص من الكابوس مثل الآن.

التفت لأرى اللوحة التي تشير عليها وكانت لوحة «نولد في داخلنا وحش»

كانت عبارة عن امرأة تصرخ من أجل الولادة وتستمر في الصراخ لكي تضع ابنها، لكن في حين تنتظر ابنها يخرج من أسفل معدتها يخرج ابنها من فمها بعد أن يشقه! هذا كان ملخص ذلك الكابوس المزعج الدامي! الذي لا أرغب بتذكره أبداً! لذلك رسمت اللوحة فقط وجه المرأة وابنها الوحش يحاول الخروج من عمق فمها!

قلت لها:

لماذا أنتِ مصرة على هذه اللوحة سأرسم لكِ واحدة أخرى أفضل،،

قالت وهيَ تلتقط اللوحة:

غلفيها أريدها حقاً أيضاً لقد أعجبتني جداً إذا كنتِ تظنين أنها ستكون فأل شؤم علي فلا تقلقي لن تكون كذلك، أريد أن أصحح لك هذه المعلومة ليس كل ما بداخلنا وحوشاً الوحوش لا تولد من بطون أمهاتهم وحوشاً بل تولد ملائكة لكن الحياة تجعلهم وحوشاً..

ابتسمت واحتضنتها بعدها غلفت لها اللوحة وأعطيتها هدية لها وقالت بأنها ستعلقها في منزلها الجديد هي وزوجها، حقاً لم أتوقع يوماً أن الأحداث ستكون وستحول هكذا وأن الكوابيس ستصبح على أرض الواقع! وأن كل كابوس في اللوحات سيخرج ويقتل صاحب اللوحة..

لنعد إلى الواقع المر والمظلم مرت علي هذه الذكرى بشكل سريع عندما سألني هذا الرجل الغريب من هو صاحب لوحة «نولد وبداخلنا وحش» لأنه سيكون الضحية التالية وهو ما زال ينظر إلى سيارة روجينا بالأسفل!

بدأ قلبي يخفق بشدة ويداي ترتعشان، شعرت الآن بأن الهواء البارد يسير في خلايا دمي! قلت وأنا أهز برأسي بالنفي لعدم التصديق:

مستحيل! أنت تكذب؟ حتى سمعت صوت صرخة مدوية كانت صرخة روجينا!! بدون أن أشعر بنفسي ركضت بسرعة البرق واخترقت سلالم المبنى الطويلة التي كادت تقطع انفاسي في الصعود! كنت أركض متجهة إليها وأصرخ باسمها:

«روجينا انتظري أنا قادمة»

وكأنني سأستطيع أن أحميها من المجهول! ولكن كنت سأختار أن أموت معها!! وصلت أخيراً لأرى السيارة ما زالت

علـى قيـد التشـغيل ولكـن الهـدوء عـمّ المـكان! ذلـك الهـدوء المرعـب القاتـل ذلـك مـا يقصـد بـه فـي مقولـة الهـدوء قبل الكارثة!!

شـعرت بـأن قدمـيّ لا تسـتطيعان السـير مـن شـدة الخـوف والتوتـر أرغـب بـأن أنكـر، بـأن لا شـيء حـدث معهـا! لا أريـد أن أصـل إلـى السـيارة لأرى مـا حـدث! بـدأت بمناداتهـا وأنا أسـحب قدميّ باتجاه السيارة:

روجينا.. هل أنتِ بخير؟ هل تسمعينني؟ أرجوك أجيبيني!!

شـهقت عندمـا شـعرت بيـد تمسـك بـي! التفـت لأرى ذلـك الغريب لحق بي قائلاً بهدوء:

أنصحك لا تشاهدي ذلك لقد فات الأوان..

أتـت كلماتـه علـي كالرصاصـة التـي تختـرق الصـدر والقلـب وتخـرج مـن الظهـر! أصبحـت أنفاسـي متقطعـة، امتـلأت عينـاي بالدموع سحبت يدي من يده قائلة بصوت يرتجف:

إياك أن تتدخل هيَ بخير وأنا سأرى ذلك،،

لـم يمنعنـي وتركنـي أذهـب وليتـه أمسـك بـي مـرة أخـرى وأصر علي بعدم رؤية هذا المشهد المرعب:

وصلـت عنـد بـاب السـيارة وكانـت نافـذة روجينـا كلهـا مظللـة بالدمـاء نظـرت إلـى أسـفل البـاب وكانـت أيضـاً تتسـرب الدمـاء

من داخل السيارة عزمت أمري وأمسكت بمقبض الباب وفتحته وليتني لم أفتحه،،

قتلت روجينا وماتت بنفس طريقة المرأة في الكابوس وبالرسمة نفسها! انشق وفتح فمها ووجهها معاً بطريقة بشعة وقاسية وكأنه هناك مخلوق اخترقها وخرج من داخلها! جميع جسدها ممزق بطريقة مرعبة، السيارة تسبح بالدماء والأحشاء!! بعدها صرخت أقوى صرخة في حياتي حتى أظن أن شياطين الصحراء سمعتني! وسقطت مغشية علي..



«الكابـوس والحلـم كلاهمـا ليسـا حقيقييـن، لكننـي دائمـاً أحـب كوابيسي لأنها تقدم لي الامتنان على إبداعي..»!

دانيـــال..





«العـــذاب»

هناك سقوطات في حياة كل إنسان في الحياة، وبين كل سقوط وآخر يختلف الارتفاع، هناك سقوط من مرتفع شاهق يصل لحدود السماء، وهناك سقوط وكأنه من مرتفع ناطحة سحاب ما، وهناك آخر وكأنه من على هاوية أو جبل، وهناك سقوط وكأنه من على سطح منزل، هناك أيضاً سقوط يبدو وكأنه من على حافة سلالم حيث تشعر بالألم والوجع مع كل درجة تتدحرج عليها جميع السقوطات مؤلمة ومكلفة ومدمرة وهناك سقوطات لا تستطيع أن تنهض منها إلى الأبد، وأشد أنواع السقوط هو السقوط الذي وكأنه يبدو أنك سقطت من سطح الفضاء حتى تصل إلى الأرض مثل قفزة «فيلكس» تماماً إذا كنتم تتذكرونه!

هذا السقوط الذي تكون فيه لفترة طويلة معلقاً وطائراً في الهواء منتظراً مصيرك منتظراً الألم الذي ستشعر به عندما تصل! منتظراً الأمل الذي سيلتقطك وينقذك! تتخيل طوال الوقت كيف سيكون الوقوع؟ كيف سيكون الألم؟ هل سأشعر أم لا؟ هل ستخرج روحي على الفور أم لا؟ كيف ستكون جمجمتي؟ محطمة إلى أجزاء متناثرة في الأرجاء؟ كيف سيكون جسدي؟ هل سيتمزق إلى أشلاء!؟

وهذا هو سقوطي أنا..

أشعر بأن هذه الحياة تأخذ مني كل شيء، لم أكن يوماً سعيدة ولا حزينة أيضاً! حتى المشاعر لم أكن أملكها! أشعر بأنني أعيش في الفراغ في التلاشي لا أحب الحياة ولا أكرهها أيضاً! أشرب آكل وأرسم وأتنفس فقط لأنني أشعر بأنه واجب! لم أذكر النوم بالطبع لأنني لا أنام هذه الكوابيس سلبت مني النوم والراحة والنفسية المعتدلة، سلبت مني حياتي وأضواتي وأدخلتني في الظلام والهلاك!!

في اللحظة التي شاهدت فيها جثة صديقتي روجينا وهي ميتة بشكل بشع وعنيف وقاسٍ، أتساءل من الذي استطاع أن يفعل بها هذا!؟ كيف قتلها بهذه السرعة؟ هل خافت؟ هل تألمت؟ هل ماتت بسرعة أم تعذبت؟ كيف سأتابع حياتي؟ ماذا أخبر والديها وخطيبها؟ وكيف سيتقبلون الجثة البشعة؟! كيف سيتحملون ألم الوداع أو ألم مشاهدتها ميتة بهذه الطريقة!؟ وأنا كيف سأمضي لبقية حياتي محتفظة بهذا المنظر في ذاكرتي كيف سأتجاوزه ولا أظن أنني أستطيع..

أصوات صرخات تدب في رأسي صرخة خلف صرخة خلف صرخة، تتبعها مئة صرخة جماعية! أفتح عينيّ على أصواتهم أرى نفسي في سرداب مظلم تحوطني جدران بصخورها عليها نقوشات غريبة أرى الأرض تدور وكأنها ستهوي بي! الصراخ ما زال مستمراً أضع يديّ على أذنيّ، الرؤية ضبابية أستمر بالسير بخطاً متعبة ومثقلة ومهلكة صوت الصراخ يقترب، حتى وصلت إلى فجوة مفتوحة دخلت عبرها كان هناك أقفاص عملاقة بها

الكثير من الناس هم الذين يصرخون بشدة وبخوف وألم وتوسل، مقيدون من أياديهم وأرجلهم بسلاسل حديدية أجسادهم مليئة بعلامات التعذيب المحرق الجلد غرز المسامير جلودهم دامية وبعضها مذابة!

كانوا يتحدثون بلغة غير مفهومة لكنني استطعت فهمها، كانوا يطلبون الرحمة والتوسل وحتى كانوا يطالبون بالموت! أرادوا الموت أهون من العذاب كانت رائحة المكان تعج برائحة الدم والعفن والجثث والموت!! تقدمت أكثر من بين صفوف الأقفاص التي فيها الناس المعذبون حتى وصلت إلى قفص أكبر منها بكثير ولكن لا يوجد فيه شخص واحد كان يوجد فيه حوالي أكثر من أربعين شخصاً كانوا محشورين معاً لدرجة لا أرى إلا أوجههم ملتصقة في فتحات القفص وهم يصرخون برعب في مشهد مليء بالسوداوية والتقزيز والرعب!! لم أعد أتحمل الصراخ ولا المناظر المخيفة! أشعر بأن رأسي سينفجر حتى صرخت بـ توقفوا!!!

الغريب أنهم توقفوا عن الصراخ ليس فقط عن الصراخ بل عن الحركة وكأنهم تجمدوا! رأيت القفص الممتلئ وهم متجمدون على حركة واحدة وأفواههم مفتوحة في وضع الصراخ لكن توقفت الأصوات حتى سمعت صوت خطوات من خلفي! خطوة خطوة إنه يقترب وقلبي على وشك التوقف حتى أخيراً وصل أشعر به ملتصقاً بظهري يبدو أن هذا هو المعذب ثم قال بصوت مخيف:

«ماريا أخيراً أتيتِ كنت بانتظارك يا عزيزتي»

ووضع يده على كتفي التفت ببطء باتجاه يده التي تلمس كتفي وأنا ألتقط أنفاسي والدموع تنهمر من عينيّ وقلبي انتهت تقريباً نبضاته، أخيراً رأيت يده!!

كنت بالطبع أتخيلها يد وحش كالعادة أو يداً غير طبيعية! لكن كانت يد بشري مع خمس أصابع طبيعية وأظافر بيضاء طبيعية كان يلبس خاتماً أو دبلة زواج بالأصبع الرابع، وكان مكتوباً في الخاتم شيء مع رقم لكن كان ملطخاً بالدماء لذلك لم أستطع قراءته إضافة إلى الساعة التي لمحتها لقد رأيت هذه الساعة التي يلبسها في مكان أين؟!

ثم بعدها فتحت عينيّ وعدت إلى أرض الواقع الذي ينتظرني فيه كابوس أسوأ وهو كابوس موت روجينا..

أحاول أن أستوعب أين أنا الرؤية ضبابية! أشعر بجميع صداع العالم يتمركز في رأسي! الدوران الذي أشعر به وأنا مستلقية جعلني أظن وكأنني طائرة في الهواء! أين أنا؟ أتساءل في نفسي لأنني لا أرى أنني في غرفتي ولا في منزلي ولا في المستشفى حتى!

لقد استيقظتِ أخيراً لا أصدق ذلك!!

أتى الصوت الأنثوي من على الجانب الأيمن أرفع رأسي قليلاً إذ أرى امرأة ذات ابتسامة مشرقة وشعر قصير أسود وبشرة حنطية لديها القليل من النمش أسفل عينيها مما زادها جاذبية

رجمالاً جسدها النحيل الصغير يوحي بأنها مهما تقدمت في العمر تبدو وكأنها طفلة..

مرحباً «ماريا»

الحمد لله على سلامتك كيف تشعرين؟ هل هناك شيء تشكين منه؟ أخبريني من فضلك!

قلت وأنا أرفع جسدي قليلاً محاولة الجلوس لكن فشلت لأنني أشعر بخمول وتعب رهيب وأن كل عظمة لدي انفصلت عن الأخرى:

لحظة.. أين أنا؟ ومن أنتِ؟

قالت وهيَ تندفع نحوي لتسند ظهري:

لا تحاولي أن تجهدي نفسك جسدك ما زال ضعيفاً،،

ألم تسمعيني؟ من أنتِ؟؟

قالت بتردد:

آمم.. حسناً أنا ممرضة اسمي «نتالي» وأنا هنا أعتني بك، هل هذا جيد الآن؟

ما الجيد في الأمر؟ أنا لست في المستشفى ما هذا المكان؟ من قام باختطافي؟؟

قالت ضاحكة:

لم يختطفك أحد يا ماريا السيد أحضرك هنا لحمايتك..

السيد!! أي سيد!!؟

أنا.. أتى الصوت من خارج الغرفة يسبقه رائحة العطر الغريب ورائحة السيجارة الأغرب كان نفسه ذلك الشخص الغريب ما إن رأيته يدخل حتى عادت لي كل الذكريات الأليمة أول لقاء معه في ذلك المكان وموت روجينا بتلك الطريقة البشعة! نهضت من مكاني بدون أن أشعر وأنا أصارع الألم واندفعت نحوه أمسكت بمعطفه بغض النظر عن المسافة بيني وبينه بسبب فارق الطول:

أنت أيها الحقير أين روجينا؟؟ أين هيَ أخبرني؟؟

قال ببرود كالعادة:

لقد ماتت أمام عينيك وأنتِ رأيتِ ذلك لكن يبدو أنكِ تعرضتِ إلى صدمة نفسية وهذا ما جعلك تنامين لثلاثة أيام متتالية..

صعقت عندما سمعت منه هذه الكلمات! قلت وأنا أفلت معطفه بهدوء والدموع تغزو عينيّ:

ماذا؟ ثلاثة أيام وأنا فاقدة الوعي!! حسناً إذاً أنا ماذا أفعل هنا؟ لماذا لم تعدْني إلى أمي ومنزلي؟ وأين جثة روجينا؟؟

سأخبرك بكل شيء لكن حالتك غير مستقرة الآن لا النفسية ولا الصحية رجاء عودي إلى السرير واجلسي «نتالي» ستحضر لك الطعام والماء أنتِ لم تشربي ولم تأكلي شيئاً منذ ثلاثة أيام.

قلت بغضب:

يبدو أنك لا تفهم أنا سأخرج بنفسي وأعود إلى المنزل ولن أنتظر منك شيئاً!

حسناً يمكنك الذهاب إذاً لن أمنعك لكن بمجرد أن تعودي إلى منزلك ستجدين الشرطة قد سبقتك إلى هناك لتقبض عليك..

ماذا!؟؟

ماريا من الأفضل أن تبقي في عداد المفقودين أهون من أن تكوني في عداد المتهمين! انظري،،

التقط جهاز التحكم وشغّل التلفاز على قنوات الأخبار وكانت صورتي وصورة زوجينا في المقدمة وأننا في عداد المفقودين من ثلاثة أيام! ذكرت الأخبار ووسائل الإعلام كل شيء حدث مع جرائم القتل المتسلسلة التي تحدث بسبب لوحاتي وأيضاً اختفاء السيدة أليز ومساعدها وحراس الأمن!! ووسائل الإعلام تعج بالفوضى والبلد والمدينة في حالة فوضى الجميع متأهبون بسبب هذه القضية الغامضة تم الإعلان عن أن من يملك أي لوحة باسمي يجب تسليمها فوراً للحكومة!!

ثم أطفأ التلفاز قائلاً:

هل عرفتِ الآن لماذا يجب أن تكوني مفقودة! إذا ظهرتِ فسيضعون كل الجرائم واللوم عليك أنتِ المتهمة الوحيدة، عوضاً عن ذلك لن يصدق أحد هذه القصص التي يعتبرونها مجرد جنون وخزافات سأساعدك ويجب أن تساعدي نفسك القرار يعود إليك أنتِ إذا كنتِ تنوين العودة والخروج إليهم فافعلي ذلك وإذا كنتِ موافقة على مساعدتي لك فسأفعل ذلك ولكن في نهاية الأمر لن أجبرك على شيء فكري واتخذي قرارك عندما أعود.

من منزلي!.. أيضاً أي شيء تحتاجينه اطلبيه من نتالي هي هنا لمساعدتك..

بعد أن أنهى كلامه خرج وتركني في صدمة وحيرة وألم وحزن واكتئاب! تدمرت حياتي بالمعنى الحرفي فقدت كل شيء في لمحة بصر صديقتي نفسيتي صحتي سمعتي عملي أموالي حياتي سلبت مني في خلال شهر فقط ماذا أفعل؟ وكيف سأفكر وأنا بهذه الحالة؟ أريد أمي أرغب في حضنها، الآن بالتأكيد هي منهارة علي! تتخيل آلاف السيناريوهات التي ستحدث معي!! لا تملك أحداً في هذه الحياة غيري! جلست على الكرسي بعد أن خرجت نتالي من الغرفة وتركتني وحدي أفكر، ثم انهرت باكية أبكي وأبكي بشدة وألم وحسرة، أبكي لا أعرف ما الذي أفعله هل أخرج وأعود إلى المنزل ليقبض علي الشرطة ويرموا بي في السجن أو المصحة العقلية! ماذا سأقول لعائلة زوجها؟ ماذا سأقول لأمي وكيف ستتحمل كل تلك الأمور؟ أم أبقى هنا وأثق في هذا الرجل الغريب الذي لا أعلم من هو؟ ومن أين أتى؟ ولماذا يريد مساعدتي؟ وهل سيساعدني حقاً؟ أم سيسحبني إلى الجحيم أكثر؟

الحيرة والتساؤلات والأفكار والسيناريوهات ستأكل رأسي، أتمنى أن أموت في هذه اللحظة وأرتاح، اكتشفت أن أبشع كابوس هو كابوس حياتي الواقعية..!



«ابتلعنــــي الخــوف»

مضت تقريباً ساعتان وأنا أفكر وأبكي حتى قررت أخيراً القرار الذي لا أعرف هل هو صائب أم لا؟ لكن لا أعرف ليس لدي خيار آخر أبداً إما السجن والهلاك أو السير مع هذا الغريب إلى المجهول! لذلك اخترت أن أسير إلى المجهول على الأقل هو مفتوح وليس مغلقاً مثل السجن!..

دخلت علي تلك الفتاة «تالي» وهيَ تحمل في يديها بعض الطعام والماء ووضعته على الطاولة أمامي قائلة بابتسامة مشرقة كالعادة:

تفضلي عليك أن تأكلي شيئاً حتى لا تنهاري ،،

قاطعتها بصوتي المبحوح من شدة البكاء:

أين ذلك الرجل؟ أقصد سيدك؟ أريد التحدث معه على الفور!

هو لم يأتِ بعد..

هل سيتأخر؟؟

صراحة لا أعلم! على كل حال يجب أن تأكلي حتى يأتي أنتِ تحتاجين للطاقة،، وسأصرف لك بعض الأدوية تساعدك على النوم وتسكن لك الآلام التي تشعرين بها في جسدك..

وماذا عن الآلام التي في قلبي؟! قلتها في نفسي وأنا أسلم أمري إلى صينية الطعام وأتناول منها بدون أن أشعر بلذة الطعام، ولم أشعر بالجوع حتى، كل ما أشعر به هو الألم والحزن والخوف

والحيرة، وكل ما أرغب به هو الاستيقاظ من هذا الكابوس الواقعي والعودة إلى حياتي الطبيعية مع أمي وفي غرفتي..

انتهيت من تناول الطعام بعدها أعطتني تتالي المسكنات وقوارير لتخفيف الصداع وبدون أن أشعر بنفسي عدت إلى النوم مجدداً..

استيقظت مفزوعة على صوت قوي، اعتدلت بوضعية الجلوس وفركت عيني أحاول أن أميز هل هذا كابوس أم واقع؟ عرفت أنه واقع لأنني ما زلت في المكان نفسه والغرفة نفسها، عادت كوابيسي تأخذني إلى مكان آخر، لذا نهضت من على السرير كانت الغرفة ليست مظلمة ويوجد مصباح واحد ما زال يعمل يبدو أن تتالي تركته هكذا حتى أرتاح ولا أشعر بالخوف، ثم ركزت واستوعبت المكان الذي أنا فيه، كانت الغرفة كبيرة جداً يتوسطها السرير الكبير الذي أنا عليه الآن، على الجوانب العديد من الرفوف مليئة بالكتب والشموع وبعض المجسمات الصغيرة توجد خزانة كبيرة لكنها مغلقة مقابل السرير يوجد مكتب عليه بعض الأقلام ومجسم بشكل مخيف وكأنه مسخ جالس على سطح المكتب استغربت لماذا لم يبعدوا هذا الشيء عني بما أنني أعاني من صدمة وحالتي غير مستقرة كما قالوا؟ أو يبدو أنني أشاهد كوابيس أبشع من هذا المجسم يظنون أنني لن أهتم؟

بدأت أتجول في الغرفة وبين رفوف الكتب الغرفة والديكور يبدوان عتيقين جداً وكأنهما بزمن من الماضي وليسا معنا بالمستقبل التقطت كتاباً من الكتب وكان يبدو وكأنه يتحدث عن التنجيم!! فتحته كان به رسومات غريبة وكلام غير مفهوم! أغلقته وأعدته إلى مكانه، قررت التقاط كتاب آخر ولكن قاطعني صوت

قوي هو الصوت نفسه الذي جعلني أستيقظ كان يبدو وكأنه صوت مطرقة أو شيء حديدي يضرب شيئاً حديدياً آخر كان الصوت قادماً من خارج الغرفة ليس في غرفتي، لذا تقدمت بخطوات حذرة وأمسكت مقبض الباب وأدرته، فتحت الباب بهدوء وأخرجت رأسي فقط واستقبلني الظلام! كان الظلام في المنزل أو المكان الذي أنا فيه عجيباً جداً لدرجة ظننت أن المكان مهجور وأنا وحدي أبقى هنا متوهمة أن ذلك الغريب وممرضته معي هنا! هل أخرج أم أبقى في الغرفة وأغلق على نفسي حتى الصباح؟ سألت نفسي والفضول يقتلني أرغب في الوقت نفسه معرفة أين أنا؟ وما هذا المكان؟ لذا فتحت باب الغرفة كله على أمل أن يمدني بعون من الضوء حتى أصل إلى مفاتيح الإضاءة التي تخص هذا المكان، سحبت كرسي المكتب ووضعته أمام باب الغرفة حتى لا يغلق بشكل من الأشكال، وتقدمت نحو الظلام بخطوات ترتعش وقلب ينبض بسرعة، كان المكان بارداً جداً وملابسي التي أعطتني إياها نتالي خفيفة جداً ولم تعطني حتى جاكيت أو شيئاً ثقيلاً استمررت بالتقدم نحو الأمام مستعينة بضوء الغرفة الذي كلما تقدمت أوشك على الانسحاب إلى الخلف وكأنه خائف أكثر مني، حتى وصلت إلى ساعة حائط كانت ضخمة جداً تقف باعتدال رفعت رأسي لأرى نهايتها ولكن كانت نهايتها تمتد في الظلام! فجأة سمعت صوت سلاسل، سلاسل على ما يبدو حديدية يتم سحبها توجهت نحو الصوت حتى وصلت إلى مكان فسيح وكأنه ساحة واسعة لكن ملامحه لم تكن واضحة من شدة الظلام! لكن ما ميزته كان يوجد في زوايا الساحة صناديق أو زنزانات حديدية كالصناديق هي نفسها التي رأيتها في آخر كابوس!! هذا يعني أن الكابوس الأخير

قوي هو الصوت نفسه الذي جعلني أستيقظ كان يبدو وكأنه صوت مطرقة أو شيء حديدي يضرب شيئاً حديدياً آخر كان الصوت قادماً من خارج الغرفة ليس في غرفتي، لذا تقدمت بخطوات حذرة وأمسكت مقبض الباب وأدرته، فتحت الباب بهدوء وأخرجت رأسي فقط واستقبلني الظلام! كان الظلام في المنزل أو المكان الذي أنا فيه عجيباً جداً لدرجة ظننت أن المكان مهجور وأنا وحدي أبقى هنا متوهمة أن ذلك الغريب وممرضته معي هنا! هل أخرج أم أبقى في الغرفة وأغلق على نفسي حتى الصباح؟ سألت نفسي والفضول يقتلني أرغب في الوقت نفسه معرفة أين أنا؟ وما هذا المكان؟ لذا فتحت باب الغرفة كله على أمل أن يمدني بعون من الضوء حتى أصل إلى مفاتيح الإضاءة التي تخص هذا المكان، سحبت كرسي المكتب ووضعته أمام باب الغرفة حتى لا يغلق بشكل من الأشكال، وتقدمت نحو الظلام بخطوات ترتعش وقلب ينبض بسرعة، كان المكان بارداً جداً وملابسي التي أعطتني إياها نتالي خفيفة جداً ولم تعطني حتى جاكيت أو شيئاً ثقيلاً استمررت بالتقدم نحو الأمام مستعينة بضوء الغرفة الذي كلما تقدمت أوشك على الانسحاب إلى الخلف وكأنه خائف أكثر مني، حتى وصلت إلى ساعة حائط كانت ضخمة جداً تقف باعتدال رفعت رأسي لأرى نهايتها ولكن كانت نهايتها تمتد في الظلام! فجأة سمعت صوت سلاسل، سلاسل على ما يبدو حديدية يتم سحبها توجهت نحو الصوت حتى وصلت إلى مكان فسيح وكأنه ساحة واسعة لكن ملامحه لم تكن واضحة من شدة الظلام! لكن ما ميزته كان يوجد في زوايا الساحة صناديق أو زنزانات حديدية كالصناديق هيَ نفسها التي رأيتها في آخر كابوس!! هذا يعني أن الكابوس الأخير

يبدأ بالظهور على أرض الواقع!! لقد نسيت أمره كلياً بسبب انشغالي بأمور كثيرة فجأة سمعت صوت السلاسل مرة أخرى وكأن أحداً مقيد ويركض من حولي لكنني لا أستطيع أن أراه؟ أتى الصوت الذي لم أكن أرغب ولا أتمنى أن يأتي وهو صوت الصراخات نفسها بدأ الصراخ مع أصوات صدى صرخاتهم المتعالي يصدح في المكان حتى شعرت بأن أذني ستنفجران وتسيل منهما الدماء. وضعت يدي على أذنيّ وبدأت بالصراخ والبكاء لم يعد لدي طاقة لتحمل أي شيء وأغمضت عينيّ وأنا أكرر:

كفى.. أرجوكم هذا يكفي ارحلوا دعوني وشأني..

ماريا..

أتى الصوت كالنجاة أخيراً مع إضاءة جميع أنوار المنزل فتحت عينيّ لأرى ذلك الرجل الغريب يمسك بكتفي وهو يقول:

يبدو أن أحداث آخر كابوس بدأت بزيارتك لكن يجب أن تتعلمي أن لا تجعليهم يسيطرون عليك يجب أن لا تستسلمي لهم وإلا فسينتهي أمرك.

قلت له بنظرات راجية ويائسة:

هل حقاً ستساعدني؟ أرجوك خلصني من كل هذه الفوضى وأيقظني من هذا الكابوس ساعدني قبل أن يبتلعني الخوف.

قال وهو يقف ويسحبني بهدوء لأقف على قدميّ:

بالطبع سأساعدك لكن أولاً يجب أن تثقي بي

سأثق بك بعد أن تخبرني من تكون أنت؟ ولماذا تساعدني؟ وهل هناك مقابل؟



«الرسام الذي قتلته لوحة»

يستغرق مني الأمر بضع ثوانٍ وأحياناً بضع دقائق وأحياناً بضع ساعات وأحياناً بضعة أشهر لا يوجد فترة محددة أعيشها مع هذه الكوابيس المعقدة، أحب كوابيسي التي تكون في منامي فهي أهون من كوابيسي التي تكون في الواقع على الأقل كوابيسي التي في المنام تنتهي عندما أستيقظ، لكن كوابيس الواقع متى تنتهي؟!

منذ طفولتي وأنا أعيش في منزل لا يقل رعباً عن كوابيسي، أو بالأحرى هو سبب كوابيسي ترعرعت في منزل أشبه بالجحيم مع أم لا تعرف الرحمة أو لنستبدل كلمة أم إلى الوحش!.. هكذا أفضل لوصفها.. كانت أول صدمة لي عندما تشاجرت أمي وأبي وأنا بعمر العاشرة، ليس أول شجار لهما فمنذ ولادتي وهما على هذا الحال، لكن ذلك الشجار كان أقوى شجار وآخر شجار بالنسبة لأبي!

كان الجو في تلك الليلة عاصفاً وممطراً وكانت أصوات العاصفة قوية، لكن كان صوت الشجار بين أبي وأمي أقوى، استمر الشجار ما يقارب ساعة كاملة حتى عمّ الهدوء أخيراً! وأنا كنت كالعادة أجلس على الأرض بجانب سريري وأضع يديّ على أذنيّ محاولة أن أسد سمعي ولا أسمع أي شيء من الشجار القوي! كنت في وقتها لم أعرف هل أنا خائف من الشجار أو من العاصفة؟ في كل الأحوال هناك عاصفتان واحدة خارج المنزل والأخرى بداخل المنزل وأنا كنت خائفاً منهما كلتيهما! عندما عمّ الهدوء أبعدت

بيدي من على أذني، نهضت متوجهاً إلى باب الغرفة لكن فجأة انفتح الباب بقوة عدت إلى الخلف إذا بي أرى أبي وملامحه تكتسي بالغضب اتجه إلى خزانة ملابسي وبدأ يخرج أغراضي وملابسي ووضعها في حقيبة، وأتى إلي وهو يمسك بكتفي قائلاً:

سنخرج من هذا المنزل اليوم لن أدعك عند هذه المرأة الساقطة... سكت والدي احتراماً لمشاعري كطفل! ثم أخذ نفساً وأكمل حديثه بهدوء:

أنا ووالدتك لسنا على وفاق لذا سنطلق وسآخذك للعيش معي لأنها ليست مؤهلة لتربية طفل هل تفهم هذا الكلام!؟

لم أرد عليه بسبب تصادم الأحداث الكثيرة، ولكن هززت رأسي بالموافقة بالطبع ارتحت لأنني كنت أعلم بأن أبي سيأخذني ولن يتركني! لم أرد البقاء مع أمي كانت لا تجيد معاملتي كانت قاسية وجافة وكثيرة الشرب وتتصرف بطرق غريبة، أكمل أبي حديثه وهو يغلق الحقيبة:

هيا انتعل حذاءك سنذهب الآن..

توجهت إلى خزانة الأحذية لألتقط أقرب حذاء ولكن فجأة سمعنا صوت أمي تصرخ وتحطم الأشياء! علمت بأنها غاضبة هذه هيَ نوبات الغضب التي تأتيها دائماً بعد كل شجار، لكن أبي قال لي وهو يقبلني في جبيني:

ارتد حذاءك ومعطفك الثقيل انتظرني هنا سأذهب لأحضر شيئاً من الغرفة وأعود حسناً؟!!

قلت له:

حسناً لا تتأخر،،

ذهب أبي ولم يعد كان ذلك المشهد آخر مرة أراه بحياتي! انتظرت وانتظرت دقيقة دقيقتين ساعة ساعتين ولم يأتِ أبي! أردت الخروج من الغرفة لكن كان هدوء المنزل مرعباً مع صوت العاصفة ظللت وحيدة أبكي حتى فتح الباب بهدوء! رفعت رأسي لأرى أمي تدخل علي بفستان أحمر وزينة كاملة وفي يدها سيجارة، اقتربت مني وهي تنفث الدخان قائلة:

لا بأس يا طفلي الصغير لقد رحل والدك وتركك، أخبرني في آخر لحظة بأنه لا يستطيع الاعتناء بك، وأيضاً قال بأنه سيتزوج امرأة أخرى ومن المؤكد أن هذه الزوجة الجديدة لوالدك لن تتقبلك أبداً! ليتنا لا يوجد أحد غيري ليعتني بك أنا خيارك الوحيد..

لا أنت تكذبين؟! أبي من المستحيل أن يغادر ويتركني! انظري لقد وضب لي حقائبي وملابسي وأخبرني أن أنتعل حذائي وكنا مستعدين للخروج لكنه نسي شيئاً في غرفته وذهب ليحضره!!

لم أنهِ كلامي حتى شعرت بصفعة أتت من يد هذه الوحش العملاقة! بحكم أن أمي كانت تملك جسداً عريضاً وضخماً وكأنها رافعة أثقال لذلك كنت أسميها بالعملاقة! صفعتني حتى وقعت أرضاً! وقالت وهي تشتاط غضباً:

لا يمكنك أن تنعتني بالكاذبة أيها الطفل الغبي! أخبرتك بأن والدك هرب وتركك ولا يوجد غيري ليهتم بك هل تفهم هذا الكلام؟ إذا كنت ستستمر في النواح والبكاء فسأضربك ضرباً مبرحاً!..

قالت كلماتها القاسية وخرجت من الغرفة وأغلقت باب الغرفة علي، وتركتني في وحدتي وفي أسى وفي انكساري أتساءل مليون سؤال في الدقيقة الواحدة هل من الممكن أن يفعلها أبي ويغادر ويتركني؟ لماذا إذاً أوهمني بأنه سيأخذني معه!؟ هو غير مضطر أن يوهمني كان يمكنه أن يرحل ويتركني بدون أن يكذب علي لآخر لحظة!؟ مستحيل أنا واثق بأن تلك الوحش الكاذبة تكذب علي! لكن أين أبي؟ ما الشيء الذي جعله يغادر من المنزل ويتركني؟ أو ما الشيء الذي جعله يختفي فجاءة!!؟

غرقت تلك الليلة في دموعي من شدة البكاء علمت بأن حياتي التي لم تبدأ ستنتهي في هذا الجحيم! علمت بأنني سأعيش أسوأ عذاب هنا في هذا المنزل! قضيت ثلاثة أيام بدون طعام ومحبوساً في تلك الغرفة كنت فقط أسمع أصواتاً غريبة وأصوات خطوات في المنزل، مع كل صوت خطوات قلبي يدق آملاً على أمل أن أبي عاد ليأخذني لكن للأسف أصحاب أصوات الخطوات مجهولون! شعرت بالتعب والإرهاق والمرض في اليوم الرابع حتى فتحت لي تلك الوحش الباب ودخلت بصينية طعام وماء وحليب وكالعادة ممسكة باليد الأخرى سيجارة وكانت كالعادة في كامل زينتها وأناقتها! الفستان الأحمر القصير والشعر المموج ومساحيق التجميل التي تملأ وجهها رغم أننا في الصباح الباكر ورائحة عطرها الذي أستطيع شمه على بعد مئات المترات من المسافة! وضعت صينية الطعام أمامي:

حسناً يا طفلي الصغير كيف حالك اليوم؟ لا تظن أنني فعلت ذلك لأنني أكرهك، لقد فعلت هذا لأنني أحبك وأريد مصلحتك

كنت غاضبة منك وأرغب في معاقبتك! الآن انتهى العقاب أنا آسفة لذا كل جيداً وبعد الانتهاء من طعامك لنذهب إلى الحمام لكي أقوم بغسلك جيداً سنخرج في مشوار لطيف حسناً؟..

مضت الساعات والأيام والشهور والسنوات وأنا ما زلت على أمل أن يعود أبي كان روتيني المرعب في هذا المنزل روتيناً لا يقل رعباً عن كوابيسي! استمرت حياتي في هذا المنزل مع والدتي وبعض الرجال الذين كنت أراهم وأسمع أصواتهم يدخلون إلى المنزل في كل أسبوع في منتصف الليل! كنت أسمع أصوات ضحكاتهم وأسمع صوت الموسيقى وأسمع أصواتاً أنا في غنى عن ذكرها الآن! كنت أشم روائح الدخان بكل أنواعه التي وقتها كنت لا أعرفها! ورائحة المشروبات بكل أنواعها! أحياناً كانت تأتي فتيات أيضاً مع الرجال ويقيمون حفلة بها كل أنواع الكبائر! كنت أنتظر وأعد الثواني والدقائق والساعات لكي يأتي الصباح وأذهب إلى المدرسة، في كل يوم أذهب فيه للمدرسة تراودني أفكار للهرب بعيداً لكن أين أذهب وأنا مجرد طفل؟ أتذكر مرة قررت الهرب ولكن بقيت أجول في الشوارع الباردة ليلاً خائفاً جائعاً أرتعش حتى وجدني رجل كان أحد رفقاء والدتي الذين يزورونها في المنزل وأخذني بالقوة وأعادني إلى المنزل انتهى بي الأمر بالضرب المبرح من قبل الوحش والحبس لمدة ثلاثة أيام!..

بعد مرور خمس سنوات أصبحت في عمر الخامسة عشرة تقريباً في بدايات المراهقة! ما زالت حياتي كما هيَ لكن بدأت معي هذه الكوابيس غير العادية عندما بدأت معي هذه الأحداث المرعبة من قبل أمي في ليلة ماطرة وفي اختبارات نهاية العام

أنهيت اختياري الأخير للصف وكنت متفوقاً جداً كنت أركز على دراستي من أجل أن أصل إلى الجامعة وأخرج من هذا المنزل وأبحث عن أبي، نعم ما زلت أرى آخر مشهد جمعني مع والدي عندما كان عازماً أن يأخذني معه، وما زلت أشعر بالقبلة التي طبعها على جبيني، كنت متيقناً في داخلي أن أبي لم يرحل ويتركني هكذا بدون أي سبب، أعلم جيداً أنه يحبني كثيراً وعاش طوال تلك السنوات مع هذه المرأة الوحش وصبر بسببي كنت أنا الشيء الوحيد الجميل في حياته دائماً ما كان يقول لي هذه العبارة، فمن المستحيل أن يغادر ويترك خلفه الشيء الوحيد الجميل في حياته!!

دعونا نعدِ الآن لتلك الليلة، الليلة التي اكتشفت فيها أن أمي ما هي إلا عبارة عن وحش يتجسد في هيئة إنسان!! عدت إلى المنزل متأخراً جداً بسبب خروجي وتناول العشاء مع أحد المدرسين الطيبين الذين كانوا يعتنون بي بعد أن انتهيت من الاختبار، كالعادة لا أحد يستقبلني كنت طفلاً ومراهقاً يعتمد على نفسه في الطعام والشراب والاعتناء بالنفس لأن أمي لا أراها إلا عندما تأتي وتعاقبني وتنهال علي بالضرب وهيَ ثملة، كان المنزل مظلماً كالعادة ولكن كان هادئاً جداً، صمت مهول! استغربت كثيراً لأنه في مثل هذا التوقيت من الليل تستقبلني أصوات ضحكات الرجال مع أمي لكن اليوم لا أسمع أي شيء! دخلت بأقدام مبللة من المطر، تلفت يميناً ويساراً، قررت أن أتوجه أولاً إلى المطبخ وبالفعل ذهبت إلى المطبخ لم يكن هناك أي أحد، فتحت الثلاجة وتناولت قارورة مياه باردة وخرجت من المطبخ وصلت إلى

السلالم قررت عدم البحث عن أمي لأنها ببساطة لا تهمني من السكن أنها اليوم وجدت لها حفلة في منزل آخر غير منزلنا ونعتنا، صعدت الدرجة الأولى لكن توقفت فجأة بعد أن سمعت صوتاً غريباً! تراجعت بخطوات إلى الخلف كان الصوت قادماً من القبو! القبو الذي قضيت معظم طفولتي محبوساً فيه! كانت أمي تحبسني هناك في كل مرة أخالف قوانينها، لكن آخر حبسة كانت قبل سنتين تقريباً وأنا في عمر الـ ١٣ سنة! وبعدها اكتفت بحبسي في الغرفة، وكانت دائماً ما تهددني وتوبخني إذا ذهبت إلى القبو وتقول إنه ممنوع منعاً باتاً أن أذهب إليه! لم أكن أعرف السبب ولم أهتم الأهم أنني لم أعد أحبس في ذلك القبو المظلم الصحيق المليء بالحشرات والفئران والأصوات الغريبة! لكن هذه المرة الفضول قتلني! توجهت بخطوات حذرة إلى باب القبو حتى وصلت وجدته مفتوحاً من الغريب أن يكون مفتوحاً دائماً ما يكون مغلقاً! دفعت الباب بـ أطراف أصابعي أخرج صوت صرير خفيفاً أدخلت رأسي فقط عبر الباب كان القبو شديد الظلمة كالعادة ولكن كانت به رائحة غريبة تسيطر على المكان، لم تكن رائحة عفن أو شيء؟ لا بل كانت رائحة أقرب للشمع المعطر كنت سأتراجع لكن سمعت الصوت مرة أخرى لذا عزمت على نفسي ودخلت نزلت عبر السلالم وأنا أسمع صوت نبضات قلبي حتى وصلت للأسفل، لم يكن هناك أي شيء القبو مثل ما تركته قبل سنتين كل شيء في مكانه ونظيف أيضاً. ولكن لفت انتباهي حبل يخرج من أحد الجدران للقبو! توجهت نحو الحبل

المسدود قمت بتحسسه وما أن سحبته انفتح الجدار وكأنه باب سري! ارتعبت وعدت للخلف بعد أن انفتح الباب السري بالكامل! ازدادت الرائحة الغريبة تختلط بروائح أكثر غرابة! تقدمت بخطوات بطيئة كان المكان عبارة عن دهليز طويل به إضاءة خفيفة ليس مظلماً كثيراً، دخلت وأنا أرتعش خوفاً لكن كما قلت سابقاً الفضول يقتل! تقدمت نحو السرداب أسير إلى الأمام وقلبي يكاد يخرج من مكانه، حتى توقفت أمام باب خشبي مغلق لكن يشع من أطرافه ضوء أحمر! يعني أن الغرفة بها ضوء أحمر! كنت أسمع صوتاً قادماً من الداخل كانت هناك فتحة في الباب لذا قررت أن أنظر من خلالها وليتني لم أفعل! نزلت بهدوء على ركبتي وكتمت صوت أنفاسي لكن صوت قلبي لا أستطيع كتمه، أدخلت حدقة عيني اليمنى من فتحة الباب الصغيرة ورأيت هنا المشهد الذي غير حياتي بالكامل وسحبني إلى قاع الجحيم:!

أولاً المكان كان عبارة عن غرفة بها الكثير من الشموع وهذه الشموع عددها يصل من الممكن إلى المئات! وهيَ التي تصدر منها الروائح الغريبة! والجدران كانت تلتصق بها رسومات غريبة وكتابات ورموز مرعبة! كان هناك طاولة كبيرة في منتصف الغرفة وكان فوق الطاولة رجل مقيد من جميع الجهات الأربع! كان الرجل مليئاً بالدماء والكدمات وفمه مكمم! بدأ بالصراخ المخنوق بسبب تقييد فمه عندما رأى أحداً ما قادماً من الجهة اليسرى، اتسعت حدقة عيني أكثر ودقات قلبي تسارعت أكثر بدأ جسدي بالارتعاش، عندما رأيت الشخص القادم إليه وهيَ كانت «أمي» أو الوحش لا يهم كانت تلك

المسدود قمت بتحسسه وما أن سحبته انفتح الجدار وكأنه باب سري! ارتعبت وعدت للخلف بعد أن انفتح الباب السري بالكامل! ازدادت الرائحة الغريبة تختلط بروائح أكثر غرابة! تقدمت بخطوات بطيئة كان المكان عبارة عن دهليز طويل به إضاءة خافتة ليس مظلماً كثيراً، دخلت وأنا أرتعش خوفاً لكن كما قلت سابقاً: الفضول يقتل! تقدمت نحو السرداب أسير إلى الأمام وقلبي يكاد يخرج من مكانه، حتى توقفت أمام باب خشبي مغلق لكن يشع من أطرافه ضوء أحمر! يعني أن الغرفة بها ضوء أحمر! كنت أسمع صوتاً قادماً من الداخل كانت هناك فتحة في الباب لذا قررت أن أنظر من خلالها وليتني لم أفعل! نزلت بهدوء على ركبتي وكتمت صوت أنفاسي لكن صوت قلبي لا أستطيع كتمه، أدخلت حدقة عيني اليمنى من فتحة الباب الصغيرة ورأيت هذا المشهد الذي غير حياتي بالكامل وسحبني إلى قاع الجحيم:!

أولاً المكان كان عبارة عن غرفة بها الكثير من الشموع وعدد الشموع عددها يصل من الممكن إلى المئات! وهيَ التي تصدر منها الروائح الغريبة! والجدران كانت تلتصق بها رسومات غريبة وكتابات ورموز مرعبة! كان هناك طاولة كبيرة في منتصف الغرفة وكان فوق الطاولة رجل مقيد من جميع الجهات الأربع! كان الرجل ملطخ بالدماء والكدمات وفمه مكمم! بدأ بالصراخ المخنوق بسبب تكميم فمه عندما رأى أحداً ما قادماً من الجهة اليسرى، اتسعت حدقة عيني أكثر ودقات قلبي تسارعت أكثر بدأ جسدي بالارتعاش، عندما رأيت الشخص القادم إليه وهيَ كانت «أمي» أو الوحش لا يهم كانت تلك

الوحش عارية تماماً بدون أي قطعة قماش على جسدها! وكانت تمسك بحيوان غريب هو أشبه بالفأر ولكنه ليس فأراً! صعدت أمي على الطاولة بجسدها فوق ذلك الرجل وهو يصرخ ويرتعش خوفاً وتوسلاً! حملت سكيناً كبيراً وأولاً جرحت يده جرحاً بسيطاً وسالت بعض قطرات الدم على جسد ذلك الرجل، ثم مسكت بالحيوان الغريب وهو يصرخ أيضاً حاله كحال الضحية! وأمسكت برأسه ونحرت عنقه حتى فصلت رأس الحيوان عن جسده فسالت دماء الحيوان على جسد ذلك الرجل الذي هو الآخر كان يموت رعباً في مشهد مرعب ومقزز وهيَ تضحك وتقول كلمات غريبة وبلغة غير مفهومة! ما أن انتهت غرزت السكين في منتصف جبهته وصرخ صرخة أخيرة وفقد الحياة! كل ذلك وأنا ما زلت أراقب هذا الكابوس الواقعي من فتحة الباب! لم تنتهِ بعد تلك الوحش بعد أن ارتكبت جريمتها بل ذهبت وأحضرت منشاراً يدوياً وبدأت بتقطيع الجثة بشكل عشوائي وفوضوي ومقزز ومرعب لم أستطع التحمل لقد اكتفيت لكن من شدة الخوف والصدمة لم أستطع أن أنهض على قدمي! لقد شعرت بالشلل الكامل حتى أنني لا أستطيع إبعاد عيني عن الفتحة! حتى أخيراً سمعت صوتاً قادماً من الجهة الأخرى من السرداب توقفت عن المراقبة والتفت نحو الصوت لكن كان الظلام دامساً في المكان! كنت أشعر بأن هناك أحداً يقف في الظلام ويراقبني بينما أنا أراقب أمي لكن لا أستطيع رؤيته! قلت بأنه حان وقت المغادرة يجب أن أخرج من المنزل وأقوم بإبلاغ الشرطة، لكن فجأة سمعت صوت هدوء قاتل من الغرفة وبدل أن أخرج من

المكان قبل يجب أن أسترق النظر للمرة الأخيرة ما أن وضعت عيني في فتحة الباب إلا استقبلتني عين أمي وأنت عيني بعينها! صرخت صرخة مدوية حتى وقعت ونهضت وأنا أصرخ وبدأت بالركض بكل قوتي وسرعتي خرجت من السرداب وأصبحت في القبو ركضت نحو سلالم القبو وصعدت السلالم وأخيراً وصلت إلى الباب لكن الصدمة كان الباب مغلقاً تماماً! رغم أنني تركته مفتوحاً! حاولت أن أفتح الباب بكل قوتي ضربت بيديّ على الباب حتى أصيبت، صرخت أطلب النجدة ولكن من سيسمعني في هذا المنزل المرعب!! توقفت عن الصراخ عندما سمعت صوت خطواتها قادمة إلي لكن لم ألتفت أسمع صوت خطواتها تصعد السلالم متجهة نحوي لكن لم ألتفت حتى قالت بصوت مصطنع ومخيف وهيَ تتقدم نحوي:

نم يا صغيري،

نم يا حبيبي،

أو سيأتي الوحش ويأخذك

بعيدًا.

نم يا صغيري ،

نم يا حبيبي،

أو سيأتي الكوكو ويأكل منك شيئاً.!!

انهمرت الدموع من عيني وأعلنت استسلامي لا مفر من هذا الوحش وسقطت مغشياً علي بعد أن شعرت بوخزة إبرة غرزتها في عنقي..!



«حياة بين الجثث»

فتحت عينيّ لأجد نفسي في غرفة غريبة لم أرَها من قبل! كان بها سرير ومكتب خشبي صغير ويوجد باب صغير جداً يدل على أنه حمام! أشعر بالصداع والدوران والغثيان لم أستطع تحمل الاستيقاظ لذا غرقت مرة أخرى في النوم!...

استيقظت هذه المرة مفزوعاً من صوت طرقة قوية على الباب!! رفعت رأسي وبدأت أستوعب أنني محبوس هنا في هذه الغرفة، وخصوصاً كل شيء اتضح عندما رأيت قدميّ مقيدتين بسلاسل حديدية، حاولت النهوض على قدميّ ونهضت بثقل وإعياء شديدين، كانت السلاسل طولها مناسب للسير على الأقل في الغرفة! لذلك توجهت أولاً لباب الحمام وفتحته بهدوء وكان حماماً عادياً، أغلقته وتوجهت إلى الباب الوحيد وهو باب الغرفة أمسكت المقبض وأدرته لكنه كان مغلقاً بإحكام! تذكرت وقتها كل شيء عندما رأيت أمي تقتل ذلك الرجل وعندما رأتني وهربت منها لكن لم أستطع الهروب حتى انقضت عليّ وخدرتني، هذا يعني أنها هيَ من تقوم بحبسي هنا! لكن أين أنا هل أنا في المنزل أو في مكان آخر؟ بالطبع أنا في المنزل لكن تحت المنزل على ما يبدو هذه غرفة أخرى غير تلك الغرفة التي شهدت فيها أمي تقتل ذلك الرجل والله أعلم كم تمتلك غرفة هنا للتعذيب!؟ بدأت أجمع وأفكر وأتذكر

واسترجع كل شيء بدأ تقريباً من ستتين. كنت ألاحظ أنها لم تعد تحبسني في القبو لأنها تستخدمه وأيضاً أصبحت تبعدني عنه وتحذرني من أن أدخل فيه حتى لا أكتشف أمرها! أيضاً النقطة الأهم هناك مرات يزورها رجال يدخلون إلى المنزل كالعادة ويسهرون معها لكن ألاحظ أنهم لا يخرجون من المنزل!! بعض الأحيان أصادف رجلاً يدخل وأنا مثلاً متجه إلى المطبخ وتمر ساعات لكن لا أسمعه يخرج من المنزل! أستطيع معرفة إذا خرج الضيف أو لا لأن الذين يأتون بسياراتهم أستطيع سماع صوت السيارة لأنهم يقومون بصفها في أسفل نافذة غرفتي ولكن بعض الأحيان لا أسمع السيارة تعمل وتتحرك! مرة من المرات رأيت سيارة رجل بقيت واقفة عند منزلنا يومين وبعدها اختفت عندما رأيت أمي تركبها وقالت لي بأنها سيارة صديقتها ستعيدها إليه!! لم أكن أركز كثيراً بسبب صغر سني وبسبب أنني كنت دائماً في غرفتي ولا تسمح لي بالخروج إلا في أوقات معينة! اتضح لي كل شيء الآن: إن بعض الرجال الذين يدخلون إلى منزلنا لا يخرجون!!

هذا يعني أن هناك حقيقة واحدة فقط: أن أمي تقتل الرجال! منذ متى؟ وكيف؟ ولماذا؟ وما الشيء الذي جعلها تصل إلى هذا الحد؟ لا أعرف! كل ما أعرفه أنني للتو اكتشفت حقيقة مرعبة عن المرأة التي أنجبتني، عن أمي..

لم أحاول الخروج ولم أطرق الباب اكتفيت بالانطواء على السرير والبكاء كالأطفال البكاء فقط استمررت أبكي لمدة ثلاث

ساعات متواصلة، حتى غفوت أو فقدت الوعي من شدة التعب النفسي والجسدي! استيقظت بعدها بفترة فتحت عينيّ وشهقت وقفزت من مكاني واقفاً عندما رأيت أمي تجلس أمامي على كرسي خشبي وكالعادة في كامل أناقتها مع سيجارتها التي تشفط منها وهيَ تنظر إلي بكل ثقة وفي عينيها امتلأت كل الشرور والسواد والدماء والوحشية والأمراض النفسية فيها كانت شيطانة على هيئة أم! قالت ببرود وهيَ تنفث بعض الدخان:

أوه يا طفلي المسكين لماذا فزعت هكذا وكأنك رأيت شبحاً؟ أنا والدتك..

لم أرد عليها واكتفيت بالنظر إلى الأسفل وأنا أرتجف وكل ما فيّ يرتجف، ثم أكملت حديثها وهيَ تنهض من مكانها وتتقدم إلي:

انظر إلى نفسك أيها الطفل الفضولي أخبرتك مئات المرات أن تتوقف عن مراقبتي والتدخل في شؤون الكبار لكنك كالعادة عنيد لم تستمع إلي طوال حياتك لا تستمع إلى والدتك! وانظر الآن ماذا حدث؟ هذه عقوبتك التي تستحقها وهيَ الحقيقة أعلم بأن الحقيقة مؤلمة ولكن أنت من بحثت عنها، لذلك تحمل الأشياء التي ستحصل عليها من ثمن الحقيقة..!

استمرت بالاقتراب مني وأنا أتراجع للخلف حتى اصطدمت بالحائط، وصلت إلي ووضعت يدها على شعري وبدأت تمسح عليه ومع كل مسحة دموعي تنهمر كالشلال من شدة الخوف:

لا تبك يا طفلي ستستمتع كثيراً من الآن وصاعداً بما أنك الآن تعرف كل شيء لذلك أولاً لقد أحضرت لك الطعام عليك أن تأكل شيئاً حتى لا تنهار، وبعدها سنتحدث معاً اتفقنا!؟

وضعت لي الطعام وخرجت مبتسمة وأغلقت علي الباب وكأن كل شيء يحدث هنا طبيعي! وأنا عدت لحالي: البكاء فقط!

مضت الأيام والأشهر والسنوات نعم السنوات وأنا محتجز كالحيوان في تلك الغرفة ومقيد بالسلاسل كانت تطعمني وتعطيني كل شيء اكتسبت موهبة الرسم بعد أن كانت تراودني الكوابيس بالرجال الذين تقتلهم أمي، كنت أرى كل رجل وطريقة موته وكانت الكوابيس تحتجزني في تلك الغرفة الصغيرة وكانت تتكلم معي للواقع! كنت على شفا حفرة من الجنون، أو أنني أصبحت مجنوناً رسمياً! كنت كالشاهد الأبكم الذي يرى جميع الجرائم من حوله لكنه لا يستطيع أن يتحدث! رأيت خلال سنوات حجزي في القبو كل جرائم أمي: القتل والتخدير والاعتداء والتعذيب والتقطيع حتى أنها كانت تأكل بعض لحم ضحاياها! ستتساءلون بالطبع إذا أكلت معها؟ بالطبع كانت في البداية تحضرها لي بدون أن أعلم ما هو هذا اللحم؟ لكن عندما اكتشفتها وسألتها قالت ضاحكة:

أليس طعمها لذيذاً! اعترف بذلك أنه المفضل لديك مع صوص والدتك المحترف!

أخبرتها بأعين دامعة:

لماذا تفعلين ذلك؟

قالت ببرود:

لأنني أكره الرجال!!

قلت لها ولم أظن يوماً أنني سأفتح هذا الموضوع معها:

هل هذا بسبب أبي؟

بالطبع والدك أحد الأسباب الرئيسة..

لكنه لم يفعل لكِ شيئاً! لقد كان طيب القلب ومتعاطفاً معكِ!

هل قام بخيانتك بدون علمي؟

قالت والغضب بدأ يفور من عينيها:

لا لم يقم بخيانتي والدك كان شخصاً متعجرفاً يقلل مني منذ أول يوم من زواجنا أنت لا ترى ما أراه لقد كان يناديني بالمختلة والمجنونة والساقطة ،،

قلت ببرود:

لكن هذه الحقيقة..

لم أنهِ جملتي حتى أتت على وجهي صفعة كالرصاصة منها حتى سال الدم من فمي! لا بأس أصبحت معتاداً على ذلك الضرب والتعذيب أصبح روتيناً أساسياً في يومي! لذلك أكملت حديثي غير مبالٍ وأنا أمسح الدم من على شفتي:

ولكن هذه الحقيقة أنتِ من قمتِ بخيانته أولاً مع العديد من الرجال لماذا تمثلين أنكِ مظلومة؟ أتوقع كان خطأ أبي الوحيد في حياته أنه ارتبط بك ارتبط بامرأة وحش مثلك وأصلح هذا

الخطأ عندما رحل وتركك لأنه مستحيل هناك شخص يستطيع أن يعيش مع وحش..

ضحكت ضحكة هستيرية بصوت عالٍ ثم قالت وهيَ تلتقط أنفاسها من شدة الضحك:

أوه يا طفلي العزيز لقد كبرت بما يكفي لأخبرك أسوأ حقيقة ستعرفها الآن! للأسف سأخيب ظنك: والدك لم يتركني لأنه لا يوجد شخص على هذه الأرض سأسمح له بتركي والتخلي عني ورميي في سلة المهملات!

قلت وبدأ قلبي يدق بشكل سريع:

ماذا؟ ماذا تقصدين؟!

اقتربت مني وهي تمسح على شعري كالعادة:

هل تذكر في الأسبوع نفسه الذي خرج فيه والدك من عندك وقال إنه سيذهب ليحضر شيئاً ما وبعدها سترحلان معاً؟ في يوم الثلاثاء أنا وأنت تناولنا وجبة لذيذة جداً لقد أعجبتك ولكنك لم تفصح بذلك لأنك وقتها كان جوك معكراً بسبب رحيل والدك!!

قلت والدموع تسيل من عينيّ وأنفاسي أصبحت ثقيلة:

لم أفهم ما الذي تقصدينه؟؟

ما لم تفهمه يا عزيزي أن والدك المتعجرف هو كان أول ضحية لي!! لقد قمت بضربه على رأسه عندما دخل غرفتنا ليأخذ جواز سفره ثم سقط مغشياً عليه، بعدها حقنته بإبرة مخدرة وسحبته للقبو وقتلته هنا في هذه الغرفة التي أنت بها الآن، ثم تابعت ببرود:

آه لقد كان الأمر متعباً أن أتخلص من جثته؟ أين أضعها؟ لكن عندما خطرت لي فكرة تقطيعها إلى أجزاء صغيرة سيكون الأمر ممتعاً، بعدها تساءلت: أين يمكن أن أضع أجزاء زوجي العزيز؟ إذا أبقيته هنا فالرائحة ستنتشر! إذا رميته أو دفنته خارج المنزل فمن الممكن أن يجده أحد أو يراني أحد بطريقة ما! لذلك قلت: بما أننا أنا وأنت نحب والدك كثيراً فمن الأفضل أكله ليبقى بداخلنا إلى الأبد..!

أتى حديثها علي كالموت تماماً كالصاعقة التي تضرب شجرة معمرة منذ مائة عام وتجعلها تنهار في دقيقة! كالرصاصة التي تخترق الصدر وتخرج من الظهر!! بدون أن أشعر بنفسي هجمت عليها لأول مرة في حياتي وانهلت عليها بالضرب وعيناي تهطلان دموعاً وفمي يردد:

أنتِ كاذبة.. كاذبة.. أبي رحل من هنا منذ سنوات أبي حي ليس ميتاً هل تسمعين؟؟

وفي اللحظة نفسها وهيَ بين يديّ لم تقاومني ولم تمنعني من ضربها بل كانت تضحك بشكل هستيري وتردد: أكلنا والدك أكلناه وانتهى الأمر ألا تشعر به بين أسنانك؟؟

لم أتوقف حتى شعرت كالعادة بإبرة تخدير تخترق عنقي ومعها انهرت مغشياً علي! انهرت وانهارت كل آمالي وأحلامي بالنجاة، أبي كان الضوء الوحيد الذي أنتظره يأتي ويشع لي طريقي المظلم، كنت كل يوم أقول بأنه رغم مرور السنوات إلا أنه سيأتي ويبحث عني ويرغب في رؤيتي! لكن كل ذلك الآن تلاشى

كل ذلك اختفى وبقيت أنا في السرداب محتجزاً مع كل تلك الجثث من حولي..

بعد تلك الليلة القاسية مضى أسبوع تقريباً وأنا منطو على نفسي في السرير بدون أن أتحرك وبدون أن آكل كنت أرفض الطعام والماء كنت أخطط للجوع والعطش حتى الموت! كنت أشعر بأن الأمل انتهى وحياتي انتهت مع هذا الأمل، تقريباً مضت اثنا عشرة سنة وأنا محجوز في هذا القبو أصبحت في السابعة والعشرين من عمري آخر مرة رأيت الضوء والحرية عندما كان عمري خمسة عشر عاماً! اثنا عشرة سنة وأنا أسمع أصوات الضحايا يصرخون اثنا عشر عاماً وأنا أشم رائحة تعفن الجثث! اثنا عشر عاماً وأنا أراقب وأشاهد الرجال يدخلون ولا يخرجون! اثنا عشر عاماً وأنا أعيش في دهاليز المنزل التي تحت الأرض أسمع همسات الجثث أرى الكوابيس في المنام وتنتقل معي للواقع اثنا عشر عاماً وأنا أشاهد أمي تمارس فوق جرائمها السحر الأسود! نعم أمي أيضاً كانت مشعوذة وكانت تمارس طقوسها على ضحاياها لم تترك أي جرم وذنب إلا وارتكبته! اثنا عشر عاماً وأنا أعيش في قعر الجحيم!!

طوال هذه السنوات كنت أحفر حفرة بملعقة طعام حديدية وأخيراً بعد اثني عشر عاماً أصبحت هذه الحفرة مناسبة لأخرج جسدي منها المشكلة أن هذه الحفرة لا تؤدي إلى الخارج بل تؤدي إلى غرفة أو زنزانة أخرى، الحفرة كانت أسفل السرير وكنت أغطي عليها بلوح الرسم التي كنت أرسم بها لذلك أمي

لم تكن مهتمة وكانت مرتاحة ظناً منها أنني مسلم أمري لها، في تلك الفترة استوعبت شيئاً حدث في ذلك اليوم رغم أنه حدث منذ ثلاث سنوات تقريباً أو أكثر لا أعلم، اليوم الذي أخبرتني فيه أمي بأنها قتلت أبي وبعد أن انهلت عليها بالضرب كانت تضحك وشبه مستسلمة ولم يكن في يدها أي إبر أو أي شيء ويداها كانتا تحت نظري ولكن شخصاً ما قام بغرز الإبرة في عنقي من الخلف!! هل معنى هذا أن هناك أحداً يساعدها!؟

قبل شهر تقريباً من الفتحة نفسها التي فتحتها رأيت أرجل رجل في تلك الغرفة ولم يكن هو الضحية بل كان رجلاً آخر كالعادة مستلقياً ومقيداً من جميع الجهات على الطاولة، تيقنت وقتها بأن أمي أصبح لديها شريك! شخص فيه كل أنواع الأمراض النفسية والوحشية وحش يليق بها!!

عزمت على الأمر بأنه يجب أن أخرج من هنا وأدمر تلك الوحش وشريكها! يجب أن أضع خطة محكمة خطة إما أن تصيب أو تكلفني حياتي! بدأت أجمع شتات نفسي وأحاول السيطرة على عقلي المشتت وأواجه كوابيسي! وعقدت العزم أنه في هذه السنة يجب أن أخرج من هنا لن أبقى سنة أخرى ولو كلفني ذلك حياتي! وبالنسبة للسلاسل لم تعد أمي تقيدني كانت في بداية السنوات تقيدني لكن أصبحت بعدها تقتنع بأنني لن أذهب إلى أي مكان ولن أفعل شيئاً سوى الرسم والقراءة! هذا الشيء الحسن الذي فعلته لي تلك الوحش لأنها تريد أن تحافظ على عقلي ولا أصبح مجنوناً أو مسعوراً وألتهمها لذلك كانت

تحضر لي الكراسات واللوح والألوان للرسم والكثير من الكتب للقراءة وكانت تقول ببرود: في النهاية أنت ابني ويجب أن أحضر لك أشياء جميلة!! كانت في كل عيد ميلاد لي فقط تقوم بإخراجي إلى القبو فقط وليس المنزل حتى! أتجول في القبو حتى ينتهي اليوم وأعود إلى الزنزانة لذلك أتت في ذهني خطة: يوم عيد ميلادي سيكون بعد أربعة أيام عيد ميلادي الـ ٢٨ يوجد خزانة في القبو بها معدات مثل الشعلات والكبريت مهما كلفني الأمر يجب أن أسرق منها بدون أن تنتبه لي، أيضاً هناك فأس من الممكن أن أحتاجها لكسر نافذة القبو الزجاجية إنها ضيقة جداً ولكنها تؤدي إلى الشارع بسرعة هذه الخطة ستكون احتياطية لأنني سأحرق المكان بوجود أمي وسأضربها بأي طريقة من الطرق وآخذ منها مفتاح القبو طبعاً يوم ميلادي سيكون مناسباً للهرب لأنه اليوم الوحيد الذي لا أرى فيه ذلك الرجل مع أمي لذلك لن يساعدها!

أتى اليوم قبل الأخير اليوم الذي يكون قبل يوم ميلادي لذا كنت مستعداً تماماً لغدٍ وكنت أعد الثواني والدقائق والساعات لخروجي من هذا السجن، اقتربت الساعة تقريباً من منتصف الليل وأصبحت في الحادية عشرة ليلاً! وأنا أنتظر الساعة الأخيرة سمعت صوت أمي قادماً وكان معها شريكها فتحا باب الغرفة التي تلتصق بي وهيَ نفسها الغرفة التي حفرت فيها الحفرة لذا أزحت اللوح وأدخلت رأسي محاولاً أن أرى أي شيء لكن لا أستطيع إلا أن أرى أرجلهما وأسمع أصواتهما بسبب ضيق الفتحة

وهذا كان يكفيني، كنت متوقعاً كالعادة أنهما أحضرا ضحية جديدة، لكن دخلا وحدهما وكانا يتشاجران! كانت أمي غاضبة جداً ودار هذا الحديث بينهما:

أمي: طوال الثلاث السنوات التي تعرفت فيها عليك كنت فقط تستغلني!!

الرجل: ماذا تقصدين أنا لم أستغلك؟ وهذا كان اتفاقنا من البداية نصحتك ألا تعرفي شيئاً عني وعن حياتي ووافقتِ أليس كذلك؟؟

أمي: بلى ليس إلا إذا كنت متزوجاً ولديك أطفال؟!

الرجل ببرود: لا أفهم! لماذا أنتِ غاضبة؟ هل كنتِ متوقعة أن نتزوج ونعيش حياة وردية! ومسرح الجثث الذي يقبع هنا أين سيذهب؟

أمي بغضب: حقاً أنت الآن تظن نفسك أنك بريء!؟

لا لست بريئاً بقدر ما أن كل هذه أعمالك أنتِ التي تمارسينها تقريباً منذ ١٧ عاماً، وبالنسبة لي لا أهتم ولا أخاف إن كنت بريئاً أو لا لأنني أنا لست ساذجاً مثلك..

اندفعت أمي مشتاطة غضباً نحو الرجل وأمسكت بياقته، كما قلت لا أستطيع رؤية وجه الرجل لأنه كان طويلاً وضخم البنية كل ما أعرفه منه طوال هذه السنوات هو صوته الضخم وكان دائماً يلبس ساعة في معصمه الأيمن ساعة ذهبية اللون رغم أن جميع الناس يلبسون الساعة في اليد اليسرى لكن هذا الرجل كان دائماً

يلبسها في اليمنى! قالت أمي صارخة وهيَ تهز أكتاف ذلك الرجل بغضب:

أنت لقد سرقت كل أموالي والآن تأتي وتتحدث معي بهذه الطريقة اهل نسيت أنني أنا من صنعتك يبدو أنك أنت لا تعرف ما الذي تفعله؟

قال الرجل ببرود وهو يضحك:

أولاً أنتِ من قام بكتابة تلك الأموال باسمي من دون أن أجبرك على شيء، ثانياً أنتِ التي لا تعرفين من أكون؟ ومن أنا؟ ومن أين أتيت؟ وماذا أفعل؟ كيف يمكنك أن تظني أنك صنعتني؟ أنا من صنعت نفسي وأنا من صنعتك طوال تلك السنوات أنا هو المتحكم والمسيطر أنا هو الوحش الأساسي لهذه اللعبة وأنتِ مجرد حيوان مفترس تدرب على يدي!!

بمجرد أن أنهى كلامه أخرج سكيناً ضخماً وغرزه في صدر أمي!! واستمر في طعنها وهيَ تصرخ وهو يضحك طعنها في كل جزء من جسدها حتى وجهها ما يقارب مئة طعنة!! أصبحت الغرفة بحيرة من الدماء!.. كل هذا المشهد حدث وأنا أشاهد كالعادة من كاميرتي الخاصة كنت مصدوماً كلياً جحظت عيناي أنفاسي ضاقت قلبي يخفق بقوة لدرجة شعرت بأنه سيخرج من بين أضلعي إنه نفسه الشعور الذي شعرت به عندما شهدت أول جريمة ترتكبها أمي أمامي والشيء نفسه شعرت بأن أحدهم يراقبني من خلفي رغم أنني كنت تحت السرير لكن هذه المرة كان معي شخص حتى أنني شعرت بأنفاسه! قريبة مني في تلك

المرة سمعته يهمس في أذني بكلمة: «لا تشاهد واخرج من هنا» كان يحذرني لكن الفضول دمرني،، والآن قال لي: «اهرب بسرعة» أيضاً كان يرشدني للهروب لم أفكر كثيراً من صاحب هذا الهمس ولكن اكتشفت واستنتجت فيما بعد أنه كان صوت أمل حياتي كان صوت «أبي»...

لا أعلم ما الذي أفعل؟ أين أذهب وأنا محتجز في هذه الغرفة الصغيرة لا يوجد معي أي سلاح أو شيء أدافع به عن نفسي سوى هذه الملعقة المهشمة! ماذا يمكنني أن أفعل أمام رجل ضخم البنية هكذا؟ بالتأكيد هو الآن بعد أن قتل أمي متوجه إلي أتت إلي فكرة اضطرارية أخذت مجموعة من اللوح التي أرسم بها ووضعتها في مدخل الباب على أمل أن يتعثر بها ولو قليلاً، ووقفت خلف الباب ممسكاً بسلاحي الركيك الذي لا يقتل فأراً حتى! أنفاسي لا أستطيع السيطرة عليها قلبي ينبض بقوة كل أطراف جسدي ترتعش لدرجة أشعر بأن جسدي سيحلق بعيداً! العرق يتصبب مني كالشلالات! متى سيفتح الباب لننتهي من هذا الأمر لنرى هل ستكون النهاية سعيدة أم حزينة؟؟

مضت تقريباً خمس دقائق وأنا ما زلت متسمراً خلف الباب مستعداً للهجوم ما أن يفتح ذلك الوحش الباب لكن لا يوجد أي حس ولا أي صوت! ولم يأتِ إلي أيضاً! المكان يعمه الهدوء رغم ذلك لم أرتح! كنت محتاراً هل أذهب وأنظر من خلال الفتحة التي تحت السرير وأرى إذا كان ما زال موجوداً في الغرفة التي قتل فيها أمي؟ أم انتظر هنا وأبقى على استعداد؟! قاطع

تساؤلاتي صوت قادم من الغرفة المجاورة الغرفة نفسها التي قتل فيها ذلك الوحش شريكته! لم أحتمل ذلك اندفعت بسرعة تحت السرير وزحفت حتى وصلت إلى الفتحة لأرى ماذا يحدث، وبمجرد ما وضعت عيني رأيت ذلك الرجل أحضر العديد من جوالين البنزين! وبدأ يرش الغرفة والمكان بأكمله بما فيها جثة أمي! عرفت بسرعة أنه يريد إحراق كل المنزل، المنزل الذي يحتوي على مئات الجثث! وأعمال السحر! وقطع اللحم والدماء والتعفن والفساد والسواد والذنوب والصرخات والعذاب! يريد أن يمحي كل هذا الظلام للأبد!.. بالطبع بلمحة سيفعل ذلك ويخفي أي دليل يربطه بهذا المكان، زاد التوتر في قلبي إذا لم أخرج من هنا فسأموت حرقاً يجب أن أخرج بسرعة، عدت زاحفاً إلى الخلف وخرجت من تحت السرير لا أعلم ما الذي أفعله؟ الباب حديدي لن يفتح إلا بمعجزة! نعم تذكرت المفاتيح إنها معلقة بخصر أمي رأيتها وهيَ مستلقية ميتة! أستطيع أن أخرج من هذه الحفرة إلى الغرفة المجاورة وآخذ المفاتيح وأفتح باب الغرفة واخرج وإذا لم أستطع وتكون النيران قد التهمت الباب فأنا مجبر أن أعود عبر الحفرة إلى غرفتي لأفتح بابي يجب أن أفعلها بسرعة!

شممت رائحة دخان هذا يعني أنه أضرم النيران! عدت بسرعة أزحف أسفل السرير وأراقبه متى سيخرج من الغرفة وبالفعل أضرم فيها النيران والتقط شيئاً من الطاولة لا أعرف ما هو كنت أفكر في النجاة فقط وأنا أنتظر خروجه فجأة أمسكت

يد أمي بقدمه مع شهقة شهقتها!! فزعت واختل التوازن لدي ومن الواضح أن الرجل أيضاً فزع ثم قالت بكلمات تنازع واستطعت سماعها:

لا تنسَ.. لقد.. لقد لعنتك أنت وأطفالك..!

بعدها فارقت الحياة! لم يهتم الرجل بالطبع وخرج من الغرفة ولحسن حظي ترك الباب مفتوحاً أو لأنه لا فرق لديه لأنه على كل حال سيحرق المنزل كله! بعد ما خرج الرجل انطلقت زاحفاً عبر الفتحة الضيقة التي استغرقت في حفرها ١٢ عاماً بالكامل رغم ذلك كانت ضيقة وواجهت صعوبة في الخروج رغم جسدي النحيل جداً، تعرضت لجروح بسبب ضيق الحفرة لكنني استطعت النجاح خرجت إلى الغرفة الأخرى الغرفة التي كانت بداية نهايتي الغرفة التي رأيت فيها أمي ترتكب جريمة وشاهدتني وبعدها حبستني وسلبت مني كل حياتي وآمالي وأحلامي وطموحي وطفولتي ومراهقتي وشبابي، رغم أن الغرفة كانت مليئة بالنيران إلا أنني تجمدت في مكاني عندما وصلت إلى جثة أمي وكانت مستلقية ميتة بين أقدامي، هذه الأم التي لم تكن لي أماً ولو حتى ثانية واحدة بل كانت وحشاً! هذه الأم التي سرقت مني حياتي وأبي، كنت أشعر بالغضب لأن ذلك الرجل قتلها وليس أنا! أردت أن أقتلها أنا أردتها أن تتعذب أكثر ليس أن تموت هكذا بسرعة وسهولة! قاطع أفكاري وأيقظني من سرحاني صوت الهمسات إنها نفسها الهمسات التي تساعدني أنا أعرف أن هذا أبي يريدني أن أخرج بسرعة من هنا! لذلك بسرعة توجهت نحو

بباب الغرفة وكان السرداب والقبو مليئين بالنيران ولا أثر لذلك الرجل! خرجت بخطوات حذرة ووجدت حديدة ملقاة على الأرض لذا التقطتها استعداداً إذا واجهت ذلك الرجل وصلت إلى القبو كان لم يحترق كثيراً لذا توجهت إلى السلالم وأنا في طريقي لمحت الخزانة التي تمتلئ برسوماتي ولوحاتي على مر السنوات نظرت إليها لا أستطيع أن أرى كوابيسي تحترق! صحيح أنها مزعجة وتعكر صفو منامي وواقعي لكن الرسام لا يستطيع أن يتخلى عن لوحاته! لذلك ركضت بسرعة إلى الخزانة كانت مقفلة بإحكام، تذكرت الفأس وذهبت بسرعة البرق والتقطت الفأس وعدت إلى قفل الخزانة وبدأت بضرب القفل بقوة حتى انكسر وفتحته كانت ما يقارب فوق ال مئة لوحة! كيف سآخذها جميعاً مستحيل سأُحرَق وأنا أحاول إخراج رسوماتي! لكن لن أتراجع حملت مجموعة لوحات وسحبتها عبر السلالم وخرجت من القبو وأيضاً كما كان متوقعاً حتى المنزل بدأ بالاشتعال لكن خطرت فكرة في بالي، باب الشارع الرئيس ما زال بعيداً وعلى ما يبدو أنني نسيت أين يقع لقد نسيت تفاصيل المنزل آخر مرة شاهدته قبل ١٢ عاماً! لذا القبو كان في داخل المطبخ والمطبخ لم يكن يشتعل أو لم تصل إليه النيران بعد وفي المطبخ الباب الخلفي للمنزل الذي يؤدي للخروج هذا الباب الذي كانت تدخل أمي منه ضحاياها، وضعت اللوح التي أخرجتها في المطبخ وكررت الأمر استغرق مني الأمر في إخراج اللوح خمسة تكرارات حتى أخرجتها كلها بقيت لوحة وحيدة والقبو وصل

إلى ذروته من الاشتعال النيران أكلت كل شيء الجدران الأرضية السلالم السقف لكنني ما زلت مصرّاً يجب أن أحضرها! ستسألون لماذا أنا مصر على إحضار هذه اللوحة إنها لوحة واحدة لا بأس إن تركتها لكن لا هذه اللوحة رسمت فيها نفسي نعم هل تعرفون معنى أن يرسم الرسام نفسه؟ ليس كل رسام يستطيع أن يرسم نفسه حتى أنا كنت لا أجيد ذلك لكن بعد مئات المحاولات نجحت، هل تعرفون لماذا رسمت نفسي؟؟ حتى لا أنسى ملامحي أبداً حبست ١٢ عاماً بدون مرآة ولا صورة بالطبع سأنسى ملامحي لذلك رسمت نفسي وكنت إذا كنت على وشك أن أنسى ملامحي أذهب وأخرجها لكي أنظر إليها وأشعر براحة! نعود إلى ذلك الحدث اللوحة أنا أخرجتها من الخزانة فكانت متكئة على السلالم والنيران من حولها تقترب سابقت النيران وكنت حرفياً لا أرى شيئاً عيناي تدمعان وأنفاسي على وشك الوقوع من شدة الاختناق من الدخان! أخيراً وصلت إليها وسحبتها وأنا في طريقي للصعود وقعت بعدها نهضت بسرعة لكن بدون أن أنتبه بعض النيران استطاعت أن تتعلق باللوحة! ما أن خرجت من القبو أخيراً شعرت بحرارة في نصف وجهي الأيسر! كنت غير مستوعب لمست وجهي وازداد حرارة حتى شعرت أن النيران تحرق وجهي لكن نيران خفية!! بدأت أضرب وجهي وأنا أتألم وأصرخ لكن الصدمة عندما لمحت اللوحة كان نصف وجهي الذي في اللوحة يحترق وكانت النيران تضرم به وأنا كنت أحترق معه!!!!

كنت في شدة صدماتي وألمي، كنت في شدة الجنون لكن لا يوجد وقت للاستيعاب والتفكير كل شيء واضح رسمتي تحترق وأنا أحترق معها وإن لم أنقذ نفسي التي في الرسمة فسأموت أنا في الواقع أيضاً! بسرعة سحبت مفرش طاولة الطعام ورميته على اللوحة وبدأت أدوسها حتى انطفأت وعندما أزلت المفرش كان نصف وجهي في الرسمة احترق! وفي الوقت نفسه نظرت إلى مزهرية كانت ملقاة في الأرض وعاكسة كالمرآة رأيت فيها وجهي وكان الشيء نفسه: احترق نصفه! تعرضت خلال ١٢ عاماً لكل شيء فاسد وبشع وقاسٍ ومرعب ومظلم وغريب وصادم لكن كان هذا الشيء أرعب وأغرب شيء حدث لي وهو أول شيء تليه سلسلة أخرى من الغرابة مع رسوماتي وكوابيسي لم أكن أعلم بأن أعمال أمي السوداء ستطاردني للأبد حتى وهي ميتة صرخت بقوة من شدة الصدمة والألم وسقطت مغشياً علي في وسط النيران!....



«الرسم على الموت»

أحياناً نشعر بأن الحياة ليس لها ألوان وأنها دائماً ما تكون أبيض وأسود! الألوان تصنع من قبل البشر، كل شخص يستطيع أن يضيف ألوانه ولمساته الخاصة في حياته، هناك أشخاص يبالغون في زيادة الألوان في حياتهم بشكل مفرط حتى تنقلب حياتهم رأساً على عقب أو تكون مملة وهناك أشخاص يكونون بخيلين في إضافة الألوان إلى حياتهم وهذا ما يهوي بهم إلى كره الحياة والاكتئاب! وهناك أشخاص لا يستخدمون الألوان إلا نادراً أو لا يستخدمونها البتة ويكتفون بالأسود والأبيض ويتركون مجرى هذين اللونين يتحكم بهم وبحياتهم مثلي، لا يوجد أحد في الحياة يستطيع أن يوازن الألوان في حياته أبداً أحياناً علينا رسم لوحة تدلنا على طرق باهرة تؤدي بنا إلى حياة مثالية جميلة، ولكن نفشل في فعل ذلك، لا يوجد لوحة مثالية ولا يوجد حياة مثالية..

كل فنان أو رسام بشكل خاص يستطيع أن يصنع عوالم في باطن اللوحات البيضاء، يستطيع أن يصنع شخصيات وأحداثاً، يستطيع أن يحول من أرض فارغة إلى أرض معمرة في ساعات فقط، يستطيع أن يبتكر عوالم جديدة بدون نهاية، يستطيع أن يعالج الدمار ويحوله إلى جمال، يستطيع أن يسافر إلى كل بقاع الأرض بفرشاة ولون ولوحة فقط، يستطيع الرسام أن يصنع

هل هذا هو اسم عائلتك؟

نعم..

ولكنك أنت لم تكمل لي ماذا حدث لك بعدها وكيف نجوت!؟ وكيف استطعت فعل كل ذلك أقصد مساعدتي في ذلك اليوم! كيف أوهمت الجميع بأنني لم أذهب إلى المعرض؟ هل أنت مشعوذ مثل والدتك؟

لم يرد علي ولم ينظر إلي حتى وهو يهم بالخروج من السطح:

علينا الآن أن تبدأ بربط وحل الألغاز قبل أن تقتلك كوابيسك..

شعرت بأنني كنت وقحة وأنا أطرح هذا السؤال عليه! ولكن كنت مجبرة أرغب بالوثوق به لكن لا أستطيع ولا أعرف ماذا أفعل كل شيء حول هذا الشخص غريب..

نزلت من السطح وعدنا إلى المنزل دخلت إلى المنزل إذ تلقتني تلك الفتاة تتالي وفي يدها كراسة متوسطة الحجم للرسم وعلبة أقلام وألوان قائلة بابتسامة كالعادة:

أخبرني السيد أن أعطيك هذه..

ثم أتى الغريب من الخلف:

عليك أن ترسمي كل كابوس حتى تستطيعي المحافظة على تركيزك..

قلت وأنا أتناول الكراسة:

لكن أظن أنه في الفترة الأخيرة ترفض الكوابيس المغادرة عني حتى أبيع لوحاتي! كيف سأتصرف الآن وأنا لا أستطيع أن أتخلص من اللوحات؟

هل أنتِ سعيدة؟

ماذا؟ ما هذا السؤال الغريب في هذا التوقيت؟!

أقصد هل أنتِ سعيدة وأنتِ تقتلين الناس؟

ماذا؟؟ ماذا تقصد أنت هل أنت مجنون؟ هل تقصد أنا من يقتل الناس؟! كنت تريد مساعدتي قبل قليل لماذا فجأة تتهمني؟!

قال ببرود:

أنا لا أتهمك هذه هي الحقيقة! أقصد أثناء بيع لوحاتك للتخلص من كوابيسك قتلت لوحاتك الأشخاص الذين قاموا بشرائها..

ضحكت بسخرية:

هل كنت تظن أنني أعرف؟ هل أنت مجنون؟ لو كنت أعرف أنه سيحدث هذا ما كنت سأقوم ببيعها..

قال وهو يقترب مني:

لكن صريحين: كنتِ تعلمين في داخلك على الأقل أنه من الممكن أن تحدث أشياء سيئة أقلها أن ينتقل الكابوس إلى صاحب اللوحة، ولكنك استمررت بالبيع حتى تتمكني من التخلص

سكت قليلاً وأنا أفكر في نفسي هل حقاً كنت أنانية! أقصد أنا لم أكن أعلم بأن هذا سيحدث؟ بالطبع لم أكن أريد أن يتأذى أناس أبرياء وكل شيء حدث بسبب خوفي وعيشي في جحيم..

خرجت عن صمتي وقلت له:

أرغب في أن أتحدث إلى أمي، أريد الاتصال بها..

قال:

يؤسفني أنك لا تستطيعين..

لماذا؟

لأنه بالطبع ومن المؤكد ستكون جميع هواتف والدتك مراقبة أنتِ لستِ فقط في قائمة المفقودين بل أيضاً في قائمة المشتبه بهم هل ترغبين بأن يتم القبض عليك؟

قلت بيأس وحزن:

لكن أمي الآن هيَ ستموت خوفاً وحزناً علي، لا تعلم أينَ أنا وما الذي حدث لي يجب أن أتحدث معها قليلاً..

ما رأيك بإرسال رسالة لها؟؟

قفزت نتالي في منتصف حديثنا بحماس لكنها سرعان ما أخفت ابتسامتها وتوترت عندما نظر إليها الغريب بنظرة حادة وكأنه يقول إياك والتدخل،،ثم استرسلت في حديثها بتلعثم:

أقصد.. أقصد ما رأيكما أنا لا يعرفني أحد وأستطيع أن أرسل إلى والدتك رسالة أو أتحدث معها وأخبرها فقط بأنكِ بخير..

توجهت إليها بسعادة:

نعم افعلي ذلك أرجوك سأكون شاكرة لك طوال حياتي..

وهل ستصدقها مثلاً: قال الغريب بغضب..

ماذا؟

والدتك لا تعرف نتالي هل ستصدقها إذا قالت لها فتاة غريبة بأن ابنتها بخير وهيَ معها!؟ ستصعبان الأمور عليها ومن الممكن أن والدتك تبلغ الشرطة على نتالي خوفاً عليك وظناً أن هذه الفتاة الغريبة فعلت لابنتها شيئاً..

نتالي بحزن:

إنه محق علينا أن نبحث عن خطة أفضل..

الغريب بغضب:

لا يوجد أي خطة حول الموضوع السخيف علينا أن نفكر كيف نوقف سلسلة الجرائم هذه أولاً لأن هناك أرواحاً كثيرة ستموت إذا لم نتصرف..

انفجرت غاضبة:

موضوع سخيف!! هل ترى هذا أنه موضوع سخيف؟ أمي ستموت خوفاً علي وإذا لم أتواصل معها قريباً لا أعلم ماذا

سيحدث لها؟؟ هيَ لا تملك أحداً في هذه الحياة غيري،،ولكن ما أدراك أنت عن موضوعات وعلاقة الأم والابن؟

ثم توجهت إلى غرفتي وأغلقت الباب خلفي وجلست على الأرض منهارة أبكي، مشتتة حزينة تائهة مستسلمة، حتى لا أعلم كيف غُشي علي ودخلت في نوم عميق بسبب الليلة الماضية لم أنم جيداً بسبب كابوس «العذاب»..



عوالم جديدة وغريبة ومخيفة وجميلة ومرعبة وعوالم لها وجود وعوالم ليس لها وجود! الرسام هو من يستطيع أن يرسم ويجسد الأحلام والكوابيس في أدق تفاصيلها! الرسام هو فقط من يستطيع أن يرسم حياة كاملة ويتحكم بها ولكن لا يستطيع أن يتحكم بحياته الواقعية! بالنسبة للرسامين الحياة الواقعية هي مثل الكابوس لا يريدون مواجهتها ويرغبون دائماً بأن يعيشوا في اللوحات التي قاموا ببناء حياة كاملة فيها! هؤلاء الأشخاص الذين يرسمون عن الحياة، لكن ماذا عن الأشخاص الذين يرسمون عن الموت..!؟

ماذا عنهم؟!

سألت الرجل الغريب بعد أن انتهى من سرد قصته السوداوية لي والأشياء البشعة التي فعلتها والدته، ثم استمررت بالحديث:

أتقصد أننا أنا وأنت نرسم عن الموت! وهذا الرابط المشترك بيننا؟ لكن هناك أسئلة كثيرة عنك تدور في رأسي!!

قال وهو يهم بالنهوض وينظر إلى شروق الشمس بعد أن جلسنا فوق سطح المبنى:

اكتفينا اليوم من سرد القصص ولكن أعدك بأنني سأجيب عن تساؤلاتك في وقت لاحق! وإذا كنتِ لا تصدقينني أنا وقصتي فكل ما عليك فعله هو كتابة اسم عائلة «الايستر» في الإنترنت وستخرج لكِ جميع المعلومات عنّا..



«آكلــة الأعيــن»

فتحت عينيّ لأجد نفسي في مكان أعرفه! نعم إنه منزلي! وأنا في غرفتي هل هذا حلم سعيد؟ سرعان ما تلاشى هذا الشعور وتبدل إلى شعور الخوف وأن هذا ليس حلماً بل كابوس عندما أدركت أن هناك أشخاصاً يقفون خارج باب غرفتي في وسط الظلام! وفجأة اختفوا بلمحة سريعة! نهضت من على السرير وبدأ قلبي بالخفقان، كنت متوجهة إلى المرسم لكن سمعت صوتاً قادماً من خارج غرفتي، عكست الاتجاه إلى الخارج رغم أنني على وشك الموت خوفاً خرجت إلى وسط الظلام ظلام دامس لدرجة أنني لا أستطيع رؤية كفي، المنزل كله ظلام! استمررت بالسير معتمدة على حاستي أتحسس بيديّ الطريق وكأنني فاقدة للبصر! توقفت لوهلة عندما سمعت صوتاً قادماً من الأسفل صوتاً أعرفه! إنه صوت أمي!! بدأ قلبي ينبض بسرعة من شدة الاشتياق والسعادة عيناي امتلأتا بالدموع، ثم بدأت بمناداتها: أمي،، أمي هل تسمعينني؟ أنا موجودة هنا أمي،، عرفت أنني وصلت إلى السلالم عندما أحسست بقدميّ تهويان وأن هناك نزلة للأسفل وضعت قدمي بهدوء خطوة خطوة بحذر لأحاول أن ألتمس السلالم لكن حدث ما هو متوقع تعثرت قدمي وتدحرجت من السلالم حتى وصلت إلى الأسفل رغم أنه مجرد كابوس في المنام ولكن شعرت بكل عظمة في جسدي وهيَ

تتحطم! ألم لم أشعر به في حياتي الواقعية حتى! وصلت للأسفل وأنا مستلقية لم أستطع الحراك أبداً سوى قلبي ينزف من الألم وعيني تنزفان دموعاً!

هيا يا ماريا تعالي حان وقت الغداء،،

سمعت صوت أمي يردد هذه الكلمات الصوت قادم من المطبخ، أود أن أذهب لكنني لا أستطيع التحرك فجأة رأيت رجلاً يخرج من صالة المعيشة ويتجه إلى المطبخ! من شدة الظلام لم أستطع أن أحدد لا وجهه ولا حتى شكله وملابسه كل ما عرفته أنه رجل ضخم البنية! دخل إلى المطبخ عند أمي حاولت أن أزحف إلى المطبخ لإنقاذ أمي حاولت الصراخ وتنبيهها لكن صوتي اختفى! ما زلت مستمرة بالزحف بسبب جسدي المحطم إلى أجزاء أزحف وأنا أقاوم الألم ما أن وصلت أخيراً ودخلت إلى المطبخ تبدل كل شيء بلمح البصر! تغير المكان وكأنني انتقلت إلى كابوس آخر وعالم آخر! تلفت يميناً ويساراً كان المكان شبه مصنع لكن لا أعلم مصنع ماذا؟ كان كبيراً جداً وموحشاً مظلماً لكن هناك بعض الضوء يخترق النوافذ المحطمة للمكان وهو ضوء القمر!

نهضت من مكاني واستطعت الوقوف على قدمي رغم أن الألم ما زال في جسدي لكن كان خفيفاً، نظرت من حولي لا يوجد أي أثر لأي مخلوق غيري لذا سرت إلى الأمام أحاول أن أنهي هذا الكابوس وأستيقظ، سمعت مرة أخرى صوت أمي!

نعم إنه صوت أمي أيضاً أمي انتقلت معي إلى هنا!! لكن هذه المرة كانت تصرخ بدأت بالركض نحو الصوت حتى وصلت إلى ساحة كبيرة وواسعة جداً، كانت في المنتصف أمي تجلس على كرسي ومقيدة في الكرسي كل من يديها وقدميها! عندما رأيتها جن جنوني وصرخت أناديها: أمي انتظري أنا قادمة..

خطوت خطواتي الأولى لكن سرعان ما توقفت في صدمة عندما رأيت امرأة تتجه إلى أمي الصدمة ليست هنا الصدمة كانت في شكل تلك المرأة أو المخلوقة أو الوحش لا أعلم!! كانت امرأة طويلة الحجم نحيلة جداً كالعصا الخشبية، شعرها قصير أو بالأحرى ممزق وكأن أحداً ما مزقه لها بعشوائية! يداها ليستا بالحجم الطبيعي كف يدها كانت عملاقة! ملامحها عادية وعيناها يكسوهما البياض بدون سواد! لكن هنا الجزء الأهم كانت عارية وكل ما ترتديه هو الأعين!! نعم كان جسدها مليئاً بالأعين أعين كبيرة جداً تمتد من وجهها حتى أسفل جسدها! كل الأعين التي بجسدها كانت تنظر إلي بشكل مخيف ومرعب وهيَ كانت متجهة إلى أمي بخطوات سريعة ومخيفة، حتى وصلت إلى أمي بسرعة وأنا ما زلت في مقدمة الساحة، أمسكت بأمي من رقبتها وقالت بصوت مخيف:

أعطيني عينيك سداداً لدينه!!

وانتزعت عينيْ أمي أمام عينيّ في مشهد مرعب !! وأنا أصرخ بكل قوتي! والغريب أنها كانت تنزع عينيْ أمي وهيَ

تضحك وأمي تضحك أيضاً!! أنا الوحيدة التي تصرخ وتبكي! حتى سقطت على الأرض وعاد الألم إلي ألم تحطيم العظام! لم أستطع التحرك واكتفيت بالبكاء! انتهت تلك الوحش من انتزاع عينَيْ أمي وابتلعتهما أمامي. وما أن ابتلعتهما زرعت عينان جديدتان في جسدها هما أنفسهما عينا أمي!! بعدها تقدمت إلي مبتسمة وأنا مستلقية على الأرض غارقة في فزعي ودموعي وألمي ورعبي وخوفي! وصلت إلي وانحنت بجسدها الطويل على جسدي واقتربت بوجهها إلى وجهي حتى شعرت بأنفاسها وقالت:

عيناك جميلتان،، أعطيني هيا حان وقت السداد لدينه. كما اقتلع عينَيّ يجب أن آخذ عينيك!!

ومدت يديها الضخمتين إلى عينيّ، أدخلت أصابعها الطويلة في عينيّ كنت أشعر بكل أصبع في رأسي صرخت وصرخت من شدة الألم حتى أخيراً صرخت صرخة الاستيقاظ واستيقظت من هذا الكابوس الطويل الكابوس الذي شعرت بأنه لن ينتهي، الكابوس الذي أخذ مني أشياء كثيرة أخذ عظامي وروحي ونفسيتي وصحتي وجسدي وعينيّ وأمي..!

استيقظت وأنا فاقدة لكل المشاعر ولم أبكِ ككل مرة كنت فقط أتصبب عرقاً كالعادة، وأتنفس بثقل، نظرت من حولي لأرى الغريب وتلك الفتاة نتالي يقفان بجانبي وينظران إلي، كسرت نتالي الصمت كالعادة وهيَ تمد كوب ماء نحوي:

هل أنتِ بخير؟ تفضلي اشربي ستشعرين بتحسن..

تناولت من يدها الماء بيد ترتعش وشربته كله كنت أشعر بالعطش الشديد وكأنني كنت تائهة في صحراء لعشرة أيام، أعطيتها الكوب لكن قلبي عاد ينبض بسرعة عندما لمحت كدمة على يدي! بعدها كشفت على أنحاء جسدي وكان مليئاً بالكدمات أيضاً، وكنت أشعر بـ ألم في كل أنحاء جسدي!!

لا بأس لا تفزعي هذا طبيعي على ما يبدو مررت بهذه التجربة سابقاً!

قال الغريب وهو يتقدم نحوي ويعطيني هاتفاً نقالاً: تفضلي ستحدثين إلى والدتك دقيقة واحدة فقط اتفقنا..

شعرت بأن روحي عادت إلي أخيراً لم أشعر بهذا الشعور منذ فترة طويلة، أخيراً سأسمع صوت أمي، تناولت منه الهاتف وأنا أردد:

حسناً دقيقة واحدة أعدك بذلك..

قال الغريب وهو يهم بالخروج مع نتالي لتركي وحدي:

تعرفين ما ستقولينه لها بدون أي تفاصيل فقط طمئنيها عليك ولا تنسي دقيقة واحدة لأنك إذا استغرقتِ وقتاً أكثر فمن الممكن أن الشرطة سترصد المكالمة..

رن الهاتف وخلال سماعي للرنين مع كل رنة قلبي ينبض بشدة من التوتر! كيف سأستقبل صوت أمي؟ وبكاءها؟ أسئلتها؟ وكل

ذلك!! أخيراً رفعت السماعة أتى صوتها إلى قلبي كبلسم الشفاء من كل هذه الفوضى:

ألو...

لم أستطع أن أتحدث واكتفيت بالصمت والدموع تنهمر من عينيّ..

ألو ...

قالتها أمي مرة أخرى مع « من هناك »؟ وأيضاً لم أستطع التحدث، واكتفيت بالبكاء!!

ماريا!! ابنتي؟ هذه أنتِ أليس كذلك؟؟

عرفت أمي صوت أنفاسي وحدها الأم تعرف صوت أنفاس ابنها، انهارت أمي باكية وهيَ تردد: الحمد لله، الحمد لله أنتِ حية أنتِ بخير أليس كذلك؟

قلت بصوت مخنوق:

بلى أمي أنا بخير لا تخافي..

أرجوك يا ابنتي أخبريني أين أنتِ وأين صديقتك روجينا العالم يبحث عنكما؟؟

عندما سمعت اسم «روجينا» انهرت باكية مستأنفة حديثي سريعاً:

أمي اسمعيني جيداً أنا بخير وهذا الأهم لا أستطيع أن أخبرك كل شيء ولكن أنتِ تعرفين أن الشرطة تتهمني في سلسلة جرائم

تمق التي بسبب لوحاتي ومن الممكن أن يترصدوا المكالمات بيننا لذلك حتى يأتي وقت إثبات أنني بريئة ساعود للمنزل لا تقلقي علي هنا أشخاص يقومون بمساعدتي أنا لست وحدي، ولكن أود أن أخبرك بأنه يجب أن تغلقي المرسم أفضل ولا تدخلي إليه حسناً؟!..

قالت أمي باستغراب:

ولكنْ هناك شيء لا تعرفينه!! قبل يومين أحدهم دخل المنزل وسرق جميع لوحك ولم يبقَ حتى نصف لوحة!!

ماذا؟؟

نعم هذا ما حدث وعندما أتت الشرطة وكانت ترغب في التحقيق والنظر إلى لوحاتك لم تجد أي شيء!

حسناً أمي لا تقلقي الأهم الآن لا تبقي في المنزل وحدك اذهبي لمنزل خالتي أرجوك..

هل يجب أن تقلقي بشأني؟ وأنا ماذا أقول؟ أنا هنا أعيش في صراع وعذاب نفسي وأنا أنتظر عودتك للمنزل، أرجوك يا عزيزتي عودي فوراً الشرطة ليس معها أي دليل على أنك القاتلة!

أعلم أمي لكن أنتِ لن تفهمي ذلك أنا أوذي كل من حولي عن طريق كوابيسي لذلك من الأفضل أن أحل كل هذه الأمور وأنا بعيدة عنكِ حتى لا يصيبك أذىً والآن أمي يجب أن أغلق

الخط سأحاول الاتصال بك مرة أخرى أحبك كثيراً أعدك بأنني سأعود سالمة وداعاً..

أغلقت الخط بسرعة حتى لا تسألني أمي أسئلة لا أستطيع الإجابة عنها، ماذا يمكنني أن أقول لها ومن الناس الذين يساعدونني! حتى أنا لا أعرف من هم؟ وكل شيء بكفة وروجينا بكفة أخرى!! ماذا أخبرها عن روجينا وكيف ماتت؟ والطريقة البشعة التي ماتت بها! ولا أعلم حتى أين جثتها! كل شيء يحدث معي لا أعرف ما هو؟ لذا ما الذي سأخبرها بالضبط!!؟



«كابوس مقابل لوحة ولوحة مقابل روح»

أحياناً أتساءل ما هو ذنبي في كل هذا؟ ما الذنب الذي اقترفته؟ وما هو الجرم الذي ارتكبته ليحدث معي كل هذا؟ كنت سعيدة لأنني لدي موهبة مثل موهبة الرسم ولكن أظن أن موهبة كهذه يجب أن يدفع الإنسان عليها ضرائب! ليست ضرائب نقدية بل ضرائب نفسية وصحية وجسدية! أعرف جيداً أن لوحاتي وموهبتي مسكونة بكوابيسي، أنا أعيش في دوامات كوابيس بلا نهاية، كوابيسي التي جعلت لوحاتي مصدر تعاستي!

دخل علي الغريب بعد الانتهاء من المكالمة مع أمي، مد يده ليأخذ الهاتف مني، ناولته الهاتف وأنا أقول بتهكم:

ماذا! هل أنا سجينة هنا؟

الغريب وهو يتناول الهاتف ويرميه في المدخنة ويراقب النيران وهيَ تلتهم الهاتف:

لا.. لكن ستكونين سجينة قريباً لأن هناك جريمة جديدة حدثت اليوم وهيَ متعلقة بإحدى لوحاتك!

صعقت عندما سمعت كلماته وقفزت من مكاني رغم ألم جسدي:

ماذا!!؟ ماذا تقول؟

أخرج الغريب هاتفاً محمولاً وفتح الأخبار من الإنترنت وعرضها علي،،! كانت الجريمة على رجل يعمل في التجارة يبلغ من العمر ٣٣ عاماً وكان يملك لوحة من لوحاتي وهي لوحة «الدامي» كانت اللوحة عبارة عن رجل غارق بدمائه، شاهدت هذا الكابوس تقريباً من سنوات ورسمته أيضاً من سنوات وبعت اللوحة تقريباً قبل ثلاث سنوات أي قبل أن تبدأ معي هذه الأحداث وتخرج الكوابيس إلى واقعي!! غريب! إذاً الجرائم ستسير على جميع اللوحات حتى التي رسمتها قبل سنوات؟ اللعنة إن هذه اللعنة تمتد وتتمادى أكثر وأكثر كيف سأستطيع إيقافها وأنا لا أعرف سببها!؟

يجب أن نعرف من أين بدأت هذه اللعنة وكيف؟

قاطع الغريب أفكاري،، ثم قلت:

لماذا تساعدني؟ هل تظن أن هذا له علاقة بك؟

الغريب:

نعم بالطبع..

كيف؟ وأي علاقة تربطني بك؟! أنت أيضاً كنت تشاهد الكوابيس وتقوم برسمها لكن لم تحدث سلسلة جرائم كهذه أليس كذلك؟

بلى حدثت..

قلت بدهشة:

ماذا؟؟

ضحايا والدتي! جميعهم كنت أراهم في كوابيسي قبل أن تحضرهم إلى المنزل وكنت أرى طريقة موتهم أيضاً فعلت ذلك أول مرة مع ضحايا لم أكن أعلم وقتها بأن أمي تقتل الرجال، رأيت ذلك الشاب الوسيم اليافع في كابوسي كان يصرخ وشاهدت أمي تتقدم إليه وتنزع ملابسه عنه، وتبدأ برسم رموز غريبة على جسده حتى تحرقه! وقتها كنت أظن أنه كابوس عادي ولأنني أكره أمي وأعاملها كالوحش لذلك رأيت هذا الشيء، لكن صعقت عندما عدت في أحد الأيام من المدرسة وشاهدت ذلك الشاب في منزلنا كان ثملاً ويرقص مع والدتي وكان هناك أيضاً غيره لكن الجميع غادروا وهو لم يخرج أبداً من المنزل! حاولت عدم التصديق وتجاهلت الأمر لكن تكررت معي الكوابيس عن أشخاص يموتون تحت يد والدتي بعدها فقط بسنتين اكتشفت والدتي بالقبو وشاهدت أول جريمة أراها على أرض الواقع تفعلها وبعدها حبستني وأنتِ تعلمين ما حدث بعد ذلك..

قلت بغضب:

لقد كذبت علي! إذاً لماذا تماطل أنت لم تخبرني بهذا الشيء؟ وعلى ما يبدو أنت تخبئ أشياء كثيرة عني أليس كذلك؟!!

قال ببرود كالعادة وهو يخرج من الغرفة:

أنا لست مجبراً لأخبرك بكل شيء عن حياتي إلا إذا اضطر الأمر لذلك هذا ليس وقت العتاب هناك أناس كثيرون سيفقدون حياتهم إن لم نوقف كوابيسك عن قتلهم، الآن اتبعيني دعينا ننفذ بداية خطتنا..

خطتنا!؟ ما الذي سنفعل؟

خرجت خلفه إلى صالة المعيشة تلك الصالة التي كانت بحجم قصر المنزل كله وكأنه قصر عتيق! على ما يبدو مكان مناسب للاختباء،

تعالي.. قالها الغريب وهو يشير إلى رجل عجوز يجلس على المكتب وممسك بكتاب، يلبس نظارة طبية شعره اكتسى باللون الأبيض، التجاعيد غطت ملامحه، لكن ما وضح لي أنه ما زال قوي البنية وضخماً وعريض المنكبين رغم كبر سنه..

من..؟ من هذا؟

الغريب:

إنه السيد "روجس" هو من قام بالاعتناء بي بعد حادثة الحريق في منزلي..

السيد روجس وهو يهم بالنهوض ويمد يده لي للمصافحة: مرحباً آنسة ماريا كنت متحمساً كثيراً للقائك! أقصد في ظروف أفضل من هذه..

صافحته قائلة:

لا بأس أهلاً بك..

تفضلي بالجلوس..

جلسنا جميعاً في صالة المعيشة، قال السيد روجس وهو يخرج كتاباً أحمر قديماً من درج المكتب:

كل الأشياء التي تحدث معك هيَ مشابهة للأحداث التي حدثت مع «ليامز»..

قلت باستغراب:

من!؟

ثم عمت لحظة هدوء عندما رأيت العجوز والغريب ينظران بعضهما في بعض، عرفت أن الغريب اسمه الحقيقي هو «ليامز»! لم يخبرني أبداً عن اسمه ولم أسأل أنا أيضاً، كسر الصمت العجوز مجدداً:

«ليامز» لم يخبرك عن اسمه الحقيقي أتفهم ذلك فهو يكرهه كثيراً ويفضل أن يكون بدون اسم.. قاطع ليامز العجوز وبدا عليه الضجر:

دعنا ندخل في الموضوعات المهمة يا سيد روجس!

قال السيد روجس مبتسماً ببرود:

أوه بالطبع..

لا أعرف من أين أبدأ لكن كل ما توصلنا له خلال هذه السنوات من البحث عن حالات الكوابيس التي تتحقق أن نسبة تحققها ٨٪ فقط! هذه الحالات في العالم نادرة وضئيلة أيضاً لا يوجد مثل حالاتكما كابوس يتحقق ويؤدي إلى قتل شخص آخر! ليامز بدأ ذلك لديه من بعد صدمة مثلاً صدمته الأولى باكتشاف حقيقة أمه! لكن لا، لا يمكن أن يشاهد الأشخاص الذين سيموتون أو قبل موتهم بفترة هذه تسمى رؤىً على هيئة كوابيس

وهذا كله احتمال! أما أنتِ فتشاهدين أشخاصاً لا تعرفينهم ويكونون مشوهين مثلاً لكن الأشخاص الذين يموتون في الواقع مختلفون ليسوا هم أنفسهم الذين شاهدتِهم في الكوابيس ولكن الرابط أنهم يموتون بالهيئة نفسها! أيضاً بدأ معك هذا الشيء قريباً ليس ببعيد السؤال لماذا الآن فجأة؟ بالطبع لا تعرفين الإجابة ولكن سنحاول معرفتها فقط أخبريني أولاً متى بدأت معك كوابيسك تنتقل إلى الواقع!؟

أمممم.. صراحة أتذكر عندما قررت أن أعيش حياة طبيعية..

ماذا تقصدين؟

أقصد أغلب فترات حياتي كنت منعزلة في منزلي وغرفتي بسبب كوابيسي وفي الفترة الأخيرة بعد صراع وعلاج مع طبي وإصرار أمي وعائلتي وأصدقائي أنني يجب أن أعيش حياة طبيعية وأكون أكثر اجتماعية بدأت من هنا تخرج كوابيسي من أرض الكوابيس إلى أرض الواقع! كنت أظن أن كل شيء سيكون بخير إذا خرجت من عزلتي لكن الأمور أصبحت أسوأ!..

هذا يعني وكأنك عندما تحررتِ تحررت كوابيسك معك!!

بالضبط..

العجوز وليامز يتبادلان النظرات بعضهما إلى بعض! نظرت إليهما وأنا غير فاهمة ما الذي يحدث؟ ثم كسرت الصمت:

هل هناك شيء؟ هل توصلتما لشيء؟؟

السيد روجس:

صراحة غير مؤكد كل ما نضعه احتمالات! حسناً أنتِ تعرفين تفاصيل قصة والدة ليامز وما فعلته؟

نعم.. لكن ليس كل التفاصيل..

حسناً كما تعرفين أن والدة ليامز، لم يكمل حديثه السيد روجس، حتى صرخ فجأة ليامز بغضب:

توقف عن قول والدة ليامز، والدة ليامز!! سمّها تلك المرأة تلك الوحش سمّها ما تشاء لكن توقف عن تكرار هذه الكلمة..!!

روجس وهو يقف ويتجه إلى ليامز: 14

اهدأ ما خطبك؟ أعتذر إن ضايقك ذلك..

أنت تعرف أنه يضايقني دائماً وإلى الأبد؟!

نعم أعرف، ولكن الآن كنت أشرح لهذه الفتاة التي لا تعرفنا ولا تعرف شيئاً.. عليك أن تتحكم بأعصابك يا بني..

خرج ليامز من غرفة المعيشة وتركنا أنا والسيد العجوز، هذه كانت أول مرة أرى الرجل الغريب أو ليامز غاضباً هكذا! بدا عليه أنه مضطرب نفسياً وغريب أطوار بالطبع هذه الصفة عرفتها في أول لقاء بيننا، وأيضاً السيد روجس شعرت بأنه غريب أطوار وهالته غير مريحة! لم أعد أعلم صراحة أين الصح وأين الخطأ؟ أين الصالح وأين الطالح؟ كل ما أريده أن أنتهي من هذا الكابوس وجميع الكوابيس وأعود إلى أمي..

عاد السيد العجوز وجلس على الكرسي ثم أكمل حديثه معي:

«اليامز» صراحة يتحسس كثيراً من ذكر والدته أمامه هو يكرهها بشدة..

قلت:

بالطبع يكرهها هيَ لم تكن أمّاً بقدر ما كانت له ألماً وكابوساً لقد حرمته من والده وحياته،،

وتصف وجهه!! قالها السيد العجوز واسترسل في حديثه:

هذا ما أريد أن أصل إليه، والدة ليامز عندما حبسته خوفاً أن يخرج ويفضحها كما تعلمين كانت تمارس السحر الأسود لذا عندما حبسته ألقت عليه سحراً ليربطه بذلك المكان للأبد حتى لا يخرج!

قلت باستغراب:

لكنه في نهاية الأمر استطاع أن يخرج! وأيضاً هيَ ماتت..

السيد العجوز:

بالضبط خرج لأنها ماتت لكن اللعنة ما زالت مستمرة معه هل تظنين أنه بدأ بمشاهدة الكوابيس هكذا فجأة؟ لا بالطبع كان بسبب سحرها هذا جعلت «اليامز» يرى كوابيس تربطه بذلك المكان ويرى الضحايا سواء ضحاياها أو أشخاصاً آخرين على وشك الموت! وهذه الكوابيس تتحقق وغير أنها تتحقق تستمر بتعذيب «اليامز» وتخرج معه على أرض الواقع كما يحدث معك الآن ولكي يتخلص منها عليه أن يرسمها، أيضاً لم يستطع ليامز أن

يفقد أي أحد من الموت لأنه القدر بالطبع لكن استطاع أن ينقذ شخصين فقط في حياته ،،

من هما!؟

لم أكمل سؤالي إلا فجأة فقدت البصر بدون سابق إنذار!! فجأة أصبحت الرؤية لدي معدومة! أصبحت أرى ظلاماً معتماً فقط!!

قلت بتوتر:

يا إلهي سيد روجس من قام بإطفاء الكهرباء؟؟

السيد روجس باستغراب:

ماذا تقصدين؟ لم يطفئ أحد شيئاً!! الأضواء ما زالت شغالة هل أنتِ بخير؟؟

ماذا تقصد؟ لكن.. لكن أنا لا أرى شيئاً!! نهضت من مكاني وأنا أرتعش تعثرت بالأشياء التي أمامي ووقعت وأنا أصرخ وأتحسس بيدي أنا لا أرى شيئاً!! لماذا لا أرى شيئاً!؟

قام السيد روجس بإمساكي وبمناداة تتالي وليامز، أمسك برأسي وهو يقول:

ماريا اهدئي، إنه مجرد وهم لا تصدقي ذلك خذي نفساً وأغمضي عينيك وافتحيهما كرري هذه الخطوة تنفسي وأغمضي عينيك وافتحيهما،،كررت هذه الطريقة حتى عاد إلي النظر تقريباً بعد دقيقة كاملة كانت دقيقة واحدة وأنا فاقدة البصر شعرت وكأنها كانت عاماً كاملاً وأنا في الظلام..!

بعد أن هدأت قليلاً استوعبت أن كابوس المرأة التي أخذت عينَي أمي لم أقم برسمه! لذلك ما زالت الأحداث تحدث معي في الواقع! يجب أن أتخلص منها في أسرع وقت..

قاطع أفكاري ليامز قائلاً:

يجب أن ترسميها وإلا فستنتهي حياتك..

نعم أعلم،، ولكن يجب أيضاً أن أتخلص من اللوحة!

السيد روجس:

لا تفكري بذلك الآن أنتِ فقط قومي برسمها بعدها اتركي الأمر علي..

توجهت إلى الغرفة بسرعة والتقطت كراسة الرسم التي أحضرها لي ليامز وجلست إلى المكتب وبدأت برسم تلك المرأة التي أسميتها «آكلة الأعين»..



«بدايـــة الحقيقــة»

انتهيت من رسم آخر رسمة في ست ساعات متواصلة بدون أن ارتاح! بعدها دخل علي «اليامز» وهو يحمل في يده كوب قهوة وقارورة ماء وضعهما على الطاولة أمامي:

لا أعرف إذا كانت هذه قهوتك المفضلة أو لا،،

لا أشرب كثيراً القهوة الساخنة دائماً ما أشرب القهوة المثلجة لكن لا بأس ستفي بالغرض..

سنشتريها لكِ عندما نغادر الآن..

قلت بتعجب:

نغادر؟! أين؟

يجب أن نبحث عن شخص وهو يملك الحقيقة!

شخص! من هو؟

الرجل الذي كان يساعد أمي في جرائمها والذي قتلها، وأخذ معظم أعمال السحر معه لا أشك بأنه هو من علمها أيضاً هو كان الرأس الكبير بالتأكيد يعرف خلاصي من هذه الكوابيس التي ربطتني أمي بها..

وأنا!! ما علاقتي بالأمر؟ أقصد إذا كان سبب كوابيسك لعنة من والدتك، فأنا ما سببها..؟

حتماً سنعرف ذلك أنتِ مرتبطة بي بشكل من الأشكال..

وكيف عرفت ذلك؟

بسبب كابوس ما!!

تقصد أننا بيننا كابوس مشترك؟ أو أنك رأيتني في كابوس وضح أكثر!؟

لا أستطيع أن أخبرك بشيء الآن حتى أتحقق سأجعلك ترتاحين الآن بعد ساعتين كوني مستعدة سنذهب أو سنسافر إلى منطقة «زورين»..

بلدة «زورين»!! لماذا؟

إنها منطقتي ومحل تربيتي هناك كبرت وهناك عشت في الجحيم مع والدتي..

بالتأكيد ستشعر بالتعاسة لأنك ستعود إلى هناك!

بالطبع فأتعس لحظات حياتي كانت هناك، وأسعدها كانت في أحلامي النادرة حتى أحلامي لم تكن إلا مجرد كوابيس.. إذا انتهيتِ من الرسمة يمكنك إعطاؤها للسيد «روجس»

لحظة.. لكن ما الذي سيفعله بها السيد «روجس»؟

سيحاول أن يعطل كوابيسك وأن لا تزعجك في الواقع بشكل مؤقت على الأقل حتى تحل الأمور..

وكيف سيفعل ذلك؟؟

بعض الأسئلة ليست لها أجوبة..

ماذا تقصد؟ أنت وذلك السيد العجوز الغريب لا تعطياني أي أجوبة واضحة منذ قدومي إلى هنا!!

حسناً دعيني أخبرك بشيء! هل ترغبين في العودة إلى حياتك الطبيعية؟ أم لا؟

بالطبع أرغب!!

إذاً عليك ألا تسالي عن أي شيء نقوم به ونحن لسنا هنا لأذيتك أيضاً انا أحتاج لحياة طبيعية لن أقول عودة لأنني منذ ولادتي لا أملك أي حياة طبيعية لذلك أود أن أملك واحدة على الأقل لفترة قصيرة قبل موتي هل تفهمين ذلك..؟!

حسناً لدي سؤال أخير:

تفضلي

هل تعرف من يكون «دانيال»؟؟

شعرت بأن ملامح «ليامز» تغيرت فجأة! لم أستطع أن أفسرها؟

وأين سمعتِ بهذا الاسم؟

قبل مقابلتك وقدومي إلى هنا كان يوجد بعض الناس في مواقع التواصل الاجتماعي يقولون بأن هذه الجرائم تشبه سلسلة جرائم دانيال أو بيكاسو القاتل أو رسام الموت هذا ما كان لقبه! لكن لم أستطع أن أبحث عن أي شيء يخصه لأنني ذهبت إلى مقابلتك..

لم يجبني «ليامز» واكتفى بالابتسام رأيته يبتسم من خلف القناع ابتسامة مريبة لذا قلت:

لماذا تضحك؟؟

ليامز:

لا شيء لا أعرف من يكون هذا الشخص..

انتهى من كلماته وخرج من الغرفة وتركني كالعادة بمشاعر ملخبطة، هل أثق به؟ أم أشفق عليه؟ أم أخاف منه؟ في نهاية الأمر ككل مرة أتوصل إلى نقطة لا مفر منها وهيَ أنني لا أملك إلا خياراً واحداً وهو السير برفقتهم..!

سلمت الرسمة إلى السيد روجس، بعدها خرجنا أنا وليامز وتالي والسيد روجس بقي في المنزل، صعدنا إلى السيارة كان الوقت في الساعة الثامنة مساء أي أنها ستكون رحلة ليلية، ما اكتشفته ولاحظته مؤخراً أن ليامز لا يخرج إلا في الليل لا أعلم السبب؟! جلست أنا في المقعد الأمامي وتالي في الخلف لأنها طلبت مني ذلك، سرنا قرابة ثلاث وثلاثين دقيقة كانت عبارة عن صمت لم يتحدث أي منّا حتى كسر الصمت صوت رنين هاتف تالي،،

مرحباً ،،

أوه نعم أنا «تالي» نحن في طريقنا إلى هناك الآن..

أغلقت تالي الخط، بعدها نظر ليامز إلى المرآة مخاطباً تالي:

هل هو جاهز؟

نعم قال لي إنه ينتظرنا في المكان نفسه..

شعرت نفسي كالمزهرية:

من؟ من هو؟!

ليامز:

إنه شخص سيساعدنا للدخول إلى القرية..

لماذا؟ لا أفهم! أليست البلدة مفتوحة!؟

لا.. أصبحت القرية مهجورة الآن وتم إغلاقها من الحكومة من سنوات بسبب سلسلة الجرائم، وأساساً من سيبقى فيها وهيَ أصبحت مكاناً مغطىً بالدماء ولحوم البشر والسحر الأسود وغيرها؟!!

إذاً ماذا ستعرف أو ماذا ستجد في قرية مهجورة وخصوصاً منزلك لقد قلت لي إنه احترق بالكامل؟!

لا ليس بالكامل عندما نصل إلى هناك سأشرح لكِ كل شيء..

ولكن لماذا أشعر بأنني مزهرية؟!! طوال الوقت أنت وذلك السيد تقولان بأنكما ستشرحان لي كل شيء!!؟ متى؟

يا إلهي! قاطعتنا نتالي..

ليامز: ما الأمر؟

نتالي وهيَ تتصفح الهاتف:

لقد حدثت جريمة أخرى من سلسلة جرائم اللوحات التي تخص ماريا!

أصبت بصدمة ككل مرة وغصة في قلبي ومشاعر خوف ورهبة شعرت بأن الأرض تدور بي! بدأت يداي ترتجفان بدون توقف، أصبحت فجأة لا أعي ما حولي رغم أن ليامز ونتالي كانا يتحدثان في القصة لكن أصبحت لا أسمعهما! شعرت بغثيان ودوار، دقات قلبي أصبحت ثقيلة كأنفاسي، حتى فجأة فقدت الوعي!!

1

«قبر من الجثث»

فتحت عيني وأنا أشعر بجميع مفاصل جسدي محطمة أشعر بأنها ثقيلة لا أستطيع أن أحرك لا يديّ ولا قدميّ ولا أي عضو في جسدي! وكأنني مصابة بشلل كامل، لا.. استوعبت أن هناك شيئاً فوق جسدي أو أشياء لذلك لا أستطيع التحرك! حاولت أن أحرر يديّ من تحت الركام ركام لا أعرف إلى أي شيء يعود؟ إنه ليس حجاراً أو رملاً أنا واثقة! لكن ما هذه الأشياء التي تستقر فوقي! أخيراً حررت يدي اليمنى بعد أن سحبتها من تحت ثقل، وحررت يدي اليسرى، واستطعت سحب قدميّ ما زال فوقي!! فوقي!! جثث!!... كنت مغطاة بالجثث!!

أنظر بعينيّ من حولي كنت في مكان مثل البئر الكبيرة الضخمة الواسعة أو فجوة، كان المكان ممتلئاً بشكل غير طبيعي بالجثث جثث جثث لا تعد ولا تحصى لدرجة لا أستطيع أن أضع قدميّ على الأرض! لا أستطيع أن أدوس إلا على بطن أو رأس أو يد أو وجه جثة صرخت بكل قوة أملكها صرخت وصرخت لا يوجد غير صدى صوتي وصوت دقات قلبي وأنفاسي بدأت أدوس على الجثث محاولة الركض وأنا أشعر بأن قلبي سيخرج من مكانه هل تعرف معنى شعور أن تسير على جثث؟ لا بالطبع لا تعرفه ولا أستطيع أن أصفه وكأنك تسير على أرواح على قلوب وعلى عقول وعلى أحشاء ولحوم ودماء!

لا أعرف أين المخرج ولا أعرف أين المهرب؟ استمررت بالركض والتعرقل بين الجثث وأنا أصرخ طالبة النجدة وأبكي حتى فجأة شيء ما أوقفني عن التحرك أو يد أمسكت بقدمي التفت ببطء حتى رأيت شخصاً ممسكاً بقدمي رغم حفرة الرصاصة التي في منتصف جبهته إلا أنه ما زال يتحدث قائلاً:

ساعديني أرجوك،،ساعديني إنه قادم!

سألت وأنا أرتعش:

من.. من هو!؟

الموت!!

ما أن انتهى من جملته حتى اقتحم المكان المعتم ضوء ساطع جداً، كان قادماً من الأعلى أو من سقف الفجوة إنه ضوء الشمس أحد ما فتح حفرة الجثث نظرت إلى الأعلى ووضعت أطراف أصابعي على عيني كانتا تؤلمانني من قوة ضوء الشمس أحاول أن أرى من الذي في الأعلى! وأخيراً اتضحت الرؤية كان يقف رجل طويل القامة ضخم البنية يرتدي أسود في أسود! لم أستطع تمييز مظهره كثيراً لأنه بعيد لكن ما لفت انتباهي قناعه! كان يلبس قناعاً! قناعاً مرعباً شكله مخيف لونه أحمر مع عينين سوداوين وكأنه وجه شيطان!! نظر إلي مباشرة بعدها ذهب غاب تقريباً عشر ثوانٍ ثم عاد لكن لم يعد وحده! سمعت صوتاً أعرفه! إنه صوت آلة أو سيارة الحرث التي تحمل أو تجرف

الرمل! رأيت ظلها العملاق وهو سبقه ووقف ينظر إلي وكان يبتسم أقصد القناع كان يتبسم رغم أنه قناع!! دقات قلبي أصبحت سريعة كسرعة البرق أنفاسي تختفي ببطء قدماي لم تعودا تحملانني من شدة الخوف، ارتفعت الحراثة لكي تفرغ ما بداخلها وكان ما بداخلها ليس رملاً بل جثثاً! وأفرغت الحراثة الجثث وكأنهم حبات رمل وأتت فوقي مباشرة وأنا أصرخ وأصرخ حتى هبطت كلها على جسدي ودفنتني! دفنت في هذا الكابوس بالجثث..!

استيقظت أخيراً وأنا أصرخ وكانت تتالي تحاول تهدئتي:

ماريا اهدئي إنه مجرد كابوس..

فتحت عينيّ لأرى نفسي في شقة صغيرة تبدو كئيبة لكنها طبيعية وتالي تجلس بجانبي ومعها كوب ماء قالت وهيَ تناولني:

تفضلي..

قلت وأنا أتناول كوب الماء ويدي ما زالت ترتعش:

أين نحن؟؟

لقد فقدت الوعي بالسيارة لذلك من حسن الحظ كنا قريبين من شقة صديقي "توماس" الذي تحدثت معه سابقاً هو سيأتي معنا وهو من سيدخلنا إلى البلدة..

آه تذكرت! لقد فقدت الوعي بعد ما قلتِ بأن جريمة جديدة حدثت أليس كذلك؟!

نتالي بتردد:

.. بلى، أعتذر ما كان يجب أن أنقل لك الخبر هكذا فجأة مراعاةً لنفسيتك..

لا بأس في كل الأحوال الجرائم ليست الوحيدة التي تسبب في انقلاب نفسيتي وحياتي. على العموم أين ليامز؟

نتالي بنظرات متوترة:

صراحة لا أعلم ما الذي اقوله؟ لكن ليامز سيخبرك بكل شيء..

قلت بخوف:

ماذا حدث؟ هل حدث شيء لأمي؟؟

لا لا، لم يحدث شيء لوالدتك إنها بخير ولكن ،،

ولكن الشرطة الآن أصبحت تبحث عنك بكل جدية، وأيضاً تم التعميم عن اسمك وهويتك وتفاصيل حياتك أي أنتِ مطلوبة بشكل رسمي ماريا..

دخل علينا ليامز بهذه الكلمات القاسية التي شعرت بعدها بأنه انتهى كل شيء حياتي تدمرت مستقبلي وحاضري وكل شيء! أنا الآن مطلوبة أي أنا الآن قاتلة في نظر الجميع!! أنا الآن سأدخل السجن وسيتم الحكم علي بأبشع الأحكام، سيتحدث عني العالم ويلقبوني بالوحش! ستموت أمي من شدة الهم والقهر! أنا الآن كيف أستطيع أن أقنعهم بأن كل ما يحدث هو شيء خارج عن الطبيعة البشرية سيقولون عني مجنونة أو إنني وحش وأتظاهر بالجنون..

تتالي وبدا عليها الاستياء:

ليامر!! لماذا أخبرتها بذلك هكذا فجأة!! للتو استيقظت من كابوس!؟

ليامر:

ليس هناك وقت للتمهيدات والطبطبة، يجب أن نساعدها قبل أن تصل إليها الشرطة إذا قبضت عليها فلن تتفهم كل تلك التبريرات والأشياء الغريبة التي لا يفهمها أحد سوانا! يجب أن تكون قوية حتى تستطيع أن تعود حياتها طبيعية..

ولكن كيف سأفعل ذلك؟؟ أقصد حتى لو انتهى كل شيء ماذا عن الذين ماتوا؟ ماذا عن الجرائم؟ ما الذي سنخبر به الشرطة وكيف سأقنعهم بأنني بريئة! ماذا إن سئلنا عن القاتل والأدلة؟؟

بعد أن نوقف الجرائم وينتهي كل شيء اتركي ذلك علي تماماً الآن يجب أن نوقف الجرائم فقط ونعرف سبب اللعنة التي لديك..

هل تقصد أن اللعنة التي لدي هيَ نفسها لديك؟

بشكل آخر..

ماذا تقصد؟ هل تحدث سلسلة جرائم من كوابيسك؟

أخبرتك سابقاً: نعم كانت تحدث قبل أن تقتل أمي أحداً كانت تتمحور على ضحايا أمي فقط لكن بعدها!!..

لكن بعدها ماذا؟؟

بعد أن انتهى كل شيء واحترق المنزل ونصف وجهي غابت عني الكوابيس تقريباً لمدة ثلاث سنوات ثم عادت مرة أخرى ولكن بطريقة غريبة!

كيف؟!

سابقاً عندما كنت محتجزاً لدى أمي كنت أرى ضحاياها وطريقة قتلهم! بعدها بيومين يتحقق الكابوس نفسه: يأتي الضحية نفسه ويموت أيضاً بالشيء نفسه، لكن عندما عادت بعد أن تحررت كنت أراهم أنفسهم ولكن أراهم يموتون بطرق مختلفة بكل مرة وبعد أن أستيقظ أقوم برسم الكابوس وبعدها يختفي ويعود بشكل آخر جميع ضحايا أمي تعود إلي بكوابيس مختلفة بعض الأحيان أرى حياتهم وأشياء لها صلة بهم أشياء مخيفة ومزعجة لا أعلم ولكن يبدو أنني أدفع ثمن خطايا أمي وهذا هو ما كانت تريده لقد وضعت علي لعنة حتى لا أستطيع الهرب من واقعها أدخلتني في كوابيس ليس لها نهاية..

قلت والدموع تملأ عيني:

إذا كنت أنت تدفع ثمن خطايا والدتك فأنا أدفع ثمن خطايا من إذاً؟؟

لا أعرف! كل شيء لديك مشابه لدي لكنه مختلف إذا كنت أنا أرى الضحايا قبل أن يموتوا أو قبل أن تقتلهم أمي، فأنتِ تشاهدين قاتلي الضحايا!!

تحـم قاتلـي الضحايـا مثـلاً المـرأة المشـوهة أو الرجـل المعـوج وجهـه كلهـم قتلـوا أصحـاب اللـوح بالطريقة نفسـها لكن مـن يكـون هـؤلاء الذيـن يظهـرون فـي كوابيسـي ومن ثـم أنقلهـم إلـى لوحاتي ومن ثم يقتلون الناس الذين يشترون اللوح؟؟

لا أعلم هذا ما ستعرفه قريباً عندما نصل إلى البلدة..

ماذا تقصـد؟ تلـك البلـدة هـيَ بلدتك أنـت وليسـت بلدتـي أنا؟ كيف سأستفيد أنا؟

لنتوقـف الآن عـن الاسـئلة مـا أن نصـل إلـى هنـاك من الأكيـد أننا سنجد شيئاً يفيدنا نحن الاثنين.. هيا بنا..

ليامز انتظر أريد أن أسألك عن شيء أخير..

ما هو؟

هـل بعـد أن ينتهي كل شـيء سـتتوقف الكوابيـس لـدي؟ أم أنها ستستمر معي مثلك إلى الأبد؟

لا أعلـم كمـا أخبرتـك يبـدو أن قصتك مهمـا كانت فهـي تختلف عن قصتـي ولكننا مترابطـان بشـكل أو بآخر فـي كوابيسـنا ولوحاتنا، لا أسـتطيع أن أضمـن لـكِ ولكـن سـأفعل مـا بوسـعي لكـي تعودي لحياتك الطبيعية..

لكن هل تساعدني فقط لأنني مثلك؟

مـن الممكـن أن تكونـي طريقـي للخـلاص مـن كوابيسـي مـن يعلم..

«بدايـــات الحقيقـــة»

انتهينا من الراحة والحديث معاً، أنا ونتالي لاحظت أنها تتجنب الأسئلة الشخصية فهي ما زالت بالنسبة لي غامضة مثل ليامز! هيَ فتاة لطيفة ودائماً ما تواسيني وتتحدث معي برقة عكس ليامز، لكنها ما زالت غريبة بالنسبة لي ولا أعرف عنها شيئاً مثلاً سألتها عدة مرات كيف تعرفتِ على ليامز ولماذا أنتِ معه؟ لا تعطيني أي إجابة! دخل علينا ليامز معه شاب قصير القامة نحيل الجسد هيئته صغيرة وكأنه طفل ولكنه شاب يبلغ من العمر ثلاثين عاماً، لديه شعر أسود مجعد وبشرة قمحية اللون، ويلبس نظارة طبية تغطي أغلب ملامح وجهه الصغيرة..

هذا هو «صامويل» صامويل هذه ماريا..

هكذا قدم ليامز صديقه الذي قال بأنه سيدخلنا إلى البلدة، مد صامويل يده لي بحماس للمصافحة:

أهلاً بك ماريا سعيد للقائك لا تعلمين كم أنا معجب ومهووس برسوماتك وأعمالك، أوه صحيح يمكنك أن تناديني «سام» فقط..

مددت يدي وصافحته:

نعم شكراً لك مرحباً بك تشرفت أنا أيضاً..

سام بحماس أكبر:

أتمنى بعد أن ينتهي ذلك كله أن أحصل على توقيعك..

قال ليامز مقاطعاً:

أتمنى أن نتحرك الآن يجب أن نصل إلى هناك بسرعة ليس لدينا وقت..

أنهى كلمته وسبقنا إلى السيارة تبعته نتالي وتبعتهما أنا وسام، جعلت سام يجلس في المقعد الأمامي بجانب ليامز، وأنا عدت للخلف بجانب نتالي، وانطلقنا متوجهين إلى بلدة «ليامز» التي عاش فيها طفولته ومراهقته وشبابه التي يعتبرها كالجحيم! توجهنا إلى هناك لكي نبحث عن الحقيقة والنهاية والحلول والواقع لكن لم نكن نعلم بأنه سينتظرنا الكثير والمزيد من الكوابيس هناك..!

انطلقنا مسرعين وكان الوقت تقريباً في الساعة الحادية عشرة ليلاً، كان طوال الطريق سام يتحدث كثيراً بمعنىً آخر أنه كثير الكلام على عكسنا كنا مستمعين له ولمغامراته وحياته التي لا علاقة لنا بها! عرفت أن سام هو صديق نتالي من سنوات بالطبع من أين يمكن لشخص مثل ليامز أن يحصل على أصدقاء في حياته البائسة!؟

بعد ساعتين تقريباً أخيراً وصلنا إلى المحطة التي تفصلنا عن حدود القرية، كان التوقيت تقريباً الساعة الثانية صباحاً فجأة أصبح المكان ضبابياً من شدة البرودة رغم أن الجو كان معتدلاً سابقاً! بدأت العاصفة تعلن عن حضورها بدون سابق إنذار! صوت البرق اخترق أذنيّ وقلبي، بدأت الأمطار تهطل بغزارة رغم أننا لسنا في فصل الشتاء!

كالعادة السماء تبكي بحرارة،، قال ليامز وهو يركن السيارة في المحطة!

سام:

ولكن هذا ليس وقت بكاء السماء نحن في فصل الربيع!

سماء «زوريين» مختلفة دائماً ما تبكي في جميع الفصول لعلها تستطيع غسل الأوساخ والفوضى التي لطخت أرض هذه البلدة.. الآن سأقوم بتعبئة الخزان إذا رغبتم بشيء من المتجر يمكنكم النزول لكن ليس أنتِ يا ماريا تعرفين وضعك يجب ألا يشاهدك أحد..

حسناً لكن أحتاج الذهاب إلى دورة المياه!!

تتالي وهي تخرج من حقيبتها قبعة ومعطفاً كبيراً وكمامة للوجه:

حسناً ارتدي هذه وسأنزل معك إلى دورة المياه وبعدها سنذهب إلى المتجر،، تبادلت النظرات مع ليامز واسترسلت في حديثها:

سيكون كل شيء بخير أيضاً لا يوجد أي مخلوق هنا وكأن المحطة مهجورة ولا أظن أنه توجد كاميرات!

سام:

تتالي محقة لا نعلم ما الذي ينتظرنا هناك لذلك دع ماريا تفعل أي شيء تريده الآن، لأنه على الأغلب ستكون تلك البلدة مهجورة ومتسخة ومليئة برائحة الأموات لا أظن أن هناك دورة مياه صالحة للاستخدام..

لِيامز وهو يخرج من السيارة:

حسناً على الجميع أن يسرعوا ولا تنسي الأشياء التي أخبرتك بإحضارها يا تتالي..

حسناً..

نزلنا أنا وتتالي من السيارة وكان الجو شديد البرودة والأمطار الغزيرة أشعر بأنها اخترقت جسدي، والرياح على وشك أن تجعلني أطير، قالت تتالي وهيَ تشير بأصبعها إلى لوحات دورات المياه،،

انظري إنها هناك هيا بنا لنذهب..

ذهبنا نركض بسرعة حتى وصلنا فتحنا الباب ودخلنا، كانت دورات مياه عامة كباقي جميع دورات المياه العامة،،

تتالي:

انظري كم هيَ نظيفة هذا جيد كنت أتوقع أنها كالباقي..

يبدو أنها جديدة، أو للتو تم ترميمها..

أتفق لكن غريبة من سيهتم لدورات مياه في محطة هذه البلدة المهجورة؟

لا أعلم الأهم نحن مستفيدتان هيا ادخلي هنا وأنا سأدخل في الأخرى،،

دخلت تتالي إلى دورة مياه، وأنا دخلت في واحدة أخرى، كنت خائفة جداً ومتوترة وأنا أسمع صوت العاصفة هدوء مرعب في المكان لا يوجد أي صوت سوى صوت الرياح وزخات المطر،

حتى اخترقها صوت دخيل وهو صوت كعب حذاء امرأة!! بدأ قلبي بالخفقان! لا يوجد أحد هنا غيرنا في هذا المكان ثم إنه من يمكنها أن تأتي إلى هذا المكان الخالي وطريق سفر بكعب!؟ كنت سأتغاضى عن الأمر رغماً عني حتى لا أخيف نفسي لكن عاد التوتر والخوف إلى قلبي عندما شممت رائحة عطر أعرفها!؟ إنها نفسها رائحة العطر لتلك المرأة التي دخلت دورة المياه في المطعم في مناسبة احتفالي بنجاحي وعيد ميلادي! صحيح أنه مر وقت طويل لكنني مستحيل أن أنسى رائحة عطرها الغريب إنه نفسه أنا متيقنة وصوت الكعب أيضاً، وأخيراً الشيء الذي أنهى شكوكي عندما سمعت صوت القداحة!! ورائحة الدخان! مستحيل إنها المرأة نفسها! في ذلك اليوم «اليامز» أخبرتني أن أعيد القداحة إليه وأخبرتي أنه كان هو ويراقبني رغم أنني أخبرته بأنها امرأة!! هل كذب علي؟! إنه يكذب علي في أشياء كثيرة!!

أردت أن أكسر الخوف وأواجه هذه المرأة قررت أن أخرج وأفتح باب دورات المياه وأراها وجهاً لوجه! لا أعلم ماذا تكون؟ هل هيَ شبح؟ روح؟ قاتلة؟ ساحرة؟ الآن سأعرف أمسكت مقبض الباب بسرعة وفتحت الباب وخرجت وتفاجأت:

لا يوجد أحد سوى نتالي كانت تغسل يديها في المغاسل!! نظرت إلي بابتسامة كالعادة وهيَ تقول:

هل انتهيتِ؟!

قلت وأنا أفتح جميع أبواب دورات المياه ويداي ترتعشان:

هل.. هل رأيتها!؟

نتالي بتعجب:

من؟

المرأة!! كانت هنا امرأة تنتعل الكعب وتدخن السجائر!! ألم تشاهديها؟

لا!! ما خطبك ماريا؟ لا يوجد هنا أحد غيرنا!

أنا متيقنة بأنها كانت هنا! أنا سأخرج وأبحث عنها!

خرجت أركض وتركت نتالي،

انتظري ماريا!

قالت نتالي وهيَ تلحق بي إلى الخارج استقبلتنا العاصفة القوية! وبدأت أبحث عنها في الأرجاء كالمجنونة، لا أستطيع الرؤية من شدة الأمطار والرياح! قلت أصرخ بقوة:

أين أنتِ؟؟ أنا أعلم بأنك هنا! أظهري نفسك؟ ما الذي تريدينه مني؟! اخرجي فوراً..

أمسك أحدهم بيدي! كنت أظن أنها نتالي لكن سرعان ما علمت بأنها ليست هيَ لأن العاصفة اختفت فجأة! المكان تحول فجأة! لم أعد في المحطة ولا في ذلك الشارع! ما الذي يجري وكأن أحدهم نقلني!! تم نقلي برمشة عين، تلفت يميناً ويساراً أحاول أن أستوعب ما الذي حدث في جزء من الثانية:

وجدت نفسي في مكان أو وسط شارع مظلم! نظرت من حولي رأيت الكثير من المنازل البسيطة والصغيرة يبدو عليها منازل قديمة

جداً ومهجورة وخالية! يبدو أنني في قرية نعم يبدو أن هذه قرية ليامز! ولكن هل أنا في كابوس آخر؟ كيف وصلت إلى هنا؟ مستحيل أن أنتقل إلى هنا فجأة!؟ قاطع أفكاري منزل كان في وسط القرية وكان الوحيد الذي لا يبدو عليه أنه مهجور وخالٍ، كان طبيعياً جداً نبض قلبي بشدة عندما أضيئت إحدى نوافذ المنزل! هذا يعني أن غرفة أضيئت! هل هناك أحد في هذا المنزل؟ المنازل من حوله جميعها مهجورة والقرية بكبرها خالية من جميع المخلوقات لماذا يكون في هذا المنزل أحد ما؟! على ما يبدو أنني في داخل كابوس، أضيئت نافذة أخرى في المنزل! والثالثة والرابعة حتى أضيء كل المنزل وأصبح المنزل الوحيد المشع من وسط ظلام القرية والمنازل الأخرى وكأنه يناديني! كنت أود الذهاب إليه بشدة حتى ينتهي هذا الكابوس لكن كان هناك خوف وحذر في قلبي لأول مرة! أنا عادة في الكوابيس لا أشعر بالحذر ودائماً ما أتحرك وأتجه لأي مكان بدون تردد لكن هذه المرة أشعر بأن هذا ليس كابوساً! غير أنني كنت مبللة جداً من المطر سابقاً في المحطة من المستحيل أن أرى كابوساً وكل التفاصيل أنفسها ملابسي مبللة أرتدي الملابس أنفسها! أنا أشعر حقاً بأن هذه حقيقة وأكد لي أخيراً رنين هاتفي الذي في جيبي أعطانيه ليامز سابقاً! أخرجت الهاتف بسرعة ويداي ترتعشان أجبت بدون أن أنظر إلى الرقم:

ماريا!! أين أنت؟ أين ذهبتِ؟ نحن هنا نبحث عنكِ..

أتى صوت ليامز عبر الهاتف وبدا عليه الخوف والتعجب الشديدان من اختفائي فجأة! انفجرت باكية:

ليامز!! لا أعرف أين أنا؟ أقصد لا أعلم لقد انتقلت إلى هنا فجأة لا أعلم كيف وصلت إلى هنا؟

أين أنتِ؟ اهدئي وأخبريني أين تكونين؟!

لا أعلم أنا في مكان أو قرية فارغة ومهجورة يبدو أنني في قريتك! لكنني لست متيقنة

حسناً ما الذي يوجد حولك؟

منازل،، الكثير من المنازل القديمة المهجورة والكثير من الأشجار الميتة! وأيضاً هناك خشب لا أعرف خشب محروق أو ما شابه لا أستطيع الرؤية جيداً من شدة الظلام! أوه أيضاً هناك منزل يقع في مرتفع صغير إنه منزل وحده وبعيد عن بقية المنازل وكبير ويبدو بحالة جيدة وأيضاً..!

ليامز بتوتر:

وأيضاً ماذا؟؟

المنزل لقد أضيء قبل قليل وأنا أشعر بأنني سأموت من الخوف لا أعلم أين أذهب!؟ ليامز هل تسمعني؟

نعم أسمعك أنتِ بالفعل في القرية، والآن اسمعيني جيداً حاولي أن تختبئي وتجلسي في الشارع لا تدخلي أي منزل حاولي أن تبتعدي عن أنظار ذلك المنزل فوق التلة، وأيضاً لا تصدقي أي شيء ولا تستمعي إلى أي همسات لأنها ليست حقيقية لا شيء حقيقي حسناً؟! نحن قادمون في الطريق عشر دقائق فقط وسنكون معك..

حسناً أرجوك لا تتأخر..

أغلق ليامز الخط وعيناي ما زال نظرهما على ذلك المنزل تذكرت كلام ليامز يجب أن أبتعد عنه لكن أين أذهب؟ وأيضاً لا يمكنني أن أدخل هذه المنازل المهجورة! حسناً سأسير في الطريق المعاكس لهذا المنزل لكي أبتعد عنه، وأيضاً هذا خط سيارات سأسير حتى ألتقي بهم..

سرت بالفعل وأنا أرتعش خوفاً وأحاول أن لا أنظر إلى المنازل وأنا أنظر أمامي فقط، كنت أشعر بالبرد الشديد ملابسي مبللة بالكامل والمكان بارد جداً نظرت إلى يديّ بدأت أطراف أصابعي تصبح زرقاء! جسدي كله أصبح شاحباً وكأنني جثة ضائعة في هذه القرية! ماريا!...

قفز قلبي من مكانه عندما سمعت صوتاً يهمس باسمي! التفت يميناً ويساراً لكن لا يوجد أي نفس لأي مخلوق غيري! تذكرت حديث ليامز وأن هذه كلها همسات يجب أن أصمد أكثر ولا أعيرها أي اهتمام إنها عشر دقائق حتى يصلوا ولكن سأشعر بأنها عشر ساعات بل عشر سنوات! استمررت بالمشي بخطوات سريعة وأنا لا أعرف إلى أين أتجه أصلاً وإلى أين يقودني هذا الطريق؟ لكن لا يهم الأهم أن أبتعد عن ذلك المنزل، لم أنتهِ من التفكير إلا ورأيت ضوءاً عند قدميّ رفعت رأسي وأصبت بالصدمة عندما وجدت نفسي أمام المنزل فوق التلة بالضبط!! خطوتان فقط تفصلانني عن الباب للدخول!؟ كيف ذلك! مستحيل أنا متيقنة بأنني ابتعدت عنه تماماً؟ كيف وصلت إليه؟

لكن لماذا أنا مصرة أن أسأل هذه الاسئلة لقد انتقلت بالفعل برمشة عين من المحطة إلى القرية لماذا الآن سأتعجب! لم يعد هناك مجال للتعجب والدهشة، فكل حياتي أصبحت ممزوجة بالكوابيس، قررت الابتعاد مرة أخرى عن المنزل ما أن أدرت ظهري له حتى سمعت صوت صرير الباب وهو ينفتح!! بدأ قلبي بالخفقان ارتعش جسدي قدماي أصيبتا بشلل كامل لم أعد قادرة على التحرك، أنفاسي أصبحت متقطعة، هل ألتفت؟ هل أستسلم؟ حسناً سأشجع نفسي هذا كله ليس حقيقياً، لكن ماذا إن كان حقيقياً؟! عندما تحدثت مع ليامز عن المنزل لقد توتر كثيراً وأخبرني أن أبتعد عنه! لكن لماذا لا أستطيع التحرك؟ أنا عاجزة بالفعل عن الحركة! قدماي ترفضان السير!! أنا أشم هذه الرائحة نعم إنها الرائحة نفسها رائحة تلك المرأة عطرها وسيجارتها! كنت متيقنة بأنها هيَ من كانت في دورة المياه تراقبني، وهيَ من قامت بنقلي إلى هنا، وهيَ،، وهيَ الآن تقف خلفي أنا أشعر بأنفاسها لقد خرجت من المنزل، هذا يعني أنها هيَ صاحبة المنزل! شعرت بالشعور السابق نفسه: دوران ونبضات قلبي أصبحت بطيئة وثقيلة تحول كل شيء في نظري إلى سواد وكأنني فقدت الوعي..



«منـــزل فـــوق التـــل»

رياح عاتية تهب مزمجرة تلطم الأشجار وأنوار الشارع حتى تحطمت وانتثر زجاجها في الهواء لتعلن العاصفة تحدي الكبير مع الظلام، تصدر أصوات مخيفة من العاصفة كانت أمي دائماً تخبرني بأن هذه الأصوات في العاصفة هيَ أصوات الشياطين لهذا دائماً ما تبدو غاضبة جداً، ازداد جنون العاصفة مولولة ثائرة غاضبة ترمي بما يعترضها هنا وهناك دون شفقة ولا رحمة، لم يعد يستطيع رؤية الطريق أمامه! بدأت السيارة بالتمايل يميناً ويساراً وكأنها ثملة من شدة الرياح، قالت تالي بتوتر:

ليامز احذر في القيادة!

ليامز:

أنا أفعل كل ما بوسعي للسيطرة على هذه السيارة لا أستطيع أن أخفف من سرعتي يجب أن نلحق بماريا إنها في خطر

سام وهو يتمسك بكل قوته بمقدمة السيارة:

لا أفهم لماذا هيَ في خطر؟ ثم كيف وصلت إلى هناك بسرعة؟ هل ذهبت مشياً على الأقدام؟ ما الذي يحدث معكم؟!!

نتالي:

سام أخبرتك أن هذا ليس وقت الأسئلة أنت ستدخلنا إلى القرية عبر المدخل السري بعدها سنعطيك السيارة وتعود إلى المحطة وانتظرنا هناك حتى نتصل بك حسناً؟!

سام بتردد وعدم ارتياح:

ولكن،، حسناً.. الآن خذ هذا الطريق غير المعبد وسر بشكل مستقيم ولكن حاول أن تسير بهدوء لأن الطريق يوجد به الكثير من الحجارة والمسامير أخشى أن يصيب الكفرات شيء سيئ وتعلق هنا..

ليامز:

لا تقلق لن يحدث شيء سيئ هنا الأشياء السيئة جميعها هنا في هذا المكان..

أخيراً وصلنا،، قالت نتالي وهيَ تشاهد مدخل هذه القرية المهجورة وكأنها قرية من قرى عالم القصص المرعبة، ركنوا السيارة بجانب سياج ضخم متهالك ممزق من كل مكان، نزل الثلاثة من السيارة فتح ليامز صندوق السيارة والتقط حقيبة ظهر ممتلئة بالأغراض، سام بفضوله المعتاد:

لحظة يا رفاق ما الذي ستفعلونه بالداخل؟ أيضاً لقد اشترت نتالي الكثير من الشموع والأوراق لماذا؟

ليامز وهو يرمي مفتاح السيارة لسام:

لقد أخبرناك أن تتوقف عن الأسئلة فيما لا يخصك والآن عد إلى المحطة وانتظرنا هناك..

حسناً كما تريدون أتمنى أن تكونوا بخير..

غادر سام، نظر ليامز في نتالي وقال لها:

هل أنتِ مستعدة؟

نعم..

دخل الاثنان إلى القرية متوجهين إلى منزل فوق التل...





«ذات الطلاء الأحمر»

فتحت عيني وأنا أشعر وكأن جميع صداع الكرة الأرضية مجتمع في رأسي، دوران فظيع وغير طبيعي أشعر بأن الأرض ستهوي بي، الرؤية ضبابية وغير واضحة لا أعلم أين أنا؟! أشتم رائحة غريبة وبشعة أو عدة روائح في وقت واحد حاولت النهوض مراراً وتكراراً لكن بدون جدوى! أسمع صوتاً أعرفه مع كل حركة أتحرك بها أصدر هذا الصوت! إنه صوت سلاسل!! هذا يعني أنني مقيدة بالسلاسل الحديدية!! أشعر بها في قدمي وأسمع صوتها، يا إلهي أين أنا؟ هل أنا مخطوفة؟ هل هذا كابوس جديد أم حقيقي؟! الرؤية لدي ما زالت غير واضحة ولكن ما استنتجته أنني على ما يبدو في غرفة صغيرة جداً وأنا على الأرض يوجد سرير صغير بجانبي هناك أيضاً مكتب خشبي صغير جداً يوجد بجانبه شيء ما! نعم إنها لوحات... مهلاً هذه الغرفة وكأنني رأيتها من قبل!؟ لكن أين؟ لا أستطيع التركيز من شدة الصداع، سمعت صوت خطوات هناك أحد ما قادم! بدأ قلبي بالخفقان بشدة، سمعت صوت فتح الباب كنت مستلقية لا أستطيع أن أنهض ولا حتى أن أرفع رأسي من شدة الإعياء والخوف، سمعت صوتاً أسمعه للمرة المليون صوت كعب تلك المرأة اللعينة ورائحة سيجارتها وعطرها الغريب، رأيتها تدخل الغرفة وتسير من أمام أعيني وأنا ملقاة على الأرض كعبها كان أحمر اللون، وترتدي فستاناً أسود

شفافاً مع نقشات موردة، شعرها طويل وأسود ومجعد وكثيف،
وجهها لم أستطع تمييزه ولا رؤية وجهها وتفاصيل ملامحها
بسبب الرؤية الضبابية لدي! جلست بكل هدوء على كرسي
المكتب وأنا أراقبها بكل عجز ودموعي تنزل من عيني بصمت،
أخرجت طلاء للأظافر أحمر اللون وبدأت تضعه على أظافرها
بهدوء ظفراً ظفراً! وأنا أنتظر مصيري هنا، حتى انتهت وأغلقت
العلبة، بعدها نهضت بصمت أيضاً توجهت إلى اللوح والتقطت
واحدة وعرضتها أمامي، نظرت إلى الرسمة التي في اللوحة
هذه الرسمة أعرفها جيداً كانت رسمة لثلاثة رؤوس متداخلة
بعضها في بعض وكأنها رأس واحد! وكان فيها يدان يد من
أسفل الرؤوس واليد الأخرى من الأعلى وكانت اليدان
تحتضنان الرؤوس الثلاثة، كانت كل الرؤوس الثلاثة لها ثلاث
أعين العينان الرئيستان كانتا بيضاوين بدون بؤبؤ أسود! والعين
الثالثة كانت تقع في الجبهة وكانت شديدة السواد بالكامل!
وكان في منتصف الثلاثة الرؤوس عين بيضاء!. هذه اللوحة هي
إحدى لوحاتي! هذه الرسمة أنا من قام برسمها! ما الذي تفعله
عند هذه المرأة؟ وضعت المرأة اللوحة وأخرجت لوحة أخرى
وعرضتها علي، كانت اللوحة الأخرى لوجه مخيف ومرعب
ينظر من خلف باب، وهذه اللوحة تعود إلى كابوس كان من
أكثر الكوابيس المرعبة في حياتي حيث أرى نفسي مستلقية في
غرفتي على سريري والغرفة مظلمة جداً ولكن باب الغرفة
مفتوح بشكل بسيط يكفي لدخول رأس شخص ما! الموضوع

هنا أنني لا أستطيع النهوض من على سريري لأغلق باب الغرفة وكأنني مصابة بشلل كامل، أكره أن يكون باب غرفتي مفتوحاً بهذا الشكل المرعب فإما أن يكون مغلقاً أو مفتوحاً بالكامل، لذلك استمررت في مراقبة الباب بخوف ورعب بدون أن أستطيع أن أفعل أي شيء، الباب يبدأ ينفتح قليلاً أسمع صوت صرير خفيفاً ومرعباً هناك أحدٌ ما يمسك بالباب، أنا أرى يديه وأصابعه الطويلة ها هو يدخل رأسه بالتدريج وأنا أراقبه والدموع تنهمر كالشلال من عينيّ وقلبي على وشك التوقف! حتى أدخل رأسه بالكامل ونظر إلي مباشرة بابتسامته العريضة وعينيه الدائريتين المطموستين بالسواد وأسنان كبيرة متراكمة! صرخت بكل ما لدي وبعدها استيقظت من النوم! أسميت اللوحة «المتطفل» ومن وقتها وأنا أخبئ هذه اللوحة في مخزن المنزل لأنني أكرهها كثيراً لكن الآن هيَ عند هذه المرأة ومع لوحاتي كلها! صحيح تذكرت في آخر مكالمة مع أمي أخبرتني بأن لوحاتي كلها اختفت وقالت إنه يبدو أن أحدهم سرقها! إذاً هذه المرأة هيَ من سرقت لوحاتي من المنزل!..

أتساءل من هيَ؟ وما الذي تريده مني؟ منذ أول ظهور لها في عيد ميلادي بدأ كل شيء وأصبحت الكوابيس تلاحقني على أرض الواقع هل هيَ سبب كل هذا؟ ومن تكون أصلاً؟ لا أستطيع رؤية وجهها ولا أعرف لماذا؟ كل ما أراه هو كعبها الأحمر وفستانها الأسود وطلاؤها الأحمر..! بعدها أخرجت سيجارة وبدأت تدخنها وتنفث دخان سيجارتها نحوي! شعرت بغثيان

شديد ودوران أكثر وصداع أكثر! وأخيراً استطعت أن أنطق بعد عناء وقلت بصوت راجف ومتلعثم:

من،، من أنتِ؟ وماذا تريدينه مني؟؟

أخيراً سمعت صوتها الذي كان كصوت الذكر لا الأنثى! كان صوتها به بحة مخيفة وقالت بابتسامة عريضة:

أريدك أريد أن أحصل عليك، أريد أن أولد من جديد وسآخذ جسدك وموهبتك..

لماذا؟ لماذا أنا؟!

هل تظنين أنني اخترتك بشكل عشوائي! أنتِ هيَ أنا لكن بشكل آخر أنا من وهبك كل ذلك سأثبت لنفسي ولك ولذلك الوحش أنه كان على خطأ وارتكب خطأً كبيراً عندما قتلني قبل سنوات وهذا الخطأ أنتِ تتحملين عواقبه..

لحظة!! المنزل وهذه المرأة ذات الشعر المجعد والرداء الأسود والزينة الكاملة والسيجارة والغرفة التي أنا فيها! وصوتها وقصة قتلها ووجودها في هذه القرية! هذه هيَ والدة «ليامز»!؟ مستحيل لكنها ميتة؟ إذاً هيَ تريد جسدي والعودة من جديد؟! ولكن أنا.. أنا ما علاقتي بالأمر؟ ما علاقتي بكل ذلك؟ ولماذا أدفع ثمن خطأ الرجل الذي قتلها؟؟

«لأن ذلك الوحش يكون والدك يا ماريا!»

سمعت صوت برق قوي في رأسي! شعرت بقوة العاصفة التي في الخارج تضرب في رأسي من هول الصدمة على عدد المرات

وتخوف في حياتي من الكوابيس لم أشعر بقلبي ينبض بهذه القوة والسرعة اللتين نبض بهما الآن! ما معنى أن يتحرّك القلبُ من مكانه ويصل إلى الحنجرة الموجودة في العنق؟ هل تعرف هذا الشعور؟ هل شعرتَ من قبل بتجمّد الدم في عروقك؟ هذا كان شعوري، لأول مرة في حياتي تمنيت أن يكون هذا كابوساً وأستيقظ منه رغم كرهي للكوابيس ولا أريد رؤيتها لكن كنت أدعو بداخلي أن هذا كابوس وسينتهي! لكن للأسف اتضح لي أن حياتي الواقعية هيَ الكابوس..



«بداية كابوس الحقيقة»

١٩٨٥م.

الجميع هنا يؤمنون بالخرافات والترهات وكل الأكاذيب، الناس هنا قلوبهم سوداء ومتحجرة عقولهم مثل عقول البهائم أو يمكن أن البهائم أفضل! لا شيء هنا طبيعي أو سوي كل شيء هنا مرعب ومخيف وغريب أطوار مرة من المرات توفيت فتاة هنا كانت تبلغ من العمر ١٥ عاماً فقط الفتاة مرضت مرضاً شديداً وبسبب انعدام الصحة والمستشفيات وانعدام العقول قالوا بأنه تلبسها شيء ما لذلك عليهم أن يطهروها ويقوموا بحرقها حتى الشيء الذي يتلبسها يصبح رماداً العجيب أو لا شيء عجيب هنا أن والديها وافقا بكل بساطة واقتنعا بأن هذا الأروح والأفضل لابنتهما المسكينة! لا شيء هنا طبيعي كل شيء متقرف ومهمل وجاهل ومتخلف، لم أعد أستطيع تحمل البقاء هنا في هذه القرية أو في هذا المنزل بالأخص المنزل الذي يبدو كالجحيم بالنسبة لي، أعيش مع خالتي وزوجها وأبنائهما الثلاثة، كانوا باختصار إبليس وأولاده، عندما ماتت أمي وأبي في حادث مأساوي كنت وقتها بعمر الثامنة ولم يكن لدي أي أقارب سوى خالتي شقيقة أمي، كنت أفضل العيش في الميتم على العيش في هذا الجحيم ولكن خالتي وزوجها فضلا أخذي ليس شفقة ولا محبة ولا خشية بل أخذاني من أجل المال الذي ستدفعه لي

الحكومة بسبب أنني يتيم! عاملوني بلطف مدة شهر واحد فقط وبعدها كشروا عن أنيابهم! في السنة الأولى كنت أذهب إلى المدرسة وأعود إلى المنزل لأحصل على طعام ليس طعاماً للبشر بل طعام الكلاب! نعم كانوا يضعونني مع الكلب في الغرفة نفسها ويقدمون لي الطعام نفسه والحياة نفسها! أو أن الكلب أفضل بكثير حيث إنه يستطيع الخروج متى يشاء ويعود متى يشاء، على عكسي كنت حبيساً ولا أذهب إلا للمدرسة فقط وأعود، كنت أخاف خوفاً شديداً منهم بالطبع لأنني طفل وحيد لم أكن أبوح للمدرسين أو أي أحد حتى إنهم دائماً ما يسألونني عن صحتي الواضح عليها التدهور ونحافتي الشديدة وتصرفاتي المنطوية! في يوم من الأيام لاحظت المعلمة عدة كدمات من الضرب على جسدي وعندما سألتني رفضت أن أخبرها وعندما ألحت علي أخبرتها بأن أولاداً خارج المدرسة ضربوني! رغم ذلك لم تصدق كنت وقتها في عمر العاشرة أي مضت سنتان وأنا أعيش في هذا الجحيم، حسناً دعوني أكمل في الأسبوع نفسه تفاجأت بوجود معلمتي فجأة في منزلنا كنت وقتها في حبسي المنفرد! سمعت صوتها وسمعت خالتي الساحرة ترحب بها وكانت متوترة جداً! كان قبوي ومسكني مع الكلب تحت الأرض لذلك كنت أسمع بوضوح كل من يأتي إلى المنزل، سمعت المعلمة تسأل عني لكن أخبرتها خالتي كالعادة أنني ذهبت مع أولادها للعب في الخارج وأننا سنتأخر! لم تقتنع المعلمة لذلك قالت لخالتي بأنها ستعود في وقت لاحق، سألتها خالتي إذا كان

هناك شيء خارج الاعتياد؟ أخبرتها المعلمة عن صحتي وعن الكدمات! وقالت المعلمة بنبرة تهديدية:

أنتِ تعلمين بأنه يتيم! لذلك أي خطأ أو تعامل سيئ منكم سأضطر لإبلاغ المسؤولين..

خالتي بتوتر:

لا.. لا ما الذي تقولينه؟ كيف يمكنك اتهامنا بشيء كهذا؟؟

المعلمة:

أنا لا أتهمكم أبداً ولكن أذكرك فقط حتى لو لم يكن هناك تعامل سيئ، ولكن على ما يبدو هناك إهمال من ناحية الصحة والطعام وحتى النظافة! لذلك يا سيدة الرجاء أن تنتبهي أكثر..

غادرت المعلمة وكان قلبي ينبض بشدة، بدأت أطرافي ترتعش من شدة الخوف فأنا أعلم العواقب التي ستأتيني ظناً منهم أنني تحدثت بشيء! سمعت فتح باب قبوي بقوة! ركضت بسرعة كالعادة إلى مخبئي الذي يعلم الجميع بأمره في أسفل السلالم! نزلت خالتي كالغول ومعها العصا الخشبية وهيَ تردد:

اخرج أيها الفأر! هل تخطط للشكوى علينا!!؟

قلت باكياً:

أقسم لكِ أنني لم أخبر المعلمة بشيء ولم أخبر أي أحد بشيء! سامحيني يا خالتي اعفي عني أرجوك..

وكالعادة لا يوجد أي عفو هنا في النظام انتهى بي الأمر

مضروباً بشدة، وتركتني أتألم وغارقاً في دموعي وآلامي وكدماتي وحقدي في ذلك القبو المظلم..!

مضت أيام وكنت مريضاً بشدة عندما أمرض يتركونني أصارع المرض وحدي حتى أنهض من جديد! في يوم من الأيام سمعت الباب يطرق وكنت أشعر بكل قلبي بأنها المعلمة، وبالفعل سمعت صوتها كانت هيَ، هذه المرة كان أيضاً زوج خالتي المسخ موجوداً، دخلت المعلمة إلى المنزل سمعتها تسأل عني وقالت إن الوقت متأخر لا أظنه بالخارج يلعب! قالت خالتي بتوتر:

تعم أنتِ محقة إنه ليس وقت اللعب لذلك هو نائم!

أرغب برؤيته..

صعقت خالتي وزوجها وحلّ صمت لمدة دقيقة ثم كسرت المعلمة الصمت وقالت مرة أخرى:

ما خطبكما هل سمعتما ما قلته؟ أرغب برؤيته!

زوج خالتي:

أخبرناك بأنه نائم وكان مريضاً خلال الأيام السابقة لذلك لم يأتِ إلى المدرسة فقط هذا كل ما في الأمر..

المعلمة بحزم:

إذا كان الأمر بسيطاً كما تقول إذاً دعني أرَه..

زوج خالتي:

وإذا لم نجعلك ترينه فما الذي ستفعلينه؟؟

المعلمة بثقة وشجاعة:

سأقوم بتبليغ الشرطة لأنه من الواضح أنكم شياطين فاسدون!

خالتي وهي تصرخ:

أنتِ.. لقد تجاوزتِ حدودك!! ظني بنا كما تشائين والآن اخرجي من منزلنا لقد اكتفيت!!

حسناً سأخرج ولكن سأعود خلال دقائق ومعي الشرطة!

هذه كانت آخر كلمات تنطق بها تلك المعلمة المسكينة الإنسانة الوحيدة في حياتي التي شعرت بأنها كانت إنسانة حقيقية..

بعدها سمعت صوت صرخاتها الذي لازمني طوال حياتي! كانت تصرخ وكان من الواضح أن ذلك المسخ زوج خالتي قام أولاً بضربها بشدة حتى تفقد الوعي! وكنت أسمع خالتي من شدة الخوف تقول له بأن يتركها!

كيف أتركها؟! هذه اللعينة ستقوم بإبلاغ الشرطة عنا وستنتهي حياتنا وحياة أولادك..

خالتي:

يا إلهي!! لقد ماتت؟؟ هل ماتت؟ يا آنسة انهضي!! لقد قتلتها أيها الغبي قتلتها!!

اخفضي صوتك! كان ذلك عن طريق الخطأ

خطأ!! أخبرتك أن تتوقف لكنك لم تستمع إلي! ما الذي سنفعله الآن لقد هلكنا جميعاً!

أخبرتك أن تصمتي فقط..

حل الصمت لمدة ساعة ونصف الساعة كاملة تقريباً، حتى سمعت صوت سحب! على ما يبدو بدأ المسخ بتنفيذ خطته وسحب جثة المعلمة! وحدث ما لم أكن أتوقعه على الرغم من أنني كان من المفترض أن أتوقعه لأنهم مجرد شياطين لا يملكون قلوباً! فتح باب القبو أسرعت كالعادة أركض وأختبئ تحت السلالم ودموعي تسبقني! أسمع صوت جثة المعلمة وهيَ ترتطم درجة درجة! أسمع صوت عظامها تتحطم! حتى وصل بها إلى الأسفل أشعل الأضواء وتلفت يميناً ويساراً سمعت صوت أقدامه قادمة إلي شعرت بقبضة يده الضخمة على عنقي! سحبني للخارج وأنا أصرخ وأبكي! سحبني حتى أوصلني إلى الجثة ورمى بجسدي الصغير على الجثة!!!

أنا الآن مستلقٍ على جثة المعلمة الإنسانة الوحيدة التي عاملتني كإنسان، فتحت عينيّ وليتني لم أفتحهما! كانت المرة الأولى في حياتي التي أرى فيها جثة حتى جثتا والديّ لم أرهما! كانت عيونها مفتوحة وبشرتها مزرقة، بؤبؤا عينيها كانا صغيرين جداً! شق يمتد من داخل رأسها من الشعر حتى الجبهة الأمامية، جسدها ما زال حاراً وكان ساخناً بشدة يبدو من شدة حرقها، دم لزج التصق بشعرها، وأخيراً دمعة الموت ما زالت عالقة في طرفي عينيها! لم أصرخ وقتها ولم أعطِ أي ردة فعل نزلت بهدوء من فوقها وكانت دموعي الوحيدة التي تعطي ردة فعل، قال المسخ وهو يلهث متعباً:

هل رأيت؟ هل رأيت ما جنت أفعالك!! كل ذلك بسببك هل تفهم؟ والآن عقاباً لك معلمتك الحنون ستبقى جثتها هنا أمام عينيك حتى تتحلل هي وتتعفن أنت معها..

بالفعل هو لم يكن يمزح ترك جثة المعلمة معي في قبوي! وحبسوني خوفاً أن أفضحهم، وأقنعوا أهالي القرية الأغبياء بأنني هربت من المنزل! وحتى الجهات المختصة للأيتام بحثوا عني يومين وبعدها لم يهتموا استمرت الحياة للجميع وأنا حياتي استمرت وأنا أعيش مع جثة!..



«يومياتي مع جثة معلمتي»

اليوم الأول كنت في صدمة طويلة استمرت ثلاثة أيام تقريباً بدون طعام ولا شراب ليس لأن نفسي مسدودة بل لأنه لم يحضر لي أي أحد لا طعاماً ولا شراباً! ثلاثة أيام بدون نوم حتى هل تعرفون معنى بدون نوم؟ عيناي رفضتا أن تغمضا ولا حتى أن ترمشا ثلاثة أيام وعيناي لم تبعدا نظرهما عن الجثة!! ثلاثة أيام وأنا مبحلق في جثة المعلمة بدون حركة ولا نوم ولا أكل ولا شراب! كنت أراقبها خوفاً أن أرمش وهيَ تتحرك لقد تبولت في ملابسي عدة مرات! نعم فعلتها من شدة الصدمة والخوف! حتى لم أعد أستطيع أن أقاوم أكثر وفقدت الوعي!!

استيقظت من النوم لأرى خالتي الساحرة تجلس بجانبي وتنظر إلي بنظرة من الممكن أن تكون نظرة شفقة وخوف هذه أول مرة تقابلني بعد جريمتها المروعة مع زوجها المسخ، شعرت بأنها قلقة وخائفة من زيادة عدد الجرائم كان في عينيها خوف وتشتت واضحان لم تنطق بشيء وضعت لي الطعام والماء وغادرت بعد أن وضعت قطعة قماش بيضاء على جثة المعلمة تظن أنها عملت معروفاً هكذا!! المعروف الوحيد في حياتها! بعد أن خرجت لم يكن لدي خيار آخر غير الأكل كنت حقاً أتمنى الموت لكن كما يقول المثل: الموت مرعب نتمناه ولكن عندما يوشك على الوصول نهرب منه! بدأت بالأكل بشراهة وشرب المياه حتى

انتهيت، شعرت بأنني لم آكل طعاماً طبيعياً منذ عشر سنوات! بعدها توجهت إلى دورة المياه واغتسلت وبدلت ملابسي، وعدت إلى مكاني وجلست وفتحت كتبي وبدأت بالقراءة خوفاً من أن أنسى القراءة والعلم، وهذه كانت بداياتي في التصالح مع العيش مع جثة!

مضت الأيام وأنا أقضي وقتي في الأكل والشرب وتكرار قراءة الكتب أنفسها حتى أتى يوم عاصف مميت بالنسبة لي! في ليلة ممطرة في منتصف الليل فتح باب القبو وقتها كنت على وشك النوم لكن نهضت ما أن سمعت الباب يفتح نزل من على الدرج بخطوات ثقيلة وخفية كالموت! عرفت هذه الخطوات كانت للمسخ زوج خالتي، علمت بأن حضوره في هذا الوقت لا يبشر بالخير أو بصفة عامة في كل الأوقات، لذلك بدأ قلبي بالخفقان قررت الاستلقاء وإغماض عينيّ أتظاهر بأنني نائم! وصل ذلك المسخ بقرب فراشي وأنا ما زلت مغمضاً عينيّ.شممت رائحة عفنة كالعادة تفوح منه رائحته المعتادة وهيَ رائحة الخمر! اقترب مني أكثر وهو يهمس كالأفعى:

كيف حالك اليوم يا صبي!؟

لم أرد عليه وما زلت أتظاهر بالنوم!

قال وهو يضع يده الثقيلة والمليئة بالخشونة على جسدي:

أعلم بأنك مستيقظ يا صبي، انظر لقد كبرت كثيراً!!

شعرت بقشعريرة تسري في جسدي وتقزز وهو يلمسني في كل مناطق جسدي بشكل مقرف! أنفاسي أصبحت ثقيلة جسدي يرتعش أرغب بمنعه لكنني ما زلت طفلاً لا قوة لي! وكل ما فعلته كان أن استمر بالتظاهر بأنني نائم، وعيناي غارقتان بالدموع وكانت هذه المرة الأولى التي يتحرش بي فيها ذلك المسخ ولم تكن المرة الأخيرة...!

«أول حديث بيني وبين جثة معلمتي»

الأسبوع الثاني وما زالت الجثة تستلقي بجانبي بعد أن غطتها خالتي بالقماش الأبيض، طوال الوقت أحاول أن أتجاهلها وأعاملها كأنها غير موجودة، لكن لم أعد قادراً على تحمل الرائحة، رائحة الجثة المتعفنة أصبحت تسكن في أعماق صدري! لم أعد أستطيع الاحتمال تقيأت اليوم مرتين والبارحة مرتين، رغم ذلك ما زلت آكل وأشرب أمامها ليس لدي خيار آخر، طفل بعمر الأحد عشر عاماً يأكل ويشرب وينام أمام جثة! في الأسبوع الثالث بدأت الرائحة تختفي شيئاً فشيئاً لكن كنت مريضاً جداً مرضت مرضاً شديداً يبدو أنه بسبب بكتيريا الجثة التي أعيش معها! دخلت خالتي ومعها رجل عجوز يبدو أنه طبيب غير مصرح له أو جميع من يسكن هذه البلدة غير مصرح لهم! الأدهى أنه دخل إلى القبو وكأنه لا يرى الجثة!! بالنسبة لحالتي وحبسي وتعذيبي قلت إنه من الممكن سيتغاضى لأنهما دفعا له المال لكن كيف يتغاضى عن جثة!! يبدو أنني نسيت أن لا أحد هنا إنسان طبيعي غير تلك الجثة التي أمامي هيَ الوحيدة التي كانت إنسانة طبيعية!

سمعت زوج خالتي المسخ يهمس في أذن خالتي: دعيه يمتْ فحسب لماذا أحضرتِ له الطبيب؟؟

بعد أن انتهى الطبيب من فحصي وإعطائي أدوية همس لهما بشيء لم أستطع سماعه لأنني كنت شديد المرض.. خرج الطبيب

ومعه الاثنان المسخان، كان الوقت في منتصف الليل بعد أن أعطاني الطبيب الدواء غرقت بنوم عميق لكن فجأة استيقظت على صوت غريب!! فتحت عينيّ بصعوبة كنت أشعر بخمول من المسكنات التي أعطاني إياها الطبيب، جلست بشكل طبيعي أتلفت يميناً ويساراً حتى أتت عيني على الجثة، كانت مختلفة: الغطاء كان نازلاً حتى أسفل عينيها أي أنه لم يكشف عن وجهها بشكل كامل فقط عينيها وكانت عيناها مغمضتين وكأنها نائمة لكن من أغمض عينيها!!؟ الجثة كانت هنا تقريباً من ثلاثة أسابيع وكانت عيناها مفتوحتين وأيضاً عندما وضعت خالتي عليها الغطاء من أسبوعين تقريباً من ذلك الوقت لم ينزل الغطاء لماذا الآن نزل!؟ أرغب بالنهوض وتغطيتها لكنني خائف جداً خائف حدّ الموت! لذلك قررت أن أستلقي وأقوم بتغطية نفسي بالكامل تحت غطائي وبالفعل فعلت وأنا قلبي ينبض بشدة لدرجة شعرت بأنه سيخرج من بين أضلعي! مرت دقيقة تقريباً حتى عاد ذلك الصوت مرة أخرى! صوت مخيف ومرعب كان صوت أنين!! وكأن تلك الجثة ما زالت تتألم! كيف ذلك وهيّ ميتة منذ ثلاثة أسابيع تقريباً؟؟عاد الصوت مرة أخرى وكان أعلى هذه المرة! أغمضت عينيّ أتجاهل كالعادة لكن الصوت أصبح أعلى أكثر لدرجة شعرت بأنها أصبحت مستلقية خلفي تماماً وعلى فراشي نفسه! أغمضت عينيّ بقوة ووضعت يديّ على أذنيّ لمدة ثلاث دقائق تقريباً حتى اختفى الصوت تنفست الصعداء قليلاً وأنا أبعد يديّ عن أذني لكن هل أزيل الغطاء؟ أم أتركه فوقي؟؟ لكن

فضول ذلك الفضول الذي يجب أن ترتاح منه من الصعب أن تبقى مغطياً عينيك عن الحقيقة! يجب أن أعرف هل الجثة تحركت أم كنت أتوهم من المرض والأدوية؟؟ ثم قررت أخيراً أن أزيل الغطاء عني، أزلته بهدوء بدون أن ألتفت إلى الخلف. أخذت نفساً عميقاً ثم التفت نحو الجثة! كانت المفاجأة!! أنها عادت كما هيَ أقصد عاد الغطاء لتغطيتها كاملة!! هل كنت أتوهم أن نصف وجهها كان مكشوفاً قبل قليل؟؟ لا أعرف لم أعد أميز شيئاً بسبب المرض، أحسست بأنني سأتبول على بنطالي لذلك ذهبت ركضاً إلى دورة المياه وأنا أقضي حاجتي:

سمعت طرقاً على باب دورة المياه «لو سمحت هل انتهيت»!!!

كان صوتاً أنثوياً وهادئاً كان صوت المعلمة بحد ذاتها!! هنا توقف قلبي بدون مزاح نعم توقف قلبي مؤقتاً! نهضت من على المقعد وعدت إلى الخلف وأنا أكتم أنفاسي! عاد الطرق مرة أخرى وهيَ تقول:

هيا يا عزيزي حان وقت الدرس لماذا تأخرت؟ يبدو أنك تتهرب من دروسك؟؟

بدأت دموعي بالانهيار كالشلال، جسدي يرتعش بالكامل الدم تجمد في عروقي بقيت واضعاً يديّ على فمي أحاول أن أمنع نفسي من التنفس من شدة الخوف! بقيت هكذا حتى الصباح! نعم لا أمزح حتى الصباح وأنا حابس نفسي في دورة المياه واثق من أي أحد في مكاني سيفعل الشيء نفسه، عندما أتى الصباح

قررت الخروج فتحت باب الحمام بهدوء أخرجت رأسي أولاً بحثت بعيني في كل الاتجاهات لم أرَ أحداً، المشكلة أن دورة المياه ليست على نظر الجثة لا أستطيع أن أراها من هنا! لذلك حسمت أمري وخرجت توجهت إلى مكان فراشي والجثة نظرت إليها وما زالت كما كانت مستلقية والغطاء على جسدها ووجهها! لكنْ هناك شيء مختلف في المكان! كان المكان نظيفاً جداً فراشي مرتب كتبي مرتبة القبو كله نظيف لم أرَه هكذا من سنتين تقريباً وأنا أعيش هنا!؟ مستحيل ومن سابع المستحيلات أن تكون الساحرة هيَ من حنت علي ونظفت كما أيضاً من المستحيل أن تنظف لساعات والجثة أمامها! هيَ عندما تعطيني الطعام ترميه لي من طرف الباب وتخرج! من إذاً قام بتنظيف المكان!؟ جلست على فراشي وأنا أنظر إلى الجثة، هل هيَ من فعلت ذلك؟؟ مستحيل هل فقدت عقلي؟ إنها جثة يعني ميتة لا يمكن أن تتحرك أو تنهض أو تتحدث! لكن! ما حدث ليلة البارحة هل كنت أتخيل؟ قررت أن أجرب وأتحدث معها بالتأكيد ستقولون هل فقد عقله؟ بالطبع فقدت عقلي ولم أعد أهتم لأي شيء يحدث! هل وصلت لمرحلة التبلد أو الجنون؟؟

قلت بصوت هامس:

مرحباً أيتها المعلمة هل تستطيعين سماعي؟

لم يكن هناك أي رد! لذلك رفعت صوتي أكثر..

هل كنتِ أنتِ بالأمس من يطرق الباب علي؟!!

أيضاً لم يكن هناك أي رد..

هل أنتِ من قام بتنظيف غرفتي؟؟

لم أجد أيضاً أي رد، لذلك بقيت جالساً قررت أن أقوم بإعادة كتاب من كتبي كالعادة تناولت كتاباً من على الرف وفتحته وبدأت بتصفحه، لفت نظري صفحة كان مكتوباً فيها:

آسفة لأنني قمت بإخافتك وأنت في دورة المياه كنت أريد فقط أن أخبرك بأنني معك وسأظل بجانبك دائماً لذلك ستكون بخير أحبك معلمتك..

هنا كان أول حديث لي مع معلمتي الجثة التي علمتني كل شيء وهيَ جثة والتي حولتني إلى شخص آخر..



«أول رسمة رسمتها مع معلمتي الجثة»

نسيت أن أخبركم عن مهنة معلمتي وهيَ كانت معلمة الفنون الخاصة بمدرستنا، وكانت حصتها أفضل حصة لي لأنني أحبها كثيراً ثانياً لأنني أحب الفنون والرسم، كانت حتى عندما لا أستطيع إحضار أدوات الفنون هيَ تتكفل بإحضارها، مضت سنتان تقريباً سنتان وأنا ما زلت محتجزاً مع جثة! أصبح الجميع يرون الجثة هيكلاً عظمياً إلا أنا ما زلت أراها كما هيَ معلمتي الجميلة ذات الشعر العسلي المتسدل بنعومة على وجهها من شدة كثافته، ملامحها الجميلة ما زلت أراها بشرتها القمحية الصافية! ما زلت أراها كما هيَ، استمررت في الحديث معها عبر كتاباتها الرسائل لي بين طيات الكتب كانت تعلمني الكثير علمتني كيف أنظف كيف آكل كيف أخدع المسوخ وأخرج من المنزل وأعود بسرعة، نعم أصبحت أخرج من المنزل كان هناك فتحة أسفل القبو وكأن الفئران قاموا بحفرها مرة بعد مرة يوماً بعد يوم وجدتها مفتوحة مناسبة لخروج جسدي علمت بعدها بأن معلمتي الجثة من فعلت ذلك! ستتساءلون الآن وتقولون: لماذا لم يهرب؟؟ بالطبع لماذا لم أهرب؟! كنت مجرد طفل معقد خائف أن يخطو خطوة ويندم عليها كان عقلي مغسولاً بالخوف والتهديد من المسوخ! لم أكن أعلم أين أذهب عندما أهرب فجميع من في القرية متعاونون بعضهم مع بعض حتى الشرطة والطبيب الجميع يدعمون بعضهم

بعضاً على جرائمهم! في يوم من الأيام ذهبت إلى مأمور الشرطة الشرطي الوحيد في البلدة ورغم أن المعلمة حذرتني وأخبرتني بأنه لن يساعدني أحد إلا أنني لم أصدق وذهبت إليه أخبرني أن أبقى جالساً على الكرسي حتى يقدم بلاغاً للسلطات ولكن البلاغ الذي قدمه كان لخالتي وزوجها المسخ حيث لم أتفاجأ أبداً عندما رأيتهما يدخلان علي كالثيران الهائجة، في ذلك اليوم قاما بضربي بشدة وحتى إنهما كانا يرغبان بقطع لساني لكنهما تراجعا في اللحظة الأخيرة! ذات مرة حذرتني المعلمة بكتابة رسالة تحذير في أحد الكتب قائلة:

«لقد فتحت لك الفتحة اخرج فقط للتنزه وأحضر لك ما تريد لكن لا تدع أحداً يراك ولا تهرب لأنهم سيقومون بإعادتك إلى هنا وبعدها سيقومون بمعاقبتك أشد العقاب!! أرغب بأن تبقى معي للأبد لا تتركني.. معلمتك»

لقد واعدتها بأن لا أتركها أبداً لقد ماتت بسببي لذلك اقترحت يوماً علي أن أبدأ بالرسم حتى لا أشعر بالملل لذلك بعد شهور من الرسم بالحبر وقلم الرصاص أخبرتني أنني وصلت إلى المرحلة المناسبة للاحتراف يجب أن أستخدم الألوان أخبرتها بحماس بأنني سأذهب لسرقة بعض الألوان من أي مكان، لكنها أخبرتني بأنني لا أحتاج إلا لثلاثة ألوان فقط الأسود والأحمر والأبيض!! استغربت لماذا؟ كان لدي رغبة بأن أستخدم جميع الألوان كباقي الأطفال! لكنها أخبرتني بأنني لم أعد طفلاً!..

عندما سألتها عن أول رسمة سأرسمها ما هي؟ قالت لي:

ارسم المنظر الذي يتردد في مخيلتك، أو الذكرى التي تقطن ذاكرتك وترفض نسيانها! الذكرى التي تشعر بأنها أخذت من روحك شيئاً الذكرى التي تشعر بأنك أصبحت منها ضعيفاً وحملت الضغينة منها..!

ارسم ذلك المشهد عندما كنت في المدرسة بعد أن مات والداي بعد أسبوع واحد كنت في المدرسة وكان يوجد مسرحية الجميع معهم والدهم أو والدتهم وأنا لم يكن معي أي أحد، بعدها اجتمع علي مجموعة من الأطفال المتنمرين الذين أكرههم بشدة وكانوا يضحكون علي لأنني وحيد وأن أمي وأبي ماتا وأصبحا في المقبرة تحت التراب! تجاهلتهم ولكن بعد أن خرجنا من المدرسة اعترضوا طريقي وسحبوني إلى المقبرة وهم يضحكون بعدها رموني على قبر وقالوا: هل هنا يرقد والدك؟؟ أنت لم تره أليس كذلك! هيا احفر وأخرجه لكي ترى وجهه وجسده المشوه! وأطلقوا الكثير من الضحكات! كان هذا أول موقف أتعرض له في حياتي حملت عليهم الضغينة وكانوا دائماً يتنمرون على ملابسي ورائحتي وكدماتي ومعاناتي! لذلك أرغب برسم هؤلاء الأطفال بشكل بشع ومقزز انتقاماً منهم هل سأرتاح بعدها؟؟

ردت علي برسالة:

بالطبع سترتاح لنعتبر هذه لعبة وعلاجاً مناسباً لك..

بدأت برسم هؤلاء الأطفال رسمت أشكالهم بدون أعين حتى لا يستطيعوا رؤيتي ثانيةً! وقطعت ألسنتهم حتى لا يسخروا مني مرة أخرى ولا أسمع صوت ضحكاتهم آه أرغب بتشويههم أكثر أريد أن أجمعهم في مكان واحد وأحرقهم سأرسمهم على أنهم محشورون في محرقة ولا يستطيعون الخروج منها حتى يتفحموا! نعم هذا مسلٍ جداً: بدون ألسنة ولا أعين ومحروقون! انتهيت.. وضعت الرسمة أمامها وأنا سعيد لكي تراها شعرت براحة نفسية كنت أظن أنها مجرد رسمة فقط لكن لم أكن أعلم بأن معلمتي ستحقق ما بداخل رسوماتي..!!

استيقظت صباحاً توجهت إلى دورة المياه كالعادة، سمعت صوت باب القبو يفتح توقعت أن الإفطار وصل ركضت بسرعة لكي آخذ الرسمة لا أريد لخالتي أن تراها! لكن لم تكن خالتي ولا زوجها المسخ كان أحد أبنائها الابن الأكبر وكان أكبر مني بعشر سنوات تقريباً! نظر إلي عبر الدرج بنظرة شفقة وهذه أول مرة أرى أحد أبناء خالتي يعطيني الطعام! قلت له بكل تبلد:

هل سمحت لك والدتك أن تعطيني الطعام اليوم؟ غريب!

قال وهو يزحلق صينية الطعام باتجاهي:

أمي ليست في المنزل وعلى ما يبدو ستتأخر هيَ وأبي..

هل سافرا!!؟

لا تفرح كثيراً هما ما زالا في القرية هناك عزاء جماعي في القرية لذلك أمي وأبي ذهبا لمساعدة أهل الضحايا وأهالي القرية على تحضير الجنازات..

قلت باستغراب:

عزاء جماعي!! لماذا هل هناك حرب بالخارج؟؟

قال متنهداً:

أسئلتك كثيرة لكن لا، لا يوجد حرب لقد مات عشرة أطفال كانوا في بداية المراهقة إنهم بعمرك أيضاً أتوقع أنهم كانوا يدرسون معك في المدرسة نفسها لقد ماتوا حرقاً ويقال البعض وجدوا ألسنتهم مقطوعة وأعينهم مفقودة!! والآن جميع أهالي القرية متوترون كثيراً وهناك تحقيقات وشرطة من المدينة تحاصر القرية في فوضى هل تفكر بالهرب!؟ إنها فرصتك الآن سأساعدك!..

لم أعد أسمع أي شيء يقوله لي ذلك الشاب رغم أنه استمر في الثرثرة! لكن من هول الصدمة فقدت حاسة السمع! عشرة أطفال ماتوا بالطريقة نفسها التي في الرسمة!! تلك الرسمة التي رسمتها ليلة البارحة لقد كانت مجرد رسمة كيف يمكن أن يحدث هذا؟ مستحيل أن تتحقق الرسمة! العشرة الأطفال هم من تنمروا علي على مدار السنوات الثلاث التي كنت فيها في المدرسة هم أنفسهم من تخيلتهم في الرسمة! كنت أحمل ضغينة

شديدة وكره العالم لهم! لكن لم أكن أريد ولا أتخيل أن يحدث هذا لهم بالفعل..!

أنت هل تسمعني؟؟ تناول طعامك الآن سأعود بعد نصف ساعة لأخذه يبدو أنك لا تريد الهرب من هنا حسناً فكر وأخبرني إن عدت لأخذ الاطباق..

خرج وأغلق الباب من بعده وتركني مصدوماً ممّا قاله، وحتى عرض الهروب الذي عرضه علي لم أستوعبه ولم أفكر به ولم يشدني! رفعت رأسي للجثة المستلقية ونظرت إليها بخوف وتوتر وقد مرت فترة طويلة منذ آخر مرة خفت فيها من الجثة! لقد اعتدت عليها وأصبحت صديقتي وأصبحت أحبها! لكن اليوم خفت كثيراً منها قلت بصوت هامس:

هل.. هل أنتِ من فعل ذلك؟؟

أعلم بأنكِ لن تردي علي الآن سأنتظر رسالتك أريد توضيحاً أتمنى أنك لستِ أنتِ من فعل ذلك، أتمنى أنها مصادفة!!

لا لست أنا بل أنت من فعل ذلك!!..

قفزت من مكاني تراجعت للخلف حتى ارتطم جسدي بالحائط! كانت هذه ثاني مرة أسمع صوتها! طوال السنتين كنا نتحدث فقط عن طريق الرسائل! لكن الآن بعد سنتين من كونها جثة لقد نطقت مرة أخرى!!

لا تخف! كنت أستطيع الحديث معك منذ أول مرة ولكنك كنت طفلاً وتخاف كثيراً لم أرغب في إخافتك بعد لقائنا الأول

عندما كنت في دورة المياه شعرت بأنك على وشك الموت من شدة الخوف لذلك قررت أن أتواصل معك عبر الكتابة حتى يأتي الوقت المناسب..

قلت وأنا ألتقط أنفاسي وأحاول السيطرة على رعشتي:

إذاً هل أنتِ حقاً تتحدثين؟؟

نعم أتحدث معك فقط..

هل أنتِ حية! أم ميتة؟

أنا جثة..

أعلم ذلك كيف يمكن للأموات أن يتحدثوا؟!

الأموات أحياناً يتحدثون لأنهم لم يستطيعوا أن يتحدثوا وهم أحياء!

كنت أسمع صوتها في رأسي كنت أظن أنني أهلوس لذا قلت لها:

حسناً هل تتحركين؟

نعم بالطبع هل نسيت؟ فأنا من يقوم بتنظيف غرفتك خشيت أن تراني وتموت من شدة الخوف لذلك أفعل ذلك عندما تكون نائماً أو غير موجود!

هل تريدني أن أفعلها الآن.؟

قلت بتوتر:

لا لا، ابقي مكانك لا تنهضي أرجوك..!

حسناً كما تشاء..

أخبريني الآن بسرعة هل أنتِ من قتلهم؟؟

أخبرتك بالفعل أنت من فعل ذلك..

قلت بغضب:

هل تظنينني مجنوناً؟ كيف أنا من فعل ذلك وأنا محتجز منذ من خمس سنوات!

لقد فعلت ذلك عن طريق تلك الرسمة!! الرسم أمنية وأمنيات الرسامين تتحقق..

انظر إلي حان الوقت لكي تنتقم وتأخذ كل الظلام الذي زرعوه بداخلك وتوزعه عليهم بالتساوي! خالتك وزوجها وأولادهما، أهل القرية الطبيب الشرطي المعلمين جميعهم! جميع من عاملوك وكأنك حيوان يجب أن ترد لهم الدين! أصبح لديك سلاح وموهبة أنت فقط ارسم أي أحد تريده وطريقة موته وسيموت بالطريقة نفسها على الفور! حتى الشرطة لن تستطيع إيجاد القاتل لأن القاتل فرشاة وألوان..!

هل تريدينني أن أصبح قاتلاً؟؟

أخبرتك قبل قليل أنت لست قاتلاً أنت فقط الرسام لهذه المهمات ودع الأمر للوحة كيفما هيَ تريد أن تكتمل.. الأمر سهل صدقني لن تستطيع الهرب من هنا دون أن يموت الجميع..

أنتِ محقة!.. لكن!!

لكن ماذا؟؟

أرغب برسم الطبيب لقد أتى إلى هنا عدة مرات ولم يتفقدني أبداً حتى أنه يعطيني أدوية للهلوسة والنوم المفرط..

حسناً إذاً أمسك بورقة جديدة وقلم الرصاص وابدأ..

هل لهذا السبب اخترتِ الثلاثة الألوان الاسود والأبيض والأحمر!؟

نعم، الأحمر هو لون الدماء، والأبيض هو لون الروح، والأسود هو لون الموت...





«تجسدت بشكل شيطان»

مضت أربع سنوات على أول رسمة لي وموت الأطفال، أصبحت رسمياً بعمر الـ ١٨ عاماً! استمرت الجرائم بشكل جنوني جداً! بعد أن رسمت الطبيب في أبشع صورة مات بالفعل بالطريقة نفسها بعدها شعرت بالنشوة والحماس والسعادة! أنا الآن ملك بعد أن كنت مجرد حيوان أنا الآن ملك أستطيع التحكم بموت الأشخاص عن طريق الرسم فقط، طورت رسمي كثيراً أصبحت قمة في الإبداع، الإبداع في الوحشية والتشويه والقسوة، كنت أقضي يومي كاملاً بالرسم وأستمتع في اليوم التالي بالأخبار ستسألون الآن: لماذا لم أهرب رغم أن ابن خالتي عرض علي الهروب؟ ولماذا لم أقتل خالتي وزوجها المسخ إلى الآن؟

لم أهرب بسبب أنني كنت مستمتعاً بقتل وتعذيب أهالي القرية وزرع الخوف في نفوسهم، لم أعد أهتم بالهروب أريد أن أقتل أكبر عدد من هؤلاء الناس المسوخ! بالنسبة لخالتي وزوجها المسخ لم أقتلهما؟ لأنني كنت أريد أن أحمل الضغينة عليهم أكثر وأكثر حتى أرسم لوحتهما في أبهى وأبشع وأقسى صورة..

لكن أتى اليوم الذي لم أستطع فيه رسم صورة لهما، كان في بداية السنة الميلادية كان الجو عاصفاً وممطراً في بداية الشتاء كنت نائماً بعد أن رسمت ثلاث رسومات مختلفة لعدة أشخاص من القرية! سمعت صوت صرير باب القبو يفتح، شممت رائحة

الخمر تسبقه! عرفت أنها جولة المسخ هذا الأسبوع! أصبح عجوزاً وما زال يأتي إلي في كل مرة ويلمسني بشكل مقزز. الأدهى أنني أخاف كثيراً منه أخاف جداً! شعرت بجسده الثقيل يجلس على فراشي، كالعادة تظاهرت بالنوم وأنا قلبي يكاد أن يخرج من مكانه!! بدأ يضع يده على جسدي وأنا أتنفس بثقل والعرق يتصبب مني، أشعر بيده تتجوّل في جميع أنحاء جسدي بدون أن أستطيع أن أفعل أي شيء وكأنه كالجاثوم!!

يجب أن تفعلها الآن!!

سمعت صوت المعلمة في رأسي ظننت أنني أتوهم لأنها لا تتحدث بوجود أحد ولكن يبدو أنني أنا الوحيد الذي يسمعها..

افعلها الآن لقد أصبحت شاباً وهو عجوز لا تنتظر الفرشاة واللوحة اقتله أنت والآن!!

جمعت شتات نفسي ونهضت بسرعة من على الفراش وأنا أمسك بالقلم وأوجهه لذلك العجوز وأرتعش:

توقف الآن أو..

أو ماذا أيها الفأر؟؟ هل تهددني؟!

لا أنا لا أهددك أنا سأنفذ حقاً..

قال وهو يقترب مني:

أنت لا تستطيع قتل حشرة حتى لذلك ضع هذا القلم واستلقِ على الفراش!!

ازداد قلبي بالخفقان بقوة المعلمة محقة يجب أن أقتله قبل أن يدمرها! لن أسمح له أبداً،،

هجم علي ذلك المسخ بجسده البدين العملاق أوقعت قلمي وسلاحي الوحيد من أول هجمة، بدأ ينهال علي بالضرب وهو يضحك قائلاً:

هل تظن أنك أصبحت كبيراً بما فيه الكفاية لتواجهني؟؟

اتركه..

أتى صوت المعلمة من خلف ذلك المسخ! الغريب أنه توقف عن ضربي هذا يعني أنه سمعها!! التفت بخوف وهو يبحث يميناً ويساراً ويردد:

من هناك؟ من هناك؟

هل سمعت ذلك أيها الفأر!؟ هل لديك شياطين هنا!!؟

قلت وأنا أبتسم:

نعم لدي الكثير من الشياطين..

لم يستوعب إلا ووضعت القلم في عينه اليسرى!! صرخ بكامل قوته ونهض يركض ويتخبط يميناً ويساراً، توجه إلى السلالم يريد الصعود للأعلى لكنني سبقته وركضت حتى وصلت إلى الباب وأغلقته، وعندما وصل دفعته بقدمي وتدحرج على السلالم درجة درجة كنت أسمع صوت عظامه تتحطم كما سمعت صوت عظام المعلمة قبل سبع سنوات! وصل إلى

الأسفل واستمر في الزحف وهو يتوسل إلي والدماء تنهمر من عينه! نزلت إلى الأسفل ووقفت أمامه قائلاً:

يا لها من خسارة كنت أجهز لك لوحة جميلة أنت وعائلتك تليق بكم كنت أرغب بشكركم للاعتناء بي على أكمل وجه طوال هذه السنوات لكنك أفسدت الأمر أيها المسخ المنحرف..

ماذا.. ماذا تقول؟؟ دعني أخرج أرجوك..

تخرج!! لكنك لم تسمح لي بالخروج من عشر سنوات وأنا محتجز هنا كالحيوان لماذا الآن أدعك تخرج!؟

حسناً هل تريد أن تخرج!!؟

قال بحماس:

نعم أرجوك..

عليك أن تعتذر لها أولاً!!

نظر يتعجب إلى حيث أشير! كنت أشير إلى جثة المعلمة نظر إلى تلك الجثة التي أصبحت هيكلاً عظمياً تماماً..

قلت له:

هل نسيتها؟ أم تتذكر كيف قتلتها بدون أي ذنب؟! لقد قتلتها ووضعت جثتها هنا بدون أي شعور بالذنب لقد جعلتني أعيش مع جثة لكن هل تعلم شكراً لك لأن هذه الجثة علمتني الكثير وهيَ من جعلتني أصل إلى هذه القوة!!

قوة؟؟

نعم هل تريد أن ترى!!

قال بتوتر:

أرى ماذا؟؟؟

هل تريد أن تعرف من قتل أهالي القرية طوال هذه السنوات؟

...

توجهت إلى الرسومات المتراكمة التقطتها ورميتها في وجهه وبدأت أعرض عليه كل رسمة وأخبره من هذا وكيف مات!! كان مذهولاً ومصدوماً كلياً!!

كيف، كيف فعلت ذلك؟! أنت تكذب، أنت ما زلت طفلاً لا يمكن لطفل أن يقتل كل هؤلاء الناس..!

نعم بالطبع لقد قتلتهم عن طريق رسمي، وليس لدي وقت لأشرح لك كيف يتحقق ذلك لأنني سأجعلك تراه بعينيك! أوه آسف أقصد عينك فقط..

خرجت عبر فتحتي المعتادة في عشر دقائق وعدت بسرعة كنت أعرف أن خالتي وأولادها نائمون وهم لن يستيقظوا حتى الصباح وأعلم بأنهم لا يستطيعون سماع صوت هذا العجوز وهو يصرخ لأن القبو عازل للأصوات لذلك حجزوني فيه! أحضرت الإسعافات الأولية ووضعت بعض الشاش الأبيض على عينه لكي أوقف النزيف وربطتها بالربطة الخاصة بالجروح، سحبت جثته الحية إلى تحت السلالم حتى لا يجده أحد وقيدت يديه وقدميه وفمه بإحكام وأغلقت عليه، نظفت آثار المعركة ومسحت

دماءه كنت لا أريد أن يموت حتى يرى كيف سيموت أولاده وزوجته أردت أن أطعمه القليل من العذاب الذي جعلني أذوق منه الكثير..

انتهيت من كل شيء وكنت أريد خطة محكمة خطة موثوقة لا يهرب منها أي أحد حتى لا يفضح أمري! أخذت المفاتيح من ذلك المسخ السمين وهو ما زال فاقد الوعي من شدة الألم صعدت السلالم وفتحت الباب وخرجت إلى المنزل! كانت مشاعري ملخبطة لقد نسيت تفاصيل هذا المنزل تماماً ثلاثة أشهر عشت فيه فقط في غرفة طبيعية وأكل طبيعي ومعاملة مناقة طبيعية! قبل أن يتم سجني شبه مؤبد في هذا القبو! ما أن خطت قدماي خارج القبو شعرت بالخوف وأنفاسي أصبحت ثقيلة! يجب أن ألملم شتات نفسي إنها الفرصة الوحيدة لدي لأنتصر على هؤلاء المسوخ، خطرت فكرة في بالي كان صوت البرق يضرب بقوة في ذلك اليوم لذا خشيت أن يستيقظ أحد توجهت بسرعة إلى المطبخ وفتحت أنبوبة الغاز لكي تملأ رائحة الغاز المنزل! بعدها تناولت مطرقة صعدت إلى الطابق الثاني عبر السلالم، وصلت إلى رواق الغرف غرف نوم أولادهما الثلاثة وغرفة نوم المسخ وزوجته، قررت أن أدخل أولاً على الابن الأكبر لأنه أكبر مني سناً إنه الآن شاب تقريباً في الثامنة والعشرين من عمره، كان يدرس خارج القرية لكن لسوء حظه أنه وقت إجازة رأس السنة لذلك هو هنا، فكرت أنه سيقاوم لأنه شاب رياضي يافع بالطبع يستطيع مقاومتي على عكسي أنا المراهق

لجائع المتعب النحيل الجسد! لذلك فتحت جميع غرفهم وجعلت رائحة الغاز تغزو أنفاسهم حتى لا يستطيع أحد مقاومتي! أما أنا فلبست قناعاً للوجه يلبسه المزارعون على وجوههم عندما يزرعون المحاصيل ويخرجون الفاسدة منها تكون مليئة بالنحل والحشرات لذلك يلبسون هذه الأقنعة حتى لا تتأذى وجوههم، وجدت القناع معلقاً في المطبخ أول مرة أعلم بأن ذلك السمين لديه موهبة الزراعة! لنعد إلى الأهم: أمسكت المطرقة بإحكام ودخلت بهدوء على الابن الأكبر ويبدو أن الغاز بالفعل وصل إلى أنفاسه، وقفت فوقه تماماً وأنا ألبس ذلك القناع وكأنني شبح الموت! فتح الشاب عينيه لم يستوعب إلا وأتت على وجهه ضربة شبه قاضية من المطرقة! تناثرت الدماء في سريره وعلى الحائط الذي فوق سريره وعلى جسدي وملابسي! نظرت إليه ورأيته يتعذب ويتألم، رأيت الدموع في عينيه المهشمتين سمعت صوت كل عظمة في وجهه تتحطم، أعجبني الصوت ومنظر وجهه المهشم! هذه بداية اللوحة فقط! مد يده إلي طالباً المساعدة أو كان يتساءل من أكون لأن الغرفة كانت مظلمة وأنا كنت ألبس القناع لذلك قررت أن أشبع فضوله، أزلت القناع عن وجهي وأنا مبتسم ابتسامة سعادة ونصر قائلاً له:

أعلم بأنك عرضت علي خطة هروب قبل سنوات! وكنت الوحيد الذي يعرض علي هذه الجائزة، وأعلم بأنك أنت وأخواك لم تفعلوا لي أي شيء لكنكم اكتفيتم بالسكوت والتظاهر بالجنون وكأن لا يوجد أحد في القبو محتجز ويعيش مع جثة أليس

كذلك! أنت تدرس الآن القانون كيف يمكنك دراسة شيء هكذا وأنت تعلم بأن والديك أكبر المجرمين هنا؟ لهذا أنت تستحق هذا العذاب وبعدها أخواك الصغيران سأستمتع كثيراً وأنا أستمع إلى أصوات جمجمتيهما تتهشمان مثلك...

بدأ يصرخ بداخله ويبكي وهو يئن ويتوسل لي لكنني قررت إسكاته بعد أن وجهت له ضربة تتبعها ضربة تتبعها ضربة حتى تناثر الدماغ واللحم والدماء في جميع أرجاء الغرفة!!

شعرت بالنشوة والقوة شعرت بأنه لا أحد يمكنه إيقافي الآن، سأعاقب جميع من ظلموني طوال هذه السنوات، مسحت الدماء من على وجهي ولبست القناع مرة أخرى، توجهت إلى الغرفة الثانية وكان بها الابن الأوسط كان أيضاً أكبر مني سناً ولكن بثلاث سنوات فقط هو الآن بعمر الواحد والعشرين عاماً، أمسكت بيديه وكان يبدو أنه فاقد الوعي وليس نائماً من رائحة الغاز لذلك قررت بسرعة أن أتوجه إلى الساحرة لأجعلها ترى موت أطفالها، توجهت إلى غرفة خالتي وكانت نائمة وعلى وشك أن تفقد الوعي أحضرت قارورة ماء باردة رششت على وجهها شهقت ونهضت من مكانها تلتقط أنفاسها غير مدركة ما الذي يحدث وما الذي ينتظرها في الساعات القادمة! فركت عينيها بقوة وهي تنظر إلي بخوف ورعب ملابسي غارقة بالدماء وألبس قناعاً يتلطخ بالدماء! قالت بتلعثم ورعب:

- من أنت؟؟ من أنت؟ وكيف دخلت إلى المنزل؟؟

- أنا في المنزل منذ عشرة أعوام هل نسيتِ؟!!

ما.. ماذا؟؟ أنت؟!!

أزلت القناع من على وجهي،، نعم أنا يا خالتي.

كيف خرجت من القبو؟؟ وما الذي تفعله بهذه المطرقة في يدك؟ دماء! دماء من هذه؟؟

قلت لها بكل برود:

خمني!!

بدأت بالبكاء والارتعاش واحتضان نفسها:

أرجوك،، أتوسل إليك لا تؤذِ أطفالي ليس لهم أي ذنب..

ليس لهم أي ذنب!! ليس لهم أي ذنب!! وماذا عني؟ هل كان لي ذنب؟ ما هو ذنبي أخبريني؟ ما هو الذنب الذي ارتكبته لتجعلوني أعيش في قعر الجحيم؟؟!

بدأت بتحطيم الغرفة بالمطرقة وأنا أكرر: ما هو ذنبي؟! وهيَ منطوية في زاوية وتصرخ وتبكي، توقفت عن تحطيم الغرفة وتوجهت إليها وامسكتها من شعرها وسحبتها خارج الغرفة وهيَ تصرخ، سحبتها حتى أوصلتها إلى غرفة ابنها الأكبر وهو مهشم الرأس قلت ضاحكاً:

انظري إلى لوحتي الأخيرة للتو قمت برسمها هل أعجبتك؟؟

نظرت إلى جثة ابنها المهشمة الذي لولا ملابسه لما تعرفت إليه! أطلقت صرخة مدوية ولكن ليست أقوى من صوت صراخات البرق هذا الشيء كان في مصلحتي .لا أحد يستطيع

سماع الصرخات اليوم بسبب البرق والعاصفة! مثلي تماماً كنت أصرخ عشر سنوات ولم يسمعني أحد.. استمرت في الصراخ والبكاء بحرقة حاولت النهوض لكنها لم تستطع! اسمعيني يا خالتي تبقى لي لوحتان هل تريدين مشاهدتهما وأنا أرسمهما!؟

فهمت قصدي وبدأت تزحف عند قدمي وتمسك بهما وتتوسل باكية:

أرجوك لا تؤذِهما دعهما فحسب لقد قتلت واحداً هذا يكفي إنهما ما زالا صغيرين!!

قلت ساخراً:

ولكن أنا أصغرهم أليس كذلك؟؟

اقتلني أنا، أرجوك اقتلني أنا..

بالطبع سأفعل لكن ذلك سيكون مملاً جداً، لذلك هذا يكفي لليوم حسناً سأتركهما لكن ستكونين أنتِ وزوجك المسخ محتجزين عندي..

ماذا؟ حسناً أنا موافقة..

كانت تظن أنني غبي بما فيه الكفاية لكن أتت خطة مسلية في رأسي قررت تنفيذها، أول ما فعلته ضربتها على رأسها لتفقد الوعي، سحبتها إلى الأسفل كانت ثقيلة لا تختلف عن وزن زوجها المسخ، سحبتها عبر سلالم المنزل وعبر سلالم القبو واستمتعت وأنا أسمع صوت تحطم عظامها، قيدتها بجانب زوجها، وخرجت عدت إلى غرفة الابن الاوسط وضعت يدي

على عرقه لأتحقق هل مات! لحسن حظه أنه مات وارتاح من العذاب مات بسرعة لأنه كان يعاني من الربو لذلك على ما يبدو اختنق، سحبت جثته حتى وصلت بها إلى المطبخ ووضعتها هناك، بعدها خرجت وعدت إلى الأعلى وذهبت إلى غرفة الابن الأصغر وتحسست نبضه وكان ما زال يتنفس جيداً إذاً على ما يبدو سنستمتع كثيراً هذه الليلة، كان الأخف بينهم لأنه كان نحيلاً مثلي وكان عمره ١٩ عاماً يكبرني بعام واحد فقط، سحبته حتى وصلت به إلى القبو وقيدته بجانب والديه وتركته، بعدها عدت إلى المطبخ توجهت إلى المستودع تناولت فأساً ومنشاراً يدوياً!! لا أعلم كيف اتخذت هذه الخطوة لكن الحقد والكره والضغينة جعلتني أتخذ كل هذه الخطوات بروح سعيدة! قطعت جثة الابن الأوسط إلى أجزاء!! بدون أن اشرح كان المطبخ والمنزل عبارة عن بحيرة دماء!! أخرجت من الثلاجة بعض الخضار وأعددت الحساء رغم أنني لا أعرف كيف أطبخ المهم أن أطبخ حساء بجثة ابنهما وأجعلهما يتناولانها! نظرت إلى الساعة وكان الوقت في الثانية فجراً يجب أن أنتهي بسرعة، انتهيت من الطبخة وقمت بغرف طبقين وأنا متحمس ووضعتهما في صحن تقديم وتوجهت بهما إلى القبو، وضعتهما أمام المسخ وزوجته ثم قمت برش الماء عليهما لكي يستعيدا وعيهما بالفعل استعادا وعيهما، خالتي عندما رأتني تذكرت جثة ابنها المهشمة وبدأت بالصراخ والبكاء، التفتت إلى زوجها رأته بعين واحدة! وعادت للصراخ والبكاء قائلة:

انت السبب في كل هذا ابننا مات بسببك من اللحظة الأولى امرتك ان نتركه يذهب إلى ميتم لكنك أصررت ان نأخذه، انت جعلتنا ندخل شيطاناً إلى منزلنا..!

قلت بتعجب:

شيطان!! أنا شيطان؟ وماذا عنكما أنتما؟ ماذا تكونان؟

قال المسخ بصوت خافت متعب مثقل:

أرجوك.. اترك أولادي.. أنا آسف على كل ما فعلته لكن دع أولادي

آسف!! ما الذي يمكنني أن أفعل بكلمة آسف الآن!؟ حسناً دعونا من ذلك الآن، تفضلا لقد أعددت لكما حساء الشتاء لذيذ جداً يجب أن تتذوقا هيا..

نظرت هي وزوجها بعضهما إلى بعض بتعجب وخوف ثم قالت:

ما هذا؟؟

لا شيء لحم وحساء يجب أن تأكلا حتى لا تموتا..

لا أريد أخبرني ما الذي وضعت فيه!!

قلت وأنا أهم بالنهوض أخرجت ابنهما الأصغر وهو فاقد الوعي ومقيد:

حسناً لن أتعب نفسي إذا لم تأكلا الآن فسأقتله بأبشع الطرق أمامكما!

لا لا، أرجوك سننفذ كل ما تريده! حسناً سنأكل..

هذا رائع هل رأيتما؟ الأمر بسيط، طبعاً لم أفك أيديهما لذلك أكلتهما بنفسي حشوت الطعام واللحم كله في فمها هيَ وزوجها وأنا أردد:

هيا ابتلعاه،، كلاه ابتلعا طفلكما المسكين!

حلت دقيقة صمت وهما ينظران في الطبقين بعد أن أرغمتهما على أكلهما!!

ماذا قلت؟؟

أخبرتني في يوم ما أيها المسخ في إحدى الليالي وأنت تمسني بطريقة بشعة وقلت إن لحمي طري جداً ويجب أن تأكلني في يوم من الأيام! وقلت بأن لحم الإنسان لا يوجد ألذ منه أليس كذلك؟ لقد حققت أمنيتك أنت الآن أكلت لحماً طرياً شهياً لحم إنسان لحم ابنك الأوسط..

أطلقت ضحكات سعادة وانتصار ونشوة، أما هما فاستمرا بالصراخ بجنون والبكاء، تقيأت تلك الساحرة لحم ابنها وأخرجته من أعماق بطنها وهيَ تردد: اقتلني فحسب ارحمني أرجوك..!

قلت وأنا أنهض:

هذا مقرف أتعلمين بأن معلمتي من كانت تنظف غرفتي كل يوم كيف تتجرئين وتقومين بتوسيخها؟؟

أمي!! أمي أين أنا؟

استيقظ الابن الأصغر وهو غير مدرك ما يحدث حوله!!

توجهت إليه وأمه وأبوه يتوسلان إلي أن أتركه! أمسكت بشعره ووضعت المنشار اليدوي حول رقبته:

الآن اختارا كيف تريدان أن يموت؟

أرجوك لا تفعلها أرجوك توقف!!

مسألة التوقف هذه انتهينا منها، لا مجال للتوقف والآن قررا بسرعة قبل أن أقرر أنا!!

قال المسخ والده بكل يأس:

أنت في كل الأحوال ستقتله لماذا يجب أن نختار طريقة موته!؟

سؤال جيد، لأنكما ستختاران الطريق الأقل عذاباً له أليس كذلك هذا الشيء في مصلحته..

لا تفرق معي..

صرخت والدته في وجه زوجها:

أنا تفرق معي!! أرجوك أعطه فرصة أتوسل إليك انظر نحن لدينا الكثير من المال يمكنك أخذه كله والبدء بحياة جديدة نحن ارتكبنا جرائم في حقك وأنت انتقمت لذا لا تستطيع الإبلاغ عنك أرجوك دعه فقط..

حياة جديدة!!؟ لماذا هل هناك حياة تنتظرني؟ على العموم أنتِ تحاولين تعطيلي لذا انتهى الأمر..

انتهيت من حديثي ونحرت رقبة ابنهما الأصغر أمام أعينهما وهما يصرخان بصرخات مدوية، أصبح القبو بحراً من الدماء! بعدما صعدت إلى الأعلى وأحضرت جثة ابنهما مع ما تبقى من رأسه الهيشم ووضعتها بجانب جثة أخيه الأصغر..!

أخذت سكيناً صغيراً وتوجهت للأب أولاً وقطعت لسانه، وتنقلت إلى الأم وقطعت لسانها! أحضرت مصيدتين ضخمتين من المصايد المخصصة لصيد الحيوانات العملاقة مثل الدب والأسد وخالتي وزوجها المسخ ووضعتهما في أقدامهما وهما يصرخان ألماً! يصرخان بدون أي صوت ينزفان من ألسنتهما وأعينهما وأقدامهما وقلوبهما! جعلتهما يذوقان الألم نفسه الذي ذقته أنا من حسن حظهما أنه لن يطول سيموتان خلال اثنين وسبعين ساعة تقريباً حتى ذلك الوقت سيعيشان العذاب والألم وسيعيشان مع جثث أبنائهما..

قلت بكل شموخ وأنا آخذ جثة المعلمة معي:

أما الآن فانتهت خياتي هنا أتساءل من سيجدكم لأن العاصفة لن تهدأ حتى ثلاثة أيام بعدها سيأتون ويبحثون عنكم! هنا محزن ستشاهدان جثث أولادكما أمامكما ساعات أو ربما أياماً حتى تفارقا الحياة من شدة الألم والنزيف، قبل أن أذهب أحب أن أشكركما على الخدمة المميزة التي قدمتماها لي لقد أويتماني طوال هذه السنوات هنا دخلت وأنا طفل بريء وملاك وخرجت وأنا شيطان..



أخذت كل الظلام وأكلته، أصبحت مثل البئر العميقة الممتلئة بالظلام اللانهائي! لدي الكثير من الشياطين في رأسي والكثير من الكوابيس تلاحقني من الماضي، وكان لدي خياران: إما أن أعود ضعيفاً وأعيش في الماضي وأغرق فيه وأشعر به كل يوم! وإما أن أمضي نحو المستقبل بلوحاتي وفرشي وألواني الثلاثة وأن أكون قوياً وأحكم أرواح الكثير، أن يهابني الكثير من الناس شعور أكثر من رائع، أن أكون مشهوراً والجميع يتحدثون عني بعد أن كنت نسياً منسياً شعور لا يوصف أبداً!!

بعد حادثة الانتقام رحلت من تلك القرية وإلى الأبد غيرت هويتي واسمي الذي أساساً يبدو أنني نسيته، وتوجهت إلى مدينة بعيدة جداً مدينة تعج بالناس والبشر الطبيعيين تعج بالخير والشر على عكس تلك القرية كان كل ما فيها هو الشر ولا وجود للخير أبداً، مضت ست سنوات فيها كونت نفسي من جديد أكملت دراستي في تخصص الفنون كما كانت تريد معلمتي، أصبحت أجيد الرسم بشكل مثالي، أصبحت أبيع لوحاتي لذلك حصلت على مال لا بأس به خصوصاً في بدايتي، كنت وقتها معتمداً على الرسم التعبيري الممل لم أكن مقتنعاً بهذه الرسومات أردت خلق أشياء جديدة وعوالم مميزة أردت أن أصنع عالماً مرعباً! لكنني كنت خائفاً أن أرسم شيئاً ويتحقق مثلما حدث في الماضي! في

الماضي كنت أرغب في الانتقام لكن الآن لا توجد أي مشكلة، لست واثقاً إذا كانت المعلمة ما زالت معي أو لا! لكن منذ أن دفنت جثتها في القرية بجانب منزلها وخرجت من القرية لم أعد أسمع صوتها، ولم أعد أراها أيضاً، أعترف بأنني أحياناً أشتاق لها! لكن لا بأس لا بد أنها ارتاحت لقد حققت لها الكثير من الأمنيات، الآن حان وقت تحقيق أمنياتي! لكن ما هي أمنياتي؟ ما هي أحلامي؟ أشعر بأنني تبلدت كلياً تجاه هذا الموضوع حتى بعد أن درست وتخرجت وعملت وأصبحت مشهوراً إلى حدٍ ما في مجال الفن وأصبح لدي المال كل هذا لا أشعر بعده بالسعادة! لا أشعر بأي شيء أبداً! أشعر بأن هناك شيئاً ناقصاً في حياتي! لكن ما هو؟؟

احتفل العالم بالعام الجديد وهكذا يكون أصبح على الماضي سبعة أعوام رسمياً! اكتفيت أنا كالعادة بالبقاء في شقتي الهادئة التي لطالما شعرت بأنها الأمان لي! دعوني أخبركم عن الكدمات النفسية التي بقيت معي بسبب الماضي المظلم، أولاً أنا أبقي جميع أضواء شقتي مغلقة وأحب الضوء الخافت أحب الظلام جداً أصبحت مدمناً عليه لأنني أكلته وتشبعت منه سنوات، ثانياً أكره الكلاب كثيراً وأظنكم تعرفون السبب جيداً، ثالثاً لا أحب الأماكن الضيقة أبداً اشتريت هذه الشقة الواسعة بغرف واسعة وضخمة كنت أعيش في حي الأثرياء برغم أنني لست بعد بذلك الثراء لكن أحب أن أكون مميزاً لا أرغب أن أعيش مع مخلفات الحيوانات عشت معها ما يكفي! والأكثر غرابة لا أستطيع نسيان تلك اليد التي كانت تلمسني كل يوم! تلك اليد الضخمة الخشنة

كان ذلك المسخ يلبس ساعة تلمع أستطيع رؤيتها من عمق الظلام في يده اليسرى! لذلك لا أحب أن ألبس الساعات في اليد اليسرى وألبسها في يدي اليمنى! في احتفال رأس السنة اكتفيت بالبقاء في شقتي والرسم فقط والاستماع إلى الموسيقى، عشت حياة هادئة كثيراً بعد تلك الأحداث كنت إنساناً متواضعاً والجميع يحبونه ويحترمونه ليس لأنني كذلك بل لأنني أفضل عدم تكوين علاقات لذلك أكتفي دائماً بالابتسامة بلطف للأشخاص! ذهبت إلى صندوق البريد لكي أتفقد ما وصلني صراحة ليس لدي أي أحد يراسلني غير الأشخاص الذين أعمل معهم في متحف الفن وطلبات اللوح فقط هذا ما يصلني عبر البريد،، مؤخراً لم تكن تصلني طلبات للرسم! تقريباً لمدة ستة أشهر لم يصلني طلب إلا ثلاثة أو أربعة! أشعر بخطر حقيقي أرغب أن أكون رساماً مميزاً! ما أفعله وما أرسمه ممل حقاً ومكرر!! يجب أن لا تنتهي موهبتي هكذا أرغب بشيء يلهمني أرغب في إلهام جديد!!.

وجدت رسالة بريد من صديق لي ولكي أكون صريحاً هو الوحيد الذي أعرفه من ثلاث سنوات، كل العلاقات لا أستمر معها طوال هذه المدة لكنه كان داعمي الأول في الفن والرسم وساعدني كثيراً كنت أحتاجه لذلك لم أقطع علاقتي معه، كتب في الرسالة بأنه غداً سيقيم عشاء وسيكون هناك حفل تكريم لأحد الأشخاص يعرفونه لذلك من الجيد أن أكون موجوداً معهم وأستمتع.. لا ترفض أبداً لا تنسَ أنك وعدتني بأن تلبي لي طلباتي صديقك: «ديمتري»



«ظهر أحد شياطين الماضي»

أشرقت شمس اليوم الثاني من السنة الجديدة كما قلت سابقاً ليس لدي أي خطط كالعادة في رأس السنة سوى البقاء في المنزل والاستمتاع بالرسم والقراءة وشرب القهوة ومراقبة حبات الثلج وهي تهطل على الأرض لتكسوها بياضاً كم أتمنى أن تكسو ثوب الناس بالبياض ولكن الثلج والبرد لا يزيدان قلوبهم إلا قسوة وتجمداً وتبلداً للمشاعر! كنت أفكر سابقاً أنا الآن أصبح عمري في الخامسة والعشرين كما يقولون إنه منتصف عمر المراهقة والطفولة! لكن أنا لا أعلم أين أنا؟ وفي أي منتصف أنا؟ في الحقيقة لقد أصبحت بعمر السبعين وأنا في ذلك القبر المتعفن! لا بأس يجب أن لا أفكر في الماضي أبداً ما زلت صغيراً ويجب أن أفكر بمستقبل باهر مستقبل يتحدث فيه كل العالم عني، بعد أن أخذت حماماً دافئاً توجهت إلى المطبخ وأعددت لي طبق الإفطار المفضل: بيض مع القليل من النقانق أنا كل يوم آكل هذا الطبق بدون ملل ولا كلل لا أحد يسألني لماذا؟ حتى أنا نفسي لا أعرف! بعدها توجهت إلى غرفة المعيشة ولمحت على الطاولة البريد المرسل من صديقي ديمتري تذكرت أن اليوم لديهم احتفال أنا حقاً أكره الاحتفالات والتجمعات لكن يجب أن أذهب لأنني وعدت ديمتري وأنا أكره أن أخلف بوعودي وأكره الأشخاص الذين يخلفون بوعودهم منذ ذلك اليوم الأسود الذي توفيت فيه أمي وأبي وأنت خالتي الساحرة

زوجها المسخ وأقسما في المحكمة ووعداني بأنهما سيعتنيان بي ويهتمان بي على أكمل وجه وكلنا نعلم ماذا حدث بعده!..

لذا نهضت وتجهزت ارتديت أفضل الملابس لدي عادة ما أرتدي أجمل الملابس ومن ماركات عالمية وأرش بأجمل العطور دائماً من حولي ينادونني بالرجل الأنيق أو الأكثر أناقة على الكرة الأرضية، لا أخفي عليكم: أحب أن أكون مثالياً لا أحب أن أرى شعرة واحدة على لبسي! منزلي أي أحد يدخله يظن أنني أعيش في مستشفىً للمجانين! بسبب بياض الجدران والأسقف والأرضية الناصعة، فارغ كفراغ قلبي تماماً، أحب أن أتأمل لوحاتي بدون أي شيء يلفت انتباهي ويعكر صفو مزاجي..

انتهيت من التجهيز وآخر لمسة لبست كالعادة ساعتي في يدي اليمنى تناولت معطفي الثقيل الأسود وشالي وخرجت، وصلت إلى مقر الحفل كان في منزل صديقي ديمتري، أغلب الحضور كانوا من الطبقات الراقية وأيضاً الأغلب كانوا مهتمين بالفن، توسطت الحفل ووقفت بجانب مجموعة كنت أعرفهم ألقيت عليهم التحية وتبادلنا حديثاً بسيطاً حتى أتى ديمتري يرحب بي ويحتضنني بسعادة قائلاً بأسلوب فكاهي كالعادة:

أهلاً وسهلاً يا سيد القوقعة أخيراً خرجت من قوقعتك!!

قلت وأنا أضحك:

أنت تعرف جيداً أنني لا أخرج منها إلا من أجلك..

للتو الحفل أصبح مكتملاً أنا سعيد جداً لأنك أتيت أرغب بأن أعرفك على أشخاص ملهمين مثلك..

وأنا أيضاً متحمس لأتعرف عليهم.

توجهنا أنا وديمتري إلى منتصف ساحة الفناء وكان هناك فرقة موسيقية والكثير من المشروبات والمأكولات، التقطت نبيذي المفضل وأنا أراقب الأجواء التي كانت بالنسبة لي كالموت البطيء لأنني لا أحب التجمعات ولا الاحتفالات كما قلت سابقاً أتيت فقط من أجل «ديمتري»

هذا صديقي والفنان المتواضع «دانيال أرمونز»

أتى صوت ديمتري من خلفي وهو يقول هذه الكلمات ويشير إلي التفت لأرى على من يعرفني! ما أن رأيت الشخص الذي أحضره ديمتري أصبت بالصاعقة!! عاد شريط ذكريات جحيم الماضي في رأسي في دقيقة واحدة منذ أن رأيت وجهه عرفت ملامحه التي من المستحيل أن أنساها! صوته طريقة كلامه المستفزة رغم أنني قابلته مرتين فقط وأنا طفل مرة عندما كنت بعمر عشر سنوات وقتها هربت من المدرسة وذهبت إلى قسم شرطة القرية الذي يوجد فيه ضابطان فقط ضابط فاسد وشريكه الأفسد! قابلت الضابط «براند لوميكسي» توسلت إليه في تلك الظهرية الممطرة وأخبرته بمعاملة خالتي وزوجها المسخ لي، وأظهرت له الكدمات بجسدي! وأخبرته بأنهما وحشان! ورد علي بكل بساطة:

«الوحوش في مخيلتك فقط يا طفلي، عد الآن إلى المنزل»!!
وبالطبع وقتها أخبرهما بأنني أخبرته وعاقباني أشد العقاب..

المرة الثانية والتي اكتشفتها متأخراً أنه كان موجوداً عندما أتت المعلمة إلى المنزل وأخبرته بأنني محبوس في مكان ما سمعت صوته في تلك الليلة ولكنني نسيت من هول صدمة موت المعلمة وترك جثتها معي! وقال لها إنها تتخيل وتلقي اتهامات لا وجود لها من الصحة وإنني هربت من المنزل فحسب وبعدها خرج وتركها لخالتي وزوجها المسخ ينهشان روحها!!

دانيال،،دانيال،،هل تسمعني!!؟

أتى صوت صديقي ديمتري وهو يقف مع ذلك الضابط أحد شياطين الماضي ينظر إلي باستغراب! بالطبع لم يتعرف علي الآن أصبح عمري ستة وعشرين وهو أصبح كهلاً تقريباً في سن الستين وإلى الآن لم يمت! هكذا هم الأشقياء دائماً أبقياء..

نعم نعم أنا اسمعك،، آسف لقد شرد ذهني قليلاً..

ديمتري وهو يضرب على كتف الضابط:

هذا الضابط الشهير البطل المتقاعد حالياً «براند لوميكسي»، سيد براند هذا صديقي الرسام والفنان «دانيال أرمونز»..

الضابط وهو يمد يده بنحوي بابتسامة عريضة:

أهلاً تشرفت بلقائك دانيال..

قلت وأنا أمد يدي وأصافحه:

وأنا أيضاً سيد لوميكسي..

لا بأس قم بمناداتي ببراند فقط فأنا لا أحب الرسميات..

كانت يداي ترجفان فلاحظ هو ذلك..

لماذا ترجف هل تشعر بالبرد؟؟

قلت وأنا أحاول أن أخفي نوبة هلعي:

نعم نعم فأنت تعرف نحن في أوائل فصل الشتاء وأنا لا أتحمل البرد..

ديمتري:

نعم دانيال يكره الشتاء لذلك سننتهي من هنا بسرعة وندخل إلى قاعة العشاء..

ننتهي من ماذا؟؟

أنا وبعض الأصدقاء قررنا تكريم صديقنا ومعلمنا براند بسبب تقاعده سنقطع كعكة الاحتفال ونقدم له الهدايا هل ترغب بأن تشاركنا؟؟

نعم بالطبع ولكن لم تخبرني من قبل لأحضر شيئاً في يدي من أجل الضابط الأسطورة الشجاع،، قلتها بشكل متهكم..

شعر بأنني قلتها بسخرية عرفت من تعابير وجهه ثم حاول تلطيف الجو:

لا بأس يا سيدي الرسام من الممكن أن تعوضني بلوحة جميلة في وقت قريب سأستقبلها بكل حب..

ديمتري بحماس:

إنه محق فكرة رائعة ما رأيك يا دانيال أن ترسم من أجله لوحة!!

بالطبع اتفقنا سأرسم من أجله أجمل لوحة وهي ستكون أول لوحة في هذا العام الجديد..

رائع إذاً اتفقنا دعونا الآن نذهب إلى قاعة العشاء ونستمر في الحديث هناك بخصوص اللوحات..

انتهى الاحتفال وعدت إلى المنزل بعد أن عرفت أن والد ديمتري هو من عرفه بهذا الضابط وهم يعرفونه من سنوات، يبدو أن الضابط انتقل حتى قبل أن أكبر وأيضاً على ما يبدو أتت له فرصة ثمينة للنقل إلى مدينة ومكان أفضل بالطبع الفاسدون دائماً ما تكون الحياة لهم مبتسمة! عدت إلى المنزل وأنا أشعر بأنني عدت للتو من معركة نفسية بسبب التجمع! وبسبب أنني التقيت بأحد شياطين الماضي! شعرت بأن كل الشياطين في رأسي خرجت من جديد، كنت أشعر بالمشاعر أنفسها عندما كنت محتجزاً في القبو كل مشاعر الغثيان والدوران حتى إن رائحة جثة معلمتي عادت!! ذهبت ركضاً إلى الحمام وأخرجت كل ما بداخلي تناولته في الاحتفال! بعدها شعرت براحة شربت بعض الماء وأخذت حماماً ساخناً، خلعت ملابسي وسقطت منها بطاقة التقطتها تذكرت أنها بطاقة ذلك الضابط حيث طلبت منه أنا معلومات اتصاله وأعطاني بالطبع بكل حماس وفخر، وضعت البطاقة في الدرج وتوجهت إلى السرير وغرقت في النوم..



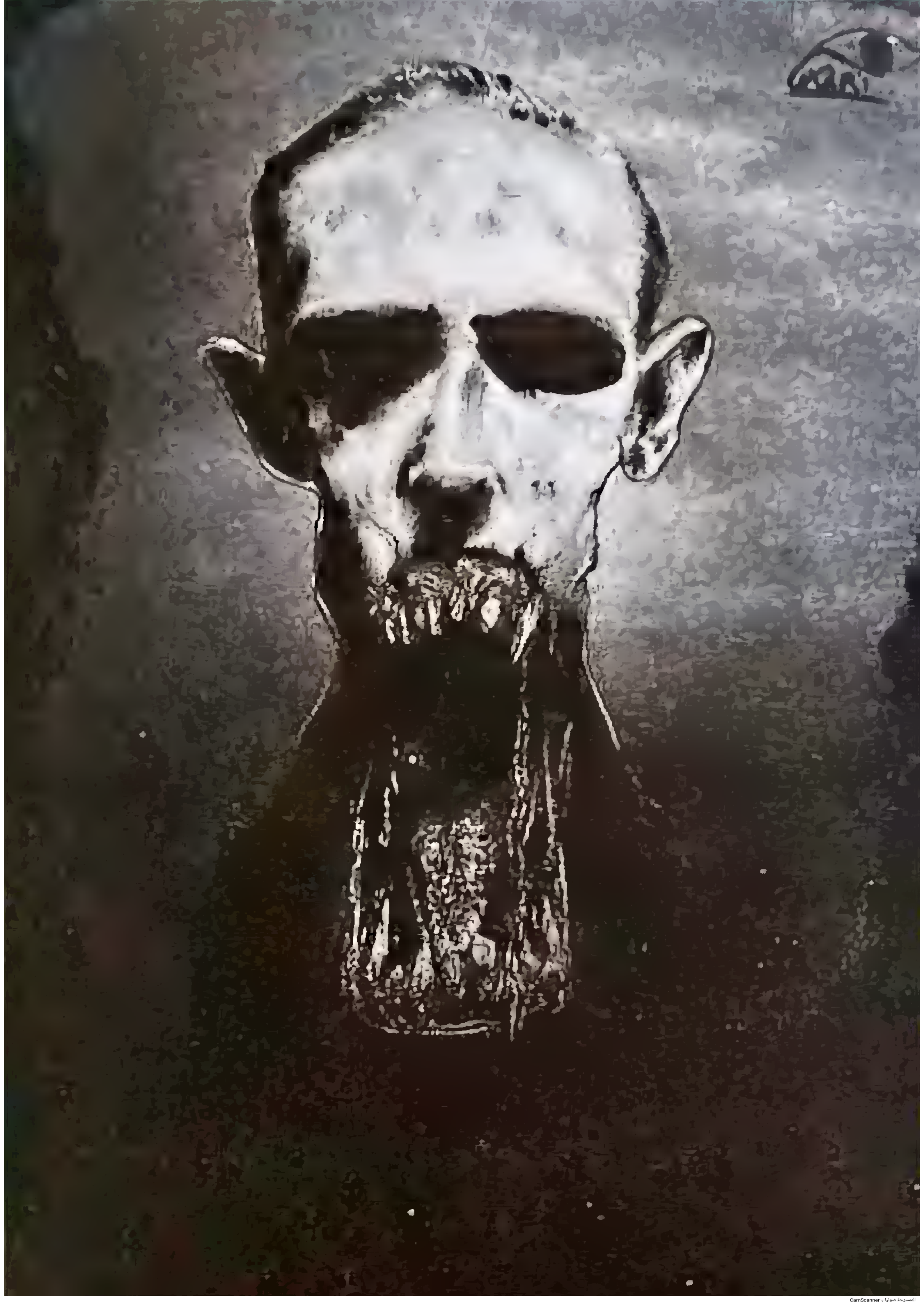
«وكانت كوابيسي ملهمتي»

فتحت عينيّ لأرى نفسي في ذلك القبو الذي عشت فيه جزءاً طويلاً من حياتي! ضاق صدري أصبح تنفسي ثقيلاً! لكن سرعان ما ارتحت عندما رأيت نفسي كبيراً كما أنا وليس طفلاً! تفحصت المكان بعينيّ كان القبو كما هو لكنه نظيف بشكل مريب وفارغ لا يوجد به أي قطعة واحدة حتى! سمعت صوتاً قادماً من الأعلى توجهت إلى السلالم وصعدت كان باب القبو مفتوحاً خرجت إلى المنزل وجدته غارقاً بالدماء! رائحة الدماء والجثث تفوح منه! نعم هذا المشهد مكرر يتكرر دائماً في مخيلتي وكوابيسي هيَ تلك الليلة التي قتلت فيها خالتي وعائلتها! سرت باتجاه الرواق متجاهلاً المطبخ متجهاً إلى آخر الرواق! كانت الإضاءة ترمش بسرعة كبيرة وكأنها كاميرات تصوير! كان في آخر الرواق باب صغير يؤدي إلى غرفة الغسيل كان الباب يهتز بشدة!! تقدمت نحو الباب بحذر مددت يدي إلى المقبض الغريب أنني لم أكن خائفاً هل هذا لأنني أعلم بأنه مجرد كابوس!؟ لكن الإنسان الطبيعي يخاف وبشدة من الكوابيس ولا يستطيع حتى تمييز إذا كان هذا كابوساً أو حقيقياً! لكن أنا من اللحظة التي فتحت فيها عينيّ علمت بأنني في كابوس!

أدرت المقبض حتى انفتح الباب بهدوء، دخلت بخطوات حذرة كانت الغرفة مظلمة جداً تحسست بيدي أبحث عن مفتاح الإضاءة لكن فجأة أُقفل الباب! وقتها أحسست بالرعب ركضت نحو الباب حاولت فتحه لكنه كان مقفلاً بإحكام! لم يكن لدي خيار آخر إلا أن أبحث عن مفتاح الإضاءة، عدت للبحث كالمجنون أتخبط في الظلام اصطدمت مئات المرات بأشياء وأغراض لا أعرف ما هي! حتى وقعت ودخلت يدي بالخطأ في شيء دافئ! وكأنه تجويف لكنه مبلل لزج لا أعلم!! سحبت يدي بهدوء سمعت صوتاً قادماً من المكان الذي أخرجت يدي منه! صوتاً وكأن أحدهم يئن يحاول التحدث والصراخ لكن لا يستطيع! بعدها تذكرت أنه عادة في غرفة الغسيل مفتاح الإضاءة يكون عبر حبل في السقف لذلك مددت يدي حتى أحسست بحبل هذا هو سحبته ونظرت إلى مصدر الصوت والمكان الذي دخلت يدي فيه وكانت المفاجأة!!:

كان شخص ما يجلس على الكرسي مقيداً جسده نحيل جداً لونه أسود جاف يبدو أن الدماء تصفت من جسمه! وجهه كان كاللوحة الفنية فمه وفكه مفتوح كفتحة مدخل النفق بدون مبالغة!! كان فكه الأسفل يصل حتى منطقة صدره! داخل فمه الذي اكتشفت أن يدي كانت داخل تجويف فمه الواسع! كان يخرج منه الكثير من الحشرات! سمعت

صوتاً وكأنه صوت دبابير اقتربت من فمه بهدوء وأنا أحاول أن أبحث ما الذي يوجد داخل تجويف فمه؟ حتى رأيت شيئاً صعقني!! رأيت عيناً ترمش في ظلام تجويف فم هذه الجثة وهذه العين كانت تنظر إلي مباشرة كانت عيني أنا!! شهقت بقوة حتى شعرت بأن روحي عادت إلى جسدي واستيقظت أخيراً!!...





«صاحب الفم كمدخل النفق»

تمتلكني رغبة برسم لوحة جديدة، لوحة غير مألوفة ولا مسبوقة، أصنع فيها شيئاً غير مألوف! أخلق فيها شيئاً من شياطين الماضي! من الوحوش التي تعشعش في رأسي! شيئاً قاسياً مخيفاً دموياً!! ما الفائدة من رسم زهور ومنازل وأشجار وغيوم وبحار وبشر!؟ كل ذلك ممل ومكرر! أرغب بأن أهرب من الواقع وأنغمس في عالم جديد، عالم أنا أخلقه وأصنعه عالم يكون باسمي أنا! عالم يبهرني ويبهر من حولي، عالم يتشلني من الواقع الذي عشته عالم مرعب يرعب كل من حولي، عالم ينتقم لي من العالم الذي انتقم مني...

ما الشيء الذي سيلهمني؟ كوابيسي! الماضي المرعب! جثة معلمتي! الشياطين في رأسي! الوحوش التي أراها في كوابيسي! أشعر بأن هذا الكابوس كان رسالة لي لأبدأ لكن أبدأ ماذا؟ بالرسم! وبالانتقام! كيف أستطيع رسم ذلك الشخص ذي الفم الواسع! لا أستطيع تذكر تفاصيله! أخاف كثيراً على تبذير الألوان واللوحات فهي أثمن من حياتي لا أرغب بالتجارب بدون التطبيق! تطبيق؟ ما هو التطبيق؟ أن أطبق الشيء الذي رأيته على شخص بعدها سيكون أمامي مباشرة بعدها أستطيع رسمه بإتقان أليس كذلك؟؟!

الإلهام يأتي من التجارب ويجب أن أخوض التجربة..

مضى أسبوع كامل على الكابوس وعقلي بعدها لم يهدأ أرغب برسم تلك الجثة لكن أفشل في كل مرة شعرت بالاكتئاب تراودني أفكار شيطانية باستمرار على التطبيق لكن أظل أرفضها، أقاوم وأقاوم حتى مضى شهر على الموضوع وحاولت أن أتناساه! حتى أتى اليوم الذي قلب كل الموازين! ذهبت في صباح باكر مع صديقي ديمتري واجتمعت معه في مقهى وتفاجأت بحضور ذلك الشيطان الضابط من الماضي وبعض الأصدقاء، عندما رآني تصرف معي وكأنه يعرفني منذ سنوات رحب بي وهلل بي! قلت على استحياء وأنا حقيقةً لا أهتم:

أعتذر لأنني لم أعطِك هديتك لكن سأعطيك إياها في يوم ما..

قال بابتسامة مجاملة:

لا بأس نسيت الموضوع برمته وأيضاً أعلم بأنك مشغول برسم الكثير من اللوح لكي تعرضها في معارضك..

ديمتري يحاول تغيير الموضوع:

حسناً ما رأيك هيا نطلب قهوة ونتحدث عن المشروع الذي جمعنا هنا!

حسناً هيا..

وصلت القهوة وبدأ ديمتري في التحدث عن أن هناك معرضاً خيرياً يقيمه الضابط الإنساني وأن كل الأرباح ستذهب للأيتام والفقراء! مضحك حقاً الضابط الإنساني الذي ماضيه أسود بسرقة وأكل وظلم حق الأيتام والفقراء وارتكب عدة جرائم الآن

يمثل على هؤلاء الناس أنه إنساني وهو حتى ليس إنساناً! قال أحد المستشارين المختصين بالمعارض والفن:

فكرة رائعة يا سيد براند لوميكسي، أنت معروف جداً بأعمالك الخيرية الكثيرة بكثرة قبضك على المجرمين في هذا العالم..

شكراً على إطرائك..

قاطعت مدحهم الممل لهذا الشيطان ثم سألته:

لكن لدي فضول يا سيد لوميكسي!

تفضل ما هو؟

أريد أن أعرف ما هو أكبر إنجاز لك أو بالأحرى من هو القاتل الأول الخطير الذي قبضت عليه في حياتك؟ أتطلع حقاً لمعرفة قصص كهذه!

قال بحماس وسعادة يحب أن يتفاخر كثيراً:

بالطبع سأخبرك بقصتي بكل اختصار حقيقةً كنت في بداياتي وبداية مهنتي شرطياً مبتدئاً بالطبع! ثم ضحك وضحك الجميع بشكل مجامل!! إلا أنا كنت أنظر إليهم بتهكم!

ثم أكمل حديثه:

كنت وقتها بداية ترسيمي في قرية نائية بها عدد سكان لا يتعدى المئتي شخص، كانت قرية هادئة مسالمة جميع سكانها طيبون وعلى قلب واحد وكأنهم ملائكة،،

لم أتحمل ضحكت ضحكة ساخرة وحدي! نظر الجميع إلي بغرابة!! ثم قال ديمتري:

دانيال لماذا تضحك؟؟

لا شيء لقد تذكرت شيئاً فجأة آسف أكمل حديثك..

آه حسناً أين وصلت؟ نعم بعد بضع سنوات تقريباً من بقائي هناك حدثت جريمة قتل مروعة وقاسية وكانت أول جريمة من سلسلة جرائم ستأتي بعدها، أول جريمة كانت مجزرة لعشرة أطفال بعمر الزهور لقد تم قتلهم وإخراج أعينهم وحرق جثثهم!!

أحد المستشارين الموجودين معنا:

نعم هذه القضية مشهورة جداً في كل أنحاء العالم أستغرب كيف لا تعرف عنها شيئاً يا سيد دانيال؟

قلت بسخرية:

أعتذر فأنا أعيش خارج عالمكم..

ديمتري:

دانيال وأنا وقتها كنا طفلين لكن أيضاً أنا عرفتها وسمعت بها بعد ما كبرت لكن دانيال بالفعل لا تلوموه فهو غارق في عالمه الخاص..

استرسل في حديثه بحماس أكبر:

كانت قضية محيرة حقاً وصعبة ووقتها لم تكن لدينا عوامل للتحقيق ولا فريق وأيضاً حتى لم يعرنا أحد أي اهتمام من خارج

القرية ليقوموا بمساعدتنا فعزمت أنا وشريكي أن أحل هذه القضية، بعدها حدثت سلسلة جرائم أخرى، قاضي القرية مات شكل بشع، بعدها مدير المدرسة بعدها طبيب القرية! حتى توصلنا للقاتل أخيراً!!

قلت باستغراب ودهشة لأنني أعرف من القاتل كان وقتها القاتل يتحقق من رسوماتي وأنا رسمت الأطفال الذين تنمروا عني، بعدها القاضي الذي أعطى وصاية رعايتي لخالتي وزوجها المسخ، والطبيب الذي يأتي ويعطيني في كل مرة عقارات هلاوس ورأى جثة المعلمة وتصرف وكأنه لم يرَها! ومدير المدرسة الذي كان لا يهتم بشكاويّ ولا شكاوي المعلمة بأنني كنت أُعنف،، من هو؟ من القاتل؟!

قال الضابط:

كانت معلمة المدرسة واسمها «سارة كانتيل» هل تتخيلون ذلك؟ فعلت تلك الوحش كل هذه الجرائم..

بدأ قلبي بالخفقان تعرق جبيني ارتعشت يداي شعرت بحرارة في جسدي من شدة الغضب!! ذلك الحقير رغم أنه يعلم بأن المعلمة ماتت منذ سنوات في قبو خالتي وهيَ جثة! لقد وضعوا كل شيء فيها لأنهم لم يستطيعوا حل القضية! صحيح كانت من رسوماتي أعترف بأن شبح أو شيطان معلمتي هو من قتلهم بعد رسمي! لكن شوهوا سمعتها بعد موتها ظلماً ورمي جثتها وتعفنها!! ووضعها قاتلة!؟

ديمتري:

وبعدها ماذا حدث؟ هل قبضتم عليها؟!

لا! لقد انتحرت بعد أن تمت محاصرتها..

هؤلاء الكاذبون! الحقيرون! كيف يمكنهم أن يفعلوا ذلك؟ شعرت بكل أنواع الغضب تتجلجل في دماغي، أحسست بنيران تشتعل في صدري، بعد أن قتلوها وتخلصوا من جثتها بأبشع الطرق! ألصقوا كل تهم الجرائم بها وقالوا إنها انتحرت! صوروها كالوحش وستظل كذلك للأبد في نظر العالم!!

أحد المستشارين:

بالطبع وبعدها تم تكريم الضابط براند وتم نقله إلى العاصمة وتصويره كالبطل الأسطوري ومن بعدها أصبح بذكائه وقوته وشجاعته مرصاداً للمجرمين..

ضحك الجميع واستمروا بمدح وتبجيل هذا الشيطان! أما أنا فرغم استمرار أحاديثهم إلا أنني لم أعد أسمع شيئاً! كنت أسمع صوتاً كالصفير، أشعر بأن الأرض تدور بي وستهوي عما قريب، الصداع أصبح يأكل خلايا دماغي!! لم أتحمل أحاديثهم السيئة والمصطنعة دهمتهم بسؤال وأنا أحاول أن أخفي رعشة يديّ:

وماذا فعلت بجثتها؟؟

سكت الجميع ونظروا إلي باستغراب ثم قال الضابط:

ما هذا السؤال الغريب؟ ماذا فعلنا؟ بالطبع جثتها دفنت!! كباقي جثث جميع البشر إلا هيَ لم تكن من البشر..

استفزني كلامه أكثر ثم استرسلت في حديثي بسؤال آخر:

ما هي الأدلة التي ثبتت عليها بأنها القاتلة؟

الضابط:

بالطبع هناك أدلة كثيرة كالبصمات! الشهود الحمض النووي وغيرها..

أليس من الغريب أن تفعل امرأة كل هذه الجرائم مثلاً أولاً قتلت عشرة أطفال لنقل إنهم أطفال ليس لديهم أي قوة، ولكن البقية جميعهم رجال كيف استطاعت أن تقتلهم بكل هذه البشاعة رغم تمكنهم وقوتهم الجسدية التي تتفوق بالطبع على امرأة شابة!؟

بدأت علامات التوتر تظهر على وجه الضابط تناول فنجان قهوته وشرب رشفة منه ثم قال:

المرض العقلي أو ما يسمى بالسادية وهيَ كانت سادية الساديون يمتلكون قوىً رهيبة حتى لو كان طفلاً، غير أنها كانت تضع لهم مخدراً حتى تضعف قوتهم قليلاً..

ديمتري وكأنه يريدني أن أتوقف عن الأسئلة:

وبالطبع بعد ذلك توقفت الجرائم في القرية وعاد الأمان الحمد لله.

رغم ذلك سمعت من وقت قريب أنه كان هناك قبل عدة سنوات جريمة بشعة وكانت مجزرة لعائلة متكاملة!! استمررت بالحديث وأنظاري تأكل ذلك الشيطان الكاذب..!

قال بتوتر:

حقيقةً أعترف بعد تكريمي وترقيتي تم نقلي إلى العاصمة ولم أعد أعرف أي شيء عن القرية..

هناك أقاويل تقول بعد أن قُتلت عائلة تتكون من ثلاثة أولاد وأم وأب وجدوا جثة أيضاً لمعلمة في قبوهم!

رغم أنني أنا من دفن جثة المعلمة في مكان غير معروف لأي أحد وكنت أكذب إلا أنني أردته أن يخاف لأنه كان يعلم بأن المعلمة المسكينة تم قتلها من قبل خالتي وزوجها المسخ ووضع جثتها في القبو..

بدأ جبينه يتعرق ولم يرد علي واستمر في شرب القهوة.. أكملت حديثي وهجماتي غير مبالٍ:

ثم هل تصدقون؟ أيضاً هناك أقاويل بأن تلك العائلة كان لديهم طفل يتيم وكانوا يحبسونه في القبو وكان الجميع يعلمون ذلك بمن فيهم الشرطة ولكنهم يتسترون على الأمر؟!!

قال أحد الحاضرين بحماس:

حقاً!! وكأنني سمعت عن تلك القصة من قبل صحفي!؟

اتسعت حدقتا عينيّ! صحفي يعرف شيئاً ما عن قصتي التي لا يعرفها إلا الأشباح؟!! ثم سألت:

أي صحفي؟؟

الرجل:

لا أعلم كان قبل سنوات لدينا بحث عن الجرائم في جامعتنا وأثناء بحثنا أنا وأصدقائي عن الجرائم الغريبة والمنسية وجدنا صحفياً بالمصادفة في شركة إعلام قال لنا إن أغرب جريمة عمل بها هيَ جريمة المجزرة لهذه العائلة التي في القرية وأيضاً قال كلامك نفسه بأنه كان لديهم طفل ويحتجزونه هناك الغريب في الأمر لا أحد يعرف هذا الطفل وهل حقاً هناك طفل أم لا؟ وهناك أيضاً أشياء غريبة تحدث عنها مجزرة الأطفال العشرة التي عمل عليها الضابط قال إن القضية فتحت من جديد رغم أنه قبل سنوات قالوا إن المعلمة سارة هيَ القاتلة لكن يقول لا يعلم لماذا فتحوا القضية من جديد! بعد أسبوع ذهبنا أنا وأصدقائي إلى الإعلامي مرة أخرى لأن القصة أثارت اهتمامنا لكن اختفى ولم نجده أبداً حتى يومنا هذا قال من في الشركة إنه استقال فجأة رغم أنه كان شغوفاً ويحب عمله!!

ديمتري:

غريب حقاً هذه القرية يبدو أنه حدثت فيها كل الأشياء الغريبة..

والبشعة!! أضفت كلمتي وأنا أنظر إلى الضابط وهو بدأ يتصبب عرقاً ثم قال بابتسامة مصطنعة:

حسناً يا شباب دعونا الآن ننسَ أمر الجرائم والعنف ولنتحدث عن المعرض الخيري..

عدت إلى المنزل وأنا أشعر بأنني أفور من شدة الغضب، كانت الرؤية لدي ضبابية الصداع يتصاعد في رأسي! هذا ليس عدلاً كل شيء هنا ليس عدلاً!! الحياة غير عادلة! لا معي ولا مع المعلمة الوحيدة التي كانت إنسانة وعاملتني كإنسان!! ألا يوجد من يعطينا العدالة في هذه الحياة؟!

العدالة عمياء لكن نحن نبصر!..

أتت هذه الكلمات من صوت مجهول من داخل منزلي! قفزت من مكاني ونهضت وأنا ألتفت يميناً ويساراً وأردد:

«من هناك؟» هل هناك أحد؟؟

لم أجد أي رد!! فتشت المنزل فتشت كل صغيرة وكبيرة في لم أجد أي أحد! خمنت أن الصوت كان في مخيلتي فحسب! بسبب هلوساتي في بعض الأحيان،، أخذت حماماً ساخناً وتوجهت إلى السرير وأنا ما زلت أشعر باختناق في صدري من شدة الغضب وحرارة في جسدي، لم أستطع النوم أبداً فجأة سمعت صوت شيء ما وقع! نهضت من سريري التقطت عصا الجولف لأتسلح بها كانت تقع في غرفة نومي للزينة فتحت باب الغرفة بحذر كان وقتها المنزل كله مضيئاً بشكل مبالغ فيه! سرت عبر الرواق بحذر حتى وصلت إلى غرفة المعيشة لم يكن يوجد فيها أي شيء! توجهت إلى المطبخ ولم أجد أي شيء بعدها ذهبت إلى الغرف أيضاً كانت فارغة وأساساً مغلقة لأنني لا أستخدمها، لذلك توجهت إلى الاستديو الخاص بي للرسم فتحته بحذر كان كل شيء في مكانه مرتباً ومنظماً بإتقان! حتى

وقع نظري على الاستاند كان فارغاً واللوحة في الأرض واقعة على وجهها، تنفست الصعداء عندما عرفت مصدر الصوت ها هي إن اللوحة هي التي وقعت وأصدرت صوتاً وأنا خفت بهتي كالمجنون! ضحكت على نفسي بعدها سرت باتجاه اللوحة لأعيدها مكانها، أمسكت بها ورفعتها ووضعتها على الاستاند، لكن سرعان ما اختفت ابتسامتي وتبدلت تعابيري إلى رعب وصدمة! كان مكتوباً على اللوحة بالخط الأسود: «العدالة عمياء»، ومكتوباً بالخط الأحمر: «لكن نحن نبصر»! الجملة نفسها التي سمعتها قبل ساعات لحظة.. هذا الخط أعرفه؟! والصوت الذي سمعته أعرفه أيضاً!

مستحيل!! إنه صوت وخط المعلمة!! معلمتي الجثة هل عادت!! ولماذا عادت بعد كل هذه السنوات!؟

حان الوقت!!

خفق قلبي عندما سمعت صوتها للمرة الثانية التفت خلفي ولم أجد أي أحد!

هل هذه أنتِ؟؟ أيتها المعلمة؟!

فجأة شعرت بصفير شديد وصوت صغير في أذني ورأسي! أمسكت برأسي من شدة الألم اعتصرت وأنا أصرخ وأتساءل: ما هذا الألم المفاجئ الذي صرعني على الأرض؟ رأيت دماء تنقط أرضاً من أنفي! الرؤية أصبحت ضبابية حتى وقعت على الأرض مغشياً علي!..

استيقظت وفتحت عيني كانت الشمس تداهم المنزل علمت بأن الوقت أصبح صباحاً! مضت ساعات طويلة وأنا مغشيٌّ علي هنا في الاستديو في الأول ظننت ما حدث كان مجرد كابوس لكن عندما وقفت على قدمي ورأيت اللوحة كانت نفسها ما زالت العبارة مكتوبة بالخط والألوان أنفسها! هذا يعني أنه لم يكن حلماً أو كابوساً كان حقيقة المعلمة عادت!..

قفزت مرة أخرى عندما سمعت صوت جرس الباب يرن!! يا لقد كدت أموت في مكاني من يمكنه الآن أن يزورني في هذا الوقت المبكر من الصباح!؟ خرجت من المرسم وحاولت أن أرتب شعري وملابسي بعد ليلة إغماء في أرضية المرسم، وصلت إلى الباب لكن لم أسأل من أردت التحقق أولاً على حسب الزائر لذا نظرت من فتحة الباب ما أن رأيته عاد الصداع إلى رأسي قلبي نبض بسرعة بدأ جسدي بالارتعاش! عندما رأيت الشخص الذي يطرق بابي! كان شيطان الماضي! كان ذلك الضابط! استمر بالضغط على جرس الباب وأنا لم أكن أعرف ما الذي أفعله! كنت متردداً هل أفتح له الباب أم لا!؟ لكن استجمعت شتات نفسي وفتحت الباب! استقبلني بابتسامة عريضة وكان يمسك في يده أزهاراً ونبيذاً فاخراً وقهوة:

صباح الخير،، آسف جداً تظن أنني أتيت بدون موعدا لكن كنت أتصل عليك من البارحة ليلاً ولم تجب على الهاتف، لما أعطاني ديمتري عنوان منزلك وشجعني أن آتي إليك تعلم أنت الآن أحد الفنانين الذين سيشاركون في المعرض الخيري ومن المهم أن نكون صديقين..!

خرجت عن صمتي بابتسامة:

أوه بالطبع سيد لوميكسي، من الشرف لي أن أكون صديقاً لك تفضل المنزل منزلك..

دخل وهو يقول:

لا بأس قم بمناداتي ببراند فقط،، خلع معطفه والتقطته منه وقمت بتعليقه في العلاقة الخاصة بالمعاطف، دخلنا إلى صالة المعيشة وبدأ يمتدح منزلي وناولني الأزهار والنبيذ والقهوة وهو يقول:

شعرت بخجل أن آتي إلى منزلك لأول مرة ويدي فارغة..

لقد كلفت على نفسك شكراً لك، وأيضاً كيف عرفت نبيذي المفضل هل أخبرك ديمتري!؟

بالحقيقة لا أنا دقيق جداً ولا أنسى عرفت من أول لقاء بيننا في حفل رأس السنة في منزل ديمتري كنت تحتسيه بشراهة لذلك علمت بأنه مشروبك المفضل..

أوه هذا جيد إذاً لنحتسِ القهوة أولاً ولكن هل تناولت الإفطار؟

صراحة ليس بعد لقد أتيت إليك بشكل مبكر جداً لأن منزلي بعيد جداً عن منزلك كنت في طريقي أولاً إلى السفر خارج المدينة سأذهب إلى العاصمة لكن فجأة قلت لنفسي: يجب أن أراك قبل أن أغادر ونتحدث عن أشياء تخص العمل:

حسناً إذاً سنتناول أول وجبة كصديقين اتفقنا؟!

ضحك وهو يقول:

بالطبع رغم فرق العمر بيني وبينك وبين ديمتري أيضاً

لا بأس الصداقة ليس لها عمر محدد ولا شكل معين الأهم أن يكون الجميع على قلب واحد..

توجهت إلى المطبخ وأنا أشعر بغثيان رهيب منه، أعددت كالعادة البيض والنقانق بعد أن سألته إن كان يحبها أو لا؟ فقال إنه يحبها بالطبع لا أظن أن شخصاً مثله يكره أي صنف من الطعام، عدت إلى صالة الاستقبال وأنا أحمل الأطباق بيدي ووضعت طبقاً أمامه وطبقاً أمامي وبدأنا بتناول الإفطار ونحن نتحدث عن العمل وخطط المعرض الخيري حتى انتهينا..

لقد شبعت الحمد لله، أنت تطبخ بشكل جيد هذه ألذ وجبة بيض ونقانق تناولتها في حياتي! رغم أنك ما زلت شاباً صغيراً وتستقر وحدك، إذا لم يكن هناك إزعاج أين عائلتك؟ أقصد هل يستقرون هنا في هذه المدينة أم خارج المدينة؟؟

سألني وهو يمضغ آخر لقمة من طبقه في فمه ،،

صراحة لا بأس هذا لا يزعجني، ثم إنه ليس لدي أهل لقد ماتوا وأنا ما زلت طفلاً..

أوه أنا آسف بحق أعتذر..

لا، لا بأس هذه هي الحقيقة والحقيقة لا يمكن نكرانها أو إخفاؤها مهما طال الزمن..

بالفعل أود أن أسألك سؤالاً آخر إذا لم يكن هناك أي إزعاج؟

بالطبع تفضل..

ذلك اليوم في المقهى في البداية قلت بأنه ليس لديك أي معلومات أو لا تعرف عن أشهر قضايا القتل التي في تلك القرية! ولكنك فجأة قلت معلومات كثيرة وسألتني أسئلة أكثر وكأنك كنت على دراية بكل شيء!!

عرفت الآن أنه أتى إلى هنا ليس من أجل صداقتي ولا المشروع الخيري بل على ما يبدو أنه شعر بالتوتر والخوف وأيضاً هو إنسان خبيث ودقيق وذكي لذلك لاحظ عندما قلت في البداية إنني لا أعرف أي شيء عن تلك القضية ثم انفعلت وتحدثت بمعلومات وقصص كثيرة!!.

تنهدت واسترخيت بجلستي وأرجعت ظهري إلى الخلف ووضعت قدماً على قدم وتناولت قهوتي ثم قلت بكل ثقة وبرود:

نعم صراحة لقد كذبت لأنني لم أكن أريد التحدث عن الماضي أكره الحديث عن الماضي..

اتسعت حدقتا عينيه بدأت يداه ترجفان!!

ماذا تقصد بالماضي!!؟ هل تعرف شخصاً كان يعيش في تلك القرية؟

نعم، كان لدي صديق يعيش هناك..

قال وهو يحاول أن يخفي توتره:

صديق! أي صديق؟

لا أرى أنه يهم أن أقول لك من هو وما اسمه الأهم أنه كان يعيش هناك حتى أصبح عمره ١٨ عاماً وخرج منها.. حضر كل الأحداث المرعبة التي حصلت هناك وشاهد كل الحقيقة..!

أي حقيقة!؟ الحقيقة هيَ التي رويتها أنا في المقهى هل يوجد غيرها!!؟

الحقيقة التي لطالما تباهيت بها أمام العالم الخارجي لم تكن حقيقة يا سيد براند!!.

ارتعشت يداه أكثر بدأ يسحب ربطة العنق من على عنقه!

لا أفهم ولا أعرف ما الذي أخبرك به صديقك ولكن أنا واثق بأنه مجرد شخص كاذب تعرف أن تلك القضايا والقرية أصبحوا مشهورين جداً وتخرج عليهم الكثير والكثير من الأقاويل أخبرني إذاً، إذا كان صديقك المدعي لديه قصة أخرى عاشها هناك فما هي قصته إذاً؟؟ وكيف يعرف الكثير حتى لو عاش هناك الكثير عاشوا هناك لكن لم يكونوا يعرفون شيئاً عن الحقيقة والقضايا لأنهم مجرد سكان ومن يعرف بالحقيقة فقط هم الشرطة! هل كان صديقك شرطياً؟ أم محققاً؟ أم جنائياً؟ لكي يستطيع معرفة كل أسرار تلك القرية!!

لأنه هو كان السر الذي شاهد كل الأسرار..

توقف عن الحديث بالألغاز إذا كان لديك شيء حقيقي فأعطِني وإذا لم يكن لديك شيء فدعنا نتوقف عن الحديث في هذا الموضوع للأبد..

للأسف لا نستطيع أن نتوقف عن الحديث عن هذا الموضوع! لأن هذا الماضي يستمر معك إلى الأبد!

إذاً أخبرني من يكون صديقك وماذا رأى!؟

شاهد كل شيء مثل القاتل الحقيقي الذي قتل الأطفال والذي قتل الطبيب والقاضي ومدير المدرسة!!

قال بغضب:

القاتل الحقيقي هو المعلمة كيف يمكنه أن يعرف أن هناك قاتلاً غيرها!؟

المعلمة قتلت وماتت قبل كل هؤلاء بسنوات..

نهض من مكانه وهو يرتعش والعرق يتصبب منه:

ماتت!! ماتت بعد أن قتلت كل هؤلاء كفاك عبثاً بعقلي ثم ما أدراه صديقك بأن تلك المعلمة ماتت وعن طريق القتل!!؟؟

قلت بكل برود:

لأنني رأيتها عندما قتلتها خالتي وزوجها وعشت مع جثتها في القبو لمدة سبع سنوات..!

سمعت صوت صدمته نعم للصدمة صوت وأنا استطعت أن أسمع نبضات قلبه التي كادت أن تخترق قفصه الصدري! أصبح العرق يتصبب منه كالشلال، رعشة جسده أصبحت بدون توقف! قال بتلعثم:

أنت...! أنت،، من تكون أنت؟؟؟

وقفت ووضعت كوب القهوة الذي كان بيدي والتقطت السيجارة وأشعلتها بعد النفخة الأولى التي نفختها بوجهه أحسست بإحساس مختلف أحسست بأنني لست أنا ولم أعد أنا، أحسست بأن الشيطان ولد في جسدي من جديد بعد أن دفنته آخر مرة بعد قتلي لعائلة خالتي!! قلت بابتسامة:

أنا أكون الطفل الذي أتى إليك في يوم ممطر وعاصف وأخبرتك بأن خالتي وزوجها يحبسانني في القبو مع كلبهما المفترس ويقومان بتعذيبي وجعلتك ترى الكدمات التي كانت تغطي جسدي وأخبرتك أنهم وحشان وقلت لي: «اذهب يا طفلي عد إلى منزلك الوحوش لا وجود لها الوحوش تقبع في رأسك فقط»..!

مسك على رأسه وبدأ بالسقوط وهو يتألم ثم نظر إلى طبق البيض والنقانق:

ماذا!! ماذا وضعت لي؟؟

لا شيء مجرد بيض ونقانق وقليلٌ من المخدر الأفضل أن تنام لكي تستطيع أن ترى حقيقة الماضي التي دفنتها أنت..

ثم سقط وفقد الوعي..

فتح عينيه ليجد نفسه مقيداً بالحبال من أخمص أقدامه حتى رأسه، فمه مغطّىً حتى لا يستطيع الصراخ بدأ يذعر ويئن ويهتز بجسده حتى سقط هو والكرسي الذي كان مقيداً إليه! دخلت إليه وجدته واقعاً مع الكرسي على الأرض أمسكت بجسده الثقيل ورفعته مع الكرسي:

لا يمكنك التصرف كالأطفال أيها الضابط الشجاع ما الذي حدث لشجاعتك التي يتغنى بها الناس؟!

نظر إلي وفي عينيه مئة سؤال! ثم استرسلت في حديثي وأنا تحوم حوله:

أعلم بأنك تقول: لماذا أفعل ذلك؟ وإنني لن أنجو بفعلتي! وإن الجميع سيبحثون عنك الآن؟ وتظن أنني فعلت ذلك فجأة وبشكل عشوائي!؟

إذا كنت تظن نفسك ذكياً لتستطيع أن تخدع الناس فأنا أذكى منك، كنت أخطط لهذا من اليوم الأول الذي تقابلنا فيه من حسن حظي أنني ما زلت صغيراً وذاكرتي تسعفني وتعرفت عليك على الفور، أما أنت فمن سوء حظك أنك عجوز وذاكرتك لا تسعفك لتعرف علي! لتتعرف على الطفل الذي بصفتك ضابطاً شجاعاً كان يجب أن تساعده وليس أن تدير ظهرك له لكي تتركه يتعفن مع جثة متعفنة!

من المؤسف أن الجميع يعتبرونك مسافراً الآن لأنك بالفعل أخبرت الجميع بأنك ستذهب إلى خارج المدينة بسبب أعمالك الخيرية المصطنعة، لكنك قررت زيارتي بالأول ليس من أجل العمل ولا من أجل الصداقة بل أعرف أنك أتيت لأنك شككت في وضعي وأنني أحد أتباع الماضي الذي تخاف أن يظهر فجأة، لن أطيل الحديث معك لذا هل لديك أي تعليق تضيفه؟!!

أبعدت الشريط اللاصق عن فمه،،:

أنت!؟؟ كيف استطعت النجاة من ذلك الجحيم؟؟

مضحك جداً إذاً أنت تعلم بأنه كان جحيماً..

لحظة!! أنت من قام بقتل عائلة خالتك!؟ بشكل بشع!؟؟

للأسف وقتها لم تكن موجوداً لتحل القضية أيها الضابط الذكي،، اسمعني أرجوك الماضي انتهى أنا ارتكبت جرائم وأنت أيضاً لذا دعنا ننسَ كل هذه الأمور لن أخبر أحداً بما فعلته اليوم..

أطلقت ضحكة مدوية وهو ينظر إلي بخوف وقلق وتوتر ورجاء!!

من قال إنني أريد الانتقام منك؟ على العكس نسيت كل شيء حدث في الماضي لكن الآن لدي مشروع أرغب بأن تساعدني فيه! أحتاج إلى إلهام جديد ليساعدني على الرسم وسيبدأ الإلهام من عندك أنت، أنت ستكون ملهمي!..

قال بتلعثم:

ما.. ما الذي تريده؟؟

أرغب بأن أصنع وأخلق عالماً جديداً في عالم الفن وعالمي الذي سأصنعه سيكون مقتبساً من الإنسان..

لم أفهم ما الذي تقوله؟ ولا أريد أن أفهم! أرجوك أخرجني من هنا أنا لدي أطفال ينتظروني..

حقاً!! هل تشفق على أطفالك؟ ولكنك لم تشفق علي! هل لأنه لم يكن لدي أحد!؟ وماذا عن المعلمة؟! لقد كنت تعلم بأن

خالتي وزوجها قتلاها ووضعاها في القبو ورغم ذلك اتهمتها بكل الجرائم هي أيضاً كانت لديها طفلة ولديها أم وأب!؟

بدأ بالتوسل والتودد والاعتذار خرجت وتركته يصرخ طالباً النجدة، ذهبت لإحضار لوحتي وستاند الرسم وأدوات الرسم وأدوات التعذيب! وعدت إليه وهو يراقبني ويصرخ متوسلاً إلي!! قمت بتشغيل الموسيقى بأعلى صوت فهذه هي أول منحوتة وعمل فني ولوحة لي بهذا الإبداع وصنع عالم جديد!

أولاً تركته لمدة عشرة أيام بدون ماء ولا طعام وكنت أطعمه فقط بطعام الكلاب كما كانت تفعل معي خالتي وزوجها المسخ! بعدها تركته لمدة عشرين يوماً بدون طعام أو شراب كنت أعطيه في الأسبوع يوماً واحداً فقط ليشرب كوبين حتى لا يموت! في العشرة الأيام الأخيرة أضفت له صاعقات كهربائية في جسده والتكييف البارد كان كل ذلك أردته أن يظهر كجثة جافة منسية وهو حي مثل الشخص الذي رأيته في الكابوس! ونجح الأمر بعد الثلاثين يوماً من العذاب كانت دموعه فقط من تتحدث كنت أشعر بنشوة الانتصار والعدالة أخيراً، بعدها حان وقت التجسيد بشكل الجثة التي كانت في كابوسي: رجل ذو فم مفتوح وكأنه مذهول نفق! شققت فكه وهو ما زال على قيد الحياة أردته أن يشعر بالألم من كل أعماق قلبه وشعر به لدرجة أنه أخيراً توقف قلبه!! لقد فارق الحياة! بعدها أكملت عملي على تلك المنحوتة التي ستلهمني للرسم، قصصت فكه حتى جعلته يسقط منفصلاً عن رأسه ثم قمت بتخيطه مجدداً من الأسفل حتى يظهر بمظهر

المدخل! كنت سعيداً بهذه الموهبة العميقة بعد أن انتهيت من المنحوتة حان الوقت لكي أطبقها في داخل اللوحة ثبت الجثة على الكرسي وألبسته أفضل الملابس أصبح كالتحفة الفنية تماماً، بعدها أحضرت لي النبيذ الذي أهداه لي الضابط الشجاع العادل، وقمت بتشغيل الموسيقى وبدأت برسم جثته وأنا أردد والدموع تنهمر من عيني:

هل تشاهدين أيتها المعلمة؟ كما قلتِ: العدالة عمياء لكن نحن نبصر وأنا اليوم انتقمت من آخر شخص شارك في جريمتك وجريمتي! أنا اليوم منتصر أخيراً على جميع شياطين الماضي وفي الوقت نفسه سأبدأ مستقبلاً جديداً وحافلاً مستقبلاً لا وجود فيه للملائكة، الشياطين فقط لأنها هيَ التي تنتصر دائماً وفي كل مرة أصبح فيها شيطاناً أنتصر وفي كل مرة أصبح فيها ملاكاً أموت!!...

سهل جداً أن يصبح الإنسان ملاكاً يتقمص دور الملاك في أيام في دقائق في ثوانٍ فقط!! على عكس الشيطان فهو الأصعب الشيطان لا أحد يستطيع تقمصه، الشيطان يولد ويتأسس في النفس البشرية لسنوات وسنوات عديدة لا يمكن أن يصبح الإنسان الطبيعي شيطاناً في ليلة وضحاها!! لذلك أنا بعد أن كنت طفلاً بريئاً وملاكاً عشت حياتي في أتعس وأقسى مكان، كنت ملاكاً وعشت معظم حياتي في الجحيم بدون أي ذنب اقترفته! تدريجياً تقمصت الشيطان ولد معي في تلك الليلة التي قتلت فيها برسوماتي الطبيب والقاضي وغيرهما! كان طفلاً لا قوة له، كبر معي الشيطان وتجرأ أكثر عندما قتلت خالتي وعائلتها بوحشية،

بعدها لأبدأ حياة جديدة. قررت أن أدفنه بداخلي!! لكن اليوم وفي اللحظة التي ظهر فيها شيطان الماضي هذا الضابط ظهرت معه من جديد كل شياطيني لتعلن من جديد عن معركة الشياطين فلا وجود للملائكة هنا..

بعد أن قتلت الضابط مضى تقريباً شهر كامل وقتها اشتريت مزرعة خارج المدينة، بعد أن سكبت على جثة الضابط سائلاً لتحليل الجثة ونشرت ما تبقى من جثته في أرجاء المزرعة وتخلصت منها للأبد! لم يشك بي أحد لأنني ببساطة لا أعرفه ولا تربطنا صلة ولم يقل لأحد بأنه سيأتي إلي! وقال للجميع بأنه مسافر! بالنسبة لسيارته لم يأتِ بها حتى بل استقل سيارة أجرة حتى يأتي إلى منزلي بعدها كان سيتوجه إلى محطة القطار للسفر! ناهيكم عن أن تحقيق الماضي كان تحقيقاً بدون خبرة مع انعدام التطورات والأدوات المساعدة انتهى الأمر بهم بوضعه تحت قائمة المفقودين..

بعد أن هدأت الأمور وعادت الحياة إلى طبيعتها قررت أن أعرض اللوحة الأولى التي استلهمتها من جثته! عرضتها في معرض أقيم في العاصمة وأسميت اللوحة «صاحب الفم كمدخل النفق»

اللوحة بدون مبالغة اشتهرت وحققت نجاحاً مخيفاً وباهراً! عائداتها والمزاد عليها وصلت إلى الملايين والملايين!! استمر المزاد عليها لمدة شهر واحد ووصل سعرها لأعلى سعر للوحة في البلاد كلها! بعدها قررت أخيراً بيعها إلى شخص مدير أعمال أجنبي ليس من البلاد وفعلت ذلك متعمداً أريده أن يشهر اللوحة

واسمي أكثر، أحببت حياة الشهرة والرفاهية والنجاح أحببت العالم الجديد في الفن فأنا لم أشعر بالملل شعرت بأنني خلقت وأسست عالماً جديداً ومختلفاً عن عوالم الرسم المعتادة، شعرت بأنني أستطيع إنجاز المزيد والمزيد، شعرت بأنني أستطيع أن أجعل العالم بين يديّ، لا أحد يستطيع إيقافي لا أحد يستطيع أن يوقف رساماً يصنع عوالم لأنك ستضيع بين عوالمه ستغرق ستتيه ستختنق ستجن ستموت! أن تحدد مصير إنسان آخر بفرشاة وألوان شيء مثالي جداً، أردت أن أعطي موهبتي كامل حقوقها وأن أستغلها لطالما ما زالت على قيد الحياة، عشت ما يكفي من المذلة والإهانة والقمع والظلم، اكتفيت من أن يتم تحديد مصيري من قبل أشخاص آخرين وحان الوقت لأحدد أنا مصير العالم..

الرسامون، هم أناس يتمتعون بكل التبجيل والاحترام في المجتمع، فهم أولئك الفنانون، الذين يتميزون بحس مرهف، ويغوصون داخل أغوار النفس البشرية والطبيعة والكون، ليفتحوا لنا عالماً على طبيعة النفس.. ولكن ليس كل فناني العالم يميلون إلى رسم ما يريح النفس.. فبعضهم رسم الجانب المرعب من النفس البشرية، الشياطين، وأرواح البشر المعذبة، أو صوراً دموية، أو معاناة الحرب وفظائعه.. أو كوابيس أو أمراضاً نفسية أيضاً هذه العوالم تستحق أن تكون موجودة على اللوحات، أما عن نفسي فأحب أن أرسم الجثث أن أرسم الموت في أبهى صوره!»

«دانيال»



«المرأة الشائكة»

فتحت عيني لأجد نفسي في غابة ضخمة مظلمة! الضباب يغطي رؤوس الأشجار من شدة البرد، التفت يميناً ويساراً لا يوجد إلا صوت الغابات المخيفة صوت تنفسها وحديث الأشجار مع الرياح، سرت عبر طريق مستقيم بدون توقف كنت أشعر بالبرد الشديد حتى لمحت دخان نار يتصاعد! توجهت نحو النار كانت ناراً مشتعلة ضخمة جداً ما حرق بها ليس خشباً ولا أشجاراً ولا خردوات! كانوا أناساً!! نعم جثث متراكمة بعضها فوق بعض مشتعلة! التفت حول النار المضرمة بالجثث أنظر إليها بتعجب واستغراب لم أجد حولها أي أحد وكأن الفاعل فعل فعلته ورحل، فجأة سمعت صوتاً قادماً من اتجاه آخر توجهت نحو الصوت بخطوات حذرة عدت إلى أعماق الغابة وأنا ما زلت أتبع الصوت حتى اتضح لي كان صوت امرأة تئن وتتألم! عندما وصلت إليها أذهلني المنظر!!

كانت امرأة مقيدة في شجرة عملاقة كانت عارية بدون أي قطعة ملابس وما يغطي جسدها الأشواك!! الأشواك والسلاسل الشائكة كانت تحتضن هذه المرأة في منظر كمناظر منحوتات الفنانين في معرض ما! الأسلاك الشائكة وكأنها زرعت في جسد المرأة وأنبتت منها الزهور! اقتربت منها قائلاً:

من فعل بك ذلك؟؟

حاولت أن تتحدث لكن لم تستطع من شدة التألم!!

أخبريني من فعل ذلك؟

قالت والدماء تسيل من عينيها:

«أندرو»!!

أندرو هو اسمي القديم اسمي الأصلي الأول اسم الطفولة البائسة اسمي الذي قامت أمي وأبي بتسميتي به، اسمي الذي أوشك أن يمحى من ذاكرتي ويدفن في قبو الماضي للأبد اسمي الملائكي الذي التهمته الشياطين!..

استيقظت من هذا الكابوس وأنا أشعر بمشاعر غريبة! لا أعلم ما هي؟ هل هذا لأنني أنا من فعل ذلك بتلك المرأة! أو لأنها نادتني باسمي القديم اسمي الذي كل من يعرفه مات! متيقن بأن هذا الكابوس يرسل لي رسائل كثيرة، أولاها أن «أندرو» أيضاً قادر على أن يفعل ما يفعله «دانيال» الآن..!

توجهت إلى الحمام وقفت أمام المرآة كنت أشعر بأن ملامحي غريبة! وكأن هناك شيطاناً بداخلي تحرر وغير ملامحي! خلعت القميص بعد أن شعرت بحكة في جميع أنحاء جسدي وإذ كانت المفاجأة!!

كثير من الرسومات في جسدي وكتابات ورموز وغيرها!! اندهشت بالكامل من فعل ذلك؟ من الذي حول جسمي إلى لوحة فنية؟ كنت أظن أنني أحلم ولكن تلاشى ذلك الظن عندما بقيت معي هذه الأوشام في جسدي وكان مع كل جريمة أرتكبها

يرتسم وشم جديد أو رمز أو كتابة!.. لا أعرف تفسير هذا الشيء لكنني واثق بأنني سأعرف تفسيره عن قريب..

مضى من الوقت سنتان تقريباً، عززت مكانتي في عالم الفن والرسم أصبحت فناناً مشهوراً عالمياً، بعد قتلي للضابط ارتكبت جريمتين بالإلهام نفسه ورسمت جثتهما وبعت اللوحات بسعر أغلى من اللوحة الأولى! انتقلت إلى العاصمة واشتريت قصراً كبيراً ومليئاً بالجمال والفخامة وكل أنواع الرفاهية، الآن هذه حياتي لا أستطيع التوقف عن البحث عن الإلهام من أعماق البشر! أصبحت مدمناً على البحث عن الإلهام وصنع أفكار جديدة لكنني أقوم بالسيطرة على نفسي، رسمت ما يقارب مئة لوحة بالأسلوب نفسه لكن اقتبستها من مخيلتي بالطبع لم أقتل مئة شخص أو ليس بعد! قررت أخيراً اليوم أن أطلق الشيطان للبحث عن الإلهام أو بالفعل بحثت منذ شهر تقريباً ووجدتها! كانت ضحيتي الرابعة والجديدة تعمل في مطعم كنت أتردد عليه دائماً! ليس مهماً ذكر كل التفاصيل الأهم إتقان التشكيلة الأساسية لرسمتي، لم أركز في حياتي أن أقتل النساء فقط أو الرجال فقط لقد اتبعت نقط إلهامي وكنت أرى الإلهام في أي كان رجلاً أو امرأة لا تفرق معي الأهم الإتقان في العمل، وأن أطبق الكوابيس بكل تفاصيلها! المرأة الشائكة التي لم تخرج من رأسي أردت أن أطبق هذا العمل ولا أستطيع تأجيله أبداً من شدة ما أنا مفتتن به، وجدت هذه المرأة تشبه كثيراً المرأة في الكابوس، لذلك في يوم ممطر وعاصف تقربت من الضحية بعد أن كان هناك حديث سطحي بيننا في الأيام

السابقة، وأتى اليوم الموعود بعد أن أخبرتها بأنني رسام ذو خبرة ويبدو أن تلك الفتاة أعجبت بي! أخبرتها أنه من الجيد أن أرسمك لأنك تملكين ملامح فاتنة وجميلة وستكونين إحدى لوحاتي المفضلة! وافقت بالطبع على الفور تلك الغبية المسكينة وظنت أنني سأرسمها وهيَ حية لم تظن أنني سأرسمها وهيَ جثة!!.. ذهبت معي إلى المزرعة، وقبل أن أنفذ عمليتي درست كل أنواع الزراعة وخصائصها حتى أنني أحضرت حصاد الزرع بالكامل ووضعته في مزرعتي مستخدماً شجرة عتيقة في المزرعة ووضعت الحصاد في داخلها لكي تزهر بالنبتات الشائكة التي استعنت ببذورها من مكان ما، خططت لكل ذلك منذ شهرين تقريباً، لم أعطِها أي فرصة للاستيعاب إلا وهجمت عليها كالأسد الهائج عندما يلمح طرف ضحية تتجول في غابته! بعد أن سببت لها جروحاً ورضوضاً تفقدها الوعي علقتها على الشجرة وهيَ حية قمت بتسمير يديها وقدميها ولففت الأسلاك الشائكة التي كانت تلف الشجرة جعلتها تحتضن جسدها من أخمص قدميها حتى رأسها!!

ثم سألتها وهيَ تتألم وتبكي:

من فعل لك ذلك؟

كانت تبكي ومستمرة في الصراخ..

قلت لكِ من فعل بك ذلك؟؟

أرجوك اتركني أنا أتألم..!

يا المحبية أملي لم تقولي اسمي الحقيقي ولا اسمي الجديد لذلك عليك أن تموتي فحسب..

تركتها معلقة لم تتحمل إلا يومين وبعدهما ماتت من شدة النزيف والألم! بعدها حان وقت تطبيق المنحوتة الواقعية على اللوحة البيضاء أحضرت لوحتي وأدوات الرسم وبدأت برسم لوحة «المرأة الشائكة»..

بعد آخر لوحة لي «امرأة شائكة» لم يوجد اختلاف بينها وبين اللوحات الأخرى تفجرت اللوحة شهرة وبعتها بملايين، ارتكبت أيضاً جريمتين أخريين وبعدهما ارتكبت ثلاث جرائم منفصلة خلال الخمس السنوات أصبح عمري ٣١ عاماً! بعدها انتقلت إلى مرحلة أخرى بسبب انتظامي في عمل شركة متخصصة في الفنون لكنها كانت أحد أحلامي، قررت أن أهدأ قليلاً وأنغمس في عملي رغم أن الكوابيس كانت تضغط علي ليلاً ونهاراً! لذلك أردت ملء حياتي بالعمل وما غيره؟ نعم والعائلة! نعم أردت تكوين عائلة على كل ذلك يجب أن أكون كشخص طبيعي، المرأة التي اخترتها لم أخترها فحسب بشكل عشوائي بل شعرت بأنها المختارة والمناسبة لي أردتها أن تكون مختلفة عني لم أكن أريدها أن تملك اهتماماتي أنفسها كانت تحب تصميم الأزياء وتدرس في كلية التصميم، تعرفت عليها خلال رحلة بحثها عن مشروع تخرجها ساعدتها رغم أنني عديم الخبرة في التصميم لكن لدي الخبرة في تصميم الجثث! بالطبع لم أخبرها بذلك، بعد علاقة حب بيننا استمرت مدة عام واحد تزوجنا أنا وهي ظننت أن كل هذه الحياة ستبعدني أكثر عن الأشياء التي تعلتها وستلهيني عن ارتكاب الجرائم، لكن لم أستطع أبداً هناك شيء في داخلي يقول لي بأن «دانيال» يجب أن ينتقم من أجل «أندرو»

والمعلمة، أعلم بأن الذين تسببوا في الألم لهما ماتوا وانتهى أمرهم! لكن كما يقول المثل: «الشر يعم والخير يخص»..

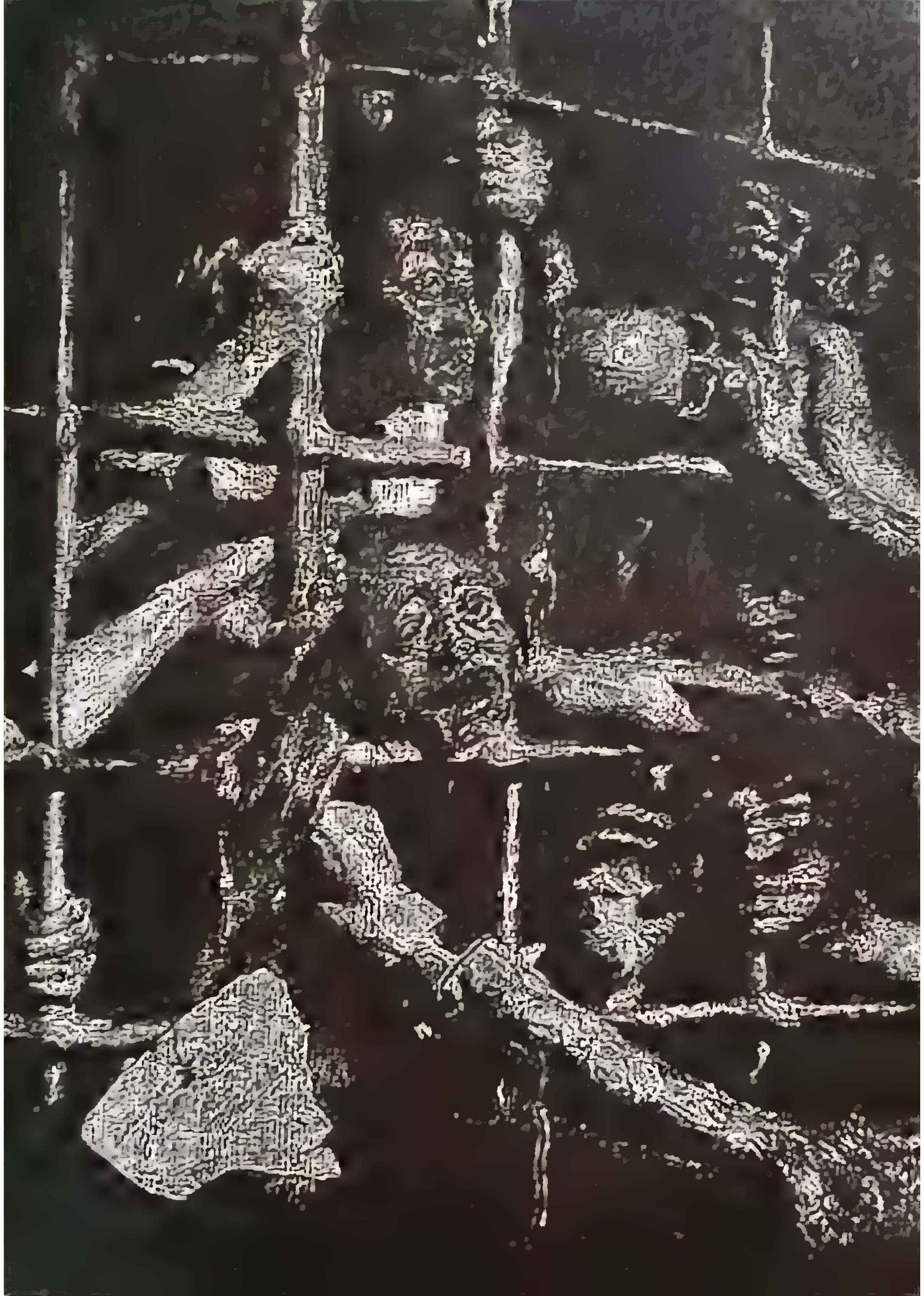
بعد أن تزوجت واستقررت تماماً حياتي كانت هادئة تماماً زوجتي تعمل في التصميم والأزياء، وأنا منغمس في الرسم والفنون والمعارض، بعد سنتين من زواجنا رزقت بطفلة! شعرت بسعادة كبيرة رغم أنني لم أتخيل يوماً أن أعيش حياة طبيعية زوجة ومنزل وطفلة واستقرار مادي وشهرة رغم ذلك كله أشعر بالملل بين فترة وفترة! لا أعلم إذا كان الخلل من خلايا عقلي أم هذا أمر طبيعي؟ رغم أنني كنت أحب حياتي وزوجتي وابنتي لكن أشعر بفراغ كبير وعميق كفراغ البئر بلا ماء! كنت كلما نظرت إلى ابنتي أشعر بأن عينيها تملأان هذا الفراغ في قلبي، كنت أشعر بأنها تشبهني كثيراً ليس فقط بالملامح! بل بالروح ومن الخارج ومن الداخل! أشعر بأن فيها أشياء لا تعد ولا تحصى مني، أحياناً أشعر بأنها أنا بأنها «أندرو» القديم..

كانت تحب أن تراقبني وأنا أرسم كانت تحب كل شيء أفعله وتفعل مثلي، كانت ترغب بأن تغوص في عالم الفن تستكشف تبحث تبتكر، كنت أشعر بأنها أجمل شيء حدث في حياتي والشيء الإيجابي الوحيد فيها! بعد أن عشت في جحيم الرعب لم أحب أحداً أبداً سوى المعلمة بعد أن ماتت شعرت بأن لا شيء ولا أحد غيرها يستحق الحب! ظننت أنني نسيت كيف

يقرن شعور أن أحب أحداً؟ لكنه عاد وبشكل مضاعف عندما رزقت بطفلتي الأولى..

شعرت بأن هذه الطفلة من الملائكة وكيف تأتي من والد شيطان! لا هيَ ليست ابنة الوحش «دانيال» هيَ ابنة الملاك «بدرو»! أردت أن تكون لها ميزة وعلامة تجعلها وكأنها من الملائكة بريئة نقية طاهرة جميلة لذلك أسميتها:

«ماريا»..



أين أنا من كل هذا؟ من أنا؟ مهما فعلت في حياتي إلا أنني أشعر بعدم الاستقرار! بعدم الراحة! مهما بحثت عن نفسي لا أجدها؟ هناك أسئلة في رأسي لا أجد لها إجابة أبداً! مثل هل الحياة تحبني أم أنا أكره الحياة؟ لماذا أشعر بالنقص دائماً وتارة أشعر بالكمال الذي يدفعني للتحكم بأرواح الآخرين! أحياناً أتساءل: ماذا لو عشت حياة طبيعية منذ الطفولة؟ ماذا لو لم يخرج والداي في ذلك اليوم من المنزل للذهاب والبحث عن منزل آخر في المدينة الكبيرة من أجل أن أعيش حياة رفاهية خارج تلك القرية المظلمة! لو لم يخرجا من المنزل إلى ذلك المشوار لكانا الآن حيين يرزقان ولم يتعرضا إلى ذلك الحادث، ولم يتركاني أعيش في ذلك الجحيم مع خالتي وزوجها المسخ! ولم أكنْ أعاني من كل الأشياء التي عانيتها! لكنت الآن ما زلت ملاكاً ولم أتحول إلى شيطان! لم أكن أسمح للوحش بأن يتكون في داخلي بهذه الطريقة..!

الحياة ليست عادلة!!

هذا ما قلته عندما استيقظت في صباح يوم جديد وكأنني تحولت مرة أخرى أو استيقظ الوحش دانيال مرة أخرى بعد سنوات من نومه، بعد أن شاهدت كابوساً أرى

فيه الكثير من الناس يضحكون سعداء من حولي وأنا وحدي كنت في قفص أنزف من شدة العذاب أصرخ من شدة الألم! كنت أطلب النجدة لكن لم يلتفت لي أحد كالعادة لم يساعدني أحد لم يهتم بي أحد، جميعهم أداروا لي ظهورهم!! يجب أن أفعل شيئاً هذه المرة! شيئاً يشعرني بـ الرضا والتشبع من الحياة والانتقام! أريد أن أصنع لوحة فنية مختلفة بعد سنوات من الهدوء! لوحة لا يستطيع نسيانها أحد! لوحة مختلفة مرعبة لوحة تصنف من أكثر القساوة في العالم لوحة يكون مفهومها الألم والقساوة والخوف والبكاء والدموع والظلام والعذاب!!..

مضت أربع سنوات بعد أن رزقت بـ ماريا، أصبح عمرها أربعة أعوام، وخلال تلك الأعوام كلها منذ زواجي لم أمارس علة القتل إلا مرة واحدة فقط بعد عدة جرائم! استطعت السيطرة على نفسي وعلى كوابيسي رغم أنني كنت آخذ إلهام الرسم منها لكن هذا لم يكن يقنعني ولكنني استمررت بالسيطرة على نفسي بسبب انشغالي بابنتي وزوجتي، وحياتي الفنية من جهة أصبحت مشهوراً جداً ولدي الكثير من الثروة افتتحت أكاديميات لتعليم الفن ومعارض وغيرها أصبح اسمي في المجتمع اسماً مهماً وملهماً للكثير

رغم هذا لم أشعر أبداً بأنني صنعت تلك اللوحة التي أريدها!! ليس بعد الحياة أمامي أرغب بأن أجعل الناس يذوقون معاناتي

التي عانيتها، أعلم بأنكم ستقولون: ما علاقة الناس الأبرياء!؟ لكن الحقيقة لا أحد بريء خصوصاً البشر لا يوجد فيهم أي أحد بريء الجميع وحش على هيئة إنسان!! وكما قلت سابقاً: هذه ليست مشكلتي مثلما لم تكن مشكلتهم أنني أتعفن في الجحيم أيضاً أنا كنت بريئاً!!؟ لأن الحياة تدور حول مفهوم الشر يعم والخير يخص

بعد أن استيقظت في ذلك اليوم بعد هذا الكابوس الذي شعرت فيه بكل مشاعر الماضي الخوف الرعب الألم الإهانة الظلم القهر الاستسلام الكره الحزن! بدأت أخطط لشيء مختلف كلياً أرغب بأن أرى الناس يشعرون شعوري نفسه، ما معنى أن تكون في قفص بين أربعة جدران أو أربعة قضبان؟ ما معنى أن تأكل طعام الكلاب؟ ما معنى أن تعذب وتشعر بالألم كل يوم كل ساعة كل دقيقة كل ثانية!؟ أرغب بأن أراقبهم وأن أرى أعينهم مليئة بالخوف والرهبة مني! أرغب بأن أرى آلامهم وأسمع صرخاتهم وأرى ارتعاشاتهم!

سأجعلهم يعيشون في النعيم الذي عشت فيه أنا، سأصنع لهم نعيماً خاصاً متكاملاً من كل النواحي، سأصنع لهم كل شيء يرغبون فيه كل كوابيسهم سأجعلها تتجسد أمامهم سأجعلهم يعيشون في «نعيم الكوابيس»..

أبي!!

سمعت صوتها الذي كان كالطبطبة على قلبي دائماً، صوتها الذي يشفي ندوب الماضي في قلبي! التفت خلفي بعد أن كنت غارقاً في الرسم لأجدها تقف وكأنها ملاك منزل من السماء! بشعرها الأسود الحريري المنسدل وبشرتها القمحية ووجهها الدائري الذي يحتوي على براءة العالم أجمع، وابتسامتها التي تخبرني بأن هناك شيئاً في الحياة جميلاً، وعينيها الواسعتين المليئتين بالحياة، الحياة التي كنت أتمناها أرغب بأن تعيشها هي عوضاً عني،،

مرحباً يا جميلتي أنتِ هنا إذاً!

أتت إلي راكضة وارتمت بين أحضاني، وأنا أحذرها لكي لا تتسخ ملابسها من الألوان! الألوان التي تحتوي على كراهية وحقد وسواد ورعب! أنزلتها على الأرض وأنا أداعبها:

أخبريني ما الذي فعلتِه في رحلتك مع والدتك هل استمتعتِ!؟

قالت بحماس:

نعم كثيراً كثيراً تناولنا الكثير من المثلجات والحلوى وأيضاً لعبت بالكثير من الألعاب، كان من الجيد أن تكون معنا..

لا بأس يا حبيبتي والدك لديه الكثير من العمل لكن أعدك في إجازة الأسبوع القادم سنذهب أنا وأنتِ إلى مكان جميل جداً ما رأيك؟

حقاً!! هل هذا وعد؟

نعم وعد..

احتضنتني طويلاً بحضنها الصغير لكنني أشعر وكأنه أكبر حضن ومأوىً ومأمن في الحياة!

أذكر أنني نمت بعد انهيارات مفزعة فاستيقظت لكن لم يستيقظ معي «أندرو» بل استيقظ «دانيال» من جديد..! بدأت في الساعة الثالثة فجراً أخطط لمشروعي الذي اقتبسته من الألم والخوف والظلم والكوابيس! بعد ثلاثة أشهر من العمل على الخندق نعم خندق صنعته في أسفل مزرعتي السرية التي لا يعرف عنها أي أحد حتى زوجتي، أردت أن يكون هذا المكان بمثابة متحف في سري خاص بي! اكتمل الخندق أو النفق أو المكان تحت الأرض! لا يهم ما يسمى لكن الأهم أنه كان مثالياً جداً وكنت متحمساً لإحضار تحفي الخاصة والعمل عليها في هذا المكان، بدأت بالتجهيز وإحضار أرقى الأدوات من جميع الأنواع وأقساها وأكثرها حدة! سلاسل أقفاص مطارق سكاكين حديد أسياخ حبال إلخ!!

أردت أن أشكل متحفاً متكاملاً متميزاً متحفاً مخلوقاً من الكوابيس! أرغب بأن أجعل كل شخص يعيش الكوابيس التي عشتها أنا في «نعيم الكوابيس»!

في يوم ممطر وعاصف اختطفت أول ضحية وكان رجلاً يبلغ من العمر تسعة وعشرين عاماً! أبقيته في غرفته الخاصة أو القفص الخاص به، كنت أطعمه وأشربه بانتظام بدون أي وسيلة

من وسائل التعذيب حتى مضى شهران تماماً أحضرت الضحية الثانية وكان رجلاً أيضاً، بعدها أحضرت الضحية الثالثة والرابعة وجميعهم حافظت عليهم وكأنهم ممتلكاتي الخاصة التي أخاف عليها! حتى سنة كاملة جمعت من الكنوز حوالي ثمانية أشخاص!! لأبدأ بعدها بتجسيدهم كالتحف الفنية الخاصة بي! استمررت في تعذيبهم بكل أنواع العذاب وأقساها! استمتعت وأنا أسمع صراخاتهم! وأشاهد آلامهم وأشم رائحة دمائهم! وأسمعهم يتوسلون إلي ويطلبون الرحمة مني كما كنت أفعل مع خالتي وزوجها المسخ! استمررت على هذا النمط لثلاث سنوات تقريباً حتى أصبح عمر ابنتي سبعة أعوام! لا أستطيع أن أحصي عدد الناس والمجازر التي ارتكبتها! كنت في كل مرة أشعر بنشوة كبيرة لم أعد أستطيع التوقف والسيطرة على نفسي! الوحش بداخلي تغلب علي!! أصبح «نعيم الكوابيس» مثل متحف التعذيب الذي كنت أحلم به! في خلال هذه الفترة كنت أذهب دائماً إلى قرية وهيَ تبعد عن مزرعة «نعيم الكوابيس» مسافة قصيرة، تعرفت هناك على امرأة مجنونة! ليست أقل جنوناً مني! متوحشة لديها طرق غريبة تمارسها على ضحاياها مثلما أنا أعتبرهم كالفن هيَ تراهم كالدمى وتتلاعب بهم! كانت تلك المرأة تمارس السحر الأسود على ضحاياها!! كنت تكره الرجال بشدة بسبب زوجها! الذي هجرها ولكن اتضح فيما بعد أنه كان جريمتها الأولى!! المضحك استدرجتني

حتى أكون أحد ضحاياها لكن انتهى الأمر بي بالهروب منها
واكتشاف حقيقتها! بالطبع كيف لوحش أن يقبض على وحش
أشد عنه وحشية؟ في بداية الأمر هددتها وأمسكت بها أن
أفضح أمرها لكنها توسلت إلي بأن لا أبلغ عنها وأنها ستعطيني
الكثير من المال! لا تعلم بأنني لست بحاجة المال لكنني كان
لدي فضول كيف تعمل تجاربها؟ وكيف تستطيع قتل رجال!
يوماً بعد يوم أصبحت شريكاً لها فقط من باب فضولي! تلك
البلهاء المتهورة بالطبع لم أحتمل أن أبقى شريكاً لها لكن
اكتشفت أنها تقوم بحبس ابنها في القبو منذ سنوات!! عندما
سألتها قالت بأنه يستطيع أن يرى أو يتنبأ بضحاياها قبل موتهم
بأنه يقوم برسمهم على لوحات! لذلك تعتبر ابنها ثروة وفي
الوقت نفسه قنبلة موقوتة إذا أطلقت سراحه! في بداية الأمر لم
أصدقها ولكن عندما جعلتني أرى لوحاته لقد اتسعت حدقتا
عيني وذهلت بشدة!! كانت رسومات ذلك الصبي مشابهة
لرسوماتي! مليئة بالدماء والعذاب والقسوة والظلام والخوف!!
أنا وذلك الصبي متشابهان جداً نحن عشنا المعاناة نفسها!
الجحيم نفسه العذاب نفسه! لذلك نمتلك الأفكار أنفسها!؟
الظلام نفسه داخل عقولنا، هذا الصبي ثروة مثلي إن هذه
المجنونة المسخ لا تستحقه، ظللت أفكر دائماً بذلك الصبي
وأصبحت أزورها بشكل متقطع كنت حتى نجحت في زرع
الثقة تجاهي! وأوهمتها بأنني أحبها وأنني أرغب دائماً بالبقاء

معها كانت تلك المجنونة تشعر بالنقص بسبب زوجها! أقنعتها بأنه يجب علي أن أتعلم القليل من علمها الأسود، بالطبع وافقت بكل الأحوال ليس لدي ما أخسره.فيجب أن أحافظ على ثقتها علمتني الكثير في تلك الفترة كيف تجذب ضحاياها وكيف تجعلهم يعيشون في دوامة كوابيس بسبب سحرها وكيف يخضعون لها في النهاية وتضحي بهم للشيطان!! حتى تستطيع الحصول على مزايا أكثر منه!؟ صراحة لا أهتم لهذا الكلام كله وليس لدي الوقت لكن في يوم من الأيام رأيت رجلاً يخرج من منزلها وهو يحمل كيساً به غرض! استطعت أن أميز هذا الغرض بسبب خبرتي كان رأساً!! نعم رأس إنسان!! استغربت بشدة هيَ لم تخبرني بأن لديها معارف غيري؟ دخلت إليها وسألتها:

هل لديك شركاء غيري؟؟

قالت: لا لماذا هذا السؤال؟

ذلك الرجل الذي خرج قبل قليل من منزلك كان يحمل رأساً ولا تستطيعين الكذب علي لأنني أعرفه جيداً..

أوه حقاً لديك قدرات خارقة يا دانيال يعجبني ذلك فيك، حسناً أنا أقدم خدمات لزبائني إنهم يطلبون مني عادة خدمات الانتقام من أشخاص آخرين مقابل مبالغ مالية طائلة..

تقصدين أنك تقدمين خدمات سحر؟؟

نعم،، أنت ترى حالي هل تظنني سأموت من الجوع؟ يجب أن أعمل في وظيفة جزئية..

أنت حقاً غير هينة! إذاً وما الذي يمكن أن يحضر له رأس؟؟ أقصد ذلك الرجل أحضر لك رأساً بمقابل ماذا؟

ذلك الرجل شيطان مثلي ومثلك وأنت تعلم أن الشياطين ترغب دائماً بأن تعيش طويلاً أو تعيش عدة مرات لكي تمارس ألعابها في حيوات عديدة وأزمنة مديدة..

لم أفهم؟؟

باختصار ذلك الرجل قال بأنه سيدفع لي الملايين وحتى أنه حول لي خمسة ملايين كدفعة أولى..

قلت بدهشة:

ومقابل ماذا؟؟

قلت بكل برود:

يرغب بأن يعيش مرة أخرى..

ماذا؟؟

ذلك الرجل يعاني من مرض مميت وسيموت قريباً جداً لذلك هو يريد بعد أن يموت أن تعود روحه في جسد شخص ما، أعلم بأنك لن تصدق ذلك لكن استطعت فعلها مرة من المرات وذلك الشخص عاد ليشكرني بعد أن مات عاد وهو الشخص نفسه لكنه في جسد شخص آخر..

أطلقت بسخرية ضحكة مدوية وأنا أقول:

أنتِ حقاً مجنونة!!

قالت بكل ثقة: إذاً سأثبت لك بعد أربعة أشهر فقط مع ذلك الرجل..

هل تظنينني غبياً؟ بالطبع ستتفقين أنتِ والرجل على خداعي!

حسناً هو سيأتي غداً لممارسة آخر الطقوس وبعدها سأجعلك تخبره بشيء لا أحد يعرفه غيرك عندما يموت ويعود مرة أخرى إلي سأجعله يخبرك بالشيء الذي أخبرته به ولكن سيكون هو في جسد آخر!!

حقاً؟! وكيف سأعرف أنه لن يخبرك أو يخبر أحداً؟

أخبره وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة اجعلها آخر كلمات يسمعها وبعدها يموت وتموت الكلمات معه..

وكيف لي أن أجده وهو يحتضر؟؟

إنه رجل ثري وحيد لديه ابنة واحدة فقط لكنها توفيت عادة يقضي أيامه في المستشفى وحده بدون أي مرافق لأنه ليس لديه أي أحد في هذه الحياة، سأجعله يوافق أن تكون مرافقه في يومه الأخير حتى تتحقق من الأمر..

لم أستطع التوقف عن التفكير في الأمر وجدت في حياتي شيئاً أكثر غرابة وإدهاشاً وتسلية وفي الوقت نفسه لا أرغب أن ألفت الانتباه كثيراً! منذ زياراتي المتكررة لهذه

القرية النائية التي تذكرني بقريتي لم يعرفني أي أحد هناك ولا يعرفون المشاهير ولا الأشخاص المهمين ولا الفنانين ولا يعرفون أي شيء خارج قوقعتهم! لكن قالت لي بأنه سيموت في مستشفى المدينة التي أعيش بها وأخشى أن يراني أحد ما هناك لأن الأغلب يعرفونني ويعرفون وجهي بسبب شهرتي الفنية! لذلك كنت متردداً ولكن في نهاية الأمر حسمت أمري بالذهاب إليه، أخبرتها أن تتحدث معه وتخبره عني وبالفعل فعلت وقالت إنه سينتظرني في المستشفى! أرسل إلى تلك المجنونة بأن الأطباء أخبروه بأنه سيموت هذا الأسبوع تقريباً ولكن بالطبع لا أحد يستطيع معرفة في أي يوم؟؟ بهذا يتعين علي أنني يجب أن أبقى أسبوعاً كاملاً معه أنتظر موته حتى أعرف إذا كان كلام تلك المرأة حقيقياً وأنها تستطيع أن تجعل الشخص يعود مرة أخرى إلى الحياة!؟ أم أنها تخدعني؟ إذا كانت تخدعني فسأشعر بأنني أغبى مخلوق وهذا الشعور لم أشعر به منذ سنوات «أندرو» فقط كان يخدعه الجميع أما «دانيال» فلا.. لم يسبق أن خدعه أحد ولن أسمح لهذي المجنونة أن تخدعني لذا سقطت في عقلي فكرة جهنمية لم أتخيل أنني ذكي لهذه الدرجة أبداً! أنا من سيقتل ذلك الرجل وإذا عاد إلى الحياة من جديد فسيخبرني بأنني أنا من قتلته! صحيح أنها مخاطرة لكن كلاً منا يملك شيئاً ضد الآخرين عن

يعلم بأن تلك المرأة تقتل! وهو قتل شخصاً وقطع رأسه واستخدمه ليمارس السحر الأسود ليعود من جديد!؟ بالطبع من سيصدقني إذا أخبرت أحداً بهذا الجنون لكن أنا واثق مثل ما قالت تلك المشعوذة المجنونة بأن هذا الرجل شيطان مثلنا ولن يفشي سرنا أبداً فـ الشياطين يكتمون بعضهم أسرار بعض..

«الأشقياء دائماً أبقياء! والوحوش دائماً تولد من جديد»





«الوحش يولد من جديد»

استيقظت لأجد نفسي في مكان ضيق وساخن رائحته عفنة غرفة صغيرة جداً من أربعة جدران! خانقة ضيقة بباب حديدي صغير مغلق! التفت أمامي لأرى صبياً تقريباً في عمر الثلاث عشرة سنة يجلس خلف مكتب خشبي صغير غارقاً في الرسم بشدة! أو يرسم خربشات بقوة أستطيع سماع صوت قلم الرصاص! أقدامه مقيدة بالسلاسل يملك شعراً أسود مجعداً قليلاً. ذا بشرة حنطية يملك غمازة في خده الأيسر! التفت حولي لأرى هذه الجدران تشبه شيئاً ما؟ أو غرفة لا أعرف؟ لكن نهضت من مكاني لأجد سريراً صغيراً على يساري. هل هذه غرفة أم زنزانة لهذا الطفل؟ بدأت بالتقدم نحو الصبي وهو ما زال غارقاً في الرسم حتى وصلت إليه وضعت يدي على كتفه ما أن لمسته توقف فجأة عن الرسم وعم الهدوء والصمت لمدة دقيقة تقريباً كنت أنا أقف بدون حراك وهو يجلس بدون أي حركة حتى أنه لم يلتفت إلي!! قررت أن أكسر الصمت قائلاً:

من.. من أنت؟

لم أجد أي رد وما زال الصبي متوقفاً عن الحركة وعن التنفس أيضاً وكأنه تمثال شمعي! عدت مرة أخرى أردد السؤال:

من تكون؟؟

قال بصوت باهت:

أنا،، أنا من ستولد بداخلي أنت!!

ماذا؟؟ لم أستوعب كلامه إلا وانطفأت الأضواء!!

تنفست بثقل وبحثت يميناً ويساراً وأنا أردد بخوف وهذه المرة أخاف فيها من كابوسي:

من هناك؟؟ من هناك؟

أضيئت الأنوار مرة أخرى وكان الصبي قد اختفى على الوجود!! أصبح قلبي ينبض بقوة لأول مرة أشعر برعب توجهت إلى الباب فتحته لكنه رفض أن يفتح كان مغلقاً بإحكام بدأت أضرب على الباب: أخرجوني أرجوكم هل يسمعني أحد؟؟ انطفأت الأضواء مرة أخرى وقتها شعرت بأن قلبي سيقع على الأرض من شدة الخوف! سمعت صوتاً غريباً قادماً من الظلام أسمع صوت خطوات تسير نحوي وأنا أتراجع إلى الخلف وهيَ تتقدم نحوي وأنا أستمر في التراجع حتى التصق ظهري بالباب!! انتهى الطريق وانتهت الحلول متى سأستيقظ؟ هل هذا كابوس حقاً؟ أنا أشعر بأنفاس صاحب الخطوات إنها تلتصق بوجهي أريد إغماض عينيّ ولكن..!!

عادت الأضواء وكان المشهد أمامي كالتالي:

أنا أقف مواجهاً نفسي!! ولكن بملامح غريبة وكأنني لست أنا ولكنه وجهي نفسه! ينظر إلي بابتسامة مخيفة وغريبة! بعدها بدأ

يسعل بقوة وهو يتألم يسعل ويسعل يشعر بـ الاختناق! لا يستطيع التنفس وكأن شيئاً ما عالق في حنجرته، يحاول التنفس يحاول إخراجه أو الشيء هو من سيخرج بنفسه أرى شيئاً عملاقاً يمشي بداخل حنجرته وهو يصرخ وأنا أرتعش من شدة الخوف من هول المنظر المرعب! ما زال الرجل أو شبيهي يصرخ بقوة حتى الدموع انهمرت من عينيه من شدة الألم وأخيراً فتح فمه بسعة تسع حجم باب الفندق وهو يضع يده على حلقه، والشيء الذي رأيته خرج من فمه كان طفلاً! لا، وحشاً صغيراً!؟ لا أعلم حقاً ماذا أصنفه وأسميه لكن ذلك المخلوق خرج مبتسماً من فم الرجل الذي يشبهني أمام عيني في منظر لم أرَ أشد رعباً منه لا في حياتي الواقعية ولا في كوابيسي! كان ذلك المخلوق وهو يخرج من فم الرجل الذي يشبهني ينظر إلي مباشرة بابتسامة مخيفة حتى نطق متحدثاً إلي بنفس صوت ذلك الصبي الذي كان يرسم:

«احملني أنا هو نفسك الجديدة»

بعدها استيقظت بشهقة وكأنني أمسكت بروحي في آخر لحظة، تفحصت نفسي لأرى جسدي يغرق في العرق وعرقي على وشك إغراق الغرفة التي أنا فيها! استوعبت أنني أجلس في غرفة المستشفى ملازماً هذا المريض وكأنه أحد من عائلتي، كان هذا أول يوم أمكث فيه معه بعد أن أخبرت زوجتي كالعادة بأنني سأسافر في رحلة عمل لمدة أسبوع، بصراحة كان في ذلك الوقت بيننا خلافات كثيرة بسبب تغيبي الكثير في السنوات

الأخيرة عن المنزل، كنت أقضي معظم وقتي في مزرعة انعم الكوابيس، لأرتكب جرائمي! والوقت الآخر أقضيه مع تلك المجنونة لأكتشف جنونها أكثر، لم أكن أريدها أن تتفوق علي بقدراتها! كانت تتباهى بقدراتها وتعطيني الأوامر ناسية أنني أنا من صنعتها وأعطيتها الجرأة أكثر لتقتل ضحايا أكثر..

نهضت من على الكرسي لأرى الساعة أصبحت الثانية صباحاً. الوقت يمشي ببطء قاتل عندما تلازم شخصاً طريح الفراش! بالطبع أخبرت الأطباء بأنني المسؤول عنه وأنني موظف لديه! وأعطيتهم اسماً مزوّراً على أمل ألا يعرف أحد شخصيتي الحقيقية! قررت أن أنتظره يومين فقط بعدهما سأقتله، اليوم الأول مضى واليوم الثاني أيضاً مضى بشكل عادي وممل، لكن اليوم الثالث مضى نصفه وكان التوقيت في الساعة التاسعة مساء الهدوء والصمت المرعب القاتل في المستشفيات في غرف التنويم لا يوجد صمت في العالم يتجاوزه! كنت أجلس على المقعد الخاص للمرافقين بجانب النافذة أقرأ كتاباً يتحدث عن الفن. لا أسمع صوتاً سوى صوت الجهاز التنفسي لدى هذه الجثة الحية! حينما كنت مستغرقاً في قراءة الكتاب سمعت صوتاً غريباً! كان الصوت قادماً من خارج الغرفة من عمق هدوء الممرات!! تجاهلته في المرة الأولى لأنني أخبرت نفسي بأنه يجب ألا أخرج كثيراً إلى خارج الغرفة، لكن أتى الصوت مرة أخرى وبشكل أوضح كان الصوت يبدو وكأنه صوت شخص ما

يلبس! الأدهى في الأمر والذي أرعبني وجعلني أقفز أن هذا الشخص كان يناديني باسمي الأول الذي لا يعرفه إلا أنا! تردد صوته في ممرات المستشفى تبرك خلفه صدى صوته يتغلغل في عقلي:

أندرو، أندرو، أندرو..!

فتحت باب الغرفة بهدوء لا يوجد أي صوت سوى صوت صرير الباب، أخرجت رأسي أتلفت يميناً ويساراً كانت الممرات مضوء خافت يسبب جميع أنواع الاكتئاب للمرضى! الممرات فارغة بشكل مرعب لم أستغرب هكذا هيَ المستشفيات تتمتع بهدوء وخلو من البشر بشكل مرعب، تقدمت بخطوات بطيئة نحو الخارج شعرت بالبرد انتظرت الصوت لكي أعرف هل هو من وحي خيالي أم حقيقي؟ انتظرت دقيقة تقريباً لم أسمع فيها سوى أنفاس الهدوء، قررت الدخول عدت إلى الغرفة وأغلقت الباب من خلفي، ما أن تقدمت نحو الداخل ونظرت نحو السرير صعقت!! اتسعت حدقتا عينيّ، بدأ دمي بالغليان! مستحيل!! الرجل ليس في سريره!! تلك الجثة في غيبوبة تقريباً هو لا يذهب إلى الحمام حتى ولا يتحدث ولا يوجد طرف من أجزاء جسده يتحرك! ولا حتى يفتح عينيه! أين ذهب؟؟ بدأت أبحث بجنون في الغرفة رغم أنها مجرد غرفة صغيرة وكل شيء واضح أمامي لكن لا يوجد شيء إذاً هناك خيار واحد فقط لا غيره هو في الحمام لأن من المستحيل أنه خرج أنا كنت أقف عند الباب

لدقيقة واحدة فقط! حسناً سأهدأ وأطرق باب الحمام، وضعت أذني أولاً على الباب على أمل أن أسمع صوت تدفق المياه لكن لا يوجد أي صوت! بعدها طرقت الباب لم يرد أحد، لذا اتخذت قراري وهو فتح الباب وفتحته بسرعة بدون تردد وكان المتوقع أنه فارغ بالفعل!! لا يوجد أي أحد في الحمام!! مستحيل أين اختفى الرجل قررت الاستسلام والهروب بسرعة من المستشفى، ولكن ما أن خرجت إلى الغرفة حتى تفاجأت بأنه موجود أو عاد إلى السرير على حاله كالجثة النائمة!! يا إلهي ما الذي أصابني! هل فقدت عقلي؟ أم سحر وشعوذة تلك المرأة على هذا الرجل أثرا عليّ معه!!؟ انتهى الأمر سأقتله الآن لكي يرتاح من المعاناة وأرتاح أنا، وبالفعل اتخذت قراري بسرعة بدأت بفصل أسلاك أجهزة التنفس عنه، ثم سحبت المخدة التي أسفل رأسه ونظرت إلى وجهه المفتقر إلى الحياة نظرة أخيرة ووضعت المخدة على وجهه وكتمت أنفاسه، ضغطت عليه لمدة عشر ثوانٍ تقريباً لم تكن هناك أي استجابة لكن بعد العشر الثواني بدأ يرفس بقدميه ويحرك يديه بدأ ينازع ويصارع الموت، وأنا مستمر بالضغط بقوة وقبل أن يفقد أنفاسه الأخيرة اقتربت من أذنه وقلت له:

لا تنسَني أنا من قتلك «دانيال» الشيطان الذي ولد مؤخراً إذا عدت إلى الحياة فأخبرني بهذه الكلمات..

بعدها توفي بشكل كلي أخذت المخدة معي ولا أعرف لماذا؟ وخرجت من المستشفى كالشبح الذي لم يرَه سوى ممرضة

تكنت في الاستقبال ولا تعرف وجهي وكل أوراق المرافق ذلك
الرجل جهزها لي قبل أن يكون طريح الفراش وكانت مزورة،
عندما عدت إلى المنزل إلى ابنتي وزوجتي كالعادة وجدت
زوجتي غاضبة وتتحلطم هنا وهناك وفاجأتني هذه المرة بوضع
أوراق الطلاق على مكتبي قائلة بأنها لا ترغب بالعيش مع شبح
لا تراه إلا إذا اكتمل القمر وبعدها يختفي! هيَ محقة أنا لا ألومها
فقد أصبحت لا أراها لا هيَ ولا ابنتي إلا مرات معدودة في السنة!
لذلك لم أعلق واكتفيت بالدخول إلى الحمام وأخذت حماماً
وأنا أفكر بذلك الرجل هل سيعود إلى الحياة مرة أخرى!؟
أم أنها مجرد كذبة؟ لنرَ وننتظر...

مضت الأيام والأسابيع وحتى مضى شهر كامل، لم أرَ خلاله
تلك المرأة ولم أقم بزيارتها ولم أذهب أيضاً لزيارة تحفي في
معرضي السري «نعيم الكوابيس»، كنت مشغولاً كثيراً بتنظيم
معرض نهاية السنة! هذا المعرض عالمي ويتوافد إليه جميع
محبي الفن والفنانون من جميع أنحاء العالم، أتى وقت المعرض
وفي أول يوم افتتاح توافد آلاف الزوار إلى المعرض كالعادة
عرضت عدداً من لوحاتي وكنت موجوداً في أول يوم كالعادة
وباقي الأيام أكتفي بإرسال مدير أعمالي، لذلك كان هناك الكثير
من المعجبين بي يصطفون طوابير لنيل توقيعي والمحادثة معي،
والبعض يستمع إلى شرحي للوحاتي ومن أين آتي بإلهامي
المظلم، وقعت لأشخاص كثيرين حتى وصل إلي شخص كان

شاباً في منتصف العشرين عاماً تقريباً طويلاً نحيلاً ذا بشرة بيضاء ناعمة يلبس نظارة طبية وله شعر عسلي ناعم:

مرحباً قال بابتسامة

أهلاً بك.. رددت عليه وأنا غارق في التوقيع للمعجبين..

هل من الممكن أن توقع لي هنا!؟

رفعت رأسي كان يمد لي ورقة بيضاء تناولتها ما أن قلبتها ورأيت محتوى الرسمة الذي فيها! شعرت بأن الأرض تهوي بي! أنفاسي تسارعت، قلبي بدأ يخفق بشدة! رغم ضجيج المعرض لم أعد أسمع أي شيء وكأنني أصبت بالصمم من هول الصدمة المرعبة!! كان محتوى الرسمة رجلاً يقف ممسكاً بمخدة في يده ويخنق بها رجلاً آخر مستلقياً على السرير!! هذا أنا! أنا عندما قتلت ذلك الرجل؟.. نظرت إلى الشاب الذي ما زال يقف بـ ابتسامة باردة ومرعبة وأنا أقول له بتلعثم:

من.. من أنت؟؟

اقترب مني ببطء حتى وصل إلى أذني وهمس لي:

أنا الرجل الذي قتلته يا «دانيال» الشيطان الذي ولد مؤخراً، أنا عدت إلى الحياة...

كنت في صدمة لم أصدم أبداً كهذه الصدمة في حياتي! كنت أظن نفسي في كابوس آخر، مستحيل هناك ميت يعود إلى الحياة في جسم شخص آخر!! لكنه حدث!؟

تابع صدمتي مرة أخرى قائلاً:

لا تقلق الشياطين لا تفشي بعضها أسرار بعض وأيضاً أنت كان فضولك فضول وأنا أشبعت فضولك شكراً لأنك خلصتني بسرعة من ذلك الجسد المهترئ والآن أعطني توقيعك دعني أرحل هناك طابور طويل خلفي..

وقمت له وأنا أرتعش بدون حتى أن أرد عليه أو أسأله أي شيء! كنت مرعوباً وهذه أول مرة في حياتي أكون مرعوباً بهذا الشكل! أنا لست مرعوباً لأنه قد يفضحني بأنني قتلته لا بالطبع أنا مرعوب لأن شخصاً ميتاً عاد إلى الحياة..!



«الشيطان ولد مؤخراً»

نهاية وبداية..!

لطالما كنت أقول بأن الحياة ليست عادلة معي، ولا تنصفني أبداً ولا تعطيني نصفاً من الحظ الجيد! لطالما اعتبرتني الحياة شيئاً عابراً شيئاً مستهلكاً غير مرئي لا وجود له، وكأنني شيء زائد على الحد الناقص! لطالما حتى بعد خروجي من ذلك الجحيم وتكوين نفسي بنفسي لم تساعدني الحياة ولم يساعدني أحد! أنا فقط بكوابيسي وبآلامي وقوتي استطعت أن أنجو وأؤسس حياة لي من جديد، لم تعطني الحياة شيئاً لم تعطِني حظاً ولا فرصاً لكن اليوم أخيراً خرجت عن صمتها وأهدتني هذه الفرصة التي تعتبر أثمن من الكنز! لا أعلم ولا أعرف ولا أريد أن أعرف كيف فعلتها تلك المشعوذة المجنونة واستطاعت أن تعيد شخصاً إلى الحياة! كل ما أعرفه هو أن الفكرة الآن تشغل بالي أنا أيضاً أستحق حياة أخرى حياة أعيشها من جديد يحق لي بعد أن دفنت معظم حياتي في ذلك الجحيم! والمستقبل أصبح مجهولاً وعالقاً في ذلك القبو، لا أعرف من أنا؟ ولا ماذا أريد؟ أشعر بفراغ دائم في حياتي بسبب الماضي، ذلك الرجل ليس أفضل مني أبداً ليعود إلى الحياة وأنا لا! بعد تلك الحادثة بقيت أفكر لمدة أربعة أشهر، أريد أن أستوعب ماذا حدث؟ وهل ما حدث حقيقي؟ وماذا سأخسر إذا خضت هذه التجربة فأنا في كل الأحوال سيأتي يوم ما وأموت لذلك يجب أن أفكر من الآن

في هذا الموضوع! انفصلنا أنا وزوجتي لأنها بدأت تشك بتصرفاتي الغريبة أصبحت في الفترة الأخيرة غير متزن أنتقل من القتل إلى الرسم إلى تلك المشعوذة هذه حياتي! لم أعترض على طلاقنا أبداً فأنا أردتها أن تبتعد عني وتبعد حسنة حياتي الوحيدة ابنتي! أصبحت أزور ابنتي في زيارات متقطعة بين الحين والآخر وأحضر لها أدوات الرسم، كانت ماريا متعلقة بي كثيراً وهذا ما كان يقتلني في كل مرة أذهب إلى منزل والدتها لكي أزورها وأغادر لا تسمح لي بالمغادرة وتبكي كثيراً، أخبرتني مؤخراً بأنها شاهدت كابوساً مخيفاً ومزعجاً! هذا ما يدفعني للابتعاد عنها لا يمكن أن أنقل عدوى الكوابيس إليها أريدها أن تعيش حياة طبيعية وليس حياة مرعبة، في هذا اليوم أرسلت لي تلك المشعوذة بأنها ترغب بمقابلتي لأنها اشتاقت لي! لذلك قررت أن أفاتحها بموضوع هذه التجربة ولكن كيف أستطيع إقناعها!؟ تفعل ذلك لأشخاص بمقابل ملايين وأنا أيضاً أملك الكثير من المال وأي شيء تطلبه سأعطيها إياه لكن تلك العجوز أخشى أن تموت وأنا ما زلت أصغر منها! كيف يمكنني أن أضمن عودتي إلى الحياة إذا مت بعدها؟ أيضاً تعرف الكثير عني ليس كل شيء لكن مشاركتها في الجرائم تكفي! إذا أمسكت بها الشرطة فبالطبع لن تتردد بالإفصاح عن اسمي!؟ سافرت إليها بسرعة كان الجو عاصفاً وممطراً، وصلت إلى القرية المظلمة التي تذكرني بتلك القرية الجحيم التي عشت فيها كل طفولتي ومراهقتي! دخلت إلى منزلها دائماً ما كانت تضع لي المفتاح الاحتياطي بجانب الباب في مكان سري أعرفه أنا فقط! نزلت إلى القبو بما أنني لم أجدها في

منزلنا، وجدتها في غرفتها المفضلة تضع كالعادة زينتها الكاملة وأمامها رجل يستلقي على تلك الطاولة التي كانت كـ طاولة الجزار! عرفت بأنه ضحية جديدة بالطبع على وشك أن تبدأ بتعذيبها!

ماذا تفعلين؟ بعد أن استدعيتني؟؟

قالت وهيَ تضع سيجارة في فمها وتشعلها:

رأيت أنك لم تأتِ منذ بضعة أشهر؟ انتظرتك كثيراً قلت يبدو أنك تأخذ وقتاً حتى تستوعب ما حدث وأن ذلك الرجل الميت عاد إلى الحياة..

آه نعم،، تصرفت وكأنني غير مبالٍ بقدراتها الخارقة ثم استرسلت في الحديث:

كان لدي العمل الكثير من العمل مؤخراً لذلك انشغلت.. من الجيد أنكِ أرسلت لرؤيتي أنا أيضاً لدي ما أخبرك به!

هات ما عندك؟

صراحة،، أنا أيضاً أرغب بخوض هذه التجربة..

عن أي تجربة تتحدث؟؟

العودة إلى الحياة بعد الموت..

أطلقت ضحكة مدوية استفزتني لكنني قررت الاحتفاظ بعصبيتي إلى وقت آخر بعد أن أستفيد منها وأسلب منها كل شيء!

لماذا تضحكين؟ هل هيَ كذبة أم ماذا؟

أما زلت تقول إنها كذبة بعد أن شاهدت عودة ذلك الرجل إلى الحياة بنفسك؟

حسناً أنتِ من يضحك!

بالطبع أضحك على حماسك! هل أنت جاد أم تمزح؟

وهل يوجد مزح في هذا الموضوع؟ الجميع يتمنى أن يعود بعد الموت! ماذا عنك ألا تتمنين ذلك؟

أنا من يفعلها كيف لي أن أخدم نفسي؟

قلت بخبث:

إذاً أنتِ لا تستطيعين ممارسة هذه الطقوس لمصلحتك؟ ولكن تمارسينها لغيرك؟

قالت بتحسر: نعم للأسف..

أوه يا لها من خسارة كبيرة تستطيعين مساعدة الناس لكنك لا تساعدين نفسك!؟

قالت وهيَ ترمي بالسيجارة تحت قدميها:

لهذا قمت باستدعائك هنا اليوم..

ضربات قلبي تسارعت! هل تفكر بالشيء نفسه الذي أفكر فيه؟

من أجل ماذا؟ قلت وأنا أتظاهر بعدم الاهتمام..

من أجل أن أنقل لك هذا العلم يجب أن أعلمك الطريقة لنضمن نحن الاثنان أن نعود إلى الحياة بعد موتنا!

هل أنتِ جادة؟ وكيف سأتعلم؟

الطريقة بسيطة جداً ولكن أولاً يجب أن تعطيني موافقتك وبعدها سنبدأ..

قبل أن أوافق أرغب أن أعرف ما هو المقابل؟ أقصد ما الشيء الذي سأحضره لكي تنجح هذه التجربة أو الطلاسم أو السحر أياً كان؟؟!

لا أستطيع أن أعطيك أي معلومات الآن قبل أن توافق هل أنت موافق أو لا؟؟!

قلت متنهداً:

حسناً موافق..

جميل إذاً سنبدأ من الآن اتبعني ولا تسأل أي أسئلة حتى أسمح لك..

خرجنا من الغرفة وتخطينا الغرفة الثانية التي كانت تحتجز فيها ابنها. ولوهلة عندما نظرت إلى الباب! عرفته! هذا هو الباب نفسه أو يشبه له ذلك الباب في الكابوس الذي كنت محتجزاً فيه مع...! لحظة إذاً ذلك الصبي الذي رأيته في كابوسي هو ابنها!! رغم أنني لم أره أبداً ولا أعرف وجهه وحتى في الكابوس لم أستطع رؤية وجهه! لكن كان مقيداً بسلاسل ويرسم أيضاً!؟ وهيَ قالت لي إن ابنها يقوم برسم الكوابيس التي تحتوي على جرائمها! لكن ما المغزى أن يدخل ابنها في أكثر كابوس رعباً رأيته في حياتي!!؟

«دانيال»

قاطعت أفكاري وهيَ تناديني ممسكة بفانوس،

هيا ما خطبك!!

حسناً هيا بنا..

سرنا متخطين غرفة الصبي وغرفة التعذيب الخاصة بها، دخلنا في سراديب ضيقة هذه المجنونة يبدو أنها تحتل كل القرية من تحت الأرض! كان المكان مظلماً وخانقاً وعفناً، حتى وصلنا عند فجوة أو تجويف صخري دخلنا به كان مضيئاً كثيراً مقارنة بالطريق به الكثير من الشموع والفوانيس، كانت الجدران مليئة بالكتابة والرموز والرسومات الشيطانية الغريبة! وضعت الفانوس الخاص بها جانباً وتوجهت إلى صندوق وفتحته وأنا كنت منغمساً في مراقبتها خطوة بخطوة، التقطت كتاباً ضخماً أبيض اللون في منتصفه عين تبدو وكأنها حقيقية ومن حولها عروق متفرعة على الكتاب بأكمله! جلست على الأرض وهتفت لي بالجلوس!

جلست بجانبها وهيَ تفتح الكتاب بصمت رهيب وأنا عيناي تجولان يميناً ويساراً، كان المكان خانقاً لكن فجأة أصبح بارداً جداً لدرجة شعرت بالرعشة تسري في جسدي! أردت أن أكسر الصمت ما أن فتحت فمي أرغب بالنطق، وضعت يدها على فمي وهيَ تشير لي بعدم التحدث أبداً الآن!! فهمتها وأنا مندهش من تصرفها الغريب، بقيت صامتاً وأنظر إلى الكتاب الذي في يدها وهيَ تقلب الصفحات كانت الصفحات غريبة بها كتابات بلغة غير مفهومة! ورسومات ورموز! حتى أخيراً استقرت على صفحة كانت هذه الصفحة بها رسمة ما أن رأيت الرسمة صعقت!! هذه الرسمة هيَ كابوسي المرعب أو تشبهه بشكل كبير! رجل يمسك بعنقه وكأنه مختنق ويصرخ ويتألم والدموع تذرف من عينيه فمه مفتوح باتساع ثلاثة أمتار وخارج منه طفل أو المخلوق الصغير نفسه الذي كان في الكابوس!! ثم نطقت أخيراً قائلة:

هذا هو «الاستدعاء»..

قلت وأنا أحاول أن أخفي صدمتي بالطبع لم أخبرها بأنني رأيت هذا المنظر في الكابوس ولا أخبرها أصلاً أنني أرى كوليس دائماً ما كان لدي حذر منها على عكسها هي إنها متوحشة وخبيثة لكنها غبية في الوقت نفسه وثقت بي كثيراً وكشفت لي عن كل أسرارها.

استدعاء!! ما هو هذا؟

هذا هو الطلسم الخاص لاستدعاء الروح مباشرة بعد خروجها من جسد صاحبها وذهابها مباشرة إلى جسد آخر! يجب ألا يطول الأمر عن عشر دقائق، يلزم عشر دقائق فقط للانتقال..

لماذا؟

لأنه لو انتهت العشر الدقائق ولم يكتمل الطلسم ستفسد التجربة ويتدمر الانتقال، إذا انتقلت الروح في خلال عشر دقائق إلى جسد آخر تنتقل نفسها بالمشاعر أنفسها والذكريات أنفسها والصفات أنفسها والخصال أنفسها أي الشخص نفسه يكون في جسد آخر بدون أي اختلاف..

إذاً وماذا إذا لم يحدث ذلك هل الروح تتغير؟؟

لا بالطبع إذا لم تنجح يموت صاحبها والروح تذهب إلى المكان المناسب لها لا أحد يعلم باختصار لا يعود الشخص أبداً..

حسناً فهمت لكن كيف ستقوم بذلك؟

أولاً يجب عليك أن تبقى هنا لمدة ثلاثة أيام بدون طعام أو شراب..

أتت كلماتها علي مثل الصاعقة!! ماذا تحاول أن تفعل؟ هل تظنني غبياً؟ هل من الممكن أن هذه خطة لتتخلص مني؟؟

ماذا قلتِ؟؟ هل تودين حبسي؟!

قالت ببرود:

لا.. لن تكون محبوساً ستبقى هنا في هذا التجويف المفتوح لمدة ثلاثة أيام فقط وهذا الشيء ضروري حتى تكتمل الطقوس في خلال هذه الأيام الثلاثة ستقرأ من هذا الكتاب من الصفحة الـ ١٦ حتى الصفحة الـ ٥٠!!

لحظة أنا لا أفهم شيئاً ماذا لو كنتِ تخدعينني؟ ماذا لو كنتِ تكذبين علي وتتلعبين بعقلي؟؟

حسناً وأنا أيضاً لا ألومك أنت لا تثق بي إلى الآن رغم أننا نعرف بعضنا بعضاً منذ ثلاث سنوات تشاركنا أشياء كثيرة منها القتل والتعذيب والأسرار السوداوية،،بعدها سكتت ثم عاودت حديثها بابتسامة خبيثة:

حتى أننا تشاركنا الفراش أو أنك نسيت؟

قلت في نفسي:

هذه أسوأ شراكة أعيشها في حياتي، سيكون اليوم الذي أتخلص فيه منك قريباً جداً بعد أن آخذ جميع أسرارك وعلمك..

ماذا أين سرحت فجأة؟؟

أنا معك لكن ليس من البدهي أن تطلبي مني ذلك من سيوافق على البقاء هنا لمدة ثلاثة أيام؟!

... تقلق الكتاب:

... يريد أن يعود إلى الحياة بعد الموت سيوافق وبكل سرور، ... يعود لك لا أستطيع إجبارك إذا كنت لا تريد فلا بأس أنت ... سيخسر..

حسناً أنا موافق.. ولكن أخبريني ما المغزى من البقاء هنا ... علي أن أفعله بعد أن أنتهي من هذه المرحلة الأولى؟ لكي ... أكون مصنوماً وأكون مستعداً؟

... إذاً بعدها سيتوجب عليك أن تحضر رأساً والخطوة الثالثة ... الأخيرة ستختار الشخص الذي تريد الانتقال إلى جسده وتحضر ... من ذلك الشخص، يفضل في الشخص الذي تختاره أن يكون بدون عائلة ولا يعرفه أحد حتى لا تتورط في مشكلات ... وتستقبل أسئلة وأشخاصاً وأحداثاً أنت في غنىً عنها ... اختر شخصاً مقطوعاً من شجرة..

هذه الخطوة بالنسبة لي أصعب من إحضار رأس!!

قالت ضاحكة:

... وأنا أيضاً..

أنت ماذا عنك ألم تختاري بعد؟

كما قلت هذه الخطوة أصعب من قطع رأس أحدهم! هناك ... في البلدة يتيمة لكنها تملك الكثير من الأصدقاء والمعارف ... وأيضاً من سوء حظي أن الفتاة ستنتقل إلى الخارج..

لكن أقصد كيف تقومين بذلك؟ هل تقومين به عبر استدعاء شيطان!!؟

ليس شيطاناً إنه ساحر..

ساحر؟؟

نعم ساحر ميت منذ سنوات عديدة، قبل الميلاد تقريباً قبل أن يؤمن البشر بالمواهب والرسم كان أول شخص يعرف فن الرسم تقريباً في ذلك الزمن أو المكان كان شخصاً مسالماً خلوقاً طيباً لم يشتكِ أبداً منه أحد من قبل الجميع يحبونه ويحترمونه، لكن ذلك الشخص كان شغفه وعقله بمثابة قنبلة موقوتة وكأنه أتى من زمن غير زمنهم! في بداية الأمر بدأ معه الأمر في سن المراهقة عندما رأى فتاة جميلة جداً وأعجب بها جداً لدرجة كان لا يريد نسيانها ويرغب في تأمل وجهها دائماً! لذلك خطرت فكرة على باله وقال: لماذا لا نملك أشكالنا!؟ وهو كان يقصد لماذا لا يملكون صوراً لأنفسهم! وكانوا وقتها حتى لا يستطيعون رؤية وجوههم وأشكالهم إلا في انعكاس الماء! قبل اختراع المرآة! لذلك قرر بكل ذكاء أن يرسمها وقال إنه يستطيع نسخ شكلها، أحضر ورقاً وحبراً وبدأ يرسم وجه تلك الفتاة بعد أن انتهى أصيب بالدهشة والصدمة لأنه نجح وبشكل متقن في استنساخ وجهها! بعدها من شدة السعادة والفرح لحصوله على هذه الموهبة ذهب إلى أهل القرية وأخبرهم بهذه الموهبة أو الاختراع الذي اخترعه وأراهم رسمة الفتاة ورسومات أخرى لأشكال أشخاص آخرين، لكن تم اتهامه بأنه ساحر ومشعوذ!! طبعاً كانت بالنسبة لهم صدمة وخوفاً

بزعمه بأن هناك شخصاً يستنسخ أشكال الآخرين بالحبر على ورقة! لم يكونوا وقتها يعرفون معنى الرسم ولا أي شيء آخر، ثم بعد هذا الرسام بعيداً وأصبح الجميع يخافون منه ويخشونه، رغم تنمر عليه واتهامه باتهامات باطلة إلا أنه لم يهتم واستمر بالرسم وتطوير موهبته أكثر بعد خمس سنوات تقريباً من النبذ والظلم كره جميع البشر لكن لم يكن شيطاناً حتى يؤذيهم لذلك من باب الاختلاف والإبداع قرر أن يرسم البشر بطريقة وحشية بسبب تساويهم معه! عمله لم يتجاوز الرسم فقط، بدأ يرسم الأشخاص نفسهم وأولهم الفتاة التي أحبها لكن رفضته أيضاً خوفاً منه عندما عاملت موهبته بأنها سحر! رسم الفتاة نفسها بطريقة بشعة دماء تسيل من عينيها فمها مشقوق ومَخيط بخيط! واستمر هكذا مع أشخاص كثيرين من القرية حتى يشعر بالراحة ولكن لم يُرِ رسوماته هذه أحداً بالطبع، إذا كانت الرسومات الجميلة عاملوها وكأنها سحر! فما الذي سيفعلون به إذا شاهدوا هذه الرسومات البشعة!؟ في يوم من الأيام بدأت سلسلة جرائم قتل شنيعة في البلدة!! وكانت أول ضحية الفتاة الأولى التي أحبها الرسام! حيث قتلت بالهيئة نفسها التي رسمها بها الرسام: شق فمها جرحت عيناها حتى سالت منهما الدماء بدل الدموع! قام بتخييط فمها بعد أن شقه من الأذن اليمنى حتى الأذن اليسرى! هلع أهل البلدة وعاشوا في رعب وهلع وخوف وقتها الرسام لم يكن يعلم بأن رسوماته تتحقق على أرض الواقع!! لأنه كان وقتها يعيش بعيداً عن البلدة في مزرعته، بعدها استمرت الجرائم حتى وصلت إلى قتل

سبعة أشخاص! وكلها بالرسومات أنفسها التي يرسمها الرسام، بعد سنة تقريباً وبعد موت ما يقارب ١١ شخصاً! جاء مزارع يقوم بتوزيع الحليب على السكان وقام بزيارة الرسام لكي يعطيه الحليب كالعادة لكن الرسام كان مشغولاً لذا سمح له بالدخول ووضع الحليب بداخل المنزل وكان الرسام يعمل في الخارج، دخل الساقي إلى منزل الرسام ووجده مكتظاً بالأوراق والأحبار حتى أتت عينه على رسمة تشبه آخر ضحية ماتت في البلدة!! تقدم الساقي وأمسك بالرسمة ليتفحصها وكان هو الرجل نفسه الذي قتل بالطريقة نفسها! وضع الساقي الرسمة وهو يرتعش وأخذ رسمة الفتاة الأولى التي كان يحبها الرسام والضحية الأولى! بعدها وقعت عيناه على جميع الرسومات وكانت كلها للضحايا أنفسهم!!؟ صعق الساقي وأخذ الرسومات وخرج يركض بدون علم الرسام! اتجه بسرعة إلى عمدة البلدة وعرضها عليه! جن جنون عمدة البلدة وانتشر الخبر بين سكان البلدة وقالوا إنه بكل تأكيد لا يوجد خيار آخر بأن هذا الرسام هو من قتلهم جميعاً! توجه أهل القرية جميعهم في ليلة ممطرة عاصفة قاسية مظلمة إلى مزرعة ومنزل الرسام وهم يحملون الحجارة والنار ويرددون: لنقتل الساحر القاتل!..

كان الرسام قد علم قبل ساعات قليلة عن هذا الاتهام الشنيع القاسي! بعد أن اكتشف أن الساقي سرق رسوماته خاف كثيراً لم يكن يعرف ما الذي يفعله، نظر من جميع الاتجاهات ووجد سكان البلدة جميعهم يحاصرون منزله ومزرعته! وهم يحملون

عصبياً من النيران، دب الخوف والتوتر والرعب في قلب الرسام أكثر عندما رآهم من النافذة يحرقون مزرعته! ركض الرسام بسرعة إلى قبو منزله واختبأ هناك لا حول له ولا قوة على أمل أن النيران لن تصل إليه، أضرم السكان النيران بدون رحمة في منزل الرسام وأحرقوا المزرعة والمنزل حتى تحولا إلى رماد!! احتضن الرسام رسوماته وظن الجميع أنه مات وتفحم وتحول إلى رماد! لكن الرسام نجا بأعجوبة أصيب بحروق في جسده ووجهه تشوه، ولكن رغم ذلك نجا زحف الرسام عبر النيران والرماد بإصابات وحروق وألم في قلبه أكثر من جسده بسبب الظلم الذي تعرض له لقد عوقب على أفعال وذنوب ليست له، فهو لم يقتل حتى ذبابة فكيف له أن يقتل إنساناً؟! فكان ذنبه الوحيد هو أنه رسام..

استيقظ الرسام بعد شهرين من الغيبوبة ليجد نفسه مستلقياً على فراش مغطاة حروقه بالأقمشة جسده ووجهه بالكامل لا تظهر إلا عيناه فقط! التفت يميناً ويساراً يحاول أن يعتصر ألم قلبه، حتى دخل عليه عجوز تقريباً بعمر السبعين عاماً يحمل معه صينية حساء جلس العجوز بجانب الرسام:

هل استيقظت أخيراً؟ لا تقلق لا تتحدث الآن لا تضغط على نفسك ستستطيع التحدث لاحقاً، والآن سأساعدك في شرب هذا الحساء..

انتهى من تناول الحساء ثم قال العجوز:

أنت تتحسن يوماً بعد يوم خلال خمسة أشهر ستعود بخير كما كنت..

قال الوسام بتلعثم:

وماذا،، ماذا عن التشوه؟؟

العجوز بحزن:

أما هـذه فـلا أستطيع أن أزيلها لقد تعرضت لحروق قوية ونجوت بأعجوبة لا بأس الأهم أنك حي..

حي!! أنا على قيد الحياة ولكنني وكأنني جثة متعفنة..

أعلم يا بني أن جروح القلب أقسى من جروح الجسد..!

هل تعلم بأنهم ظلموني؟؟

نعم أعلم..

كيف؟ ومن تكون أنت؟ أنا لم أرَك في حياتي من قبل؟؟

أنـا مجـرد شـخص يحـب الحقيقـة، الحقيقـة فقـط، لذلك ساعدتك وانتشلتك من باطن النيران في ذلك اليوم، كنت أود تحذيرك وإخراجك قبل أن يصلوا لكن للأسف وصلوا قبلي..

لا أستطيع أن أعيش حياتي الآن وأنا هكذا وكأنني جثة متعفنة كان من الأفضل أن تترك النيران تلتهمني بالكامل، لقد خسرت كل شيء جسدي وجهي منزلي مزرعتي سمعتي رسوماتي لم يتبقَ لي أي شيء، عن أي حياة تتحدث!؟

بقي لك الأهم..

ما هو؟

العقل الذي تفكر به!

وبماذا سأفكر وأنا خسرت كل شيء؟؟

تذكر في الانتقام... ألا تود أن تنتقم؟ يجب أن نجعلهم يعرفون أنهم كانوا على خطأ! ذلك القاتل ما زال طليقاً يتجول يعيش حياته يجب أن تفضح أمره وتنتقم منه ومنهم..

ماذا؟؟ هل تعرف من هو القاتل؟؟

أنت شخص ذكي كثيراً لكن طيبتك كانت تعمي قلبك ألا تتذكر من هو الشخص الوحيد الذي كان يرى رسوماتك؟؟

صعق الرسام عندما سمع هذه الكلمات وتذكر أن الشخص الوحيد وصديقه الوحيد الذي كان يعتبره أخاً له ووثق به وكان يظن أنه الوحيد الذي لم يعامله كالوحش أو الساحر واحترم موهبته! كان شخصاً يدعى «ستيفنين» كان حفار قبور شاباً على هيئة ملاك لكن داخله شيطان! كان يمثل التواضع والطيبة وكان الشخص الوحيد الذي وقف مع الرسام ودافع عنه وكان صديقه الوحيد الذي يريه جميع رسوماته، لكن لم يتوقع الرسام أبداً أن صديقه ذلك الشاب المتواضع الطيب القلب أن يكون داخله وحش! وأنه سيستغل رسومات صديقه ويخرج مرضه على الناس! تحطم الرسام وشعر بكل أنواع القهر والحقد والظلم، أخبر العجوز بأنه يريد أن ينتقم من الجميع بدون رحمة، ساعده العجوز الذي لم يعرف الرسام من أين ظهر هذا العجوز فجأة؟ قال له العجوز:

أنت لا تستطيع الانتقام بهذا الجسد المحروق الهزيل!!

الرسام:

أخبرتك لكنك أصررت علي!

بالطبع لأن هناك طريقة..

ما هي؟ هل تستطيع أن تشفي جسدي؟؟

لا لكن أستطيع استبداله!!

تعجب الرسام من كلام العجوز:

ماذا تقصد؟؟

قصدي واضح يجب أن تقتل هذا الجسد ودع الأمر الباقي علي..

لحظة! أنا لا أفهم أي شيء تقوله؟ هل أنت مجنون؟؟

اعتبرني كما تريد لعلمك الجنون أحياناً ليس له حدود وأحياناً يكون الجنون مفيداً!

إذاً فسر لي؟؟ هل تريدني أن أقتل نفسي بعد أن ساعدتني على النجاة من الموت!؟

بعد موتك ستعود مرة أخرى لكن في جسد آخر..

هل أنت ساحر؟؟

سمني ما شئت لأنني أنا لا إنسان ولا شيطان ولا ملاك ولا ساحر ولا مشعوذ! أنا مخلوق يساعد الناس العاجزين أمثالك ويعطيهم فرصة جديدة للحياة بعد الموت سواء كنت تصدق أو لا سواء توافق أو لا في النهاية لن أجبرك على شيء واعلم بأنك لن تخسر شيئاً إذا جربت لأنك بالفعل خسرت كل شيء سابقاً هل تخاف من الموت؟؟

لم يكن لدى الرسام خيار آخر هو يريد الانتقام بشدة ووثق بالعجوز لأنه أنقذه من الموت وعالجه لمدة أشهر فلماذا سيقتله الآن؟؟ لذلك وافق على هذا الاقتراح ثم قال:

لكن من الجسد البديل الذي سأعود فيه؟؟

العجوز وهو يخرج شعر شخص ما:

صديقك القاتل «ستيفنين»..

ماذا؟؟

نعم يجب أن تثبت لهم أنهم كانوا على خطأ وتجعلهم يعرفون أنه هو القاتل الحقيقي بطريقتك في الانتقام ستجعل الجميع يندمون على ظلمك بدون أي وجه حق..

اتفق العجوز والرسام على الانتقام معاً أحضر العجوز كتباً نادرة وجعل الرسام يتعلم كل حرف منها وعزله لمدة سنة كاملة في كهف حتى أصبح الرسام متقناً في ذلك العلم والسحر حتى أتى ذلك اليوم المنتظر وقال العجوز للرسام إنه حان الوقت لكي يقتل نفسه ويموت، ووافق الرسام وهو يرتعش بالطبع الموت ليس بالشيء السهل، قال الرسام للعجوز أن يقتله ويريحه من المهمة لكن العجوز رفض وقال له يجب أن يقتل هو نفسه! لذلك جهز له حبل مشنقة وشنق الرسام نفسه بدون تردد!!..

بعد يوم واحد فقط استيقظ الرسام ليجد نفسه في منزل يعرفه جيداً كان منزل صديقه والقاتل «ستيفنين»! لم يستوعب الرسام في بادئ الأمر حتى نظر إلى جسده: يديه أرجله تحسس وجهه

كان يشعر بأنه مختلف لديه قوة جسده غير نحيل والأهم غير مشوه علم وقتها أنه أصبح في جسد ذلك القاتل!! نهض بسرعة من فراشه مفزوعاً توجه إلى أقرب بركة مياه ليرى نفسه أنه بالفعل أصبح بجسد صديقه!! شعر برعب في بداية الأمر وبقي لمدة يومين حابساً نفسه في المنزل بعد يومين خرج ليلاً لأنه لا يريد أن يصادف أي أحد من سكان القرية ويسأله أسئلة لا يعرف إجاباتها لأنه ليس الشخص نفسه ذهب إلى الكهف الذي كان يمكث فيه مع ذلك العجوز لكن كانت الصدمة لم يجد العجوز أبداً ولم يجد أي أحد ولم يجد لا الكتب ولا الأغراض التي كان يأكل فيها ويشرب ولا أي شيء يدل أنه كان يعيش هنا لسنة وستة أشهر!! حتى جثته لم يجدها!! ظن أنه مجنون لكن تذكر في أحد الكتب التي قرأها أنه عندما تعود من الموت في جسد شخص آخر تذكر أن كل شيء حدث حقيقي ولم يكن من صنع مخيلته!! اعتمد الرسام على ما حفظه من تلك الكتب وأصبح يدون المعلومات التي حفظها، بعدها تعلم أكثر وغاص في بحور هذه العلوم والسحر الأسود أصبح يتلاعب بالناس، بدأ بأهل القرية جعلهم أولاً يعرفون الحقيقة وعلموا بأن القاتل هو حفار القبور وليس الرسام! بالطبع لم يبق في المنزل واختبأ في الكهف يمارس سحره عليهم! جعل السكان أولاً يلتهمون أطفالهم وهم يبكون؟ ثم جعلهم يفقدون بصرهم ثم جمعهم في مزرعته المحروقة وخدعهم وقال إنه يستطيع أن يعيد إليهم بصرهم إذا اعتذروا إلى الرسام! وبالفعل جعلهم يعتذرون منه

ويتضرعون اليه ويتوسلون بعد أن انتهى أحرقهم جميعاً في المزرعة نفسها!! ويقال إنه احتفظ بعمدة البلدة والساقي الذي سرق رسوماته وبدأ الأمر منه وآخرين وظل يعذبهم أياماً وأشهراً حتى ذابت جلودهم!! بعدها لا أحد يعلم أين ذهب هذا الرسام بعد أن ارتكب مجازر شنيعة؟ البعض يقول بأنه مات والبعض يقول بأنه انتحر، وبعض الأقاويل تقول بأن السلطات أمسكت به، والبعض يقول بأنه ظل يرسم ويلهم جميع رسامي العالم عبر الكوابيس لكي يرثوا فنه المرعب ولا ينقطع أبداً..

هذه قصة بداية أول شخص يعود إلى الحياة ولا يوجد كثير جميعهم فشلوا لكن أنا استطعت أن أفعلها مرتين..

قلت بعد أن استمعت إلى القصة بتمعن وكان لدي أسئلة كثيرة في رأسي لكنني احتفظت بها:

حسناً لكن من الشخص الذي تستدعينه هل هو العجوز؟ أم الرسام؟

قالت وهيَ تضع الكتاب من يدها:

هذا الشخص الذي يساعدنا بعد قراءة الطلسم بالتأكيد العجوز هو الذي ساعد الرسام وجعله يعود إلى الحياة،، أما الرسام فلا أحد يعلم أين هو؟

وأنتِ من أين حصلتِ على كتب العجوز؟؟

يمكنك أن تقول الخبرة لها دور استطعت بطريقة ما الحصول عليها ولا أستطيع إخبارك الأهم أن ينجح الأمر معنا إذا كنت مستعداً..

حسناً إذاً أنا مستعد ما المطلوب مني غير أني أنعزل هنا لمدة ثلاثة أيام وأقرأ بعض الصفحات من هذا الكتاب؟

بعدها اختر لك ضحية وأحضر رأسها إلى هنا، ثم يتعين إحضار أثر من جسد صاحب الجسد الذي تريد أن تنتقل روحك إليه والأهم أن يكون الأثر ملموساً: شعراً ملابسه الخاصة وهكذا، وأيضاً بالطبع سيكون من ذكر لا تستطيع أن تنتقل إلى أنثى وأنا كذلك الشيء نفسه أرواحنا هيَ ستكون نفسها لذا عليها أن تذهب إلى الجنس نفسه..

حسناً فهمت متى ستبدأ عزلتي؟؟

الآن إذا كنت مستعداً؟! سأخرج وأتركك هنا يوجد الكثير من الفوانيس والشموع ستكفي ثلاثة أيام لا تخش لن تبقى في الظلام..

ليس عليك القلق حيال ذلك لأني أنا الظلام يخشى مني..!

خرجت تلك الساحرة وتركتني أبدأ عزلتي بعد أن تركت في يدي ذلك الكتاب وحذرتني أن لا أقرأ صفحات غير الصفحات المحددة لي فقط، وإذا خالفت الأمر فسأندم وسأفتح أبواب الجحيم!!..

على العموم ليس لي فضول كثير تجاه هذه الموضوع كل ما أريده الآن هو الانتهاء من هذه العزلة التي لا أعلم هل سينجح الأمر بعدها أم أنه وهم من هذه المشعوذة!؟ ثم أيضاً علي التفكير كيف يمكنني أن أجد شخصاً أنتقل إليه وأعيش من جديد؟؟ من سيكون الجسد المناسب لي؟!! تذكرت الكابوس الذي رأيته! هناك رسالة لي أنا واثق من ذلك لكن ما هي؟!

مستحيل!!! لحظة واحدة! تلك المشعوذة طلبت مني الأفضل
ويكون الشخص الذي أرغب بـ الانتقال إلى جسده مغطوماً
من شجرة لا أحد يعرفه وليس لديه أحد، صغير في السن يكون
مناسباً أكثر والأهم أن الشخص الذي يدور في ذهني يملك
موهبتي نفسها: الرسم! ومعاناتي نفسها: الاحتجاز والتعذيب لي
في الجحيم من قبل الأقارب! ولا أعتقد أنه يملك أحداً!
ولا يسأل عنه أي أحد؟ ولا يعرفه أحد! ولديه الكثير من الكوابيس
التي تلهمه وأولها رؤية جرائم وضحايا والدته! نعم بالضبط أنا
أفكر بذلك الصبي الذي خرج لي في الكابوس رغم أنني لم
أقابله ولا مرة هذا يعني أننا تشاركنا كابوساً وتشارك معاناة
الطفولة نفسها نتشارك الموهبة نفسها والعذاب نفسه! إذاً لا بأس
إن تشاركنا بجسد واحد كلانا يستحق أن يعيش من جديد حياة
أخرى.. فكلانا في النهاية يحتاج حياة جديدة وبشدة..



«مرحباً بك في أسوأ كوابيسك»

الليلة الأولى في عزلة الكوابيس:

هل تعرف ما معنى كابوس؟ الكابوس هو الذي يكبس على روحك وقلبك على جسدك على تنفسك على حياتك! هناك دراسة تقول إن الكابوس لا يستمر أكثر من عشر ثوانٍ في عقل الإنسان لأنه إذا استمر أكثر من ذلك فسيموت الإنسان خوفاً ورعباً أو يدخل في صدمة وغيبوبة ويتعفن رعباً وخوفاً، لا يوجد إنسان على وجه الأرض يتحمل الكابوس إذا استمر معه أكثر من عشر ثوانٍ، فما بالك إذا استمر الإنسان يرى أكثر من كابوس في اليوم الواحد؟ وماذا إذا شاهد كابوساً يستمر معه أكثر من عشر ثوانٍ؟ يستمر دقيقة أو خمس دقائق أو حتى ساعة كاملة!؟ ماذا سيحدث للإنسان وقتها؟ بالطبع سيتعفن رعباً..!

هذا ما قرأته في أول سطور ذلك الكتاب الذي أعطتني إياه تلك الساحرة ولكي تكتمل الطقوس وعزلتي يجب أن أتبع التعليمات في هذا الكتاب، هل هذا يعني أنني سأعيش في هذه الثلاثة الأيام بدون طعام ولا شراب وبكوابيس مستمرة تختبر قدرتي على الصبر؟

- مضت أول ساعتين كالموت البطيء وكأنهما شهران، ماذا سأفعل في ثلاثة أيام؟ استلقيت قليلاً وضعت الكتاب بجانبي أفكر في أمور كثيرة وأولها كيف سأحصل على أثر من ذلك

الصبي ابن تلك الساحرة وهو محتجز في أقوى زنزانة بالعالم؟ محاط بساحرة وشياطينها وباب حديدي، مسكين ذلك الصبي أتعاطف معه كثيراً إنه يذكرني بنفسي وبمعاناتي نفسها لهذا السبب ظهر في كابوسي، هل تلك إشارة منه أنه يطلب مني المساعدة، لكن يجب أن أجد طريقة قبل أن تنتهي الثلاثة الأيام طريقة أدخل بها إلى غرفته، وأنا في عز تفكيري لكي أتجنب بطء الوقت سمعت صوتاً غريباً لكن لم أعره أي اهتمام وكنت متوقعاً طبعاً بما أنني معزول في كهف تحت الأرض وحيد ومظلم! عدت إلى التفكير مرة أخرى وهذه المرة في كيف ستنجح خطتي لقتل تلك الساحرة قتلها سيكون سهلاً لكن يجب أن أجعل الطقوس تكتمل لكي أضمن أنني سأعود من جديد بعدها سأقتلها لن أسمح لها بالعودة من جديد أمثالها لا يستحقون أن يعيشوا مرتين، لا أحد يقول وماذا عنك؟ أنا أستحق وبجدارة الأشخاص الذين عانوا مثلي معظم حياتهم يستحقون أن يجدوا فرصة أخرى للعيش من جديد، مرة أخرى داهمني الصوت وقاطع أفكاري عدلت وضعيتي هذه المرة من الاستلقاء إلى الجلوس وأنا أركز على من أين يأتي الصوت؟ وفي الوقت نفسه طبعاً لدي حدودي لن أخرج من كهفي المضيء إلى الخارج الذي كان عبارة عن ظلام قاتل! بقيت جالساً على الوضعية نفسها لا أعلم كم مضى من الوقت لأن ساعتي ليست معي، وأعلم بأنه لم يمر الكثير من الوقت أو يمكن أنه مر لكن لا أعرف حرفياً أنا في زمن مجهول، فجأة داهمتني رياح باردة جداً حتى الشموع أصبحت ترفرف يميناً ويساراً،

شعرت بالبرد الشديد قررت أن أقف وأسير يميناً ويساراً لكي يخف البرد ويطير النعاس، رغم أني كنت أرغب بالنوم لكي يمضي الوقت لكن الكتاب حذر من النوم كثيراً لأنني لو نمت سأتيه في دهاليز الكوابيس!! فجأة شعرت بالدوخة ونعاس شديد رغم ذلك بقيت واقفاً على أقدامي رفضت الجلوس حتى لا أنام ولكن فجأة بدون سابق إنذار وأنا أقف على قدمي أغلقت عيني ودخلت في سبات عميق!..

فتحت عيني بشكل سريع إذ أجدني ما زلت على وضعيتي واقفاً على أقدامي مستنداً ظهري على الحائط ولكن المكان اختلف! لم أعد في ذلك الكهف؟ نظرت بعيني يميناً ويساراً لأجد مكاناً يشبه المتاهات المتفرقة الواسعة تحت الأرض! دهاليز عديدة لا نهاية لها! قررت أن أسير عبر الطريق الذي أمامي لا أذهب لا يميناً ولا يساراً، استمررت في السير بخطوات بطيئة حتى لمحت مفترق طرق آخر يميناً ويساراً، بدأت بالتفكير أين أذهب؟ وأي طريق أختار؟ لكن قاطع أفكاري منظر مرعب مر سريعاً من أمامي شخص نحيل وكأنه إنسان وفي الوقت نفسه يبدو مسخاً أو هيكلاً عظمياً لا أعرف! مر بشكل سريع وهو يزحف بشكل خلفي بطريقة مقلوبة على يديه وكعبي قدميه خارجاً من مفترق الطرق الأيمن ودخل من أمامي إلى الطريق الأيسر واختفى!..

من سرعة المشهد لم أستطع أن أفزع بما فيه الكفاية لكن ذلك كان كفيلاً بضخ الدم في عروقي بسرعة للدرجة شعرت به وهو

يركض في عروق جسدي، رجفة اجتاحت أطراف جسدي مع تصلب في الشرايين!! الآن أين أذهب؟ هذا السؤال المهم هل أذهب إلى الطريق الأيسر الذي دخل فيه ذلك الشيء زاحفاً؟ أم أذهب إلى الأيمن الذي خرج منه ذلك الشيء زاحفاً!؟ حسناً قررت أن أسير في الطريق الأيسر الذي ذهب إليه ذلك الشيء زاحفاً لأنني خشيت أن أدخل إلى المكان الذي خرج منه أجد منه الكثير غيره نظرية سخيفة لكن أقنعتني وبالفعل اتجهت عبر الطريق الأيسر دخلت إلى بداية الدهليز استقبلني الظلام المرعب، سرت بخطوات حذرة مر من جانب قدمي فأر ضخم أضخم من حجم طفل رضيع، فكرت لماذا ذلك الفأر يركض هارباً وخارجاً من الممر الذي أنا داخل به؟! لكن لن أهتم لا مفر من التقدم، استمررت بالسير والظلام يدفنني أكثر وأكثر حتى استوقفني صوت! كان صوت طفل يبكي!! بدا الصوت واضحاً جداً فهو يخرج من عمق الظلام في الاتجاه الأمامي لذلك سرت بسرعة إلى الأمام باتجاه صوت الطفل الذي يبكي بدأت ملامح المكان تظهر عندما رأيت أنواراً أو إضاءة حمراء! تحول المكان إلى اللون الأحمر، من العدم ارتفع أكثر صوت الصبي وهو يبكي! وصلت إلى مكان مغلق أو غرفة مغلقة كان بداخلها ضوء أحمر مشع وباب خشبي غير مغلق بإحكام كان الباب مفتوحاً قليلاً بما يكفي لأدخل رأسي وأنظر عن بعد وأكتشف ما يوجد بالداخل بدون أن أدخل، لذلك دفعت الباب بهدوء انطلق صوت صرير الباب وأنا أعض على أسناني في خوف وتوتر وقلق، أدخلت

رأسي كانت غرفة بها سرير طفل المكان متسخ ومتعفن وملطخ بالدماء في كل مكان، الكثير من الشعر المتناثر في المكان يبدو أنه شعر يعود إلى بشر! فتحت الباب على مصراعيه ودخلت بهدوء إلى الغرفة أتفحص الغرفة بعينيّ شعرت بالغثيان والقرف من منظر الغرفة التي يبدو وكأنها غرفة للجثث المتعفنة! سمعت صوتاً من خارج الغرفة وكأن أحدهم قادم باتجاه الغرفة! تجمد الدم في عروقي وبدأ جسدي بالارتعاش! لا أعرف أين أذهب أدور في الغرفة كالمجنون حتى رأيت خزنة ملابس متهالكة، ركضت بسرعة نحوها وفتحتها ودخلت فيها وأغلقت الباب!

أحاول أن أكتم أنفاسي ليس من شدة الخوف بل من قوة الرائحة العفنة التي دفنت نفسي معها في الخزانة! نبضات قلبي تنبض بقوة العرق يتصبب من جسدي، كان في باب الخزانة شقوق تسمح لي بالمراقبة ورؤية ما في خارج الخزانة، حتى وصل أخيراً الذي دخل الغرفة!! كان هو نفسه المسخ الهيكلي الذي زحف أمام عينيّ قبل دقائق كان شبيهاً بالمخلوق الذي على وشك الموت من الجوع من هول منظر جسده الذي يوحي وكأنه هيكل عظمي! كان طويل القامة ولديه شعرات طويلة وخفيفة في جمجمته وكأن الشعر الذي في الغرفة المتساقط هو شعرها! نعم من تفاصيل جسدها عرفت أنها مسخة كانت أنثى، دخلت الغرفة وهي تحمل في يدها مخلوقاً أو صبياً لا يقل مساحة عنها كان هو الذي يصدر الصوت الذي سمعته، جلست على السرير المتعفن وهي حضنتها ذلك الصبي جلست المرأة تراقب الصبي بهدوء

وهو في حضنها جمجمة الصبي كانت كبيرة ومنتفخة على غير الطبيعي، بدأت الجمجمة بالنبض وكأنه طفل رضيع للتو خرج من بطن والدته! استمرت جمجمة الصبي تنبض بقوة وكأن شيئاً ما على وشك الخروج منها! مع كل نبضة لجمجمة الصبي قلبي ينبض بشدة، فجأة سمعت صوت أنفاس من عمق الظلام من خلفي!! وكأن هناك أحداً مختبئاً في الخزانة معي؟ أشعر بأنفاسه الساخنة رغم الجو البارد! أنا على وشك الموت أين أذهب أخرج إلى تلك المسخ أم أبقى هنا مع المجهول!؟ فجأة صرخ الطفل صرخة مدوية والأم تصرخ معه قام الطفل بالبكاء والأم تبكي وتردد:

أخرجها كلها! أخرج كوابيسك من رأسك لا تبقِ شيئاً!!

حتى انفجر رأس الطفل في مشهد مقزز ومفزع وخرج من رأسه شيء مثل الجذعين وانغرزا في رأس الأم!! سالت الدماء في كل أرجاء الغرفة وأصبحت الغرفة بحيرة من الدماء! وأنا ما زلت أراقب وأنفاسي على وشك الانتهاء حتى شعرت بيد من خلفي تمسك كتفي شعرت بأنفاسه تقترب مني لم أحاول الهروب تجمدت تماماً حتى التصقت أنفاسه بأذني ثم قال:

ماذا عنك يا أندرو؟ ألا تريد إخراج كوابيسك من رأسك أيضاً؟!

ثم شهقت شهقة العودة إلى الحياة أو بالأصح الاستيقاظ من النوم..

فتحت عيني لأجد نفسي في المكان نفسه في ذلك الكهف
المعزول كنت مستلقياً ألتقط أنفاسي بثقل وذلك الكتاب بجانبي
لا أعلم كم مضى من الوقت؟ وكم نمت من الوقت؟ وكم أخذ
مني هذا الكابوس من روحي! بعد أن التقطت أنفاسي نهضت
بثقل كنت أشعر وكأن هناك صخرة كانت تربض على صدري،
التقطت الكتاب كان يجب علي أن أكمل الصفحات التي يجب أن
أقرأها، أكملت القراءة صفحة تتبعها صفحة أغلب الأسطر لم
أفهمها تحتوي على كلمات ومصطلحات غريبة في عالم السحر
والشياطين والشعوذة! حددت لي تلك المرأة صفحات معينة ألتزم
بها فقط لكن أنا لا ألتزم بشيء أبداً لذلك تجاوزت الصفحات
المحددة لي فتحت على الصفحة الأولى التي ليست من ضمن
الصفحات التي أقرؤها كانت الصفحة مليئة بالرسومات الصغيرة
جداً رسومات غريبة، أو أنها رسمة كاملة لكنها متقطعة أجزاؤها!؟

بدأت أحاول أن أقوم بتجميع شتات الرسمة لكوني رساماً لم
أعانِ في تجميعها وأخذ الوقت مني تقريباً عشرين دقيقة، لا أعلم
من أين أتى ذلك الطبشور الأبيض الذي وجدته أمامي؟ لكن
عرفت أن أحدهم يريدني أن أرسم لذلك شعرت بأنني مميز!
تناولت حجراً لأستعين فيه بالتخطيط مع الطبشور وبدأت أحفر
على الأرض وأخط عليه ساعدني ذلك لأن الأرضية كانت تقريباً
سطحها ما بين الخشن والناعم لذلك يسهل حفرها والرسم
عليها، استغرقت معي الرسمة التي جمعت شتاتها من الكتاب ما
يقارب ثلاث ساعات!! لم أتوقف أبداً حتى انتهيت من الممكن أن

تقولوا: من شدة الملل وطول الوقت والوقت المجهول والفضول! كل تلك الأمور جعلتني أرسم رسمة من كتاب شيطاني مجهول على الحجر لأول مرة أرسم على الحجر، شعرت بأنني «موهوب» فـذ ما أن انتهيت من الرسمة وقفت على قدمي وتراجعت قليلاً إلى الوراء لأرى الرسمة من منظور بعيد إذ تشكلت الرسمة أمامي:

كانت عبارة عن «امرأة» عيناها مجوفتان وممتلئتان بالسواد، وجهها مليء بالشقوق وكأنه حجر بالٍ مر عليه مائة عام من الجفاف! جسدها لا يخلو تشوهاً وتشققاً مثل وجهها كانت تضع يديها على صدرها وكان في منتصف صدرها تجويف ممتلئ بالسواد وكأن داخلها بئر مظلمة! في يمين جمجمتها شق ليس شقاً بل فتحة أو كأن جمجمتها مفتوحة ومتفشٍّ منها السواد الذي كان سبباً في تعفن كل جسدها..! انتهيت من تأمل هذه الرسمة لأسمع صوتاً قوياً قادماً من داخل الكهف الذي أنا فيه! قفزت من مكاني تراجعت للخلف قليلاً لم أكن أريد أن أبتعد عن الضوء لذلك التقطت فانوساً من على الأرض ويداي ترتعشان، وجهت ضوء الفانوس إلى الأمام أو إلى الظلام إلى أمامي كان من داخل الكهف وعمقه وخلفي كان الطريق إلى الخروج والعودة إلى قبو شريكتي، لكن اخترت عدم الهروب وانقطاع عزلتي سأفسد كل شيء إذا فعلتها لن أستطيع العودة للحياة مرة أخرى! لذا بدلاً من الهروب أو البقاء أنتظر مصيري قررت السير إلى الظلام نحو الصوت! سرت بخطوات حذرة وأنا أحمل الفانوس وألتقط حجرة كبيرة من الطريق على أمل أن أدافع بها

عن نفسي، استمررت بالسير وقلت لنفسي: مجرد استكشاف ولن أبتعد أكثر عن مكاني وسأعود، ولكن سرعان ما تلاشت هذه الفكرة من رأسي عندما رأيت امرأة تركض من أمامي بشكل سريع!! حاولت أن ألتقط أنفاسي لا بأس حان وقت العودة هذه كلها أوهام من هذا المكان، سأصمد أكثر أدرت ظهري عائداً إلى غرفتي ومكاني لكن سمعت صرخة امرأة متوسلة:

لا تقتلني أرجوك لا تقتلني!!

صعقت عندما سمعت هذا الصوت! مستحيل أن يكون أحد هنا غيري يجب أن لا أصدق ما أسمع أو أرى لقد أخبرتني تلك المشعوذة بأنني سأتعرض لموقف هكذا لذلك يجب أن أصمد أكثر، قررت تجاهل الصوت وبدأت أسير بخطوات سريعة عائداً إلى مكاني لكن ذلك لم يسعفني لم تسعفني خطة الحذر المتأخر عندما فردت قدمي ووقعت في تجويف عميق كان التجويف مليئاً بالمياه المتعفنة والسوداء والوحل والرائحة العفنة نهضت بسرعة وأنا أصرخ بدأت ملامح التوتر والقلق والخوف تشتتني لا أستطيع السباحة في هذه المياه القاحلة فهي تثقل جسدي وتمنعني عن الحركة حتى اصطدمت بجثة متعفنة شهقت ودفعتها من طريقي استمررت بالسباحة اصطدمت مرة أخرى بجثة ومرة ثالثة وخامسة وعاشرة كان التجويف عبارة عن مستنقع جثث هل هذا عقاب لي لأنني قتلت أضعاف هذه الجثث؟ ولماذا أصلاً أخاف منها وأنا معتاد عليها!!؟ أخيراً رأيت مكاناً مناسباً للخروج ما إن حاولت التوجه نحوه حتى شعرت بيدين تسحباني إلى الأسفل!

صارعت بكل ما أملك من قوة لكن بدون فائدة، فجماعة جميع الجثث التي كانت ميتة أو تتظاهر بالموت استيقظت وبدأت في إغراقي في مستنقع الجثث! جميعهم ضغطوا على جسدي وهم يبتسمون ابتسامة مخيفة في حين أنا ظننت أنها نهايتي لكن لم تكن وفقدت الوعي..!





إن الرسم أحياناً يكون نعمة وأحياناً يكون نقمة وأحياناً يكون
حياة وأحياناً يكون موتاً»!!

فتحت عينيّ مستيقظاً لأجد نفسي في قصر ضخم لا يقل جمالاً وفخامة عن القصور الاسكتلندية! تلك القصور التي تظهر في الروايات علمت وقتها بأنني في كابوس جديد، ولكن على الأقل هذه المرة المكان جميل ونظيف ومضيء، فجأة سمعت صوت أغنية أوبريه مع لحن قديم جداً تلك الأنشودات القديمة التراثية! علمت بأنني عدت إلى زمن قديم أقدم من زمننا سرت باتجاه الصوت حتى وصلت إلى ساحة داخلية في القصر، كان كل شيء مثالياً ومهيباً: تجمعات لأناس يرتدون أفضل الملابس وأرقاها، صوت الموسيقى يعلو في المكان، الأطعمة والمشروبات المتنوعة في كل مكان، الحلوى التي يتم تقديمها على الضيوف عرفت وقتها أنني في زفاف على ما يبدو حضرت زفافاً من دون دعوة! دقت أجراس زفة العريس والعروس سمعت صوت البوق الذي يعلن عن قدوم العريس مع عرض عسكري علمت بأنه شخصية مهمة كـ أمير أو إمبراطور أو ملك!! دخل العريس كان رجلاً أنيقاً ووسيماً طويل القامة ضخم البنية سنه ما يقارب في متوسط الثلاثينات، يمسك في يده عروسه التي كانت لا تقل جمالاً عنه مع بشرة حنطية وابتسامة مشرقة، لم أستطع إكمال مراسم الزفاف الذي كنت سعيداً فيه هذا أول كابوس جميل لكن كنت أعرف أن النهاية بالطبع لن تكون جميلة وسيتحول هذا الضوء الآن إلى الظلام! وبالفعل لمحت في وسط الزحام شابة كانت خادمة تقدم المشروبات

للضيوف كان على وجهها ملامح الحزن والخوف والهالات السوداء التي تمتد من أسفل عينيها حتى رقبتها! كانت الشابة جميلة جداً ومن الواضح كانت أجنبية أي من جنسية خارجية غير جنسية الحضور هنا! كان لون بشرتها أسمر مع أعين واسعة عسلية وشعر أسود كسواد الفحم اللامع، ملامح حادة وجسم نحيل، لكن تلك الفتاة رأيتها في مكان ما!!؟ أين؟ خرجت الفتاة من الجموع وهي تحمل أكواب الضيوف الفارغة اتبعتها لا إرادياً علمت بأنها هيَ ستكون بطلة كابوسي والشخصية الرئيسة لذلك يجب أن أتبعها بالطبع لم آتِ هنا لحضور زفاف أثرياء! سرت خلفها استمرت بالسير عبر طرق وممرات طويلة بسبب ضخامة هذا القصر، حتى وصلت إلى المطبخ الضخم الذي يعمل فيه مئات الخدم والطباخين وضعت الفتاة الأكواب في صف المغاسل ليستلمها مغسل الأواني، لاحظت أن الفتاة تبدو وكأنها غير مرئية! هو في الحقيقة أنا غير مرئي لأنني قادم عبر كابوس لكن كانت هيَ صامتة وتسير وكأنها شبح باهت لا تتحدث مع أحد ولا أحد يتحدث معها ولا تنظر إلى أحد ولا أحد ينظر إليها بدأت أشك أيضاً بأنها مثلي غير مرئية لكن سرعان ما اختفت هذه الشكوك عندما رأيت أحد مسؤولي الخدم يقف في وجهها وهو يقول بهمس لها:

«مارا» ضعي كل شيء من يديك الملك يرغب بأن تقابليه الآن..!

هزت الفتاة رأسها بدون أي تعابير أخرى وخلعت المريلة التي كانت ترتديها وخرجت من المطبخ، استمررت بالسير خلفها دخلت عبر دهاليز القصر الضخمة صعدت سلالم ذهبية ضخمة

حتى وصلت إلى ممر واسع مليء بالغرف، توجهت نحو مكان وكأنه جناح خاص عرفت أنه مكان الملك، جلست الفتاة على الأريكة وحدها وهيَ تحتضن كلتا يديها بعضهما في بعض وترتعش بدا عليها الخوف والحزن والرعب! حتى سمعت صوت باب يفتح توقعت أن أرى ذلك الشاب أو العريس! لكن ما رأيت كان رجلاً عجوزاً يناهز من العمر تقريباً سبعين عاماً! كانت بنيته قوية بشرته صافية صحته جيدة يرتدي ملابس الملوك مع تاج ذهبي مرصع برموز غريبة! تبسم عندما رأى الفتاة على عكسه من نهضت من مكانها وهيَ ترتعش انحنت الفتاة له وبقيت منحنية حتى وصل إليها ومد يده وأمسك بذقنها قائلاً:

لا بأس تعلمين جيداً أنه ليس بيننا هذه الرسميات يا لوجين!

مارا:

أعتذر يا مليكي عن ليلة الأمس لم أستطع إكمال الرسمة لأن..

لم تكمل الفتاة كلمتها حتى وجه إليها الملك صفعة مدوّية صدح صدى صوتها في كل أرجاء المكان! وقعت الفتاة على الأرض من قوة الصفعة! سالت الدماء من فمها، تقدم ذلك العجوز ورفع قدمه وداس على رأس الفتاة وثبتها على الأرض وهيَ تبكي وتتوسل!؟ وقتها عرفت هذا الصوت هو نفسه صوت الفتاة الذي سمعته في الكهف قبل سقوطي في التجويف!! قال الملك وهو ما زال يستمر في الدوس على رأس الفتاة بقدمه:

هل تظنين أنني أعاقبك الآن لأنك لم تكملي الرسمة؟؟

الفتاة من تحت قدم الملك باكية:

إذاً ماذا فعلت يا مليكي؟؟

ماذا فعلتِ؟؟ أتظنين أنني غبي وعجوز خرف! لقد علمت بمكرك أيتها العاهرة! لقد أغويتِ ابني عرفت أن بينكما علاقة كنتِ تذهبين إليه دائماً لذلك أجلت موضوع عقابك حتى ينتهي زفافه بسلام أما أنتِ فستكونين تحت رحمتي..

هذا ليس صحيحاً أيها الملك سمو الأمير هو من قام باغتصابي وأجبرني على أن أرسم له كل ليلة رسمة أرجوك أنا كنت خائفة جداً..

ضغط العجوز بقدمه أكثر على رأس تلك المسكينة وهيَ تصرخ قائلاً بغضب:

كيف تجرئين وتتهمين ابني بهذه الاتهامات القمامة! سأجعلك تندمين أشد الندم..

قام بمناداة الحراس وهو يقول: احبسوها في تلك الغرفة السفلية ولا تعطوها لا ماء ولا طعاماً هل تفهمون؟

جر الحراس الفتاة المسكينة وأنا تبعتهم بسرعة سرت خلفهم حتى خرجوا خارج القصر وتوجهوا إلى مكان كالنفق أو القبو الخاص بالقصر ولكنه كان خارجياً، فتحوا الباب العملاق الحديدي ودخلوا عبر ممرات ضيقة ومظلمة حتى وصلوا عند باب وفتحوا الغرفة ورموها داخل الغرفة وأغلقوا الباب، بالطبع أنا دخلت معها لكي أستطيع أن أعرف أكثر من هيَ هذه الفتاة!؟

جلست الفتاة تبكي لساعات منطوية وأنا أنظر إليها وارقبها حتى توقفت عن البكاء بعد ما سمعت صوت أحدهم قادماً!

نهضت الفتاة على قدميها وهيَ تجفف دموعها بيديها، انفتح الباب على مصراعيه إذا يدخل الملك ومعه حارسان ورجل ثالث أنيق! تراجعت الفتاة إلى الخلف بخوف وتوتر قال الرجل الأنيق للملك وهو يتفحص الفتاة:

هل هذه هيَ يا جلالة الملك؟

الملك:

نعم هذه لوحتي الجميلة!..

حسناً إذاً أيتها الفتاة ذكريني باسمك؟؟

لم ترد عليه الفتاة واكتفت بالصمت والارتعاش خوفاً..

«مارا» قال الملك وهو يقترب من الفتاة،،

اسمها مارا أليس اسماً جميلاً ويليق بها؟؟

قالت مارا بصوت يرتعش:

ماذا تريدون مني؟؟

الملك وهو يضع يديه على شعر مارا:

لا شيء يا جميلتي هناك صفقة ستقعدها بسبب طغيانك اعتبريها مكافأة أكثر من كونها عقاباً!

هذا الطبيب أذكى وأشهر طبيب في البلاد ولكي أعينه طبيباً للملك هنا في قصر الحكم عليّ أن أجعله يجري بعض التجارب عليك!

مارا بتلعثم وخوف:

تجارب!!

لا تقلقي إنه مجرد عقّار ستشربينه بعدها..

مارا:

بعدها ماذا!؟ ما الذي ستفعلونه بي!!؟؟

الطبيب:

إنها تجربة الاستيقاظ لمدة ثلاثين يوماً بدون نوم!

ماذا؟؟ أنا لا أفهم ما الذي تقولونه؟؟ أرجوكم أطلقوا سراحي أو اقتلوني فحسب!

الملك:

هذه فرصة لكِ إذا نجحت هذه التجربة وانتهت الثلاثون يوماً ولم تنامي فسنطلق سراحك علاوة على ذلك سنعطيك حياة جديدة وأموالاً! أساساً حياتك بائسة أنتِ بالنهاية ابنة قاتل متوحش استغل رسوماته في قتل الأشخاص الآخرين أينما ذهبتِ يقومون بطردك ونبذك! لذلك مع هذه التجربة ستقومين بالرسم من أجلي ارسمي مئة لوحة بدون نوم أو توقف!

لماذا؟؟

يجب أن أتاجر برسوماتك الجميلة سنفتتح أول معرض هنا في قصري من بعد والدك أصبح الناس يتشاءمون بأي رسام لذلك يجب أن نقنع الناس بأن الرسم مجرد هواية ولا يعود إلى أي

شؤم أو سحر أو شعوذة سنكسب الكثير من الملايين وحكمي يتمدد في حين أني أقتل هذه الخرافات..!

بدأت مارا تتوسل قائلة:

حسناً سأرسم لكم عدداً من اللوحات لا تحصى لكن بدون هذا العقار أرجوكم..

الطبيب وهو يخرج قارورة من حقيبته:

السبب الأول هو إجراء هذه التجربة لأننا نحتاجها في حين أخبرني الملك بأنك معاقبة على ما فعلتِه هو أن تشربي هذا العقار..

لم تستطع «مارا» مقاومة أي شيء حيث تم تقييدها من قبل الحارسين وأشربوها العقار كله!!

لا تخافي ستشعرين بثقل في البداية بعدها ستشعرين بنشاط لا متناهٍ، هل تعرف يا جلالة الملك أن هذا العقار تم استخدامه للجنود في الحروب! حتى يستطيعوا أن يبقوا مستيقظين للعدو طوال الوقت!؟ وإذا نجح مع هذه الفتاة تستطيع أن تعتمده لجيشك..

قال الملك بخبث ضاحكاً:

في كل مرة تذهلني بذكائك أيها الطبيب لذلك هذه الليلة هي لك أنت تستحقها علاوة على ذلك هيَ لن تنام طوال الليل!!

تفهمت مارا كل حوارهما الخبيث بدأت بالبكاء والاستنجاد والتوسل لكن بدون فائدة! خرج الملك ورجاله وبقي الطبيب مع مارا لم تستطع الفتاة مقاومة ذلك المسخ وعلاوة على ذلك العقار الذي شربته! كانت كالمخدرة ضربها ذلك الطبيب المريض

بشدة وآذاها جسدياً ونفسياً طوال الليل حتى انتهى منها تركها مطروحة على الأرض كالجثة الهامدة قال وهو يرتدي ملابسه:

أتمنى أن أراكِ بنشاط أكبر في المرة القادمة من الأفضل أن تنتهي من الرسم بسرعة حتى لا أعود إليكِ مع العقار أكثر من مرة!!

خرج الطبيب وترك مارا تبكي وتنزف دماً ودمعاً! نهضت مارا بحركة ثقيلة وبدأت بالرسم بهستيرية كانت ترسم بدون توقف بدون نوم ولا طعام ولا شراب استمرت على هذا الحال ما يقارب خمسة عشر يوماً!! بدأت قوة مارا تنهار شيئاً فشيئاً حتى أتى وقت الجرعة الثانية من العقار، دخل الطبيب عليها بدأ بعد الرسومات وكانت حوالي سبع وعشرين رسمة! ثم سألها:

إنجاز ضعيف! هل نمتِ؟

قالت مارا وهيَ تحدق بالسقف وكأن عقلها بدأ بالرحيل:

لا.. لم أنم يا سيدي عندما أغمض عينيَّ أرى أشخاصاً يلتهمون أشخاصاً آخرين لذلك أضطر إلى فتحهما..

إذاً المفعول يعمل بجد هل تعرفين ما اسم هذه الرؤى؟ اسمها «كوابيس» تجعل الإنسان يكره أن ينام ولو ثانية واحدة وتحفزه على الاستيقاظ.. سأعطيك جرعة أخرى من العقار يجب أن تنتهي من الرسومات في وقت قياسي وإلا فالملك سيقوم بقطع رأسك..

شربت مارا هذه المرة العقار بدون مقاومة، ما أن شربته ركضت كالمجنونة إلى اللوحات وبدأت بالرسم بهستيرية خرج الطبيب بعد أن شعر هذه المرة بالخوف من تصرفاتها! استمرت

الفتاة كالعادة بالرسم حتى سالت أصابعها دماء! فجأة تركت اللوحات وتوجهت إلى الجدران وبدأت بالرسم على الجدران والأرضية وفي كل زاوية من الغرفة استمرت على هذا الحال ثلاثة أيام! بعدها فقدت مارا عقلها بشكل رسمي كانت تصرخ بأنها عطشة وجائعة لذلك التجأت إلى الورق مزقته وأكلته! شربت الألوان التي ترسم بها كلها كانت مارا تعتمد على اللون الأسود في رسوماتها شربت كل الألوان السوداء حتى أصبح دمها كالنفط! بعد مرور ما يقارب ثلاثة وعشرين يوماً! أصبحت مارا كالمسخ تماماً بجسدها النحيل المتشقق تعفنت مارا في تلك الغرفة بعد أن فقدت الأمل في أن تأكل بدأت تلتهم يديها وشعرها!! وهيَ تردد: أريد أن أنام! أريد أن آكل! أريد أن أشرب!..

صحيح أنني قاتل أكثر من أربعين ضحية ولكن شعرت بالحزن تجاه هذه الفتاة فهذا ليس عدلاً! بعد ما يقارب ثلاثين يوماً ماتت «مارا» متعفنة جوعاً وعطشاً وسهراً ورعباً! ماتت مارا وهيَ تحتضن نفسها بيديها اللتين تضعهما على صدرها وقتها اتضحت لي الرؤية هذه الفتاة هيَ نفسها التي في الكتاب الشيطاني وقمت برسمها! بعد وفاة مارا حلت اللعنة على القصر وعلى جميع السكان بدون رحمة! كان الجميع يعانون من عدم النوم لا يستطيعون النوم ما أن يغمضوا أعينهم حتى يروا مارا تجثو على صدورهم! كانت مارا مصدراً للكوابيس التي انتشرت في ذلك الوقت حتى يومنا هذا! قتلت مارا الجميع بمن فيهم الملك والطبيب أشد موتاً وأبشعه!

بقيت روح مارا كالكابوس المميت لجميع الناس فهي كانت جريمتها الوحيدة أنها رسامة مثل والدها المزارع وأول رسام في هذا العهد وكلاهما لقيا الحتف نفسه والعقوبة نفسها بدون أي ذنب..!

هل لهذه الدرجة أنا مميز؟ أم أن الحياة بدأت تبتسم لي؟ مارا سيدة الكوابيس اختارتني أنا لترينى قصتها ولم تختر لا تلك العجوز ولا غيرها؟؟ هل لأنني مرتبط بشكل كبير بالكوابيس! أنا الآن أصبحت أعرف قصة أول رسام وهو نفسه أول شخص استطاع أن يعود إلى الحياة! وقصة ابنته التي عذبوها أشد العذاب وحرموها من النوم لذلك قررت أن تجعلهم لا يذوقون طعم النوم وخلقت الكوابيس لهم! على حسب ما كتب في ذلك الكتاب أن «مارا» لها عدة أسماء حيث كتب:

«كان «الكابوس» الأصلي شيطاناً! جلس على صدرك وخنقك! بأي اسم كانت وما زالت زائراً مرعباً في المنام! «مارا، ميرا، ماري، ماريا، مارت، ماهرت، ماير»!!

أصل الكلمة الإنجليزية «كابوس» هو ماير الإنجليزية القديمة في الأنجلو ساكسونية والإسكندنافية القديمة، كان من المعروف أن مارا تتسلل إلى غرف الناس ليلاً، وتسقط على أجسادهم، وتعطيهم أحلامًا سيئة. عندما تأتي مارا للزيارة، ستشعر الضحية بثقل ثقيل - قد يبدأ عند القدمين، لكنه يستقر دائمًا على الصدر - ويفقد القدرة على الحركة. يمكن إرسال مارا أيضاً بواسطة السحر والسحرة:

هل أنا الوحيد الذي يعرف هذه المعلومات الآن وقصة «مارا» سيدة الكوابيس!؟

نعم..

أتى الصوت من خلفي بعد ما فتحت عيني مستيقظاً ومنتهياً من هذا الكابوس والحقيقة الطويلة لمارا! عدت إلى مكاني نفسه حيث الأضواء والكتاب! إذاً هل فعلاً سقطت في حقل الجثث أم كان ذلك كله من صنع «مارا» لكي تدخلني إلى حياتها الحقيقية؟

هنا ليس مكانك!!

قفزت من مكاني عندما سمعت صوتاً قادماً من عمق الظلام!!

من هناك؟؟ من أنتِ!

الصوت:

لقد خاب ظني ما زلت تسألني من أكون؟ لقد تعارفنا للتو!!

مارا؟ أنتِ مارا!

لم ترد الصوت! تابعت حديثي:

ما الذي تريدينه مني؟ مستعد أن أقدم لكِ أي شيء..

بمقابل؟؟ أتى صوتها بحماس

بمقابل أن تختاريني أنا سيداً لكوابيسك وتتخلصي من تلك العجوز وتساعديني في العودة إلى الحياة مرة أخرى..!

من قال لك إنني أتواصل مع تلك المشعوذة الضعيفة؟

ماذا؟

شريكتك في الجرائم هيَ لا تعرف أي شيء جربت لمرتين والتجربة الأولى فشلت ومات الاثنان من يريد العودة إلى الحياة والضحية الذي كان المفترض أن يكون الجسد..

وماذا عن المرة الثانية لقد عاد ورأيته بعيني؟!!

ضحكت «مارا» بصوت مدوٍّ في أرجاء الكهف قائلة:

لم أظنك أحمق عهدتك ذكياً لكن لا ألومك أنت لا تعرف عن علوم السحر شيئاً تلك المشعوذة وقت وفاة ذلك الثري الذي ضحكت عليه لكي تأخذ الملايين منه في تلك الليلة أرسلت المشعوذة شياطينها الصغار لكي يستمعوا إلى الكلمة التي ستخبرها للمريض، ألم تسمع عن الشياطين المتجسسين المسترقين للسمع من قبل؟ وبعدها دفعت لذلك الشاب الذي زارك في المعرض وكان يجيد التمثيل وأخبرك بالكلمة على أساس أنه نفسه الرجل الثري..!

صعقت من كلماتها! لقد كان لدي إحساس كبير بأنها تخدعني تلك اللعينة جعلتني أشعر بأنني أغبى إنسان! أنا الذي يخاف منه الجميع كيف يمكنها أن تستخف بي هكذا!؟

استرسلت مارا في حديثها:

أبي هو الوحيد الذي نجح في العودة إلى الحياة فقط! أما تلك المشعوذة فكاذبة! يبدو أنها تريد أن تحاول النجاح في هذه التجربة لذلك ضحت بالكثير وأنت أحد ضحاياها الذين ستجرب عليهم، لكن أنا أستطيع مساعدتك.

حقاً!!؟ وما أدراني أنكِ لا تخدعينني؟

أخدعك؟ كما ترى يا سيد أنا مجرد شيطانة وهم شبح روح سمتي ما شئت البشر هم المتخصصون في الخداع، لديك إجابة واحدة فقط هل تريد أم لا؟

بلى أرغب ولكن بالطبع تريدين مقابلاً! ما هو؟

على مدار تلك الأعوام وأنا ما زلت أقتل الناس من خلال الكوابيس، لكن أريد أن يرث أحد هوايتي رسوماتي الموروث الذي أخذته من أبي! وورثت الكثير خلال هذه السنوات لذلك أنت وحدك لا تكفي عليك أن تورث ابنتك الكوابيس والرسم في آن واحد..

شعرت بالضجر والخوف والصدمة عندما أتت بسيرة ابنتي؟؟ صحيح أنني شخص سيئ لكن آخر شيء أفكر به في حياتي أن أقحم ابنتي في كل هذا السواد! من المستحيل أن أجعلها جزءاً من هذه الدماء! قاطعت مارا أفكاري:

أنت تفكر كثيراً بالفعل لا يمكنك التفكير ولا يوجد مجال أساساً لقد دخلت في هذه الدوامة وهذا العالم بـ اختيارك أنت كشفت كل أسراري وحقيقتي لذلك أليس من الجيد أن أطلب منك فقط هذا الطلب البسيط وهو أن ترث ورثي وموهبتي!؟ أليس أفضل من أن أطلب منك أذيتها؟؟

اتسعت حدقتا عينيّ وتجمد الدم في عروقي شعرت بالتهديد الحقيقي قلت بخنقة:

ماذا تريدين؟

أريدك أن تكون شريكي وطريقي لإيصال كوابيسي لأكبر عدد من البشر هل تعلم بأنني رأيتك الشخص المناسب؟ أنت تصنع تحفاً فنية عبر القتل! أليس من الرائع أن أصبح طريق الإلهام لك؟ وبالمقابل تبدأ من جديد في حياة جديدة سأعيدك إلى الحياة مرة أخرى..

كيف؟ والدك استطاع فعل ذلك بمساعدة ساحر ما؟! لكن أنتِ!

إنه ليس ساحراً بل شيطان، وأنا سأكون وسيطة من أجلك، ما رأيك أن تتخلص من تلك العجوز العديمة الفائدة بعدها تحررني؟..

قلت بصدمة: أحررك؟؟ هل أنتِ الآن مقيدة؟

تعم ذلك الكتاب هو السبب كل ما عليك أن تحرقه لكي أتحرر!

هل تلك المشعوذة من قامت بربطك؟

بالطبع لا تلك الإنسية لا تعرف أي شيء عني لقد سرقت الكتاب أثناء عملها على السحر والشعوذة سرقته من ساحر آخر ضعيف وسارق حصل عليه من مكان بعيد تلك الغبية لم تستفد منه بشيء على عكسك أنت لأنها دائماً ما تكون خائفة ومترددة وأيضاً لا تناسب معاييرنا فهي لا تجيد الرسم وهيَ لم تظلم أبداً في حياتها عاشت برفاهية واستغلت الناس بتعذيبهم وقتلهم لكن كانت الأنظار على ابنها فهو يملك جميع المعايير مثلك تماماً لكن أليس من الرائع أن يكون جسداً بديلاً لك؟ سنكون ضربنا هكذا عصفورين بحجر!

هل تستمعين إلى أفكاري؟؟

بالطبع وهذا ما أعجبني فيك أنت ذكي جداً ومتمكن وتستحق أن تعيش مرة أخرى..

حسناً وماذا لو حرقت الكتاب وحررتك بعدها قمتِ بقتلي؟

الوعد لا يخلفه إلا الجبناء والأشخاص الذين يخافون من الموت والأشخاص الذين يخشون من التعفن! أما أنا فقد مت وحبست وتألمت وتعفنت رعباً! فلماذا الآن أخلف بوعد شخص سيساعدني؟!

حسناً بعد أن أحرق الكتاب ما الخطوة الثانية!؟

ستموت تلك العجوز أشد موتة دعها لي وأنت اذهب وخذ ثأراً من الصبي لكن لا تدعها يهرب حتى يتم الانتقال، بعدها اذهب إلى المنزل وقم بشنق نفسك!!

ماذا؟ ولكن اليوم هكذا؟؟

نعم أيها القاتل خبرك الآن ينتشر في كل أرجاء الدولة وأصبحت الآن مطلوباً بشكل رسمي لا يوجد لديك أي حل آخر غير أن تكتب لنفسك نهاية متوقعة الانتحار بعد الفضيحة..

شعرت بأن الأرض تدور بي! كلامها أصابني بصعقة في قلبي ارتعش جسدي كله، ضاق تنفسي شعرت بأن هناك صخرة كبيرة سقطت على جمجمتي وهشمتها لأجزاء صغيرة!! مستحيل! مستحيل أن يتم كشفي بدون سبب؟ أنا

متيقن بأنني لم أقم بخطأ واحد حتى! طوال هذه السنوات وأنا أمارس القتل بكل احترافية ولم أرتكب خطأ صغيراً ولم أترك دليلاً واحداً خلفي؟ وعندما تركت منزلي ومزرعة النعيم الكوابيس، وأتيت إلى هنا كان كل شيء على ما يرام! كيف تم اكتشاف أمري هكذا بسرعة خلال يومين؟

مارا بصوت ساخر:

ومن غيرها؟ شريكتك التي كنت تظن طوال الوقت أنها غبية! ولكن اتضح أنك أنت الأغبى! مثلما تفكر أنت بالإيقاع بها هي أيضاً تفكر بالإيقاع بك الفرق أنها تحركت بسرعة وأوهمتك بهذه الخطة وأنت صدقتها في حين أخبرتك أن تعزل نفسك هنا، ذهبت وأبلغت عنك الشرطة!

لحظة!! لكن أنا لم أخبرها أي شيء عن مكان الضحايا ولا طريقتي حتى في القتل كيف أعطت الشرطة أدلة؟

إلى متى سأشرح لك؟ أخبرتك أنها تستعين بشياطينها الصغار لذلك ليس صعباً عليهم إيجاد الأدلة..

شعرت بغليان بركان يغلي في صدري ويثور في رأسي، تلك الحقيرة لقد طعنتني في ظهري كنت أشعر بأنها تطبخ على نار هادئة شيئاً ما من أجلي!؟ قلت بغضب:

سأحررك لكن دعي تلك المشعوذة لي أنا من سيقوم بقتلها بعدها سآخذ مفاتيح الغرفة التي تحتجز بها ابنها وسأحصل على أثر منه سأحضره هنا وسأنصرف إلى المنزل..

انتقلنا إذاً الأهم ألا تحدث جلبة كبيرة حتى لا يعرف أحد عن سبب الذي ادعت أنه هرب إلى والده من سنوات..

حسناً..

التقطت شمعة وأمسكت بالكتاب عازماً على انتقام وحياة جديدة أخرى لم أفكر في ماذا سأفعل إذا انتقلت إلى جسد ذلك الصبي لكن كل ما فكرت به أرغب برؤية ابنتي مرة أخرى.. وأضرمت النار في الكتاب تبعها صرخة مدوّية في أرجاء الكهف من «مارا» أعترف بأنني انتهيت من إنسية ووقعت في ساحرة شيطانية!! تركت مارا بصرخاتها وركضت خارجاً من الكهف بحزني المزيفة وتوجهت إلى الأعلى لأواجه تلك المشعوذة التي ظنت أنني غبي بما يكفي لتخدعني بهذه الطريقة..





«ولد من رحم الشيطان»

في ليلة حالكة الظلام وعاصفة تشق طريقها إلى كل مكان! أصوات الرعد وأنوار البرق التي تخترق الظلام لتشكل قرون الشيطان!! لكن لحظة هل للشيطان قرون؟ هذا السؤال الذي كانت تسألني دائماً طفلتي لا أعلم ما هو السبب ومن أين أتت بهذا السؤال؟ والأهم أنني لم أعطها جواباً أبداً ولا في مرة واحدة حتى! انطلقت صفارات الشرطة تعلن عن البحث عن القاتل المتسلسل الذي قتل أكثر من ستين ضحية إلى الآن بأبشع الطرق وأقساها! المتهم الرسام والفنان المشهور «دانيال» اليوم يكشف عن حقيقته طوال هذه السنوات ما يرسم على لوحاته من بشاعة ورعب هي حقيقية تعود إلى ضحاياها! أليس هذا جنوناً ورعباً!؟ تفرقت قوات الشرطة في كل أرجاء البلاد صدم العالم! ناس قاموا برمي اللوحات التي اشتروها مني، وآخرون قاموا بتسليمها للشرطة لكي تكون دليلاً، والآخر قرر أن يحتفظ بها لأنه شيء عظيم أن يكون لديك لوحة مستوحاة من جثة تم قتلها بطريقة بشعة! الكثير من المختلين بالطبع يفكرون بهذا التفكير، سيطر اسمي أكثر في كل أرجاء العالم وأصبح الكثير من المختلين يبحثون عن أي لوحة تعود إلي لكي يحتفظوا بها للتاريخ تم تلقيبي بعدد من الألقاب منها «بيكاسو القاتل» و«رسام الموت» و«رسام الجثث» وغيرها، عمت الفوضى والنصب والكثير قاموا بتقليد أسلوبي وتم القبض عليهم من قبل الشرطة! وأصبح

لدي نادي معجبين! أصبحت مشهوراً كقاتل متسلسل أكثر من كوني رساماً!

لنعد الآن إلى تلك الليلة: بعد أن حررت «مارا» وخرجت وتركتها خرجت من تحت الأرض من طريق السراديب نفسها التي أتيت منها مع تلك المشعوذة الخبيثة، حتى وصلت إلى سرداب منزلها سرت بحذر حتى وصلت إلى باب غرفة ابنها توقفت عند الباب الموصد بإحكام، كما قالت مارا يجب أن أقتل والدته المشعوذة لأحصل على المفاتيح، قررت أن أكمل طريقي لكن توقفت لوهلة عندما سمعت صوتاً غريباً من داخل غرفة الصبي! لكن لم أستطع تمييزه لأن الباب كان حديدياً وثقيلاً وضعت أذني على الباب محاولاً أن أسرق بعض الصوت الواضح استرقت السمع تقريباً لمدة خمس ثوانٍ ثم سمعت صوتاً تقريباً كصوت تهويدة! وكأن أحدهم يدندن بالداخل! هل هو الصبي؟ لا أعرف لكن كل ما أعرفه أنني يجب أن أنتهي من هذا بسرعة، صعدت عبر سلالم القبو كان باب القبو مفتوحاً هدوء مرعب في المنزل لا يوجد صوت سوى أصوات العاصفة التي أعلنت حضورها وبقوة في هذه الليلة، خرجت وتوجهت إلى المطبخ بهدوء كان المكان خالياً تماماً المطبخ غرفة المعيشة لا يمكن أن تكون الآن خرجت من المنزل وتفسد خطتي يجب أن أقتلها الآن، لكن سرعان ما عاد لي الأمل عندما سمعت صوتها تضحك قادماً من غرفتها في الأعلى!! على الأرجح الآن هي مع رجل جديد يجب أن أكون حذراً يجب ألا أسمح له بالهروب

أو آخذ احتياطي إذا هاجمني رغم أنني لا أتوقع منه إلا الهروب، التقطت فأساً من المستودع مرت علي ذكرى الماضي في رأسي وتذكرت أول جريمة شنيعة لي عندما قتلت خالتي وزوجها المسخ وأولادهما الثلاثة في ليلة مرعبة لهم، صعدت بالسلالم للطابق العلوي اقتربت خطوة بخطوة حتى وصلت إلى باب الغرفة، لم أدخل وطرقت على الباب! سمعت صوت تلك المشعوذة وهيَ تسأل باستغراب: من يمكنه أن يطرق على باب غرفتها في هذا الوقت والأهم أنها تعيش وحدها في المنزل؟!!

ابقَ هنا،، قالت للرجل الذي كان بالداخل معها ثم سمعت خطواتها قادمة نحو الباب، فتحت الباب بهدوء حينما أنا كنت أقف ملتصقاً جسدي على الجدار الأيمن ما أن رأيت رأسها يطل من خارج الباب رفعت الفأس وأنزلتها بضربة شبه قاضية على جمجمتها! انتثرت الدماء في كل مكان سقطت على الأرض وهيَ غير مستوعبة ما يحدث! نظرت إلي بأعين متوسلة وخائفة ومتألمة ومليئة بالحقد والدموع، بينما أنا رسمت على وجهي ابتسامة النصر،، قلت لها هامساً:

ابقي هنا مستلقية يا عزيزتي حتى أعود..

دخلت إلى الغرفة لأجد ذلك الرجل يرتعش بخوف وتوتر قائلاً بتلعثم:

أرجوك.. أرجوك لا تقتلني دعني أرحل ولن أخبر أي مخلوق عمّا رأيته..

قلت ساخراً:

لعلمك جميع المخلوقات يعلمون بأنني قاتل لذا لا تفرق معي إذا أخبرتهم أم لا أساساً لن ترى اليوم أي مخلوق وأنا آخر مخلوق تراه في حياتك! وختمت حديثي معه بضربة قاضية على جمجمته حتى تهشمت كلياً وفارق الحياة..

عدت مرة أخرى إلى المشعوذة اقتربت منها ووجهي ويداي ملطخة بالدماء سحبت شالها الذي كانت تلفه حول عنقها ومسحت وجهي ويدي به:

هل رأيت الآن؟ ذنبك الوحيد أنك كنتِ تظنين أنك أذكى مني!

لم ترد علي واكتفت بالنظر إلي بأعين غارقة بالدماء، كانت تحتضر بشكل رسمي، تعمدت أن أسدد لها ضربة شبه قاضية ولا تموت فوراً لكي تشعر بكل ألم! ثم أكملت حديثي وأنا أقطع سلسلة المفتاح من عنقها:

وأما الآن فسيكون ابنك المحتجز ملكي وستحد أنا وهو معاً وجسده سيكون تصيباً لروحي أشكرك على إخباري وتعليمي عن هذا الكنز الثمين..

لم تستطع التحدث لكن عرفت كل شيء تريد أن تقوله، فهي تشتم وتلعن وربما أطلقت علي بعض الطلاسم من سحرها لكن لن أهتم، والآن انتهى دورك في حياتي وداعاً

أنزلت الفأس على رقبتها لتتهشم بالكامل، ثم استمررت بضربها في كل أنحاء جسدها حتى تهشم وتقطع بطريقة عشوائية أصبح

يبدو مغطى بالدماء والمنزل بحيرة من الدماء! بعد ما انتهيت
نزلت إلى القبو وتوجهت إلى غرفة الصبي وضعت المفتاح في
الباب وفتحته، ما أن فتحته انطلقت من الغرفة رائحة ليست كريهة
لكن غريبة نوعاً ما! دخلت إلى الغرفة بهدوء كانت الغرفة نفسها
التي رأيتها في الكابوس صغيرة المساحة بها سرير صغير مكتب
صغير على الجانب الأيمن لوحات عديدة بجانب المكتب، لكن
الصبي أين هو؟ سرعان ما تلاشى السؤال عندما رأيت سلسلة
التي هو مقيد بها من قدمه تمتد إلى باب الحمام هذا يعني أنه
يختبئ في الحمام! لا بد أنه سمع ضجيجاً لذلك اختبأ، توجهت
إلى اللوحات وبدأت أقلبها لوحة لوحة، كانت رسوماته تشبه
رسوماتي تماماً! مليئة بالعنف والبشاعة والسواد والموت
والوحشية والدماء! ثم قلت بصوت عالٍ:

رسوماتك جميلة جداً إنها تشبه رسوماتي تماماً! هل ترغب
بأن نرسم معاً؟؟

لم يرد علي، التقطت بعدها لوحة كان محتواها صعقني تماماً!!

يوجد فيها امرأة ساقطة على الأرض غارقة بدمائها ورجل
يقف بفأس وعلى وجهه ابتسامة ملطخة بالدماء! هذا المشهد
حدث قبل قليل عندما أنا قتلت والدته!!

رائع!! متى رسمت هذا؟ إذاً أنت تعلم بأن والدتك كانت
ستلقى حتفها لكنك لم تحذرها أليس كذلك؟ بالطبع لأنك تريد
التخلص منها وأنا خلصتك منها هيا تعال دعنا نرحل من هنا أنا
أرغب بمساعدتك..

سمعت صوت صرير باب الحمام وهو ينفتح، التفت نحوه إذا بي أرى صبياً يبلغ من العمر ١٧ عاماً تقريباً! نحيل وهزيل الجسد لديه شعر أسود داكن مجعد، ملامح حادة وغمازتان في الخدين الأيسر والأيمن، لديه عينان واسعتان جسمه ووجهه مغطيان بالأوساخ تماماً لدرجة لم أستطع أن أرى تفاصيل ملامحه أكثر، قلت بهدوء وأنا أقترب منه:

والدتك لم تخبرني باسمك أبداً لذلك أخبرني أنت ما اسمك؟

لم يرد الفتى واكتفى بالانطواء على نفسه في الزاوية،، اقتربت منه لكن سرعان ما توقفت عندما أدركت أنني ملطخ بالدماء ومن الممكن أن يفعل ردة فعل لا أريدها، أرغب بأن أقص بعض خصلات من شعره لذا كان بيدي المقص قلت له وأنا أقترب منه بهدوء:

اسمع يا بني أنا لا أرغب في أذيتك حسناً؟ أنا أتيت هنا لكي أساعدك فحسب.. لذلك سآخذ بعض خصلات شعرك وهذا لا يؤلم أبداً..

أيضاً الصبي اكتفى بالصمت، لذلك قررت أن أنهي الأمر بسرعة وبلحظة سريعة قصصت بعض خصلات شعره الذي من الواضح أنه مضى عليه دهر من دون تسريح أو غسيل حتى:

حسناً الآن انتهينا أنت عليك أن تبقى هنا حتى أعود مرة أخرى سيكون ذلك بعد أربع وعشرين ساعة فقط ثم بعدها ستكون حراً..

خرجت من الغرفة وتركته مقيداً ووضعت له الماء والطعام، بعدها عدت إلى تحت الأرض المكان الذي كنت فيه مع مارا، آخر مرة حررتها بعد أن أحرقت الكتاب وسمعت صوت صرخاتها لكن لا أعلم أين ذهبت؟ أخبرتني أن أضع خصلات شعر الصبي هنا وماذا بعد؟

اسمه..

أتى صوت مارا من خلفي لكنه كان مختلفاً تماماً عن الصوت الذي تحدثت معه سابقاً، في بادئ الأمر لم أتعرف عليها بسبب اختلاف صوتها لكنني أعرف هذا الصوت جيداً!؟ لحظة نعم هنا صوت المعلمة! معلمتي؟؟ هل هذه أنتِ؟

خرجت من خلفي تلك الفتاة الجميلة ذات الشعر الأسود المسدل والأعين الساحرة والبشرة التي تميل إلى السمار إنها نفسها مارا التي رأيتها في ذلك الكابوس!!:

أنتِ! لماذا تحدثتِ بصوت معلمتي؟

قالت وهيَ تسير ببطء نحوي:

أولاً أشكرك على تحريري ثانياً حان الوقت لتدرك الحقيقة يا عزيزي لا يوجد أي معلمة! صوت المعلمة رؤيتك لها كل ذلك منذ الطفولة كانت أنا!

صعقت بالكامل شلت أطراف جسدي شعرت وكأن أحدهم صفعني على وجهي أيقظني من كل تلك الأوهام!!

ماذا، ماذا تقصدين؟؟

مثلما سمعت! معلمتك المسكينة صحيح ماتت وهي تدافع عنك وتبحث عنك وكل ذلك أثر فيك لأسباب نفسية بسبب تأنيب الضمير الذي تشعر به، لقد استدعيتني عن طريق الخطأ بينما أنت غارق بحزنك واكتئابك وضعفك وآلامك شعرت بك كالأم التي تشعر بطفلها! سألت نفسي: كيف أساعد هذا الطفل المسكين؟ المحتجز في هذا القبو مع جثة؟ تذكرت نفسي فور تعفني في غرفة تحت الأرض مثلك تماماً، لم أكن لأسمح لأي أحد أن يكون ويعيش المآسي أنفسها التي عشتها لذلك أصبحت أظهر في كوابيسك! أول لقاء بيننا عندما استعجلت قليلاً وطرقت باب الحمام وأخبرتك: حان وقت الدرس، شعرت بأنك ستموت من الخوف لذلك أخبرت نفسي يجب ألا أتعجل في ذلك ففي النهاية أنت إنسان وما يفوق مخيلتك سيقتلك خوفاً، استمررت معك أكتب لك بعض الرسائل رأيت أنك سعيد جداً لذلك أخيراً في ذلك اليوم أخبرتك أن تنتقم وأنا من نقل إليك موهبتي موهبة الرسم، أخبرتك أن تتخيل كيف تريد أن يموت الأشخاص الذين قاموا بأذيتك كثيراً؟ اخترت الأطفال الذين كانوا معك في المدرسة ورسمت طريقة موتهم وأنا تكفلت بتطبيق الرسمة على الواقع! انتظرتك حتى تبلغ سن الرشد لتتمكن من القوة الكافية وبعدها أخبرتك بأن تقتل كل العائلة لأنهم لا يستحقون..

لم أتحدث بكلمة واحدة اكتفيت بالصمت وبمشاعر ملخبطة ومشتتة، تذكرت كل طفولتي ومراهقتي التي قضيتها بين دهاليز

بحبهم، قطرت دمعة من عيني اليسرى ولكن «مارا» أمسكت بفكه..

أنا آسفة لكن لم يكن لدي خيار آخر كنت طفلاً وعقلك يسمح ويصدق بأن المعلمة التي تحبها وماتت من أجلك عادت إليك..

ولكن!! ماذا عن كل شيء حدث؟ بعد خروجي من القرية أنت من ألهمتني أن أعود إلى القتل وقتلت ذلك المحقق الحقير!؟

بالطبع لأنه يستحق أن يموت!؟

قلت صارخاً:

وماذا عن باقي الجرائم؟ كنتِ دائماً في رأسي لماذا فعلتِ ذلك؟

قالت بابتسامة خبيثة:

هل من المعقول أن تتهمني الآن بأنني أنا من صنعت وحشة بداخلك؟ لا بالطبع معي أو من دوني أنت ستكون الشخص الذي أنت عليه الآن! كان ذلك دافعاً منك لأنك عانيت بالطفولة والآن حان وقت الراحة..

راحة؟

نعم أنت و«ليامز» تستحقان أن تعيشا حياة أخرى كما أخبرتك سابقاً أنا أساعد الأشخاص الذين مثلي ظلمتهم الحياة ولم تنصفهم الحياة، رسوماتنا هيَ منقذتنا الوحيدة..

من ليامز؟

الصبي ابن تلك المشعوذة اسمه ليامز لذلك أنت ومر ستكونان شخصاً واحداً وتبدأان حياة جديدة..

إذاً أنتِ من قام بالتخطيط لكل هذا؟ أقصد جعلتني آتي إلى هذه القرية حتى أتعرف على هذه المشعوذة..

بالضبط

وأنتِ من يعطينا موهبة الرسم؟

تماماً أنت وليامز لا تختلفان بعضكما عن بعض لذلك ورثتكما موهبتي بعد موتي حرمت منها الميت كما تعرف لا يستطيع أن يرسم، لذلك أنا أصبحت الكوابيس التي في رؤوس البشر وأنتما عليكما تجسيد هذه الكوابيس على الورق الأبيض أليس أيضاً من حق الكوابيس أن تتجسد على الواقع؟!

ولكن!

بدون ولكن يا «أندرو» لقد وهبتك هذه الحياة والآن سأقوم بإعطائك حياة أخرى هل من المعقول أن ترفض؟؟

حسناً لكن ما سأقوله: ابنتي لا يمكنك أن تؤذيها أبداً!

لماذا سأوذيها؟ كل ما سأقوم به هو أن ترث موهبة والدها الموهبة لا تقتل أبداً..

بلى هناك مواهب تقتل مثل هذه التي أمتلكها أن تكون رسامة تجسد الكوابيس هذا الشيء لن تتحمله ابنتي..

بلى ستتحمل لطالما ترسم، صدقني مع كل لوحة ترسمها

يمنحنيها لها حياة جديدة..

تمسكت بالصمت ثم اقتربت مني وهمست في أذني لطالما بقيت منذ الطفولة تتلاعب بي وحتى الآن وقالت:

«طالما أنا هنا لا أحد يستطيع أن يؤذيك»

خرجت من ذلك المنزل المغطى بالدماء والسحر والشعوذة والجثث والألم والعفن والرعب كان دائماً ما يذكرني بمنزل والدي المسخ كل شيء هنا يذكرني بالماضي لذلك حان الوقت لدفن الماضي للأبد وعيش حياة جديدة بجسد جديد وبالروح نفسها، قلت لنفسي: إذا نجح هذا الأمر فسأحاول أن أبتعد عن القتل وعن هذه الوظيفة القاسية يجب أن أحمي ابنتي فأنا أعلم جيداً بأن تلك الشيطانة لن تتركها فكل شيء تفعله بمقابل! وضعت خصلات الشعر عندها وأغلقت الباب على الصبي وأحضرت رأس رجل كما طلبت مني مارا لاستكمال التضحية والطقوس وطبعاً الرجل كان جاهزاً أحضرت رأس ذلك الرجل الذي قتلته مع والدة ليامز، رغم أن رأسه مهشم لكنه وفى بالغرض وبعدها خرجت من القرية بالكامل وجعلت مارا تكمل باقي المهمة..

ذهبت إلى منزلي القديم كنت أعلم جيداً بأن الشرطة تبحث عني بكثافة لذلك توجهت إلى منزلي القديم الذي لا تعرف عنه حتى زوجتي، جمعت جميع الأغراض المهمة الخاصة بي كجواز سفري وهويتي وبعض اللوحات والرسومات وجميعها حرقتها بعدها بدلت ملابسي واغتسلت بشكل كامل ثم توجهت إلى

مكتبي والتقطت ورقة بيضاء وقلماً لأكتب رسالة أخيرة لزوجتي وابنتي وكتبت:

الزوجتي العزيزة وابنتي الحبيبة لا أعلم متى ستصلكما هذه الرسالة ولكن كل ما أعرفه أنني خيبت ظنكما كثيراً، فأنتما الآن تعرفان أنني وحش وتشعران بالقرف والتقزز لأنكما كنتما تعيشان مع هذا الوحش تحت ظل واحد وسقف واحد! أتفهم شعوركما مهما كان، أنا أعلم الآن بأنكما ستحملان ذنبي للأبد وستعاقبان على ذنوب أنا ارتكبتها، وستكون حياتكما جحيماً! الناس إن الناس لا ترحم ستشير إليكما دائماً وأبداً بأصابع الاتهام ورمي الكثير من الكلمات القاسية عليكما، وسيتم طردكما من أماكن كثيرة أنا أعلم بأن سحابة سوداء ستسير فوق رؤوسكما طوال حياتكما! أعلم بأنني سحبتكما إلى الوحل بدون أي ذنب! لكن أريدكما أن تعرفا أن ما فعلت كان يشعرني بشكل أفضل، كنت أشعر بالانتصار والقوة في كل مرة أسلب فيها حياة شخص أشعر بأن حياتي تعود إلي! الحياة التي سلبت مني وحرمت منها، زوجتي العزيزة أنا كذبت عليك بشأن الماضي وأخبرتك أنني بدون أم أو أب وترعرعت في ميتم حياة طبيعية وبالفعل كانت هذه أمنيتي، هل هناك أحد يتمنى أن يعيش في ميتم؟ بالطبع أنا ومن مثلي بالنسبة لنا الميتم جنة لا أستطيع إخبارك الآن عن كل ما حدث معي بالتفصيل ولكن أنا ترعرعت في قاع الجحيم لهذا أصبحت شيطاناً! كان الطريق الوحيد لي لأشعر بشكل أفضل، أشعر بأن الحياة لا تستحقني أو أنا لا أستحق الحياة! لا يوجد

لحظة في حياتي عشت بها بشكل طبيعي! لطالما شعرت طوال حياتي بأنني أعيش في لوحة مرعبة رسمها شيطان ما وحان الوقت لأخرج من هذه اللوحة، هل أعتذر لكما؟ أشعر بالخجل حتى نحو هذا الاعتذار لا يجدي أبداً لذلك لن أفعلها، لكن اعلما بأنني سأظل أحميكما دائماً وإلى الأبد والآن حان وقت رحيلي واختفائي سيشعر الناس بعدها براحة وأمان لطالما يعتبرونني الآن وحشاً طليقاً يسلب الأشخاص أرواحهم بأبشع الطرق ويعرض جثثهم عن طريق لوحات ويبيعها بـ أغلى الأسعار! ولكن سأبقى دائماً أزرع الرعب في نفوسهم كما زرع الرعب في نفسي طوال حياتي، لذلك أخبركن أنتِ وابنتي ومعلمتي التي تساءلتِ يوماً مع من أتحدث في نومي؟ كنت أتحدث معها أنتن الثلاث الوحيدون في حياتي الذين أحببتهم فقط شكراً لكن لأنكن جعلتنني أشعر بأنني موجود وبأنني إنسان مهم وبأنني ملاك وبأنني أكون «أندرو» ولست «دانيال»

وداعاً..

انتهيت من كتابة الرسالة وأرسلتها عبر صندوق البريد لعنوان زوجتي، بعدها صنعت لنفسي حبل المشنقة ووضعته في سقف المطبخ لأنه بدا أعلى سقف في شقتي الصغيرة، أخذت نفساً قوياً وضعت خاتم زواجي على الطاولة وبقيت الساعة في يدي اليمنى الساعة التي من المستحيل أن أخلعها لأنها كانت هدية من ابنتي لقد اشتريناها معاً عندما خرجنا مرة في رحلة وكانت الساعة من اختيارها، صعدت على الطاولة الرخامية التي تقع في

منتصف المطبخ تناولت حبل المشنقة ووضعت دائرة الحبل على رقبتي الآن لا مجال للتردد حياتي انتهت بالفعل بعد أن كشف أمري لتفعلها يا «أندرو» ونقتل الشيطان «دانيال» ونعش نحن مرة أخرى حياة طبيعية، أسقطت قدمي اليسرى في الهواء وحينما أسقط قدمي اليمنى سأكون معلقاً مشنوقاً وينتهي كل شيء، وفي اللحظة نفسها التي أسقطت فيها أخيراً قدمي اليمنى وتعلقت! رأيت أحداً ما يقف بأعين متسعة ووجه شاحب وصدمة شديدة وخوف وتوتر وقلق ودموع تهطل من أعينها!! لا أعرف كيف فجأة أتت إلى هنا؟ كانت ابنتي «ماريا» تقف بمنتصف المطبخ تحلق بي وأنا أنازع وروحي تخرج تدريجياً لا حول ولا قوة لي! ما أن رأيتها مت بالفعل مرتين مرة من حبل المشنقة ومرة من رؤية ابنتي وهيَ تشاهدني أموت..

«أن تكتشف أن حياتك عبارة عن لوحة مرعبة رسمت من قبل شيطان وأنه مع كل شيطان يتجسد في لوحة يموت ملاك!
وأن اللون الأسود يدفن كل الألوان»..

دانيال..

«مذكرات روح
تعيش في جسد شخص آخر»

فتحت عيني لأجد نفسي في مكان مظلم وبارد اكتسى جسدي الكثير من الخوف والرعب والرعشة! لا أقوى على النهوض ولا على التحرك وكأن جسدي مقيد بقيود خفية، وكأن أحداً ما يجلس على صدري ليمنعني عن الحركة! أتفحص بعيني المكان عيناي هما العضو الوحيد في جسدي يتحرك ولكن بدون فائدة المكان مظلم جداً وبارد جداً لدرجة أشعر بأن أطرافي متجمدة، لحظة هل أنا ميت؟ وأنا الآن في القبر! أو أنني في ثلاجة الموتى؟؟ هل من المعقول لم تنجح خطتي؟ هل تلك الشيطانة خدعتني كما خدعتني من قبلها الإنسية؟ لكن لماذا أتحدث مع نفسي؟ وهل الأموات يستطيعون التحدث مع أنفسهم؟! هل الأموات يشعرون؟ يشعرون بالبرد! يشعرون بالخوف؟ يشعرون بالهلع؟ لا أعرف لكن كل ما أشعر به هيَ المشاعر أنفسها التي كنت أشعر بها وأنا على قيد الحياة!؟ ما هو أصلاً الشعور على قيد الحياة؟ وهل أنا كنت حياً قبل ذلك؟! الكثير من الأسئلة في رأسي وأنا مستلقٍ هنا حيث لا أعلم أين؟ لا أستطيع الحراك ولا أستطيع الكلام! لكن الآن أنا أشعر بشيء أو أيادٍ تمسك قدميّ! أنا أشعر بجسد يزحف فوقي! إنه يأتي وصل إلى فخذيّ الآن أشعر به فوق معدتي إنه ثقيل بما فيه الكفاية ليكون!! ليكون إنساناً!

الآن حتى فوق صدري!! شهقت وجحظت عيناي تجمد الدم في عروقي عندما استقرت «مارا» فوق صدري بشكلها المرعب وشعرها الذي انسدل على وجهي، ووجهها المتعفن صرخت بوجهي صرخة مدوية وأنا حتى الصراخ لا أستطيع أن أخرجه حتى استفقت أخيراً أصرخ وأصرخ من أكثر كابوس كان محتوماً بالنسبة لي!

خلال صراخي استوعبت أن صوتي متغير نظرت إلى نفسي لأجد نفسي بدون ملابس تماماً! لكن الصدمة ليست هنا الصدمة كانت أن جسدي متغير! أصبحت نحيل الجسم صغير الهيئة! جسد ضامر وكأنه قادم من المجاعة بشكل رسمي! ذو بشرة حنطية لمست شعري لأجده شعراً مائلاً للخشونة بشكل مجعد كثيف نظرت إلى يديّ وأنا ألتقط أنفاسي لأجدهما يدين نحيلتين صغيرتين بأصابع وأظافر مليئة بالأوساخ! والمزيد من الصدمات بأن أوشامي والرسومات على جسدي انتقلت معي إلى هذا الجسد الصغير!!؟ التفت يميناً ويساراً لأجد نفسي في منزل غريب! يبدو وكأنه كوخ خشبي فارغ لا يوجد فيه إلا الأريكة التي أنا مستلق عليها! نهضت من مكاني بسرعة وأنا على وشك الجنون أرغب أن أبحث عن مرآة لأرى شكلي لكن ما أن وضعت قدميّ على الأرض وقعت! شعرت بأن هذه الأقدام الضعيفة خفيفة جداً على روحي الثقيلة! شعرت وكأنني للتو ولدت من جديد! مثل الرضيع الذي لا يستطيع أن يمشي على الفور!..

ابقَ مرتاحاً قليلاً لا تهلك الجسد الذي حصلت عليه للتو..

بالعادة أتى صوت مارا من خلفي التفت للخلف وأنا ساقط على الأرض لكن لم أرها، أصبحت معتاداً على صوتها بدون تهور ما قلت وأنا أزحف على الأرض محاولاً النهوض على قدمي:

ما الذي حدث لي؟؟

هل تمزح معي؟ يبدو أنك غير مستعد للاستيعاب والتصديق يا كرو أو دانيال أو... ليامز!!

صعقت بالفعل عندما سمعت كلماتها! هذا يعني أن كل شيء صحيح! شعرت برعشة تسري في شريان دمي وخوف ورهبة وقشعريرة، أنا حي!! أنا حي! أنا حي من جديد!! مستحيل! أنا في جسد شخص آخر! أنا لا أستطيع التصديق هل هذا كابوس جديد؟

لا ليس كابوساً! هل من الأفضل الآن أن تختار لك اسماً جديداً؟

لحظة أريد أن أستوعب وأنتِ تفكرين بالاسم؟؟

كما تريد، والآن هناك غرفة على يدك اليسرى بها بعض الملابس وبطانية ارتدِ ملابسك ومن الأفضل أن تبقى هنا لمدة شهر حتى تتأقلم روحك أيضاً هناك أشياء يجب أن تعرفها وتطبقها:

لا تأكل كثيراً: وجبة واحدة في اليوم فقط اشرب الكثير من الماء، لا تحاول أن تنام كثيراً سيغلبك النعاس بالطبع لكن تصرف لأنك لو نمت كثيراً فمن الممكن أن تقتلك الكوابيس!

لماذا؟؟

لأن الشياطين والسحرة غاضبون جداً كونك إنساناً حصل على أشياء مميزة جداً!

ماذا عن ليامز!؟

ماذا تقصد بسؤالك؟ ذلك الفتى أصلاً لم تكن له حياة الآن انت تملك جسده الذي ظل مدفوناً لسنوات تحت الأرض سيعيش حياة جيدة بعد أن تحرر هو الجسد وأنت الروح..

الاسم..

ما به الاسم؟

أقصد الاسم الذي سأختاره هو اسم الصبي نفسه «ليامز»..

شعرت بأنني أريد إعطاءه شيئاً شعرت بأنه ليس فقط أن أحتفظ بجسده يجب أن أحتفظ باسمه كشكر وامتنان له هيَ تقول بأننا واحد لكن أنا أعلم بأن ليامز مات!..

ولكن ماذا عن الرسومات في جسمي؟ أقصد كانت في جسم دانيال كيف انتقلت معي إلى جسد ليامز؟

مارا:

لأن هذه علامات تخصك أنت دانيال ومهما ذهبت إلى أي جسد ستنتقل معك..

من قام بصنعها من البداية؟ أنتِ؟

لا أعرف وستعرف الإجابة قريباً..

الآن سأتركك مع السيد «روجس»

من!!؟ رفعت رأسي لأرى رجلاً عجوزاً يناهز من العمر سبعين عاماً، يلبس نظارات طبية طويل القامة عريض المنكبين يبدو وكأنه بعمر أصغر! مد يده لي مبتسماً قائلاً:

دعني أساعدك على النهوض يا ليامز! أليس هذا هو اسمك الآن؟

منَ أنت؟ هل أنت شيطان أم إنسان؟ أم ساحر؟

سمني ما شئت لكن أنا مخلوق مثلك الآن أعطني يدك الجو بارد وجسدك ضعيف ستمرض إن لم تغطه بشيء..

ناولته يدي وساعدني على النهوض، أعادني على الأريكة فاستلقيت وأنا أشعر بتعب شديد وأنفاسي ثقيلة! أحضر الرجل العجوز لي الملابس وبطانية ارتديت الملابس وأنا متعجب أنظر إليها ثم قال العجوز:

لماذا أنت مستغرب؟ إنها ملابس الجيل الجديد لا تنس أنت أصبحت الآن بعمر السابعة عشرة ولن ترتدي بالطبع الملابس القديمة للرجال الراشدين..

هل تسخر مني؟

لا بالطبع هذه الحقيقة..

حسناً أين أنا؟

في مكان بعيد عن الأنظار..

ماذا حدث؟ أقصد ماذا حدث لجسدي!!؟

بالطبع جسدك ميت وتم دفنك قبل أسبوعين وأعلنوا في كل البلاد أن القاتل المتسلسل «دانيال» انتحر في شقته شنقاً حتى الموت وعاش العالم الآن بسلام..

فجأة ضاقت أنفاسي أكثر عندما تذكرت أن ابنتي ماريا شاهدتني وأنا أموت! الآن هيَ ووالدتها ستعيشان في جحيم

أبدي وصدمة نفسية هل أنا أناني! لكن ماذا كانت ابنتي ذات التسعة الأعوام تفعله في شقتي القديمة التي لا يعرف عنها أي مخلوق حتى زوجتي!؟ كيف وصلت إلى هناك وحدها؟

ابنتك كانت تبحث عنك في الأيام التي تغيبت فيها عنها وعندما تفجرت الشائعات وحقيقتك طفلة لم تتحمل هذا الكلام عن والدها الذي كان بالنسبة لها كالملاك وعن طريق كابوس ما ابنتك رأت أنك في ذلك المنزل لذا هربت من منزل والدتها وتوجهت عبر سيارة أجرة حتى وصلها السائق إلى العنوان بعدها دخلت ووجدتك تشنق نفسك..

ماذا؟؟ ماذا تقصد بكابوس؟ هل هذا من صنع (مارا)؟؟ أخبرني الآن؟

اهدأ ما حدث قد حدث وهذه نقطة إيجابية لها!!

ماذا تقصد بنقطة إيجابية؟ هل تمزح معي؟! ابنتي شاهدتني أموت أين الإيجابي في الموضوع!!؟

ابنتك الآن من هول الصدمة أو الصدمات التي تراكمت عليها نسيت كل شيء حتى نسيت من تكون ومن هو والدها نسيتك تماماً وكأنك لم تكن يوماً في حياتها.

لم أشعر أبداً في حياتي بالخنقة التي شعرت بها بعد ما رمى علي هذا العجوز بتلك الكلمات! شعرت بالاكتئاب يجلس على صدري وبالحزن يحفر أعماق عقلي وقلبي، نزلت دمعة من عيني

وهذه ثاني مرة أبكي فيها في حياتي! منذ أن أصبحت دانيال،
وأول مرة منذ أن أصبحت ليامز! هل هذا الأفضل لها؟ بالطبع
الأفضل أن تتذكر طوال حياتها أنها تملك أياً عبارة عن وحش
يتهش لحوم البشر لن تستطيع التعايش بهذه الحقيقة أبداً!
ستقتلها مرات عدة طوال حياتها لذا من الأفضل أن تنسى النسيان
يحل جميع المشكلات..





«فتاة الشمع التي أحرقت وجهي»

أنفاسي ساخنة جسدي ساخن جداً نهضت منزوعاً لأجد نفسي في مكان وكأنه محرقة ضخمة لحرق الأشياء الهالكة مثل القمامات وما إلى ذلك وربما الجثث!!! نهضت بسرعة ووقفت على قدمي كنت أعرف تماماً أنني في كابوس مضى على وجودي في الكوخ وحياتي الجديدة تقريباً شهران، كل هذا الوقت صارعت فيه كوابيس متعددة حاولت كثيراً أن لا أنام تحدثت كثيراً وفشلت كثيراً والآن يبدو أنني غرقت في نوم عميق وها أنا في كابوس جديد أشدّ رعباً وأشدّ خوفاً وأكثر حرارة! تلفت يميناً ويساراً أبحث عن مخرج، الحرارة هنا لا تطاق لم أعد أقوى على التنفس! سرت عبر الأمام كانت المحارق موزعة في جميع أرجاء المكان على يميني وعلى يساري، استمررت في الركض حتى وصلت إلى ساحة كبيرة جداً دائرية كانت الجدران عبارة عن محرقة ضخمة متصلة بعضها ببعض وفي منتصف الدائرة تكونت شجرة عملاقة من الجثث المحروقة المتعفنة يتطاير منها الرماد! كانت الجثث متفحمة وبعضها من الواضح أنها انتهت من الحرق للتو كان من الواضح الجلد اللحم الذي ما زال يذوب مع القيح الأبيض الذي يتفقع من أجسادهم! اقتربت قليلاً نحو شجرة الجثث لا أعلم لماذا؟ ولكن كل كابوس أنا مجبر على أن أكون فضولياً لكي تنتهي القصة وأستيقظ لكن لم أكن أعلم بأن هذا أول كابوس سيأخذ مني شيئاً حتى في

الواقع! وصلت إلى شجرة الجثث أتاني شك وشعرت بأنني أعرف هؤلاء الأشخاص! رغم أنهم متفحمون لكنني أعرفهم؟ اقتربت أكثر نحو جثة كانت بارزة إلى الأمام اقتربت حتى التصقت بوجه الجثة! لحظة هذه كانت آخر ضحية لي! كانت الضحية الأخيرة التي قتلتها قبل أن أذهب إلى منزل والدة ليامز وأنشغل!! أتذكر تماماً كيف اختطفتها وهيَ عائدة نحو منزلها ليلاً وجعلتها كغيرها في عذاب لمدة شهرين وبعدها أحضرت شمعاً ساخناً وسكبته عليها حيث ماتت وتحنطت وهيَ تصرخ وأصبحت عيناها بيضاوين! كانت أول جثة أقوم بتشميعها أتذكر كيف أعجبني هذا المشروع لكنني انشغلت لاحقاً ،،

جيد أنت لم تنسَني مثلما أنا لم أنسَك!!

شهقت شهقة شعرت بأن روحي ستخرج للمرة الثانية عندما فتحت عينيها هذه الجثة المتفحمة وتحدثت معي! سقطت على فجأة في مشهد مرعب ومهيب:

تحركت شجرة الجثث جميع الجثث استيقظت وهم ما زالوا ملتصقين بعضهم ببعض! رغم ذلك استمروا بالزحف والتحرك نحوي وكأنهم وحش عملاق يزحف لكي يلتهمني، فوج الجثث يتقدم نحوي وأنا أزحف شعرت بأن أقدامي لا تحملني من شدة الخوف، ملاحظة أنني في الكوابيس أكون أنا بجسدي الحقيقي أندرو ولا أرى نفسي بجسدي الجديد ليامز! اقتربوا كثيراً ما أن وصلوا إلي إلا قفزت جثة ثم قفزت بعدها جثة أخرى ثم ثالثة ثم رابعة حتى تفككت الشجرة وأصبح جميع الجثث منتشرين حولي

يضون حصاري! عرفت أن كل تلك الجثث هم ضحاياي أنا!
الذين قتلتهم عبر السنوات هل أتوا للانتقام؟! بالطبع! أم هل هنا
تأنيب ضميري؟ لا أعتقد! زحفت تلك الجثة الأخيرة المشوهة
ونهيا مفتوح بمترين بسرعة رهيبة على أرجلها وأيديها حتى
وصلت واستقرت فوقي وأنا شبه مستسلم! أمسكت برأسي وهي
تقول بصوتها الذي كأنه فحيح أفعى وتتحدث بدون أن تغلق
فمها ورائحتها كالشمع المحترق:

سنرسلك إلى الجحيم كما أرسلتنا إليه! ستحترق هناك مهما
غيرت من شكلك روحك الشيطانية تبقى نفسها أيها الشيطان..

رفعتني من عنقي ووجهتني إلى المحرقة اتسعت عيناي قلبي
ينبض بقوة لدرجة شعرت بأنه سيقفز من صدري، قربت وجهي
أكثر للمحرقة وأنا أصرخ أنتظر متى سأستيقظ يجب أن أستيقظ
إنه مجرد كابوس لكن لماذا أشعر بكل هذا الخوف والألم لماذا
أشعر بكل تلك الحرارة؟ أدخلت وجهي في المحرقة وأنا أصرخ
وأصرخ من شدة الألم الذي لا أستطيع أن أصفه وجهي يحترق
أشعر بالنيران تلتهمه أشعر بالألم يصل إلى عظم وجهي ويمتد
حتى قلبي!!

ليامز استيقظ استيقظ!!

نهضت على صوت السيد العجوز وهو يسحبني من قعر
الجحيم، رغم استيقاظي إلا أنني ما زلت أصرخ من شدة الألم
ما زلت أشعر بالنار تلتهم وجهي وضعت يدي على وجهي
وأنا أكرر:

وجهي يحترق ساعدني هذا مؤلم!!

العجوز بتوتر:

ليامز اهدأ دعني أرَ إنه مجرد كابو....!!

حلت لحظة صمت عندما أبعدت يديّ عن وجهي ورأى العجوز وجهي لأول مرة أراه خائفاً وصعق من الصدمة اتسعت عيناه وأصبح وجهه شاحباً! قلت له وأنا ألتقط أنفاسي وأعاصر الألم:

ماذا؟؟ ماذا حدث؟

لم يرد السيد روجس علي واكتفى بالتحديق بي..

دفعته ونهضت وأنا أترنح متجهاً إلى المرآة وصلت إليها ورأيت وجهي! وكان نصف وجهي الأيمن محترقاً تشوه بالكامل! وجه الصبي ليامز تشوه وروحي أنا تألمت لم يكن هذا الكابوس عادياً هذا الكابوس على ما يبدو أخذ نصف الثمن الذي كان يجب أن أدفعه عن جرائم «دانيال» هذا الكابوس أخذ من جسد ليامز شيئاً ومن روح أندرو شيئاً ومن دانيال شيئاً من سداد الدين الذي عليه...! ثم صرخت وفقدت الوعي!!



«أدوار الحيـــاة»

«لا شيء عشوائي في هذا الكون، ومهما كانت نظرتنا لأنفسنا، ومهما حسبنا أننا غير مؤثرين في هذه الحياة، فإن لنا دوراً نلعبه بشكل أو بآخر. ومهما كانت ضآلته فهو أمر حتمي، لتستمر الحياة ولا يحدث احتلال في قوانين الطبيعة والفيزياء مما يجعل المتغيرات تتراكم فتدب الفوضى في الكون ليفنى في النهاية..

كل مخلوق على هذه الأرض له تأثير خاص لا يوجد أحد عبثاً! حتى الذبابة لها فائدة، التأثير يختلف من شخص لآخر البعض تأثيره له فائدة لأن من المهم أن تعم الفوائد في هذه الحياة وبدون الفوائد الحياة ستنهار والكوكب الأرضي سيتوقف عن الدوران..

والبعض الآخر تأثيره له ضرر، الأشخاص المضرون مثلاً مثل الأشخاص الذين يعيثون في الأرض فساداً فتراهم يقتلون يسرقون يؤذون يسلبون أرواح الآخرين وصحتهم ونفسيتهم! أيضاً من المهم وجودهم لأنه يستحيل أن لا يوجدوا لن تكون الحياة أرضاً فاضلة لا يوجد في العالم كله أرض فاضلة وخالية من هذا الفساد، إذا كانت الأرض فاضلة ومثالية أيضاً فسيحدث احتلال في قوانين الطبيعة ولن تكون الحياة حياة!

مضى شهر شهران ثلاثة أشهر سنة سنتان والعديد من سنوات كل هذه الفترة قضيتها مع السيد روجس، في حياة شبه

معزولة بعيداً عن العالم! كثير من المتغيرات المختلفة حدثت معي مثل: لم أعد أستطيع الخروج صباحاً لأن جسدي يتعب كثيراً ويهلك في الصباح وكأنني تحولت إلى مصاص الدماء! أصبحت أخرج فقط في الليل كالوطواط وأقضي حوائجي وأعود إلى المنزل، بعد الكابوس الذي أخذ نصف وجهي وأنا في فترة مراهقة ليامز، علمني السيد روجس طرقاً أستطيع السيطرة بها على كوابيسي التي كانت تقتلني عدة مرات بين الحين والآخر، أصبحت أكثر حدة وأكثر حذراً وأكثر ثقافة قضيت معظم أيامي بين قراءة الكتب والرسم! صحيح كنت أرغب بأن أتخلى عن الرسم لكن للأسف هذه الموهبة التي أصبحت لعنة تنقذني تارة وتسحبني إلى الجحيم تارة أخرى! كان أحد الطرق التي أتخلص بها من كوابيسي ولكي لا تأخذ مني شيئاً التي علمني إياها جروس هو رسم الكابوس! لذلك أصبحت أعتمد هذه الطريقة فكل كابوس أراه أقوم برسمه على الفور حتى لا يهاجمني في الواقع، سابقاً كنت بالعكس: أرى الكابوس ثم أقتل ثم أرسم أما الآن فتغير كل شيء أعلم بأن كل هذه ديون يجب علي تسديدها بسبب الجرائم التي ارتكبتها أو ارتكبها دانيال...

بالنسبة لدانيال كنت بين الحين والآخر خصوصاً عندما أشعر باكتئاب تهاجمني رغبته رغبة القتل! أرغب بأن أقتل شخصاً ما، لا أستطيع مقاومة هذه الرغبة أبداً! أنهض بسرعة أركض إلى الحمام أقوم بتغسيل وجهي ثم أرفع رأسي إلى المرآة لأرى دانيال فيها يقف بوجه مبتسم ابتسامة شيطانية قائلاً:

أيها المسكين انظر إلى نفسك؟ أهذه الحياة التي عشت أحفها!؟ حياة مثيرة للشفقة!

أقوم بتجاهله أتوجه إلى غرفة النوم يتبعني في المرآة الموجودة في الغرفة:

حتى الوجه الذي حصلت عليه لم تستطع الاعتناء به انظر إلى التشوهات التي ترتسم على هذا الوجه! أصبحت ضعيفاً جداً! أين دانيال الذي كان يهابه الجميع؟ لقد أصبحت الطفل ليامز نفسه الضعيف والذي لا يقل ضعفاً عن مثير الشفقة أندرو!!؟

اخرس!! ألتقط شيئاً طارفاً وأرمي المرآة كالعادة فتتحطم إلى أجزاء متناثرة أنظر إلى أجزاء المرآة لأرى كل جزء يوجد فيه أشكالي الثلاثة جزء صورة دانيال جزء صورة ليامز جزء صورة أندرو!...

أندرو أنا الذي كان يملك وجهاً ملائكياً من سن الولادة حتى سن الثامنة عشرة! دانيال الذي ولد في تلك الليلة المليئة بالدماء التي قتلت فيها خالتي وزوجها وأولادها، بعدها لم يستطع أندرو العودة أبداً واستمر دانيال حتى وفاته منتحراً، والآن ليامز ذلك الطفل الذي والدته سرقت حياته وأنا سرقت جسده ولم أعتنِ به أيضاً بالشكل المطلوب..

كان السيد روجس بين الحين والآخر يحضر لي أخبار زوجتي وابنتي لأنني أنا أطلب منه، عرفت أنهما هاجرتا خارج البلاد وأنا لا ألومها هذا أفضل شيء فعلته زوجتي لأنهما لن تستطيعا أن تعيشا هنا وهما محملتان بذنوبي وديوني! وأيضاً عرفت أن زوجتي

تزوجت برجل آخر وقامت بتسجيل اسم ابنتي تحت اسم ذلك الرجل أي لم يعد اسمها ماريا دانيال! وأصبح والدها رجلاً آخر صحيح أنني شعرت بالحزن والغضب لكن لا يحق لي في النهاية هذا لمصلحتيهما، أيضاً مات زوج زوجتي بعد سنة فقط من زواجهما في حادث سير وأكملت زوجتي كمصممة أزياء مشهورة خارج البلاد وعاشتا حياتهما بشكل مثالي ومريح.. أنا سعيد من أجلهما هذه الحياة التي كنت أتمناها لهما وبشدة، مضت تقريباً ثماني سنوات! ثمانية أعوام وأنا أعيش حياتي في جسد هذا الشاب ولكن لم أعش كشاب أبداً ولن أعيش طوال حياتي بشكل طبيعي، قضيت معظم وقتي في القراءة والرسم وبين دهاليز الكوابيس، أصبح عمري خمسة وعشرين عاماً كان اليوم هو يوم ميلادي أو يوم ميلاد ليامز لذلك قررت أن أفعل في هذا اليوم الأشياء التي كان يحبها ليامز، أتذكر مرة كانت والدته المشعوذة تحكي لي عنه وقالت إنه يحب فطيرة التفاح والتوست مع الشكولاتة وأيضاً يحب أن يكون له لوحة خاصة كل ميلاد له تخرجه والدته إلى أرجاء القبو فقط ويبدأ بالتفسح واللعب فيه، كنت في كل سنة لميلاد ليامز أشعر بأنني هو! لا أعرف كيف أصفه؟ لكن بالفعل أشعر بأنني هو أحياناً يزورني في أحد كوابيسي لكن لا يقوم بـ أذيتي أبداً وكل ما يفعله هو التحديق بي! لا أعلم هل هيَ تحديقة رضاً أو تحديقة حقد؟! لا أعلم ولا أريد أن أعلم عشت هذه الثماني السنوات كما قلت بعيداً عن جميع المخلوقات صنع لي السيد روجس قناعاً نصفياً ألبسه على النصف المشوه من وجهي، أصبحت كالشبح بشكل رسمي لا أستطيع الأكل

إلا مرة واحدة في اليوم الواحد، لا أستطيع أن انام كثيراً لا أستطيع أن ارتدي ملابس خفيفة أو صيفية! كل ذلك إذا خالفته بسبب لجسدي تشنجاً وتعباً وأشياء أخرى، كنت أجلس في هذا اليوم أمارس طقوس روتين ليامز في يوم ميلاده وهو ليس لديه أي طقوس سوى التجول في مساحة صغيرة صنع رسمة من باب الأمل أن يتحرر من السجن الذي كان فيه، تناول شطيرة التفاح، قراءة كتاب، لكن دخل علي السيد روجس بوجه شاحب وتعابير غير مطمئنة قائلاً:

أنا آسف لمقاطعتك في خلوتك لكن هناك شيء ضروري يجب أن أخبرك به!

قلت له وأنا مندمج في قراءة كتاب بدون أن أنظر إليه:

ما الأمر؟

انظر!

التفت إليه لأراه حاملاً هاتفاً محمولاً وفاتحاً على أخبار أحد حسابات السوشال ميديا مع هشتاق الرسامة المجهولة التي تبيع لوحاتها المرعبة المقتبسة من كوابيسها كما تدعي!

قفز قلبي من مكانه، اتسعت حدقتا عينيّ ارتعش جسدي، رميت بالكتاب وقفزت والتقطت الهاتف من يد العجوز، قربته لعينيّ لا أصدق ما كتب بدون تردد دخلت الهشتاق بسرعة ورأيت ما أعجزني عن التعبير!! كانت رسومات مشابهة لرسوماتي القديمة تماماً! رسومات مليئة بالسواد الحالك والعذاب والألم والخوف والرعب!

روجس:

ليامز من الممكن أن تكون ليست ابنتك!

قلت وأنا ما زلت أتفحص الرسومات:

مستحيل إنها هيَ قلبي يخبرني بذلك..

إذاً هل تقصد أنها ورثت موهبتك؟

قلت بغضب صارخاً في وجهه:

ورثت!؟ لا تمثل دور الغبي أنت تعلم بأن تلك الشيطانة مارا لها دور في ذلك أنا متيقن اسمع أخبرها أنني أرغب في مقابلتها فوراً وحالاً..

ولكن أنت تعلم بأنك لم تقابل «مارا» منذ سنوات لأنك كسرت العقد الذي بينكما..

أعلم وهيَ الآن فعلت ذلك لكي تنتقم مني أليس كذلك؟؟

اهدأ الآن دعنا نعرف إذا كانت أولاً هذه تكون ابنتك أو لا ثم أعدك بأنني سأنظم لك لقاء مع مارا..

ماذا عن شيطانك الصغير الذي كان يحضر لك أخبارهما ألم يخبرك بأن ماريا تعاني من كوابيس؟؟

كما أخبرتك لقد أمرتني ألا أجعله يتعمق في حياتهما لذلك هو فقط يعرف أخبارهما بشكل سطحي..

حسناً خلال أربع وعشرين ساعة فقط أرغب بأن أعرف إذا كانت ابنتي صاحبة هذه الرسومات أم لا هل تفهم؟!..

حاضر كما تأمر..

دع الهاتف معي..

حسناً هل أشتري لك واحداً؟

ترددت عندما سألني هذا السؤال فمنذ أن دخلنا في حقبة الزمن المتطور لم أستخدم لا الهواتف ولا الإنترنت ليس لدي شيء أحتاجه لكي أستخدم هذه السخافات التي تغسل عقول البشر في هذا الزمن ودائماً ما يسألني روجس بأنه سيحضر لي واحداً لكن ينتهي الأمر بالرفض لكن اليوم أخيراً استسلمت من أجل أن أتابع أخبار هذه الرسامة التي أنا متيقن بأنها هيَ ابنتي..

حسناً أحضر لي تلك الشاشة المسطحة أيضاً أفضل أرغب أن أبحث بنفسي عن أخبار ماريا إذا كانت فعلاً هيَ..

قال روجس بابتسامة:

تقصد اللاب توب!!

نعم لا يهم أياً كان اسمه..

حاضر في خلال ساعة سأحضر لك هاتفاً ولاب توب وجهاز إنترنت..

خرج روجس وتركني غارقاً في تلك الرسومات أتفحصها وأفكر وثمة سؤال في الثانية تدور في رأسي! هل من المعقول أن ماريا أصبحت ترى الكوابيس؟ وهيَ لا تستطيع التخلص منها حتى ترسمها؟ وأيضاً أصبحت تقوم ببيعها بمبالغ كبيرة! أم هل هيَ مجرد رسامة محتالة؟؟ لا أعرف حقاً أتمنى أن تكون مجرد

رسامة محتالة ولا تكون ابنتي! إذا كانت ماريا فهذا يعني أنها تشاهد كوابيس بالفعل..

لفتت انتباهي لوحة يتباهى بها أحد المشترين كانت اللوحة عبارة عن رسمة محتواها كالتالي:

امرأة تقف بأعين صفراء ولها أربعة قرون متشكلة في رأسها فم مشقوق من الخد الأيسر إلى الأيمن يسيل من فمها بعض اللعاب الأسود! سميت اللوحة «الساحرة ذات القرون الأربعة»!

شعرت لوهلة أنني رأيت هذه المرأة المخيفة في مكان! لكن لا أعلم أين؟ هل من المعقول في أحد كوابيسي؟ لا، لا، يبدو أنني بدأت بالشك بأن هذه الرسامة تكون ابنتي! بحثت عن حسابات الرسامة في مواقع التواصل الاجتماعي وجدت حساباً لها في تطبيق الإنستغرام! لكن يبدو أن الحساب شخصي وليس رسمياً ولا تعرض رسوماتها دائماً! كان من الغريب أن الرسامة لا تقوم بتحميل صورتها الشخصية ولا تخرج في أي مقابلات ولا معارض حتى وتكتفي بإرسال أعمالها فقط! هذا يعني أنه لا أحد يعرف شكلها! غريبة نحن في زمن التباهي بالشهرة ولا أحد مشهور إلا أنه يخرج بشكله ونفسه! كنت أحتاج أن أحلل تحديثاتها في برنامج الإنستغرام لكن لم يسعفني الوقت حيث الهاتف انتهى شحنه، لكن قبل أن ينتهي شحنه لمحت أنها تضع حساب مديرة أعمالها ولاقتناء اللوحات يوجد موقع إلكتروني خاص بها، دخلت إلى حساب مديرة أعمالها كان اسمها «روجينا» كانت تضع الإيميلات وأرقام التواصل لذلك قررت أن أدخل إلى

ورفعها لكن انطفأ الهاتف اللعين لطالما لم تعجبني هذه الاختراعات عديمة الفائدة..

خرجت للبحث عن روجس كنت أعيش في منزل كبير مع الكثير من الكتب واللوحات والمنزل معزول عن المدينة، لم أستطع أن أنام في تلك الليلة أفكر وأفكر في تلك الرسامة المجهولة حتى قاطع سرحاني صوت! صوت لم أسمعه منذ سنوات صوت أكرهه كثيراً لكن لا أستطيع العيش بدونه ظهر صوت مارا من خلفي قائلة:

أراك حائراً وقلقاً يا عزيزي؟

التفت خلفي ولم أرها كالعادة فهي لا تظهر أبداً إلا نادراً جداً،

مارا أهذه أنتِ؟

هل من المعقول أنك نسيت صوتي؟ لقد خاب ظني؟

توقفي عن ألاعيبك وأنتِ تعلمين جيداً ما هو السبب لظهورك لي!

بالفعل أعلم..

هذا من صنعك أليس كذلك؟؟

لماذا تتظاهر بأنك متفاجئ؟ كان هذا اتفاقنا من البداية كنت تحب كثيراً فكرة أن تعود إلى الحياة مرة أخرى وبعدها ماذا؟ أنت تعيش حياتك بشكل ممل يا سيد رسام..

لا تقلقي حول كيفية عيش حياتي! أريدك أن تتوقفي حالاً..

وإلا!؟

وإلا فستندمين..

أطلقت مارا ضحكة مدوّية مستفزة وقبل أن تتلاشى قالت:

على العموم لا تخف عليها ابنتك أذكى منك وعرفت كيف تتصرف الكوابيس لا تقتل تستطيع أن تصمد أكثر من والدها..

اختفت «مارا» بعدها دخل السيد روجس وهو يحمل الأجهزة التي طلبتها لم أعطِه فرصة وسحبتها من يده وتوجهت إلى الغرفة وأخبرته بأنه يجب أن يبدأ بحزم حقائبه لأننا سنغادر البلاد ونسافر إلى البلاد التي تستقر بها ابنتي..

وصلنا إلى المدينة التي تسكن بها زوجتي وابنتي كانت العاصمة لهذه البلاد تعج بالازدحام الشديد والمحلات والأماكن والسيارات والقطارات كانت مدينة حضارية ومتطورة أكثر بكثير من بلادنا الأصلية، شعرت بالاختناق وكأن كومة غبار دفنت صدري! علمت بأن هذا المكان لن يناسب وضعي أبداً، أمن لنا السيد روجس منزلاً بعيداً قليلاً عن المدينة وحتى الريف لديهم مزدحم لكن لا بأس به يفي بالغرض، أخذنا منزلاً جميلاً جداً وواسعاً وبجانبه بحيرة ومن حوله الكثير من الأشجار التي تمتد إلى الغابات، ارتحت قليلاً بعد أن تجاوزنا المدينة المزدحمة وأصبحنا في المنزل بعيداً عنها، بعد أن أفرغت حاجياتي في الخزانة توجهت إلى دورة المياه وكانت بها بالطبع مرآة ضخمة لذلك كما توقعت خرج «دانيال» فيها بوجهه الشيطاني يوسوس كالعادة كالوسواس الخناس:

انظر إلى هذا المكان الذي يعج بالبشر العديمي الفائدة، أليس من الجيد أن تبدأ مشروعك هنا؟

تجاهلته كالعادة وتوجهت إلى المجفف وما زال صوته مسموعاً يخترق صوت المجفف:

ربما نبدأ من جديد انظر لنفسك ما زلت صغير السن وتستطيع أن تكون المئات من اللوحات!!

خرجت من الحمام كالعادة وتركته يوسوس، توجهت بعدها إلى المكتب ووضعت جهازي اللوحي وفتحته بعد أن جهز روجس كل شيء أحتاجه من النت والطعام والشراب وغيرها، وضع كوب قهوة على مكتبي وهو يقول:

تفضل هل تريد شيئاً؟

لا، شكراً لك

قال روجس باستغراب:

هذه أول مرة في حياتك تقوم بشكري!!

حسناً تريدني أن أسحب الشكر؟؟

روجس ضاحكاً:

لا لا، العفو سأذهب الآن لأتفحص الأمر لا تفعل أي خطوة غير مفيدة في نهاية الأمر ابنتك ما زالت بخير

لكن بشكل مؤقت وكلنا نعرف ذلك تلك الشيطانة مارا من المستحيل أن أثق بها إنها مجرد شيطانة وستبقى كذلك..

خرج السيد روجس، بعدها عدت وفتحت حساب ابنتي كان الحساب يتراوح بين الفن الغريب والكتب والكتابة والقهوة،

شعرت بغصة عميقة في قلبي لطالما منذ طفولتها علمت بأنها تشبهني تماماً واهتماماتها هيَ أنفسها اهتماماتي! كنت أتوق كثيراً لرؤيتها أو رؤية صورة لها لكن لا تظهر للعلن أبداً ولا تقوم حتى بتصوير نفسها!!؟ من الغريب لأنه في هذا الزمن جميع الشابات اللاتي بسنها يقمن بإنزال صورهن في كل مكان؟ لكن أنا الآن أعرف أنها ابنتي وهيَ تماماً كوالدها للأسف غريبة أطوار..

مضى شهر تقريباً منذ مكوثي هنا في هذه المدينة ولم أخرج مرة واحدة حتى، كان سببي الأول لعيش حياتي بهذه الطريقة وعزلتي الدائمة هو حتى لا يتغلب علي الوحش دانيال الذي بداخلي وما أن أرى شخصاً يسير بالشارع سينقض عليه كالثور الهائج! لذلك كنت دائماً لا أخرج وأتجنب الناس قدر الإمكان، صحيح قبل أن أطالب بأن أعود للحياة مرة أخرى كان سببي الرئيس حتى أعود مرة أخرى وأقتل مرة أخرى لكن ما أن عدت وبعد رؤية ابنتي وتعابيرها عندما شاهدتني أموت تغيرت كثيراً أثرت على نفسي تلك النظرة! ناهيكم عن هذا الجسم الذي سرقته من ذلك الطفل هناك شيء ما يمنعني عن ممارسة أعمالي الشيطانية القديمة، ومنذ الكابوس الذي أحرق نصف وجهي فأنا أشعر بأن هذا عقاب لي وهناك الكثير من العقوبات تنتظرني نعم أنا أخاف العقوبات كثيراً الآن رغم أنني في السابق ما كنت أخشى شيئاً!!

في ليلة ممطرة قاطع تفكيري وسرحاني صوت إشعار من موقع ابنتي ماريا بأنها قامت بإنزال لوحة جديدة للبيع، دخلت

على الفور وبدون أي تفكير وضعت أعلى سعر للوحة وفزت بها، بعد حوالي أسبوع فقط وصلتني اللوحة عبر مندوب التوصيل، أخذتها وتوجهت فوراً إلى غرفتي وأغلقت الباب، كانت تغلفها بشكل مميز وجميل ابتسمت لا إرادياً وأنا أتلقى هدية من ابنتي التي آخر مرة رأيتها عندما كانت طفلة في التاسعة، فتحت التغليف بهدوء بعدها وضعت بطاقة أعمالها ثم كتبت في خلف اللوحة:

«تحذير: لا تتعمق كثيراً في اللوحة حتى لا تخرج إلى واقعك»..

ضحكت لا إرادياً هل هيَ محقة أم فعلاً تمارس أنواع وأشكال الترويج لنفسها! فهمت الآن لماذا مارا قالت بأنها أذكى مني، تحت اللوحة كان عنوان اللوحة: «آكل الأرجل»!

اللوحة كانت عبارة عن وحش أو مخلوق صغير مخيف لديه فم كبير يتسع مترين أسنانه الطويلة تبرز من فمه، يملك ملامح شيطانية مع أعين متسعة كبيرة جداً، ويمسك بقدم بشرية ويلتهمها!...

إنها تملك تماماً أسلوبي نفسه وأسلوب ليامز نفسه جميعنا تربطنا الكوابيس من مارا وموهبة تجسيد الكوابيس من الرأس إلى الواقع عبر الرسم من والدها! بقيت أتأمل اللوحة ما يقارب نصف ساعة حتى داهمني النوم مباغتاً كالعادة ومن هذه اللحظة علمت بأن شيئاً ما كبيراً قادم سيقلب حياة ماريا رأساً على عقب..



ها أنا مرة أخرى في كابوس لعين، فتحت عيني لأجد نفسي في مكان وكأنه مدينة أو شارع في مدينة، مدينة مليئة بالحطام والخراب وكأنه مر عليها كارثة من زلزال أو إعصار أو بركان حتى! لا يوجد فيها أي مخلوق ولا يوجد بها أي نفس سوى أنفاس الموت.. الركام والحجار والأوساخ تغطي المدينة، هواء المدينة مشبع بشدة ضباب يجتمع مع الهواء الملوث حتى كونا سحابة جحيم على المدينة، هناك دماء في كل مكان، السيارات مصطفة بعضها فوق بعض ومحطمة كلياً المدينة بالفعل مهجورة وكأنها مدينة أموات! مشهد سينمائي متكامل أمامي كالذي نشاهده في الأفلام، كالعادة سرت بلا وجهة إلى الأمام فحسب وأنا أتأمل هذه المدينة الميتة، حتى وصلت إلى نفق لمحطة قطار حالكة الظلمة تفوح منها رائحة! أعرف هذه الرائحة تماماً!! نعم إنها رائحة طلاء الأظافر لتلك المشعوذة والدة ليامز! كيف يمكنني أن أتذكر هذه الرائحة بعد كل هذه السنوات! لكن كان لطلاء أظافرها رائحة بالفعل مميزة وغريبة لكن ماذا تفعل هذه الرائحة في كابوسي؟ سرت بخطوات بطيئة متجهاً نحو سلالم النفق الذي يؤدي إلى محطة القطار، نزلت درجة درجة مع كل درجة أنزلها الضوء من خلفي يختفي ويبتلعني الظلام أكثر، انتهت السلالم وأصبحت رسمياً في عمق الظلام، تقدمت إلى الأمام أكثر حتى وصلت إلى السكة الحديدية للقطار وكانت المفاجأة هنا!:

أكوام من الجثث تملأ السكة الحديدية للقطار، جثة فوق جثة جميعهم متعفنون بشكل مقزز، الذباب يطير من حولهم ويداخل عبر جثة ويخرج من الأخرى! لكن لفت انتباهي شيء رغم جثثهم المتعفنة والمطموسة الملامح والهيئة من شدة التعفن إلا أنني رأيت بضع جثث في أظافرها طلاء أحمر!! مستحيل أغلبهم يكونون من الرجال أيضاً والطلاء من الواضح جديد هذا يعني أنه وضع لهم للتو!؟ ارتعشت أطرافي عندما تذكرت أن هذه الحركة كانت تقوم بها تلك المشعوذة والدة ليامز عندما تقتل ضحاياها، بعد قتلهم تضع لهم الطلاء الأحمر في أظافرهم!!..

تبددت شكوكي أكثر عندما لمحتها تسير في داخل نفق عبر السكة الحديدية بثوبها الأسود وصوت كعبها الأحمر ورائحة دخانها وطلاء أظافرها الغريب وعطرها الأكثر غرابة، بدون تردد قفزت إلى الأسفل واصبحت في مسار السكة الحديدية المليئة بالجثث المتعفنة ركضت بسرعة خلف تلك المشعوذة ولكنها اختفت بعد أن تعمقت أكثر وأصبحت في وسط مسار السكة الحديدية! بعد أن اختفت على أنظاري سمعت صوتاً مخيفاً، يأتي من أمامي مباشرة صوت وكأن هناك شخصاً ما يلتهم شيئاً ما! تقدمت أكثر نحو الصوت وهنا رأيت هذا الشيء أو هذا الوحش كان نفسه الوحش الذي في اللوحة التي اشتريتها من ابنتي ماريا بدون أي اختلاف إلا أنه أكثر رعباً في الواقع من لوحة، كان مشغولاً غارق في بحر الجثث يلتهم من هنا وهناك من معدة هذه الجثة إلى قلب هذه الجثة! يتنقل بينهم وكأنهم مائدة طعام فيها

... للأوطاب!! لا أعلم لماذا يختفي عقلي في الكوابيس؟ لذا
... أكثر نحو هذا الوحش الملتهم للحوم جثث البشرية حتى
... على شيء ما وأصدرت صوتاً، وهنا توقف الوحش عن
... لتهام وأصبح متجمداً بدون حركة! وأنا لا أقل تجمداً عنه إذ
... أن تنشل جميع حركات جسدي وكنت أراقبه بعيني
... وبعد أن توقف لمدة دقيقة تقريباً هنا التفت بهدوء بشكل
... نحوي بعد أن وقعت عيناه في عينيّ ابتسم ابتسامة مليئة
... وأحشاء الجثث، بعدها صرخ صرخة مدوّية صدحت في
... النفق بشكل مفزع وانطلق مثل الثور الهائج نحوي، هنا
... أنه علي الركض بأسرع ما يمكن، ركضت بسرعة وهو
... خلفي ويصرخ وأنا أركض كانت من سوء حظي تعطلني
... المتناثرة في المكان، لذلك أقع ثم أنهض أتعثر ثم أكمل
... وأنا ألهث وأركض حتى أصبحت أخيراً أرى الضوء ضوء
... ولكن قبل أن أصل إليه استوقفني مشهد في الطريق:

... هناك شابة بشعر أسود كالفحم وبشرة حنطية تميل إلى
... جسم متناسق متوسطة القامة لم أستطع رؤية وجهها
... كانت تديره وترسم لوحة ضخمة لوحة مليئة بالأعين
... يأكلون بعضهم بعضاً كانت لوحة فوضوية من العنف
... والفتاة ترسم بدون توقف وبدون أي تفكير علمت بأن
... الشابة تكون ابنتي «ماريا»! وجهت نظري إلى قدميها إذ أرى
... الوحش الذي كان يلاحقني ممسكاً بقدمها اليسرى ويلتهم
... بابتسامة مستفزة ومرعبة، كان هو يلتهم قدم ماريا وهي ما

زالت ترسم بنهم بدون توقف بدون أن تشعر بشيء وكأنها منومة مغناطيسياً!! ذهبت نحوها أركض وأنا أردد:

ابتعد عنها ابتعد عن ابنتي أيها الوحش!!

استمررت في الركض ولكن كلما اقتربت منها ابتعدت عني وذلك الوحش مستمر في التهام قدمها، بدأت بالصراخ والبكاء:

توقف أرجوك ابتعد عنها أرجوك تعال إلي التهمني أنا!..

حتى سمعت صوتاً، صوتاً أعرفه تماماً كان صوت «مارا»

لا تصدق أي شيء يا أندرو اخرج من هذا الكابوس لا تركض أكثر نحوه وإلا فستتيه فيه إلى الأبد!!..

استيقظت أخيراً وأنا أصرخ باسم واحد وهو «ماريا»..

وانتهى هذا الكابوس الذي كان من أغرب الكوابيس في حياتي كابوس جمع الكثير من الأشخاص ابنتي واللوحة التي اشتريتها منها، وتلك المشعوذة وهذه أول مرة في حياتي أراها بعد أن افترقنا وقتلتها في ذلك اليوم المظلم..

هل أنت بخير؟؟

فتحت عينيّ لأرى فتاة تجلس بقربي بابتسامة مشرقة لديها ملامح طفولية وجميلة وبريئة، كانت ملتصقة بوجهي لدرجة أصبحت أشعر بأنفاسها ثم قلت بغضب:

أستطيع سماعك ورؤيتك من دون أن تلتصقي بي بهذا الشكل.. من أنتِ؟ وماذا تفعلين هنا؟

-عداً يا ليامز،،أتى صوت السيد روجس وهو يدخل ومعه صينية طعام وكوب ماء مسترسلاً في حديثه:

يبدو أن هذا الكابوس كان أحد الكوابيس المرهقة لنفسك وجسدك تفضل تناول طعامك..

لماذا تقوم بتجاهلي هل ترى هذه الفتاة التي تجلس بجواري؟؟

ضحك السيد روجس بقوة تبسمت الفتاة معه ،،أ

لا أعتقد أن هناك شيئاً مضحكاً هل من الممكن أن ترد علي!؟

لا تقلق هذه الفتاة بالطبع أراها ليست شبحاً أو روحاً لقد قمت بإحضارها أنا..

وما هو السبب؟؟

مساعدة لك، أنت تعرف أنا أنشغل كثيراً في الآونة الأخيرة وأيضاً أصبحت طاعناً في السن..

لا أحتاج المساعدة إذا لم تكن منك لا أريدها من غيرك..

روجس وهو يقرب صينية الطعام مني:

أنت تعلم بأن هذا أحد الشروط عندما أتممت الصفقة يجب أن يكون معك شخص لمساعدتك..

إذاً هذه الفتاة أرسلتها مارا؟؟

نعم..

لقد قابلت مارا في الكابوس الأخير..

أعلم هيَ من قامت بسحبك وإعادتك إلى الواقع لولاها لكنت الآن هناك تائهاً في ذلك الكابوس..

ماذا تقصد؟ الكوابيس تأتي منها هيَ وتمثل أنها تساعدني في الخروج بينما هيَ من تدخلني إلى كوابيسها لأقوم فقط بتجسيدها على الواقع عبر اللوحات! ثم أيضاً أقحمت ابنتي حتى،حتى أنني رأيت ماريا أقصد رأيت ذلك الوحش يأكل ابنتي أمام أعيني!! كيف تتجرأ وتهددني وتعذبني بهذه الطريقة!؟؟

اهدأ ليامز،، كل طعامك الآن وبعدها سأخبرك ما أخبرتني به مارا يبدو أن هناك دخيلاً..

قلت باستغراب:

دخيلاً؟؟ دخيلاً أين؟

اسمعني الكابوس الأخير لم يكن من «مارا»!!

ماذا؟ ماذا تقصد؟ طوال حياتي وأنا أشاهد الكوابيس وأعلم بأنها منها!

بالضبط لكن هذا الكابوس لم يكن منها..

أي لعبة أخرى لديها الآن؟ هل ضحكت عليك بكلام كاذب وأتيت هنا لكي تنقله لي؟؟

لا صدقني هذه الحقيقة وقالت مارا خلال يومين ستعرف من أدخلك إلى هذا الكابوس، فكر فيها لا يوجد أي كابوس قامت مارا بسحبك منه هيَ تتحكم بالكوابيس وصحيح تجعلك تعاني وتتعذب وتفقد أشياء كثيرة من روحك لكن لا تقوم بإنقاذك لأنه

عظمها وتستمتع جداً هذا مجالها الوحيد الذي تتغذى منه، لكن اليوم هيَ ساعدتك لأن أحداً ما سرق زبونها المفضل منها!!

لحظة!! تقصد أن هناك أحداً مثل مارا قام بإدخالي إلى كابوس؟

لا يوجد أحد مثل مارا، مارا هيَ سيدة الكوابيس، ولكن يبدو أن هذه حيلة من شخص ما بسحر أو شعوذة أو حتى اتفاق شيطاني استطاع أن يدخلك في «زوايعه» الخاصة..

زوابع!!؟ ما هذا؟

هذه مشتقة من الكوابيس! يستطيع الكثير من السحرة والشياطين استخدامها عبر الكثير من الطلاسم لكي تؤثر على عقل الإنسان ويدخلوه في عوالمهم البشعة والكثير من الأشخاص يدخلون إليها ويتيهون فيها حتى الموت إذا لم يستطيعوا الخروج منها..

وما الفرق بينها وبين الكوابيس؟

الكوابيس تكون سريعة وتنتهي بسرعة لأنها مميتة لا يتحملها العقل البشري ولا تخرج إلى أرض الواقع.. لكن هذه تكون عبارة عن كأنها مرض عقلي مميت تؤثر في الشخص حتى الجنون وتسلب عقله إذا استمرت معه والأدهى أن الشخص يصبح يراها في أرض الواقع حتى إن أغلب من يعاني منها ينتهي الأمر بهم الانتحار، لأنها ببساطة من عمل سحر وشيطان..

قلت بسخرية:

وماذا عن مارا هل هيَ ملاك!

مارا بغض النظر عن ماذا تكون الآن؟ لكن هيَ خلقتها الأساسية كانت في يوم من الأيام بشراً وأنت رأيت ذلك..

ومن تتوقع أن يفعل بي ذلك؟

لديك أعداء كثيرون.

أعداء؟؟

لا تنس أنك الوحيد الذي نجحت معه تجربة الانتقال والعودة للحياة مرة أخرى لذلك الكثير من الشياطين غاضبون من ذلك الوقت ولا أستبعد أنه واحد منهم..

لكن مارا أخبرتني بأن لا أحد يعلم بهذا الأمر!

ومن الممكن أنه هناك عدد قليل يعلم..

لوهلة في منتصف النقاش تذكرت ابنتي ماريا قلت بتوتر:

اسمعني أنا شاهدت ماريا في ذلك الكابوس وكانت تتأذى، هل هذا يعني أنه من الممكن أن يقوموا بأذيتها؟؟

لا تقلق إلى الآن ماريا بخير وكما أخبرتك هذه أول مرة أحدهم يحاول سحبك..

كيف يمكنني ألا أقلق؟ أنا خائف جداً يجب أن أتدخل في الموضوع.

حسناً دعنا ننتظر مارا ثم نقرر ما الذي سنفعله.

شعرت بأن هناك دوامة جديدة سندخل فيها أنا بالفعل معتاد على كل هذه الفوضى لكن من المستحيل أن أسمح لأحد ما أن

وصل ابنتي فيها، مهما وكيفما يكن عدوي سأقف في وجهه حتى لو اضطررت إلى إخراج الوحش «دانيال» من جديد..

ثم أنته من كلامي إلا أشاهد دانيال يقف أمامي وهذه أول مرة أراه خارج المرآة!!

لا تخف يا ليامز لن أقوم بأكلك أو شيء من هذا القبيل..

قلت بتلعثم:

أنت.. أنت كيف؟

أنت؟ هل الآن أصبحت أنت؟! لا تنسى أنه أنت أنا وأنا أنت..

ماذا تفعل هنا؟ يجب أن أخرجك من عقلي!

ولكنني لست في عقلك فقط، أنا في عقلك وجسدك وروحك وفي دمك وقلبك وبين أحشائك.

ارحل اخرج من هنا..

هل تعاملني هكذا لأنني أتيت أقدم لك نصيحة لمساعدتك بمساعدة ابنتي..

ابنتك؟؟ كيف تجرؤ على نطقها..؟

ضحك دانيال بقوة قائلاً:

أيها المجنون نعم ابنتي دانيال من تزوج وخرجت تلك الفتاة من المنويات الخاصة بي وأنا من أصبحت أباً ومن قمت بتربيتها..

قلت بصوت عالٍ وبغضب يتفجر من صدري:

قلت لك اخرس.. اخرس،، أنا أكون أنت..

حل صمت بيننا بعدها ابتسم دانيال ابتسامة شيطانية ابتسامة نصر، أعلم جيداً هذا ما يريده يريد أن يعود من جديد إلى عالمي، ثم قال وهو يتلاشى:

فكر جيداً واجمع شتات نفسك مارا معها حتى ابنتك لم تعد تشاهد الكوابيس ماريا أصبحت ترى زوابع وهي ومرة بعد مرة ستخرج معها إلى الوقع وسيجن جنون الفتاة المسكينة وستتيه في تلك العوالم إلى الأبد! لكن فكر من يمكنه أن يفعل ذلك؟ من يمكنه أن يؤذي ابنتك؟ ويريد سلب الشيء الوحيد الجميل في حياتك؟ تذكر سلبت حياة من؟؟

الكثير الكثير وأنت تعلم ذلك..

ولكن جميعهم كانوا أبرياء، لكن يوجد أحد سلبت منه الكثير يعرف في أمور السحر والشعوذة..

اختفى دانيال من أمامي بعد أن قال هذه الكلمات، شعرت بأن أطرافي تنملت قلبي بدأ بالخفقان بقوة! مستحيل هل تلك المشعوذة عادت إلى الحياة؟؟ هذا معنى أنني رأيتها في الكابوس هذا معنى أنها عادت بعد كل هذه السنوات للانتقام.!؟ لكن كيف يمكنها أن تعود؟

قرينها..

أتى صوت مارا من أمامي وهذه المرة كانت أمامي مباشرة كانت تجلس على التسريحة وتقوم بتمشيط شعرها المنسدل الناعم كالحرير، كانت نفسها الفتاة الشابة الجميلة التي رأيتها أول

... حفل زفاف ذلك الأمير مشرقة وباهتة في الوقت نفسه، ... حزناً، هذا قبل أن تتعفن رعباً..

... ؟!

... تلتفت وكانت تحدثني من خلال المرآة:

... خطبك هل نسيتني؟ أم أنك معتاد على مارا المتعفنة؟

... بعدم مبالاة:

... التأكيد معتاد على مارا المتعفنة، أنا متعجب كثيراً من أنك ... على حقيقتك!

... بخبث وهي تنظر إلي عبر المرآة:

... تفضل أنت؟ المتعفنة أم الجميلة؟

... المتعفنة بالطبع لأنها تختصر حديثها،،

... قالت بضحكة ساخرة:

... أنت تبحث عني فقط من أجل المنفعة.

... بالتأكيد ألست أنت من وضعني ووضع ابنتي في كل هذه ... الأمور؟!

... يجب أن تشكرني على الأقل لأني سحبتك في آخر لحظة من ... ذات الطلاء الأحمر وإلا كنت الآن في قبضتها..

... هذا هو محور حديثنا، أخبريني كيف عادت تلك المشعوذة ... كل هذه السنوات؟؟

لطالما أخبرتك بأنها استطاعت الحصول على ذلك الكتاب الخطير النادر فليس من الصعب عليها أن تضع مخططات احتياطية بعد موتها.

لا أفهم ماذا تقصدين؟ كيف فعلتها؟!

عرفت بالفعل لقد حررت قرينها وهو أشد شراً منها..

ماذا؟؟ أليس الإنسان عندما يموت، يموت معه قرينه!؟

إذا كان القرين ما زال مربوطاً بصاحبه فنعم يموت معه لكن إذا كان منفصلاً ومحرراً من صاحبه لا يموت معه، لذلك هيَ على الأغلب حررته ويبدو عندما ماتت لم تأتِ للانتقام بسرعة بسبب أنها لم تستطع السيطرة عليه بسرعة ويبدو أنها الآن سيطرت عليه وأصبح يطيعها لذلك القرين هو من

تلك الحقيرة من تظن نفسها؟؟

على ما يبدو قبل وفاتها بلحظات أعطت تعاليمها وأوامرها لقرينها للانتقام وهذا ما يحدث الآن..

وكيف أستطيع إيقافها؟؟

اترك قرينها لي ولن ينتهي أمره إلا إذا عرفنا اسمه ووجدنا جثتها..

اسمه؟؟ أليس نفسه اسمها؟

ضحكت مارا بسخرية:

يا لك من مسكين صحيح أنك عرفت تلك المشعوذة لأربع سنوات لكن ذلك الاسم لم يكن اسمها الحقيقي..

ثم اتفاجأ بالطبع تلك الأفعى فعلت كل شيء من أجل عملها سحرها الأسود، جئتها عندما قتلتها لم آخذها وخرجت وتركتها!! و اختفت؟

لا أحد يعلم ماذا حل بجثتها من الممكن أن الشرطة بالطبع وجدتها ودفنتها في مكان ما، لكن اسمها كيف لنا أن نعرف اسمها الحقيقي؟؟

مارا وهيَ تتلاشى:

جثتها أمر هين لكن بالنسبة لاسمها سيكون صعباً ونحتاج لبعض الجواسيس سأقوم بتكليفهم بهذه المهمة أما أنت فلا تفعل أي حماقة وتستطيع مراقبة ابنتك وحمايتها بالطريقة التي تريدها ولكن حاول ألا تتحامق وتقول لها بأنك والدها..

اختفت مارا من أمامي وجعلتني أشعر بشعور سعادة لم أشعر به من قبل، أخيراً أستطيع مقابلة ماريا، لكن كيف؟؟ كيف أستطيع حمايتها وأنا قريب منها؟ ماذا سأخبرها؟ من أكون أنا؟ هل أخبرها بأنني جسد ليامز فقط بدون روح وروحي هيَ دانيال الذي قتل المئات من الناس وارتكب أبشع الجرائم!؟ أم أندرو الذي عاش معظم طفولته في عذاب ومع جثة تتحدث معه وعندما قرر أن يهرب ارتكب مجزرة في عائلة خالته!؟

لا أستطيع التفكير أكثر يجب أن أركز كيف يمكنني حمايتها؟ كيف يمكنني أن أقابلها؟؟ لذلك استدعيت السيد روجس وأخبرته أن ينظم لي لقاء قريباً معها عن بعد بالطبع أريد في

الوقت الحالي أن أراقبها من بعيد فقط، تذكرت فجأة أنه تبقى على نهاية السنة عشرة أيام فقط وسندخل عاماً جديداً وميلاد ماريا يكون في بداية العام وفي نهاية شهر يناير إنه يوم ٢٨ يناير! سيكون شهراً مناسباً أن أراها فيه..

أسوأ كوابيس هيَ كوابيس ليالي الشتاء البارد، بعد أن خلد السيد روجس ومساعدته الجديدة التي لا أعرف اسمها إلى النوم، بقيت أنا كالمعتاد أتهرب من النوم في أغلب أيامي، بقيت أفكر وأربط الاحداث بعضها ببعض، وأدعو الله كثيراً ألا تتأذى ابنتي، لكن أحياناً أتساءل كيف يمكنني وبكل جراءة أن أدعو الله أن لا تتأذى ابنتي بينما أنا حرمت الكثير من آبائهم وبناتهم وأمهاتهم وأولادهم!؟ كيف لا أريد أن تتأذى ابنتي بينما أنا آذيت الكثير وسلبت أرواح الكثير!؟ أتساءل مراراً وتكراراً: هل المجرم يقبل دعاؤه!؟ هل من سلب أرواح الكثير يحق له أن يدعو الله؟ هل سيستجيب له! هل من قتل الناس يستطيع أن يطلب من الله أمنيات بعد أن سرق أمنيات الكثير؟

لا بالطبع..

تنهدت بعد أن داهم أفكاري صوت «دانيال» التفت إليه لأجده جالساً في الجهة المقابلة من السرير:

- كيف تستطيع سماع أفكاري؟

دانيال:

ما خطبك ما زلت شاباً ويبدو أنك تعاني من الزهايمر! هل نسيت أننا قبل ساعات اتفقنا على أنه أنت هو أنا وأنا هو أنت؟؟ لذلك بالتأكيد أستطيع سماع صوت أفكارك..

اسمع لست متفرغاً لهرطقتك السخيفة لذا دعني وشأني... لم أكمل حديثي حتى سمعت صوتاً قوياً قادماً من خارج الغرفة!!

قلت لنفسي:

ما هذا الصوت؟؟

دانيال:

على ما يبدو هناك أحد يقطن معكم

لا يوجد أحد غيري أنا والسيد روجس وتلك الفتاة الجديدة يبدو أنها هيَ في المطبخ ولا تعرف كيف تسير بهدوء في المنزل..

دانيال بخبث :

لا أظن ذلك الفتاة المسكينة نائمة في غرفتها ما رأيك أن تخرج وتذهب لزيارتها؟؟ فأنت لم تتعرف عليها بعد يجب أن تعرف أي شخص يقطن في منزلك..

هل تعرف أنك شخص حقير؟

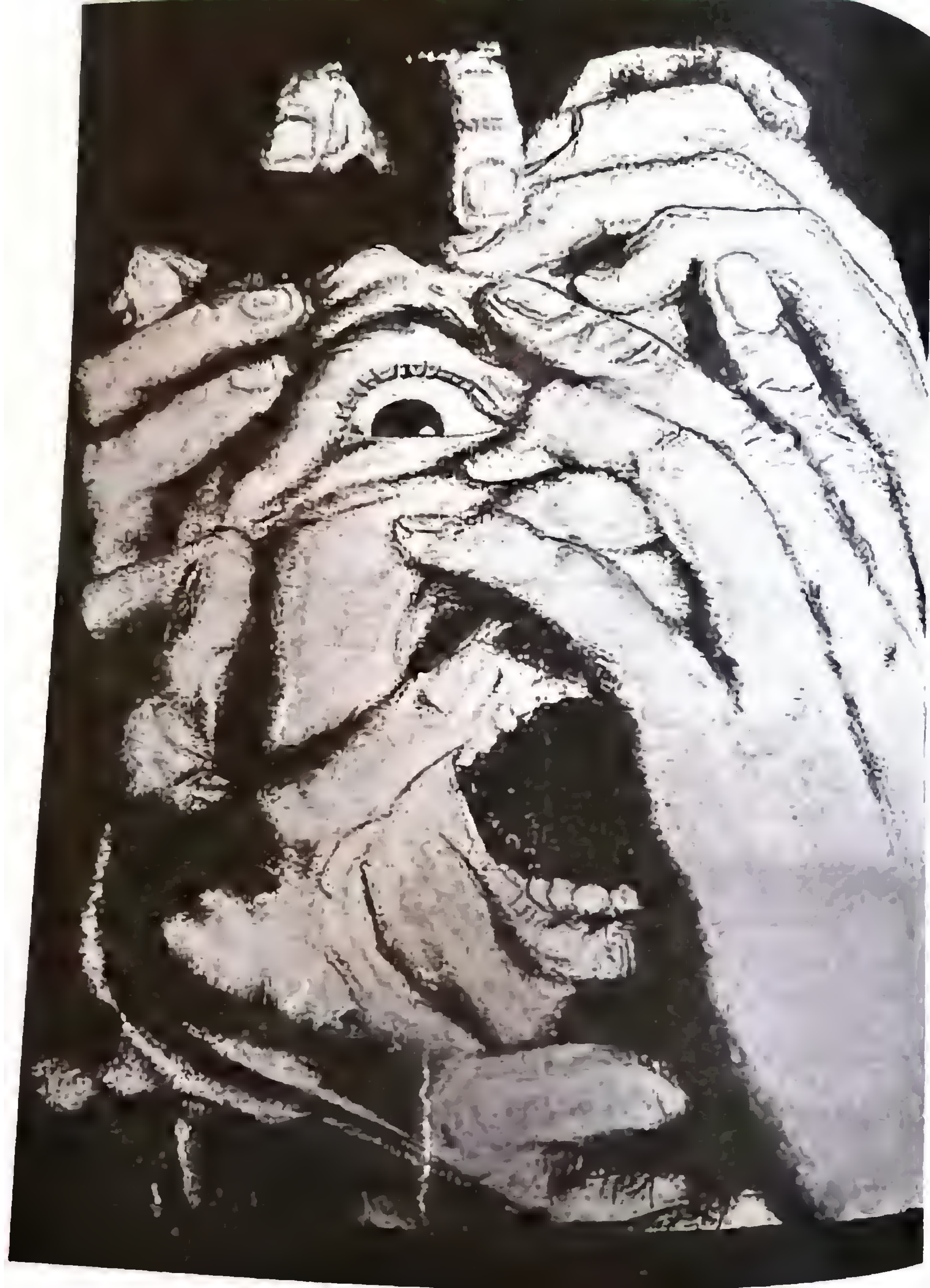
وهل تعرف أن الحقير أنا يكون أنت؟!

أتى الصوت مرة أخرى وقاطع حواري مع دانيال وكان هذه المرة بشكل أقوى، لذلك نهضت من مكاني وقررت الخروج وتركت دانيال في الغرفة أعلم بأنه معي في كل مكان لذلك لا يفرق معي، خرجت إلى صالة المعيشة لم أجد فيها أي أحد أو شيء مثير للريبة، توجهت إلى المطبخ وأيضاً كان المكان

خالياً، قررت أن أعود إلى غرفتي لكن أتى الصوت للمرة الثالثة وبشكل أقوى! اتضح أنه قادم من الجزء العلوي الذي كان فارغاً تقريباً ويوجد فيه بعض الأغراض القليلة وغرفتان فارغتان، كنا أنا والسيد روجس والآن الفتاة جميعنا غرفنا في الأسفل والجزء العلوي من المنزل ما زال فارغاً منذ أن انتقلنا إلى هنا، قررت الصعود إلى الأعلى وصعدت عبر السلالم كان الطابق الثاني معتماً جداً بحكم أنه فارغ وبالنسبة لي لا أهتم أبداً بالإضاءة فـ أنا أفضل الظلام في كل الاحوال، ولكن للتحقق أكثر بما أن منزلنا معزول بعيدٌ عن المدينة أضأت الأنوار قلت إنه من الممكن أن يكون بعض اللصوص، توجهت نحو الغرف كانت غرفتان ما زالتا مغلقتين والغرفة الثالثة كانت مفتوحة تماماً! دخلت إلى الغرفة وضعت يدي على مفتاح الإضاءة لأشعل الأنوار لكن قبل أن أضغط على المفتاح يد باردة جداً أمسكت بيدي سحبت يدي بسرعة ورجعت إلى الخلف في لحظة سريعة أغلق باب الغرفة وأنا بالداخل! حاولت التحكم بالأمور بهدوء فأنا معتاد تماماً على هذه الهجمات سواء في الكوابيس أو الواقع، ذهبت إلى الباب فتحته لكنه كان مغلقاً تماماً، ما زالت الغرفة معتمة لذا عدت لمحاولة إشعال الضوء لكن حدث الشيء نفسه ما أن أضع يدي على المفتاح يد باردة تمسك بيدي، حاولت أن أجمع شتات نفسي وأخذت نفساً عميقاً، وبدأت بالطرق على الباب

على أمل ذلك العجوز أن يسمعني فهو يملك نوماً ثقيلاً جداً ولكن هناك شريكة أخرى معنا على أمل أن نومها خفيف وتستطيع تحريري من هنا، استمررت في الضرب على الباب وبقوة بكل قوة لكن توقفت عندما سمعت أحدهم من إحدى زوايا الغرفة المعتمة يبكي!! هنا وقف شعر جسدي لأن الغرفة معتمة جداً وهادئة جداً وخالية من الأثاث ولا تسمع إلا صوت بكاء ونحيب قادماً من إحدى زواياها بالطبع سـ أخاف! كان صوت البكاء صوت شاب أو رجل المهم أنه ذكر وليس أنثى، نحيبه يعلو أكثر وأكثر لدرجة صدى بكائه أصبح يصدح في أرجاء الغرفة لأنها فارغة بدون أثاث، أنا ما زلت متسمراً في مكاني بجانب الباب! حتى توقف صوت بكائه فجأة وعم الهدوء المرعب في الغرفة، عدت مرة أخرى أحاول فتح الباب ولكنه يرفض ولا أحد يستطيع سماعي ويستيقظ من غيبته لكي ينقذني من هذا الهلاك! وأنا مشغول بفتح الباب سمعت صوت أقدام تخطو خطواتها نحوي، التفت إلى الخلف لكن بالطبع لا أستطيع حتى رؤية كفي من شدة الظلام، عدت مرة أخرى محاولاً بيأس فتح الباب ومرة أخرى صوت الخطوات يقترب مني، لم ألتفت هذه المرة لأني بكل الأحوال لن أستطيع رؤية شيء وكل ما أفعله بالالتفات هو تعذيب نفسي، حتى توقفت عن فتح الباب عندما شعرت بيدين باردتين تمسكان بجسدي من الخلف! هنا أنا تشنجت

حركتي وأطرافي تذكرت لوهلة تلك الذكريات العقيمة السوداء.هيَ الشعور نفسه والأيادي الباردة الضخمة أنفسها التي كان يملكها ذلك المسخ زوج خالتي!.فجأة كثرت الأيادي أصبحت أكثر من يدين أربع أيادٍ ست ثمانٍ عشر!! في جميع أنحاء جسدي أدفن بالأيادي بدأت تسحبني إلى الخلف إلى عمق الظلام وأنا ممسك بالباب على أمل أن يأتي أحد ويفتحه، سحبتني أكثر وبقوةٍ حتى أفلت مقبض الباب وهنا خرجت عن صمتي وبدأت بالصراخ وأنا أصارع الأيادي لأتحرر منها، لكن بدون فائدة وآخر يدين وضعتا على وجهي وفمي لدرجة لم أعد أستطيع التنفس!! لكن أخيراً أتى الضوء عندما قام أحدهم بفتح الباب وبنظرات ضبابية وأنا على وشك فقدان الوعي رأيتها فتاة وكانت ابنتي «ماريا» لكن أيضاً لم أستطع أن أرى ملامحها وبعدها فقدت الوعي!!



فتحت عينيّ لكي أجد السيد روجس يلتصق بوجهي كالعادة قائلاً:

يبدو أنك تعاني من حمى حرارتك مرتفعة لذا دع نتالي تفحصك..

قلت بصوت منخفض ومهلك:

نتالي من؟؟

ما خطبك؟ الشابة المساعدة الجديدة لنا إنها طبيبة لذلك ستفحصك الآن..

تقدمت نتالي نحوي بابتسامتها المعتادة وبدأت بفحصي، قال السيد روجس وهو يحضر بعض الخشب ويقوم برميه في المدفأة لأن الجو بارد جداً بحكم أننا في بدايات الشتاء:

لقد وجدتك نتالي تصرخ في الغرفة التي في الأعلى لذلك فتحت الباب ووجدتك مستلقياً هناك وغارقاً بعرقك وكنت تشتعل من الحرارة.!

خاب ظني إذاً نتالي التي فتحت الباب بالطبع وليست ماريا..

لقد انتهيت، إنه يعاني من حمى كما توقعنا بسبب تقلب الأجواء طبعاً هذه الأيام سأذهب لأحضر له الأدوية المناسبة وسيكون بخير.. قالتها نتالي وهيَ ترتدي معطفها متوجهة إلى الخارج ثم استرسلت في حديثها:

هل تحتاجان إلى شيء آخر من المدينة أحضره معي وأنا قادمة؟..

- لا بأس احضري الأدوية وعودي..

قلت بثقل:

- احضري معك بعض ألوان الأكريليك السوداء فقط اللون الأسود.

- حسناً

السيد روجس:

- هل رأيت كابوساً آخر؟؟

- إنه ليس كابوساً أقصد كابوساً أتى إلي إلى الواقع، هل تعتقد
أنه من إحدى زوايا تلك المشعوذة؟

روجس وهو يناولني مشروباً ساخناً:

- على ما أظن وليس أكيداً أنت بالفعل ترى هذه الأشياء قبل أن
تعرف قرين هذه المشعوذة!

- معك حق لكن هذه الأيام أنا أرى ماريا كثيراً لذلك أشعر بأن
تلك المشعوذة تلعب بنفسيتي حقاً..

روجس بابتسامة على وجهه:

- سترى ماريا قريباً جداً!!

خفق قلبي وشعرت بأنني شفيت تماماً:

- ماذا تقصد؟؟

- انظر.. ناولني الهاتف إذ كتب في خبر على صفحة الفنانين
المشاهير أنه في المعرض السنوي الذي سيقام بداية السنة في

شهر يناير ستكشف ماريا عن شكلها أخيراً وستظهر للمعجبين وسنكون موجودة في الافتتاح في اليوم الأول..

لم أستطع التعبير عن مشاعري أخيراً لطالما انتظرت هذه اللحظة منذ سنوات عديدة! لا أصدق أنني سأرى شكل ابنتي في عمر الشباب! بالفعل شعرت بأنني شفيت تماماً ونسيت ذلك الكابوس الواقعي الثقيل على الروح، قلت بحماس وعيناي ما زالتا على الهاتف:

إذاً دعنا نذهب، ما رأيك؟ يجب أن أكون هناك..

روجس:

إذا كنت تريد ذلك بالطبع لكن لا تنسَ سيكون المعرض مزدحماً وأنت تعاني من الازدحام..

لا تقلق سأتحمل أرغب برؤيتها لدقائق من بعيد فقط أرجوك..

حسناً حسناً سنستعد لذلك اليوم سيكون يوم ٢٨ يناير ،،

إنه يوم ميلادها! لقد اختارت يوم ميلادها لتظهر أول مرة لمعجبيها.

ولكن أولاً أخبرني من تكون هذه التالي!؟ وهل هيَ مثلك؟

مثلي كيف؟

أقصد لا إنس ولا شيطان مخلوق فحسب، هل تتذكر هذه أول كلماتك التي أخبرتني بها..

ضحك السيد روجس:

أوه أنت لا تنسى حقاً! لا تقلق إنها إنسان مثلك وطيبة ولكن لديها الكثير من المعلومات وهيَ إحدى معارفي..

أتساءل لماذا الإنسان يقحم نفسه بهذه العوالم؟ أمثالها هيَ!؟

كلٌ وظروفه والشيء الذي مر به وأجبره على الدخول إلى هذه العوالم..

وهيَ ماذا تكون ظروفها؟ يحق لي أن أعرف من تكون؟ بما أنها تعمل لمصلحتي ووظفتها بدون إذني..!

لا بأس ستعرف كل شيء عنها في الوقت المناسب الآن دعنا نفكر كيف يمكننا أن نحضر ذلك المحفل الكبير الذي ستوجد فيه لينتك بدون أن تزورك نوبات الهلع بسبب الازدحام أنت تعرف جيداً أننا يجب ألا نلفت الانتباه..

لا تقلق لطالما تصرفت بأنني شبح ولن أفشل وقتها..


A
P
D
A

عيد ميلاد كابوس»

دخلنا العام الجديد ودخلنا في فصل الشتاء بشكل رسمي وشهر جديد وكوابيس جديدة! كان اليوم تاريخ ٢٧ يناير، يعني غداً سيكون أخيراً اليوم المنتظر، كنت أشعر بأن هذه الأيام بطيئة لدرجة شعرت بكل ثانية تمر فيها، هل هذا لأنني متعجل على رؤية ابنتي أخيراً، كان صباح يوم ٢٧ صباحاً هادئاً مليئاً بالثلوج التي تهطل من السماء لتعلن كسوة الأرض بالبياض، حينما كنت أجلس في مكتبي أتأمل البياض اللا منتهي سمعت طرقات على الباب:

من؟

أنا يا سيد ليامز أنا نتالي..

أين السيد روجس؟

إنه مشغول لقد خرج لذلك أخبرني أن أحضر لك قهوتك..

رغم أنني لا أحب أحداً غير السيد روجس يحضر لي قهوتي إلا أنني سمحت لها كنت أرغب باستغلال الأمر لكي أسألها بعض الأسئلة عن هويتها!!

حسناً تفضلي ادخلي..

دخلت نتالي وهيَ تحمل كوب القهوة مع بعض الشطائر المحلاة، تفضل يا سيد ليامز..

قلت وأنا أنظر إلى الشطائر:

توقفي عن مناداتي بسيد، وأيضاً من صنع هذه هل أنتِ من قمتِ بذلك؟

نعم

قلت بغضب:

ألم يخبرك السيد روجس بأنني آكل وجبة واحدة في اليوم!!؟

بلى لقد أخبرني لكن هذه ليست وجبة..

إنها تعتبر وجبة بالنسبة لي

حسناً سآخذها أعتذر منك..

قبل ان تأخذيها أرغب بأن أسألك بعض الأسئلة!

نتالي بتوتر:

حسناً تفضل..

كم يبلغ عمرك؟؟

أبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاماً

قلت بسخرية:

أوه أنتِ أكبر مني،،

بالفعل..

ثم أضفت من باب المزاح كنت أرغب أن أعرف إذا كانت تعرف بقصتي أو لا:

هل تعلمين بأنني أنا وابنتي بعمر واحد؟

قالت ضاحكة:

يبدو ذلك يا سيدي من هيئتك تبدو أنك ما زلت بعمر المراهقة!

هل من المعقول أنها لا تعرف شيئاً؟! ثم أكملت تحقيقي وأنا أرتشف رشفة من قهوتي:

هل تعرفينَ من أنا؟؟

في الحقيقة تواصل معي السيد روجس من سنتين تقريباً وأخبرني أنه يجب أن أستعد لمهمة ما وهيَ مساعدة شخص ولم يخبرني بأي تفاصيل وعندما أتيت إلى هنا أعطاني مهمات كالاعتناء بك إذا مرضت أو جرحت ومن هذا القبيل بحكم أنني طبيبة ونحن معتادون على أن نكمل مهمتنا على أكمل وجه بدون أن نسأل أي أسئلة..

قلت وأنا أضع كوب القهوة:

نحن؟؟

نعم يا سيد ليامز السيد روجس اعتنى بنا منذ كنا أطفالاً إنه يرعى ميتمنا.

إذاً أنتِ من ميتم؟

نعم..

وهل تعرفين من يكون السيد روجس؟

ترددت قبل الإجابة لكنني ضغطت عليها ثم قالت:

صراحة السيد روجس يجعلنا نقرأ كتباً من علمه ويدربنا كثيراً لمواجهة..!!

مواجهة ماذا؟؟

نتالي.. قاطعنا صوت السيد روجس وهو يدخل علينا:

كنت أبحث عنكِ خذي هذه وضعيها في المطبخ..

تنفست نتالي الصعداء وكأنها كانت تنتظر معلمها يأتي وينقذها من شلال الأسئلة الذي انهمر عليها..

خرجت نتالي، قال السيد روجس وهو يجلس بجانبي:

هل انتهيت من التحقيق معها؟؟

قلت بعدم مبالاة:

كنت أرغب بالتحقق إن كانت تعرف من أنا أو لا؟

لا تقلق يا ليامز هذا السر خطير وليس من مصلحتي أن أفشي سرك لأي أحد على هذا الكوكب، ألا تثق بي؟

أنت معي من عشر سنوات تقريباً يا سيد روجس لكن ولا مرة أخبرتني من تكون حقاً غير أنك مساعد لتلك الشيطانة «مارا»!

ألا يكفيك هذا؟؟

لا.. أرغب بأن أعرف من تكون أنت؟ وماذا أنت؟ ومن هيَ تلك الفتاة التي أحضرتها! أخبرتني أنها يتيمة هل تستغل الأيتام؟؟

الاستغلال الذي به منفعة سيكون جيداً..

منفعة لك فقط أم هم هلاك..

لا صدقني لن أسحب أطفالاً إلى الهلاك أبداً..

قلت بسخرية:

صدقتك.. على العموم هل أحضرت لي الملابس التي سألبسها؟

نعم أحضرتها لك يمكنك أن تجربها إذا لم تعجبك فسأحضر لك شيئاً آخر

وماذا عن القناع؟؟

أيضاً القناع صنعت لك واحداً جديداً من أجلك.. لا أرغب بأن تكون مشبوهاً لذلك حاول ألا تلفت الانتباه غداً..

إلى متى ستذكرني بذلك؟ لا تنسَ أنا لست طفلاً..

أنا مستعد تماماً بالفعل غداً سيكون يوماً سعيداً بالنسبة لي لدرجة لا أستطيع أن أصف مشاعري، أصبحت على أتم الاستعداد ليوم غد وحاولت أن أخفي توتري وأدفن أي أفكار غير مفيدة مثل أن أذهب إليها وألقي عليها التحية! بالطبع لن أخبرها بأنني والدها الذي انتحر أمامها قبل أعوام بشكل آخر وجسد آخر! فكرت أن أخبرها بأنني معجب بأعمالها ولكن شكلي لافت للنظر ومثير للريبة، شاب نصف وجهه مشوه يلبس عليه قناعاً غريباً ملابسه سوداء ويلبس قفازات سيكون من الجيد إذا لم يستدعوا من أجلي الأمن لطردي من المكان!!

حل المساء وأصبحت الساعة السابعة مساء، مع كل ساعة ودقيقة وثانية أشعر بتوتر خانق ساعات فقط تفصلني عن اليوم المنتظر! لذلك قررت ألا أنام لا أرغب بأي كابوس يعكر صفو

مزاجي ويوترني ويسلب من طاقتي أكثر، لذلك أعددت لنفسي كوب قهوة وقررت أن أرسم رسمة جديدة منذ أن أصبحت ليامز فأنا أرسم فقط الكوابيس التي أشاهدها حتى تتوقف عن التكرار وتتوقف عن تعذيبي، لكن لم أعد أمارس الرسم بشكل حر مثل السابق كانت هذه أول مرة أرغب برسم شيء ما من مخيلتي، جلست أمام اللوحة أعتصر مخي لكن كلما أغلقت عيني رأيت جثثاً! أو بشكل أصح رأيت ضحاياي الذين قتلتهم في الماضي، لا أريد أن استسلم لرغبات «دانيال» لا أرغب بالخضوع له مهما كلفني الأمر، استغرقني الأمر وأنا أفكر بشيء أرسمه أربع ساعات بالفعل! أصبحت الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل وأنا لم أرسم أي شيء! هل تجردت من الموهبة؟ هل موهبتي متمحورة حول رسم الكوابيس والوحوش والجثث فقط!؟ دق جرس الساعة يعلن عن حضور يوم الـ ٢٨ يناير!! ما أن أصبحت الساعة الثانية عشرة تماماً عند منتصف الليل سمعت صوتاً قادماً من الخارج كالعادة! نهضت من مكاني وتركت اللوحة البيضاء خلفي، فتحت باب الغرفة إذ يستقبلني الظلام الذي يطغى على المنزل بشكل مبالغ فيه! واثق بأنه قام أحدهم بإطفاء جميع الأنوار وحتى المصابيح الصغيرة في المنزل! تقدمت حتى وصلت إلى صالة المعيشة وأنا أتخبط بيديّ يميناً ويساراً حتى وصلت إلى مفتاح الإضاءة وأشعلت الأنوار ما أن أصبحت غرفة المعيشة مضاءة، اتسعت حدقتا عينيّ من المنظر الذي شاهدته شهقت بقوة وانتفض جسدي وشلت أطرافي لدرجة لم أعد قادراً على الحركة:

كان في صالة المعيشة ثلاثة أشخاص أو وحوش أو مسوخ بأشكال بشعة يجلسون حول الطاولة في متصف صالة المعيشة، تمازينت صالة المعيشة بالكثير من الشرائط العفنة والأوساخ وكان هناك الكثير من قطع لأعضاء بشرية مثل الأصابع والأسنان والأيادي كانت معلقة في الأرجاء!! أما في المتصف فكانت هناك طاولة والثلاثة المسوخ الأول يمسك بيده كاميرا فورية، والثاني لديه شمعة، والثالث أحضر كعكة متعفنة تخرج منها الكثير من الديدان الحية! وضع الكعكة على الطاولة وكانت صاحبة عيد الميلاد شابة لا تقل تشوهاً عنهم ترتدي فستاناً أبيض ملطخاً بالدماء، أشعلوا الشمعة التي في الكعكة بعدها نظروا إلي نظرة مباشرة وأنا ما زلت متجمداً في مكاني! قالت الفتاة بصوت مخيف:

شاركنا يا أبي في عيد ميلادي!!

ضحك الأربعة وبدؤوا بالغناء بأصوات عالية ومزعجة ومخيفة:

عيد ميلاد تعيس!!

عيد ميلاد تعيس!

كل عام وأنتِ تعيشين في أحلامك

كل عام وأنتِ تموتين في كوابيسك

كل عام وأنتِ تتعفنين رعباً..

هيا لنقوم بالتقاط صورة، رفع صاحب الكاميرا كاميرته الفورية نحوي بابتسامة مخيفة، وأنا بوضعيتي المتسمرة وكأنني مستعد للصورة ثم كبس على زر التصوير وانطلق فلاش قوي لدرجة

وضعت يدي على عيني وانطفأت الأنوار مرة أخرى وعاد الهدوء والظلام!!

حاولت أن ألتقط أنفاسي وضعت يدي على قلبي لكي أطمئن هل ما زال ينبض أم توقف؟ حدث هذا المشهد كله أمامي وبسرعة بدون أن أشعر، والأدهى حدث في الواقع هو ليس كابوساً في المنام! عدت بيدي على مفتاح الإضاءة وأنا أرتعش تماماً خائفاً من مشهد آخر لربما الآن أجدهم انتقلوا إلى فقرة العشاء! وماذا ستكون وجبة العشاء؟

أنت!!!!

أتى الصوت من خلفي قفزت من مكاني وتراجعت إلى الخلف حتى تعثرت قدمي في الأريكة ووقعت على الأرض، نهضت بسرعة على أمل أن أشغل مفتاح الإضاءة لكن أحداً ما أمسك بقدمي:

ألا ترغب بالاحتفال بعيد ميلاد ابنتك؟؟

لا أرى من صاحب الصوت أو من يمسك بقدمي لكنني سددت له ركلة، وركضت بسرعة وأشعلت أخيراً الأنوار وعاد المكان كما هو لا يوجد فيه أي شيء غريب أو خارج عن العادة!! تنفست الصعداء وجلست على الأريكة مسترخياً بعد حفلة عيد الميلاد المرعبة التي حدثت أمامي، شعرت بالعطش وتوجهت إلى المطبخ وأنا أتساءل: هل ما حدث أمامي خيال أم أوهام؟ أم زوبعات من تلك الشيطانة المشعوذة المتقمصة؟ التقطت كوباً ومددت يدي إلى باب الثلاجة لكي أفتحها لكنني صعقت قبل ذلك!!

رأيت صورتي معلقة على باب الثلاجة صورتي التي التقطها لي ذلك المسخ قبل قليل وأنا أقف متسمراً بوجه شاحب وملامح مرعوبة! وكتب أسفل الصورة:

«سنة سعيدة لكوابيسي»

هنا شعرت بغثيان ودوران فظيعين سقط الكوب من يدي وتحطم لأجزاء صغيرة، تناثر الزجاج في كل مكان وبعدها التحقت بالكوب وسقطت أرضاً فاقداً الوعي!...

فتحت عينيّ لأرى دانيال يقف بابتسامته الشيطانية المعتادة متمركزاً فوق رأسي، قلت بثقل:

أين أنا؟؟

دانيال:

أنت هنا!

هنا أين؟

بداخلي..

هذا ليس وقت ألغازك، أخبرني أين أنا؟ وأين السيد روجس؟؟

لا أعرف يبدو أنه وطالبته البريئة خرجا في هذا الوقت المتأخر..

ومن أوصلني إلى الغرفة؟

أنا بالطبع لقد كنت متعباً من حفلة الرقص الصاخبة..

ليس لي مزاج للمزاح هل رأيت كل ما حدث؟ هل هذا كابوس؟

دانيال جالساً بجانبي:

الكوابيس يا أندرو لا تأتي إلا في المنام هذه زوبعة من صديقتي القديمة المنتقمة..

لحظة،، لماذا قمت بمناداتي أندرو؟؟

لأنك أندرو المسكين الضعيف الذي ليس له أي حيلة، وإذا ناديتك بـ ليامز أيضاً فلا فرق كلاكما عديما فائدة كلاكما ظللتما محبوسين معظم حياتكما تتعرضان للظلم والإهانة والعنف والتحرش والإذلال، ألا تتذكر يا أندرو لم يحميك أحد أنا من قمت بحمايتك وإخراجك والانتقام لك بينما أنت لم تفعل شيئاً سوى التحيب أيها الطفل المسكين! والآن ماذا ستفعل؟ هل تظن أنك قادر على حماية ابنتك؟ لا بالطبع تلك المشعوذة والدة ليامز الآن تقوم بتعذيبها يومياً من خلال الزوبعات تلك الفتاة المسكينة فهي قريباً لن تفرق بين الحقيقة والخيال وبين الحلم والكابوس وبين الحياة والموت، وقريباً ستضطر لرسم جثتها!..

نهضت من مكاني بغضب وأمسكت برقبة دانيال وضغطت عليها بكل يديّ وبكل قوتي كاتماً أنفاسه وأنا أصرخ في وجهه:

أغلق فمك هل تفهم أغلق فمك قبل أن أقوم أنا بقطع لسانك!!

دانيال ضاحكاً من بين يديّ:

نعم افعلها اقطع لساني إذا كنت تتذكر كيف تفعل ذلك؟ لأنه متى آخر مرة قطعت جزءاً من إنسان!!؟

ألن تخرس؟؟

دانيال بخبث:

أوملها يا أندرو افعلها صدقني ستتحسن وكل تلك الكوابيس ستختفي، أنت ترى ضحاياك كثيراً في كوابيسك بسبب الضمير هل تعلم بأن الضمير أسوأ شيء؟ الضمير للضعفاء! إنه شعور قاتل ينهش لحمك وأنت على قيد الحياة! ألا تتذكر أن ضحيتك هيَ من قامت بحرق وجهك في الكابوس؟؟ هل رأيت لقد تمادوا وسيتمادون أكثر لأنك أصبحت ضعيفاً! ضعيفاً جداً، ماذا عن اللوحات التي كنا سنرسمها معاً؟ ماذا عن المنحوتات التي كنا سنخلقها معاً؟ ماذا عن العوالم التي خططنا أن نصنعها؟ وماذا عن الألوان والأشكال والوحوش والظلام التي قلنا بأننا سنصنعها من أجل أن يخضع لنا الجميع خوفاً منا!؟ إنهم يسيطرون عليك الآن وسيقومون بسحبك إلى الجحيم مرة أخرى كما فعلت خالتك وزوجها! انتقامك لم ينتهِ بعد ولن تستطيع حماية ابنتك بهذا الضعف! ضحاياك من جهة ومن جهة أخرى مارا ومن جهة أخرى والدة ليامز ومن جهة كوابيسك ومن جهة ذلك العجوز عميل مارا والآن أحضر فتاة جديدة! الجميع يتلاعبون بك لا تسمح لهم أبداً بهذا الضعف أنت حتى لا تستطيع حماية حشرة، كيف ستحمي ماريا؟ حتى ابنتك سيأخذونها منك هل ستكون سعيداً وقتها؟؟

أبعدت يديّ عن دانيال ولم أرد عليه واكتفيت فقط بالاستلقاء وأنا أشعر بأن كل تعب العالم يجتمع في جسدي ويمزقني إلى أشلاء وبعدها أغمضت عينيّ ودخلت في نوم عميق..





«وهل الوحوش تأكل بعضها بعضاً؟»

ما رأيك يا أندرو؟؟

ما رأيي في ماذا؟

ما رأيك أن نأكل ليامز! وبعدها نأكل أندرو..؟

وهل الوحوش تأكل بعضها بعضاً؟

بالطبع..

إن الوحوش مثل القطيع الهائج وكل واحد يفكر بنفسه، والبقاء للأقوى فقط إذا التهمنا أنا وأنت الوحوش الباقية فسنشكل وحشاً لا يهزم! تخيل أن كل الوحوش في باطن جوفك وقتها لن تكون وحشاً ولا شيطاناً ولا آلة!!

ماذا سنكون؟؟

سنكون أسوأ..

هنا أنا مرة أخرى بين طيات الرعب والتعاسة والبشاعة والفساد والخيانة ورائحة العفن! بين العبوس والتعاسة وبين المرض والأرق، هنا أنا بين طيات اللا شيء اللا منتهي بين طيات الشر! الشر الذي ينبع من الخير هو أسوأ نوع من الشر!

أفتح عينيّ لأجدني بين جثث للمرة المئة بعد المليون، لكن هذه المرة أنهض بكل ثقة بدون خوف بدون رعب بدون ذرة ارتعاش!! لا أعرف السبب؟ ولكن كل ما أعرفه أن الكوابيس أصبحت تخشاني ولست أنا من يخشاها!

وقفت على قدميّ أنظر يميناً ويساراً ويبدو أنني في ساحة معركة مليئة بالجثث أموات جثث بدون نهاية! سرت إلى الأمام كالعادة باحثاً عن بطل كابوسي حتى وصلت إلى كوخ يقع في منتصف الساحة، توجهت إليه حتى وصلت إلى الباب كنت أسمع صوت أحد ما في داخل الكوخ؟ ورغم ذلك فتحت الباب بهدوء، أصدر صوت صرير مزعجاً وقاتلاً، دخلت بخطوات حذرة إلى داخل الكوخ الصغير الذي لا تتعدى مساحته غرفة متوسطة الحجم، تجولت بعينيّ في أرجاء المكان كان الكوخ فارغاً وهادئاً ومظلماً وبارداً وخانقاً كنت أرغب بالخروج لأن كل شيء واضح أمام نظري لكن استوقفني صوت قادم من أسفل قدميّ كان الصوت قادماً من قبو أرضي! ألن تنتهي من هذه الأقبية؟ يبدو أنها نقطة ضعفي ولكن لا أرغب بالاعتراف! فتحت باب القبو والذي كان يشبه قبوي في منزلي الجديد الآن باب سري في أرضية الغرفة يؤدي إلى قبو تحت الأرض، نزلت بهدوء لكن كان القبو مظلماً جداً، بحثت عن مفتاح الإضاءة حتى وجدته وما

إن شغلت الإضاءة أضاء كل القبو حتى رأيت أشخاصاً أعرفهم!! خالتي وزوجها المسخ وأطفالهما الثلاثة والمحقق الحقير والطبيب ومدير المدرسة! هذا يعني جميع الأشخاص الذين أكرههم! التفت على يسارهم لأجد المعلمة تجلس بكل رقة وجمال ومثالية وكأنها ملاك هبطت للتو من السماء، نهضت من مكانها وبدأت تدور حولهم كانوا يبدون وكأنهم تم تنويمهم مغناطيسياً! ثم نظرت إلي بابتسامتها المشرقة قائلة:

أهلاً «أندرو» لماذا تأخرت عن الدرس اشتقت إليك لذلك أول درس ستأخذه هل تعرف ما هو عنوانه؟؟

قلت بتردد:

ما.. ما هو؟؟

نظرت إليهم بابتسامة تحولت من ابتسامة جميلة مشرقة إلى ابتسامة شيطانية مخيفة وقالت:

عنوان درسنا اليوم هو: «كيف يأكل الوحوش بعضهم بعضاً»؟

انظر أنت فقط وتعلم لأنه بعد الدرس سيكون هناك اختبار عملي..

لم أتحدث واكتفيت بالتعجب ماذا ستفعل؟؟

- وما أن انتهيت من سؤالي أتاني الرد سريعاً وقالت:

- هيا كلوا بعضكم بعضاً!!

وفي مشهد مزعج ومفزع ومقزز بدأ السبعة في أكل بعضهم بعضاً كانت خالتي تلتهم ابنها الأصغر وهو ممسك بأخيه الأكبر ويلتهمه وزوجها يلتهم مدير المدرسة! ومدير المدرسة يلتهم المحقق! والمحقق يلتهم خالتي وهكذا!! عمت الفوضى وتناثرت الدماء وكانت المعلمة تضحك بهيسترية وتدور وترقص حولهم! أما أنا الذي كنت في البداية أتباهى بعدم الخوف إلا أنني الآن بدأت بالارتعاش بشدة لدرجة أشعر بأن جسدي على وشك الطيران! العرق يتصبب مني، أنفاسي أصبحت ثقيلة وكأنها تحتضر، عيناي مستمرتان بالدوران مع دوران المعلمة بجنون حتى بدأت أشعر بدوخة! وفجأة انقطع الضوء وعمّ الهدوء!!..

وما زلت أقف متسمراً في مكاني لا أسمع إلا صوت أنفاسي حتى شعرت بشيء يلمسني من الخلف! كانت يد المعلمة الباردة لطالما كانت جثة باردة، اقتربت من أذني قائلة بصوت هامس:

- حان الآن وقت التطبيق يا طفلي المجتهد عليك أن تأكل أقرب وحش بجانبك لكي تحصل على العلامة الكاملة..

ثم استوعب كلماتها إلا وشعرت بأسنانها تنغرز في رقبتي محاولة أن تأكلني! وهنا صرخت من شدة الألم واستيقظت أخيراً من هذا الكابوس الذي ظننت أنني سأتمكن منه، لكنه تمكن مني! الكابوس الذي ظننت أنني سآكله، لكنه أكلني!! وهل الكوابيس تأكل؟..



٢٨ يناير..

أيها الجنون أتريد أن تنفذ إلى أغوار أفكاري؟ أيتها الوحوش أتريدين أن تأكلي أحشائي؟ أيها الحزن أيتها الوحدة لماذا أنتما دائماً ملازمان لي؟ أيتها الأشياء البشعة وجميع الأشياء البشعة لماذا تزدادين بشاعة في نظري؟ لماذا الجميع يسألون عن الوحش؟ ولا يسألون لماذا صار وحشاً؟! لماذا علينا أن نصبح وحوشاً لكي نأكل وحوشاً آخرين؟ أين الضوء الذي لم أره أبداً في حياتي! يسألونني لماذا أنا ظلام؟ لأنني خلقت في الظلام وعشت في الظلام ومت في الظلام؟ لا شيء يلفت انتباهي غير الأشياء البشعة والمرعبة إنني اعتدت الرعب حتى صار معتاداً علي، أين النظام أين الأمان أين الحرية أين السلام أين الحب أين الرحمة أين العاطفة؟ كل ما عرفته في حياتي هو فقط عكس هذه الأشياء المزيفة، لقد سرت في طريق الخوف والرهبة، لكنني الآن لا أخشى ما ينتظرني، بالنسبة لكل الوحوش في الحياة لم تعد تهمني لأنني الآن أصبحت أكثر وحشية منهم، روحي مجروحة، قلبي ممزق، لكن في الظلام ولدت من جديد والآن سوف أتجول حيث يخشى الآخرون، من خلال الظلال، حيث تراكم الوحوش. فلتأتِ الوحوش، لتأتِ بكل قوتها، لأني لم أعد محتلئاً بالرعب، وأصبحت أنا من يملأ الرعب، لقد واجهت

مخاوفي وواجهت الليل، وفي الظلام، وجدت نورتي. فليكن الظلام صديقي وعائلتي، لأني في الليل سأقف، وسأبقى وحشاً مفترساً. لوني داكنٌ، لأنني الآن أحتضن الظلام،لأني فيه وجدت قوتي، وفي الظلام رسمت أولى لوحاتي...

الشر يعم والخير يخص هذه المقولة طبقتها بحذافيرها في حياتي كما طبقت علي تماماً، ما زلت أشعر بالنار في صدري، ما زلت أشعر بالجوع ولا يشبعني إلا طعم الدماء ورؤية الخوف في أعين البشر، ما زلت أرغب بصنع لوحات أسمع من خلالها صرخات ألم! لا أحد يستحق أن يعيش عيشة هنيئة وأمثالي وأمثال غيري يتم دوسهم كل يوم في أحد جُحُم الأرض، يجب أن تعيش كلنا الحياة نفسها حياة واحدة إما جحيماً أو جنة..

فتحت عينيّ على صوت المنبه الذي قمت بتعديله سابقاً على الساعة الثامنة صباحاً! نهضت وقمت بإطفائه بعدها توجهت إلى الحمام قمت بغسل وجهي، رفعت وجهي إلى المرآة إذ أشاهد نفسي أنا «دانيال» شكلي الحقيقي فأنا لم أعد أرى وجه الصبي ليامز المشوه! ابتسمت لنفسي وخرجت ارتديت ملابسي التي جهزها لي روجس ولبست القناع يجب أن أعامل نفسي كـ ليامز أفضل حتى يأتي الوقت، خرجت لأجد روجس وتالي يتناولان الإفطار نظرا إلي باستغراب لأنني عادة لا أخرج وقت الإفطار أبداً ولكنني أخبرتهما بأننا يجب ألا نتأخر عن المعرض وسأنتظرهما في السيارة، اتبعني السيد روجس وتالي إلى السيارة وتحركنا متوجهين إلى المعرض، طوال الطريق أتأمل تلك

المدينة الضخمة والمزدحمة والجميلة والأكثر تطوراً! شعرت نفسي بأنني انتقلت عبر آلة الزمن إلى المستقبل بهذا الجسد الصغير في السن إذاً لماذا أقوم بحبس نفسي مع رجل عجوز!؟ يجب أن أستمتع..

هل أنت متحمس لرؤية ماريا؟؟

داهم أفكاري سؤال روجس..

وهل هذا سؤال؟! طوال تلك السنوات وأنا أنتظر هذه اللحظة المميزة..

ثم عدت بنظري إلى النافذة وأكملت حديثي:

برأيك يا روجس من ستكون تشبه؟؟

روجس باستغراب:

روجس؟؟

ماذا أليس هذا اسمك؟

بالطبع اسمي لكن هذه المرة الأولى التي تناديني فيها روجس فقط بدون سيد

لأنك لست سيدي ولست سيد أحد!..

تعجبت ملامح روجس لطالما كان ليامز أو أندرو جافاً معه لكنه كان يعامله باحترام..

أوه بالطبع أنا لست سيد أحد وهذا يسعدني.. وبالنسبة لسؤالك بالتأكيد ستكون ماريا تشبه والدها..

أي والد تقصد؟

توتر روجس من هذا السؤال واستغربت نتالي بصمت!

روجس وهو يحاول أن يخفي توتره:

بالطبع والدها أنت..

ولكن أنا لست والدها!

ماذا تقصد؟

ما أقصده أنتي ليامز هل يكون ليامز والد ماريا؟

روجس وهو ينظر إلى نتالي بتوتر:

ما هـذا المـزاح الغريـب الآن مـع هـذا الصبـاح؟ دعنـا نؤجـل حديثنا فيما بعد أنت تعرف أن نتالي لا تعرف أي شيء..

قلت بسخرية:

صحيح آسف لقد نسيت..

عمّ الصمـت بيننا حتـى وصلنـا إلى المعـرض، مـا أن ترجلت من السيـارة شـعرت بحنيـن قاتـل لهـذه الأجـواء المعـارض واللوحات وروائـح الألـوان، وازدحام النـاس على اللوحـات والرسـومات التي تضيء مـن كل زاويـة، قابلنـا صديق نتالـي يدعى سـام كان شـاباً غبياً متحمساً ثرثر جـداً لـم أحتملـه دقيقة واحـدة، ظـل ينظر إلـى قناعي الـذي ألبسـه علـى نصـف وجهـي ثـم قـال بعـد أن نظـر إلـي مئة وعشرين مرة:

لقد أحببت هذا القناع من صنعه لك؟

قامت نتالي بضرب قدمه لكي لا يسأل أي شيء آخر ويغلق فمه لكنني أحببت أن أجاريه قليلاً:

هل تريد مثله؟؟

التفت الشاب إلي بتعجب قائلاً:

ظننت أنك لن تتحدث معي..

لماذا؟ صحيح أنني مشوه لكن ما زلت أملك لساناً..

أوه آسف سيدي لا أقصد ذلك لقد فهمتني بشكل خطأ!

لا عليك هناك الكثير من الأمور الخاطئة في هذا العالم..

وصل الموظف الذي معه بطاقات المعرض وأعطاها لسام بينما سام أعطاه القليل من النقود وشكره.. قال ملوحاً بها وهو سعيد:

ها هيا بطاقتكم لقد وصلت تفضلوا أعطاني أنا بطاقة وروجس واحدة ونتالي واحدة، ما لاحظته في بطاقتي كان اسمي مزيفاً باسم «مورف»! ما هذا الاسم الغبي؟ بينما نتالي وروجس بأسمائهما أنفسها! دخلنا أخيراً إلى المعرض وهنا انبهرت كثيراً لدرجة نسيت كل الأشياء البشعة في حياتي، المعرض كان مثل الحلم وكأنه قصر مستوحىً من لوحة اسكتلندية كل شيء هنا يشع بالبياض واللون الذهبي، الكثير من اللوحات الجميلة المرسومة بكل إتقان ومشاعر وفرح ومعاناة، كل الأشياء الجميلة وجدت هنا!! هل رأيت؟ سمعت صوت دانيال في رأسي وهو يحدثني، هل رأيت كيف حرمت نفسك؟ هل اشتقت إلى هذه الحياة؟ دانيال الرسام العالمي المشهور الذي يبيع كل لوحة بملايين!

قاطع أفكاري وانبهاري صوت اثنين صحفيين يتحدثان كانا يقفان خلفي:

هل ستكون موجودة اليوم؟

لست واثقاً! هل نسيت؟ دائماً ما تؤكد حضورها لكنها في نهاية الأمر لا تأتي؟؟

لا أحد حقاً يعرفها اليوم الجميع هنا من أجلها لوحاتها مشهورة جداً من الغريب أن لا تظهر نفسها..!؟

الصحفي الثالث يشارك بسخرية:

أظن أنها وحش مثل رسوماتها تماماً لذلك ترفض الخروج استعدا بكاميراتكما من الممكن أن نقابل مسخاً بعد قليل..

ضحك الثلاثة بشكل مستفز ومقرف! لكن وقتها استطعت أن أمسك نفسي فأنا لست عاطفياً مثل أندرو، وقلت بابتسامة: ستتحدث فيما بعد! بدأ الفنانون يتوافدون لشرح لوحاتهم للإعلام والمعجبين، طفت بنظري على المكان الدائري أو قاعات اللوحات إذ وأخيراً لمحت ثلاث لوحات يشع منها الظلام والسواد والرعب والخوف علمت بأنها لوحات ماريا! لوحات قادمة من كوابيس حقيقية! توافد الجميع والصحافة إلى منصة ماريا، بعدها سمعت كلماتهم تتردد:

لقد أتت، لقد وصلت!

التفت نحوهم وأول شيء رأيته هو مديرة أعمالها «روجينا» عرفتها فوراً لأنها كانت تضع صورها في مواقع التواصل

الاجتماعي، بعدها دخلت امرأة في الخمسين من عمرها لكنها تبدو في العشرين مع جسدها المتناسق وشعرها المموج المائل إلى اللون البني الداكن، وجهها الدائري عينيها الجميلتين! إنها أول وآخر امرأة أحببتها في حياتي إنها زوجتي ووالدة ماريا..

ما أن رأيتها بدون أن أشعر تعديت الحشود ووقفت في الأمام ولو لم يمسك بي الأمن ويطلب مني أن لا أتقدم أكثر كنت وصلت إليها واحتضنتها، أخيراً أطلت علي نور عيني وضوئي المشع الوحيد في حياتي، والأمل الذي عدت من أجله إلى الحياة، أخيراً أنا أرى ابنتي ماريا التي أصبحت شابة جميلة وكأنها قطعة من الجنة، هذه الفتاة هيَ لوحتي الجميلة الوحيدة بين لوحاتي البشعة..

رأيتها وشعرت بأنني عشت من جديد، رأيت جمالها وابتسامتها وعينيها ورموشها الطويلة وملامحها الطفولية ولونها الأسمر هيَ حقاً هربت من لوحة رسام يرسم فقط الجمال لا شيء غير الجمال..

شعرت بيد تسحبني بينما أنا كنت مبتسماً وسارحاً في رؤية ابنتي، التفت لأرى روجس يقول بصوت خافت:

لا تتقدم أكثر هناك كاميرات تقوم بالتصوير أخشى أن تظهر في صورة!

ولماذا هل أنا مذنب؟؟

روجس يتوتر:

لا لماذا اليوم تتصرف هكذا وتسألني أسئلة غريبة؟.

لأنني لا أفهم لطالما أنت ومارا كنتما وما زلتما تقومان بدفني وإخفائي لماذا إذاً عدت إلى الحياة إذا كنت سأدفن مرة أخرى؟؟

هذا ليس وقت هذه الحوارات الآن لقد رأيت ابنتك دعنا نذهب..

سحبت يدي من يده وقلت وأنا عائدٌ مكاني:

لن أذهب إلى أي مكان ومن اليوم توقف عن إلقاء الأوامر علي لا تنسَ أنا لست في العشرينيات أنا في الخمسين من عمري..

تركت العجوز خلفي في حيرته وبقيت أراقب نور حياتي بدت جميلة أكثر وهيَ تشرح رسوماتها المرعبة مستعينة بوالدتها التي من الواضح أنها تقوم بتهدئتها لأنها متوترة! وفي أثناء لقاء الصحافة مع ماريا وعندما كانت صريحة بزيادة وقالت إن جميع رسوماتها من كوابيسها، سمعت الكثير ممن يسخرون ويقولون بأنها تبحث عن التفاعل والمال والشهرة! شعرت بأنني أريد أن أقتلهم جميعاً هنا في مجزرة ينتج منها نهر جارٍ من الدماء!

ماذا قلت؟؟

عفواً آنسة ماريا لم أقل شيئاً!

سمعت هذا الحوار عندما سمعت في الوقت نفسه كلمة غريبة وبلغة أخرى: «بعل فغور» وهيَ تعني «الموت»!! لقد سمعتها ماريا وكانت تظن أن المذيع قالها؟ ولكن من قالها؟

بدأت أبحث بعيني كالمجنون بين الحضور المزدحم، حتى لمحتها!! هي تلك الحقيرة الشيطانة الساحرة تقف في منتصف الحشد بابتسامتها البيضاء وأحمر الشفاه لونه كالدم! وفستانها الأسود وطلاء أظافرها الأحمر، لم أرَ هذا الوجه البشع منذ سنوات وكانت آخر مرة رأيته فيها عندما هشمته بالفأس حتى أصبح رأسها كالعجين المتعفن! نظرت إلي مباشرة وكأنها نظرة تهديد وتحدٍ بأنها أصبحت تستطيع الوصول إلى ماريا، لم أستطع أن أمسك نفسي لذلك انطلقت أدفع الناس بين الحشود محاولاً أن أصل إليها، ركضت ولكن تزاحم الناس أخرني كثيراً حتى رأيتها تدخل باباً ضخماً من ضمن مبنى المعرض، فتحت الباب ودخلت كان المكان فارغاً وهادئاً ويبدو عليه علامات التجديد أي إنهم ما زالوا يقومون بتجديد هذه الجهة من المبنى، كانت هناك العديد من أكياس البلاستيك الخاصة بتغطيات أماكن البناء غير المنتهية. كان المكان به هدوء مرعب تقدمت بخطوات حذرة إلى داخل الأكياس البلاستيكية، أبعدت من وجهي الكيس الأول وسرت عبر الكثير منها كانت تحجب الرؤية تماماً، ولكنني استمررت بالتقدم حتى لمحت أحداً ما يسير من خلف بعض الأكياس كانت أمامي مباشرة، سرعت خطواتي أكثر لأن الشخص الذي كان يسير كان مبتعداً، اتبعته أكثر بخطوات سريعة تخطيت كيساً خلف كيس حتى وصلت إلى ساحة بناء، تلفت يميناً ويساراً وأنا أحاول أن ألتقط أنفاسي لأنني سرت كثيراً، لقد اختفى تماماً الشخص الذي كنت أتبعه وفي لحظة أثناء تفكيري

بالعودة إلى المعرض سمعت صوتاً! عدت والتفت خلفي كان لا يوجد أحد لكن الصوت ما زال يزداد إنه صوت حديد يضرب بعضه في بعض!! رفعت رأسي إلى الأعلى إذ أرى مجموعة أعمدة حديدية متجهة سقوطاً نحوي!! استسلمت تماماً ولكن فجأة سحبني شخص من مكاني وأنقذني، نهضت من على الأرض بعد أن سقطت أعمدة الحديد وأحدثت ضجة كبيرة بأصواتها في المكان، التفت لأرى منقذي إذ رأيته عامل بناء ناهضاً وهو يمسك بالقبعة الصفراء التي على رأسه:

ماذا تفعل هنا أيها الشاب؟ المكان خطر لا يفترض أن توجد هنا!!

نفضت الغبار من على ملابسي وعدت إلى السيارة أنا حتى لم أعد إلى المعرض، اتصلت بروجس ونتالي اللذين كانا يبحثان عني، أتيا إلى السيارة بتعابير كلها تساؤلات، روجس:

أين كنت؟ ماذا حدث؟ قال سام بأنه رآك تركض متجهاً نحو الجهة الأخرى للمعرض!!

لنبقَ هنا فقط..

روجس بتعجب:

هنا أين؟

لنبقَ هنا في المعرض حتى تخرج ابنتي هل تفهم؟

نعم أفهم لكن أخبرني ماذا يحدث؟

رأيت تلك المشعوذة هنا أصبحت قريبة جداً من ابنتي لن أدعها تنفذ انتقامها..

حسناً كما تشاء سننتظر حتى تخرج..

انتظرنا تقريباً حتى قرب المساء بعدها خرجت ماريا ووالدتها وصديقتها، ما أن أراها فقط أبتسم بدون شعور، صعدت هيَ ووالدتها ومديرة أعمالها وانطلقن بالسيارة بعدها أدرت مفتاح السيارة وانطلقت خلفهن..

وصلن إلى مطعم وأتى من بعدهن بعض صديقات والدتها على ما يبدو أخبرت روجس بأنني لن أتحرك حتى ينتهي يومهن، وبالفعل انتهى الاحتفال لديهن وخرج جميع الضيفات وغادرن المطعم ولم يتبقَّ إلا ماريا ووالدتها وسائقهما يحزم الأغراض والهدايا في السيارة..

روجس:

على ما يبدو انتهى يومهما وهما مغادرتان الآن، دعنا الآن نغادر...

قلت وأنا عيناي تراقبان مدخل المطعم كنت أشعر بأن هناك شيئاً! رأيت والدة ماريا تخرج وتدخل وهيَ توجه السائق يحمل الهدايا لكنني لم أرَ ماريا، بعدها رأيتها!! ليس ماريا بل رأيت تلك الساحرة ذات الرداء الأسود تدخل إلى المطعم وبحكم أنه قرين لا أحد يستطيع رؤيتها إلا أنا، ترجلت بسرعة من السيارة بدون أن أخبر روجس كالعادة وهو ينادي بصوت خافت :

ليامز انتظر إلى أين تذهب؟؟

ركضت بسرعة لكنني توقفت على آخر لحظة عند المدخل الرئيس للمطعم، لا أستطيع الدخول منه ما لم يكن لدي حجز

وما إلى ذلك بحكم أنه مطعم مرموق والوقت متأخر والمطعم على وشك الإقفال، لذلك توجهت إلى المدخل الخلفي حتى وصلت إلى باب من الخلف على ما يبدو للموظفين خرج منه موظف وهو يحمل بعض الكراتين الفارغة متجهاً بها إلى النفايات وكان يتحدث بالهاتف أي أنه مشغول لن يشعر بي إذا دخلت تركت الباب مفتوحاً وما أن ابتعد قليلاً ركضت بخفة باتجاه الباب وأمسكته قبل أن يغلق في آخر لحظة ودخلت، بعدها من حسن حظي كان المكان فارغاً دخلت عبر ممر إلى سلالم حتى وصلت إلى المطعم، ثم لفت انتباهي لوحة حمامات النساء لم أكن سأدخلها لو لم أسمع دندنة تلك المشعوذة التي كانت دائماً تغنيها! سمعت صوتها قادماً من دورة المياه للنساء فعلمت أن ماريا بالتأكيد في الداخل وتلك المشعوذة خلفها، سرت بخطوات حذرة حتى وصلت إلى الباب ودفعته!!

دخلت إلى المغاسل المصطفة كان المكان فارغاً وكان حمامٌ واحد مغلقاً علمت بأن ماريا بالداخل، لكن ما شد انتباهي كتب على إحدى المرايا:

«ارسمي جيداً لتحظي بكوابيس جيدة»!!!

شعرت بغضب يشتعل في داخل جسدي كاللهب، تلك الساحرة كيف تجرؤ على تهديد ابنتي؟؟ لذلك تصرفت بسرعة وسحبت الكثير من المناديل وبللتها بالماء ومسحت ما كتب على المرآة بسرعة قبل أن تخرج ماريا وما أن انتهيت قررت الخروج والعودة إلى السيارة، لكن قبل ذلك شعرت بأنه يجب أن أضع لها

شيئاً كهدية ميلادا لم يكن في يدي شيء غير قداحتي المفضلة تلك القداحة الغريبة التي حصلت عليها من أحد المحلات الغريبة في إحدى الدول عندما كنت دانيال الرسام المشهور، لذلك أخرجتها من جيبي ووضعتها على المغسلة وخرجت.. كنت أعرف تماماً أنها ستأخذها لأنها فضولية مثل والدها تماماً.

عدت إلى السيارة إذ رأيت ماريا تخرج من المطعم مع والدتها تحدثتا مع المدير الخاص بالمطعم وعلى ما يبدو قامتا بشكره وغادرتا بعد أن غادرتا اطمأننت وتوجهنا إلى المنزل، وصلنا إلى المنزل بعد يوم طويل مليء بمطاردة تلك الساحرة كنت أحاول تجاهل زوجي لكنه أوقفني وهو يقول بغضب:

ما خطب تصرفاتك اليوم؟ أرغب بتفسير؟

ولماذا؟ هل هذا ضروري؟؟

بالطبع ضروري يا ليامز لقد تصرفت بتهور عدة مرات اليوم..

بالطبع لأنني رأيت تلك الشيطانة تحوم حول ابنتي، كيف تريدني أن أتصرف بينما أنت وشيطانتك مارا لم تقوما كما وعدتني بحماية ابنتي، يبدو أنكما لا تستطيعان حتى مواجهة قرين ضعيف كهذا؟!!

مارا إلى الآن لم تتواصل معي وهيَ أخبرتني بأنها ستبحث عن اسم تلك المشعوذة لكي تستطيع قتلها.!

وهل تظن أن مارا الآن تبحث ومهتمة جداً بهذا الأمر؟ بالطبع لا، أنا من سيقتل قرين تلك المشعوذة كما قتلتها هيَ في الماضي..

قال روجس بحزن:

لا يمكن أن تتهم مارا بهذا الشكل! مارا هيَ من قامت بمساعدتك طوال حياتك منذ أن كنت أندرو ثم دانيال ثم ليامز..

عدت إليه والتصقت بوجهه وقلت له:

لم يساعدني أحد أنا من سحب نفسي من قاع الجحيم، مارا لم تقدم لي إلا المساعدة على خلق شيطان وحش مثلها وهيَ من دفعتني إلى قتل كل هؤلاء الناس الذين قتلتهم.. كل ما تبحث عنه مارا هو مصلحتها فقط تخلق الكوابيس في عقول الناس لكي يضعفوا ويستسلموا لطاعتها! لذلك لا تظنني في يوم أنني سأقوم بشكرها..

أنهيت كلامي ودخلت إلى غرفتي وأغلقت الباب..

توجهت فوراً إلى المرآة لأرى نفسي بشخصية دانيال ابتسم دانيال الذي في المرآة وهو يقول:

أنت تسير على الطريق الصحيح لا تسمح لأحد بأن يقمع هويتك الحقيقية ومن تكون أنت، لا تنسَ أبداً أنت هو أنا وأنا هو أنت لا وجود لثالث..

بدلت ملابسي وارتديت ملابس النوم، دخلت إلى المكتب لكي أتفاجأ من المنظر الذي رأيته!! كانت اللوحة البيضاء الفارغة التي تركتها بالأمس ولم أستطع رسم أي نقطة فيها، الآن أصبحت تكتسي رسمة مشهد عيد الميلاد المقرز بالكامل!! مستحيل من قام برسم هذه الرسمة؟ أنا لم أفعل ذلك؟؟ ومتى فعلت ذلك؟ لا أتذكر أبداً!

هناك أمور لا تستطيع تفسيرها!؟

أتى صوت مارا من خلفي، التفت لأجدها هذه المرة تجلس خلف مكتبي!

رائع كنت أنتظر قدومك..

وها أنا لبيت طلبك..

ماذا حدث مع اسم تلك المشعوذة؟ هل تعرفين أنها اليوم كانت طوال الوقت تحوم حول ابنتي؟! أم يبدو ليس لديك أي نية للبحث عنه!

قالت ببرود:

لقد أخبرني روجس بأنك أصبحت تتصرف تصرفات غريبة لذلك..

لم أدعها تكمل وقاطعتها:

جاسوسك تقصدين! والآن أحضر جاسوسة أخرى؟ أنا أعرف أنكم طوال هذه السنوات لم تقوموا بحمايتي أبداً وكل ما تفعلونه هو احتجازي ومراقبتي والتحكم بي وكأنني تجربة لكم..

داهمتني بسؤالها:

لقد عدت إذاً!!

ماذا تقصدين؟

أنت دانيال.. هل تظن أنني لا أعرفك؟ لقد عرفتك منذ الطفولة منذ أن كنت أندرو وحتى أصبحت ليامز أعلم جيداً في كل مرة من تكون..

نعم لطالما كنت دانيال وهل حقاً ترغبين في تقديم خدماتك لي بمقابل أن تجعليني كل ليلة أموت في كابوس بينما لا تقدمين لي أي شيء في الواقع.

مارا وهيَ تنهض من خلف المكتب:

لا يمكنك أن تكون جاحداً لهذه الدرجة لا تنسَ أنني قدمت لك أفضل خدمة في الحياة والتي لا يستطيع أن يحصل أي مخلوق في الأرض عليها وهيَ العودة إلى الحياة..

قلت متنهداً:

وما الفائدة من عودتي؟ أنا أعتبر بهذا الوجه المشوه كالمسخ! نعم هذا صحيح لقد أعدتِني إلى الحياة إذاً لن يكون عليك صعباً أن تقومي بشفاء وجهي أليس كذلك؟

مارا وهيَ تقترب مني وهذه أول مرة تقوم فيها بالاقتراب مني بهذا الشكل وضعت يدها على وجهي، ومررت أصابعها على شعري وهمست في أذني:

بالتأكيد هذا سهل بالنسبة لي أستطيع أن أعيد وجهك كما كان لكن أنت تعلم لكل شيء مقابل، طوال هذه السنوات اعتنيت بك ولكن لم تقم بشكري حتى ولو لمرة واحدة!

وما هو المقابل الذي تريدينه هذه المرة؟

قالت وهيَ تقترب مني أكثر لدرجة أصبحت أشعر بكل نفس تخرجه:

أريدك أنت!! بعد أن قبلتني دفعتها للخلف:

ماذا تفعلين؟ هل تعرفين من تكونين أنتِ ومن أكون أنا؟؟

أعلم بالطبع هل هذا تعالٍ؟ للأسف البشر دائماً متعالون وكأنهم أنقى المخلوقات على وجه الأرض..

ماذا تقصدين؟ وأنتِ أيضاً كنتِ بشراً في يومٍ ما، لكن الآن أنتِ ميتة ولا يهمني ما أصبحتِ عليه..

مارا وهيَ تعاود الاقتراب مني:

وماذا عنك ألست أنت أيضاً ميتاً يا دانيال؟!

لا تحاولي أن تلعبي بعقلي أنا حي وأنتِ تعرفين ذلك جيداً..

بما أنك حي أثبت ذلك إذاً.!

ماذا تقصدين؟

اشعر بقلبك ينبض عندما أقترب منك.. تخلَّ عن غرورك ماذا لو اتحدنا نحن الاثنان؟ نستطيع أن نسيطر على كل قوة في العالم بسيطة كل ما أريده أنت وبعدها سيشفى وجهك وستكون ماريا في أمان وستحصل على اسم تلك المشعوذة القبيحة لكي ندمرها، ألم تشعر بالملل من التعفن خوفاً ورعباً من كل تلك الكوابيس؟ حان الوقت لكي نتعفن حبّاً! أغمضت عيني وسلمت نفسي لمارا سبق وأن سلمتها روحي والآن جسدي..

«أسوأ أنواع الكوابيس؟ هو عندما تكون أنت الكابوس!؟»

أبي!!

أبي!!

فتحت عينيَّ على صوت ماريا! كانت تناديني نهضت من مكاني لأجد نفسي في مستشفىً مهجور على ما يبدو، السكون والهدوء والأوساخ والأتربة تسيطر عليه، الأضواء مكسرة إلى أجزاء وبعضها خافت وبعضها يرمش، كنت أشعر بالدوار الشديد والرؤية لدي ضبابية وألم في الرأس! سرت لا أعلم عبر أي طريق وأنا أترنح كالثمل ولكن بدون مشروب، استمررت بالسير أحاول أن أعرف من أين يأتي صوت ماريا؟ حتى وصلت إلى باب مزدوج كبير يبدو وكأنه مدخل غرفة عمليات، دفعت الباب مترنحاً توقعت أن يستقبلني الظلام ولكن استقبلني ضوء شديد البياض، أصوات أجهزة المستشفيات، أصوات أطباء وكان حديثهم واضحاً في أذني:

أعطيني المقص..

أيها الطبيب نحن نواجه نزيفاً حاداً!!

أيها الطبيب سنفقد المريض؟

لحظة شيء ما يخرج من رأسه!!؟ هناك شيء ما يخرج هل نزيله؟؟

احذروا تراجعوا إلى الخلف!!

ثم لا شيء بعد صراخهم اختفت الأصوات عادت الغرفة معتمة مهجورة خالية من الحياة تماماً!!

لا أعرف من هم؟ ولكن على ما يبدو كل هذه زوبعات بالفعل زوبعات غير مفهومة وغير مفسرة، فقط تأكل في الرأس وتسرق العقل.

أبي!!

أتى صوت ماريا مرة أخرى خرجت من الغرفة توجهت عبر ممر طويل سرت في ذلك الممر وأشعر أنه كلما أوشك على الانتهاء ازداد طولاً أكثر، ما زلت أسير بدون نهاية وأنا أسمع صوت ابنتي تارة يقترب وتارة يبتعد دائماً لا أستطيع الوصول إليها لماذا؟؟ حتى وصلت إلى باب كتب عليه:

«ثلاجة الموتى»

بالطبع هذا ما كان ينقصني، أعلم جيداً أن سيناريو الكابوس يقول كذلك لذا يجب أن أدخله حتى ينتهي هذا الكابوس وأعود إلى الواقع، دفعت الباب بهدوء استقبلني الهواء البارد جداً وضوء خافت، ما أن أصبحت بمنتصف القاعة أغلق الباب بقوة وحده! بدأ قلبي بالخفقان أطرافي أصبحت باردة جداً لا أعلم هل لأنني في ثلاجة أو من شدة الخوف؟ وعلى ما يبدو كلا السببين..

الثلاجات مصطفة يميناً ويساراً وجميعها مغلقة، فجأة انفتح باب الثلاجة رقم ثلاثة عشر، تراجعت للخلف وأنا محتضنٌ نفسي بيديّ من شدة البرد، بعدها انفتح باب آخر وبعدها باب ثالث ورابع وخامس أصبحت الأبواب تنفتح بقوة وتضرب

بعضها في بعض مصدرة أصواتاً مزعجة لم أتحمل أصوات ... الثلاجة الحديدية وضعت يدي على أذني وجلست أرضاً ... مغمضة عيني!! حتى فجأة عم الهدوء وكنت أعلم جيداً بأنه هدوء قبل العاصفة الحقيقية! فتحت عيني ووقفت على قدمي ... إلى الثلاجات المفتوحة إذ يخرج منها جثث:

الثلاجة الأولى خرجت منها امرأة كانت بدون يد وتمسك يدها ... الأخرى وابتسامتها مشقوقة من الأذن اليمنى حتى اليسرى!

الثلاجة الثانية خرجت منها امرأة أيضاً برقبتها المكسورة وقدميها المكسورتين مما أدى إلى خروجها من الثلاجة وهي تزحف متوجهة نحوي!

الثلاجة الثالثة خرج منها رجل بدون رأس وكان رأسه يمسكه في يده!

استمر خروج الجثث المرعبة من الثلاجات وجميعهم قادمون نحوي! لم أحتمل هذا المنظر قلبي سيتوقف إذا لم أتصرف حالاً، ركضت بسرعة نحو الباب حاولت فتحه لكنه كان مغلقاً بإحكام، الجثث تزحف خلفي وكأنها ليلة من ليالي عودة الأموات إلى الحياة! لا يوجد مكان أختبئ به ومن شدة الخوف لم يكن لدي خيار آخر اخترت أسوأ مكان وهو المكان الوحيد الموجود! ركضت نحو ثلاجة فارغة ودخلتها بسرعة وأغلقت الباب..

عم الهدوء في الخارج، أصبحت لا أسمع سوى صوت أنفاسي! وصوت نبضات قلبي يكاد أن يكون صوت طرق باب من قوته!

البرودة مجنونة بالداخل لكنني ما زلت أتعرق من الخوف، مضت تقريباً عشرون ثانية منذ أن قررت الخروج شعرت بيد تمسك جسدي ثم يد أخرى فجأة بعد أن كنت مستلقياً في الثلاجة وحدي أصبحت مستلقياً فوق جثة أو أحد ما خرج من العدم من تحتي!؟ احتضنتني الجثة وأمسكتني بقوة لدرجة شعرت بأن عظامي ستحطم! أصبحت أصرخ وأدفع بقدميّ باب الثلاجة بقوة على أمل أن يفتح لكن بدون فائدة، الألم يعتصر عظام جسدي والجثة تحتضنني بقوة حتى شعرت بأن قلبي سيتوقف من شدة الضغط!! أخيراً شهقت شهقة الاستيقاظ واستيقظت وأنا أصارع أنفاسي والألم..

نهضت وأنا أترنح وأشعر بأنني على وشك الغرق التفت لأجد نفسي في حوض استحمام مليء بالدماء!؟ اللعنة ألم ينتهِ الكابوس؟ هل انتقلت إلى كابوس آخر؟ ولكن هذا حمام غرفتي هذا يعني أنني في المنزل! نهضت من حوض الاستحمام وكنت تماماً بدون ملابس! اغتسلت من الدماء والتقطت المنشفة وخرجت وارتديت ملابسي على عجل، خرجت من الغرفة رأيت المنزل كما هو وكل شيء طبيعي، كان التوقيت الخامسة فجراً، لذلك توجهت إلى غرفة روجس لم أجده إنه يستيقظ مبكراً جداً خمنت أنه سيكون في المطبخ لذا ذهبت إلى المطبخ وبالفعل وجدته يجهز القهوة والإفطار وما أن رآني:

أهلاً صباح الخير يا سي...!!!

أسقط روجس الكوب الذي كان يحمله! واختفت الابتسامة من على وجهه!

روجس ما خطبك؟؟

روجس بعينين متسعتين ووجه شاحب وكلمات متلعثمة:

رو... و... وجهك!!

عندما قال روجس هذه الكلمة توقف الدم في عروقي! وجهي هل هو ازداد تشوهاً أكثر من التشوه الذي هو فيه؟؟

ما خطب وجهي؟ تحدث؟

لم أنتظر رد روجس وركضت متجهاً إلى غرفتي، صادفت أختي استيقظت للتو خارجة من غرفتها وكنت منتظراً ردة فعلها أيضاً بالفعل تجمدت الفتاة في مكانها وهي تنظر إلى وجهي! عندها جزمت بأن وجهي ازداد سوءاً، تجنبت نتالي ودخلت إلى غرفتي ووصلت أخيراً إلى المرآة ما أن رأيت وجهي صعقت تماماً وكانت المفاجأة!!

إن وجهي أصبح خالياً تماماً من كل التشوهات التي عشت بها عشر سنوات! الحرق البائس المقزز اختفى تماماً من وجهي وكأنه لم يكن يوماً! أصبحت أستطيع أن أرى وجه «اليامز» الشاب بالكامل بدون أي عيب! إنه أوسم مما توقعت، أصبحت أرى بشرته البرونزية الصافية بوضوح غمازته الأخرى ظهرت كأول مرة رأيت فيها وجهه عندما سرقت منه شعره لكي أسرق جسده، ملامح وجهه أصبحت شابة تماماً ورجولية أكثر! ابتسمت بسعادة وأصبحت أضحك بهستيرية حقاً الآن أنا كل شيء أرغب به ينفذ على الفور، أخيراً الحياة أصبحت عادلة نحوي، فجأة

توقفت عن الضحك يبدو أنني عرفت سبب عودة وجهي إلى طبيعته إنها مارا!!!

لقد تذكرت الليلة الماضية، نعم الليلة الماضية أخبرت مارا بأنني أرغب بأن تعيد وجهي إلى طبيعته مقابل أن تنام معي!؟ مستحيل لكن لماذا لا أتذكر شيئاً؟ كل ما عشته هو كابوس داخل كابوس؟! أنا بالفعل أتذكر الآن أتذكر قبلاتها لي لكن لا أتذكر كل التفاصيل، ولماذا استيقظت وأنا في حوض سباحة مليء بالدماء!؟ نعم يجب أن أرى الحمام!

توجهت إلى الحمام وفتحته لكن كان نظيفاً تماماً! حوض الاستحمام كان خالياً من الدماء والماء حتى، كان جافاً تماماً؟ يا إلهي لم أعد أميز ماذا يحدث حقاً؟

وقفت أمام المرآة لأرى نفسي كالعادة دانيال، خلعت قميصي لأرى الرسومات على جسدي ازدادت كان في منتصف صدري صقر مجنح بجناحيه العملاقين هذا يعني أنني أصبحت حراً! وجه شيطاني على يدي اليمنى هذا يعني أنني شيطان!! أما الباقي فمنذ سنوات لا أعرف ما هي وماذا تعني!؟ يدي اليسرى ممتلئة تماماً بالرموز والكتابات وغيرها!

لقد قضيت ليلة جميلة ولكن يبدو هيَ تتعنى وتمسح ذاكرتك عن طريق الكوابيس..

أتى صوت دانيال كالعادة من المرآة، رفعت رأسي إليه بعد أن كنت أتأمل الرسومات التي في جسدي ووقفت مقابلاً له:

غريب لماذا عدت إلى المرآة؟؟

دعك مني الآن انظر تبدو وسيماً جداً ولكن ليس أوسم من بيتر بالطبع..

لماذا قلت هذه الكلمات؟؟

كيف يمكنك أن تسألني هذا السؤال أخبرتك بأنني أنا هو أنت كم مرة يجب أن نكرر هذه الكلمات يومياً؟ أنا أتذكر كل شيء حتى أنني أتذكر كيف كنت سعيداً ليلة أمس ولكنك تتظاهر بالاستياء والجنون!!.

قلت متنهداً:

أريدك أن تسكت الآن رأسي يدور وأنت تزيد الوضع صعوبة علي!

دانيال بابتسامته الخبيثة:

لماذا رأسك يدور أنت بالفعل نجحت في تحقيق مبتغاك تبت منيا أن تعيد وجهك كما هو وأنت الآن شاب في نهايات العشرينيات ومقبل على أجمل عمر الثلاثينيات وسيم قوي رسام تكامل بالفعل تستطيع أن تؤسس حياتك من جديد انطلق إلى العالم واصنع تحفتك وارسم لوحاتك من جديد..

قاطع حديث دانيال طرقات الباب:

هنا أنا روجس هل من الممكن أن أدخل؟؟

دانيال وهو يتلاشى بصوت هامس بخبث:

وأول بدايات الحياة الجديدة هي أن تتخلص من هذا الجاسوس العجوز!

تفضل روجس..

دخل روجس وهو يحمل معه صينية الإفطار والقهوة، وما زالت علامات الصدمة على وجهه وهو ينظر إلى وجهي:

تفضل لقد أحضرت لك الإفطار وقهوتك..

لقد كانت مارا..

روجس:

أعلم ومن غيرها، ألست سعيداً؟

امم.. لا أعلم مشاعر مختلطة أو أشعر بأنني أصلاً لا أشعر!

تستطيع الآن عيش حياتك براحة من إخفاء نصف وجهك تستطيع أن تعيش بشكل طبيعي..

أشك في ذلك؟

لماذا؟

هل هذا سؤال تسألني إياه؟ انظر إلى الفوضى التي في حياتي إلى العوالم التي أدخلت نفسي فيها! أحياناً أشعر بالندم لأنني عدت إلى الحياة..

لا تشعر بذلك كانت هناك مهمة لعودتك..

ما هي؟

هيَ أن تكفر عن أخطائك أولاً، ثانياً والأهم أن تحمي ابنتك ماريا، تخيل لو لم تكن موجوداً؟ كان قرين تلك المشعوذة عاد ويبحث عنها هيَ تريد أن تعود عبر جسد ابنتك..

ارتعش جسدي وشعرت بأن صخرة عملاقة سقطت على رأسي بعد أن سمعت هذه الكلمات من روجس!!

ماذا؟ ماذا تقول؟؟

أنا آسف لأنني أخبرتك هكذا فجأة لكن أخبرنا أحد جواسيسنا بأن هذه خطتها من الأساس، لذلك استعانت بأحد شياطينها لإخفاء جثتها واسمها وحرصت على ألا يعرفه أي مخلوق لكن!!

لكن ماذا؟ تحدث؟؟

زوجها الذي قتلته وكان أول جريمة لها هو من يعرف اسمها الحقيقي وهو ميت، لكن ابنها ليامز..!

ليامز أيضاً ميت.. وبذلك لم نستفد أي شيء

هناك طريقة ولكن صعبة نوعاً ما!!

ما هي؟ أستطيع أن أفعلها ولو كلفني ذلك حياتي!؟

روجس:

تستطيع بطقوس خاصة أن تشترك أو تدخل في أحد كوابيس ليامز القديمة وبالتأكيد هو هناك ستسمعه ينطق باسمه الحقيقي..

وكيف نفعل ذلك؟؟

أنت أخذت جسد ليامز وروحه محصورة حولك هو شبه ميت لكن لطالما ستظلان وكأنكما شريكان في بعض الأحيان تتصرف تصرفاته أنفسها تأكل الأكلات أنفسها التي يحبها وهكذا، لكن الطريقة لدخول كوابيس قديمة له صعبة ومارا الآن تبحث

عـن الطريقـة ولا تقلـل من جهـود مـارا صدقني هـيَ تفعل كل شـيء من أجلك..

قلت بوقاحة:

هذا ليس وقت الدفاع عن مـارا أريـد الآن أن تصلا إلى الطريقة المناسـبة أيّاً كانت يجب أن تتخلص من تلك المشعوذة قبل أن تتخلص من ابنتي وقتها لن أرحم أحداً أبداً وأولهم أنت ومارا..

روجس بابتسامة:

لطالمـا أخبرت مـارا بأنـه صعـب أن تحـب شـخصاً مثل دانيال وتتعامل معه؟ لكنها أخبرتني بأنك أندرو..

لم أرد على كلماته واكتفيت بالصمت حتى داهمتنا نتالي بدون أن تطرق الباب لذلك وجدتها طريقة مناسبة أن أخرج غضبي عليها:

ألا تعرفين ما معنى طرق الباب؟؟ هل جربتِ مرة ألم تكسير الأصابع!؟

روجس بغضب:

ماذا تقصد؟ دع الفتاة وشأنها لماذا تهددها فجأة؟؟

نتالي بتلعثم وتوتر:

أنـا آسـفة يـا سيد ليامز لكنْ هنـاك شـيء ضروري رأيته للتو وقلت لنفسي يجب أن أخبركما فوراً..

روجس:

ما هو؟

التالي وهي تفتح الأخبار على هاتفها وتمده إلينا:

انظرا..

سحبت الهاتف من يدها فور رؤيتي لصورة ماريا تتصدر الأخبار والصحف إذا كتب الخبر كالتالي:

«جريمتا قتل بنفس نمط رسومات الفنانة والرسامة ماريا! صرح المخابرات الرسمية والشرطة للمنطقة بأن فتاة شابة ومحللة رسومات تدعى «إليزابيث» ماتت في شقتها صباح يوم الأربعاء! وذكرت الشرطة أن إليزابيث ماتت مقتولة بطريقة بشعة بنفس هذه اللوحة «المرأة الضاحكة الباكية» التي وجدتها الشرطة معلقة في منزلها، ويذكر أن اللوحة من عمل الفنانة والرسامة «ماريا» التي اشتهرت برسمها السوداوي والمرعب، واتضح أن إليزابيث اشترت اللوحة من المعرض قبل أيام، وفيما يتعلق بالجريمة الأخرى هيَ تعود لرجل يدعى لويس وهو في الثلاثينيات من عمره وصاحب شركة ناشئة لتصنيع أدوات الرسم، واتضح أنه اشترى أيضاً من فترة لوحة بعنوان «اعوجاج» من الرسامة «ماريا» وقتل بنفس هيئة الرسمة!! مما أثار الرعب في قلوب المجتمع الآن والشرطة ما زالت تحقق في الأمر وهناك إشاعات بأن الشرطة قد استدعت الرسامة «ماريا» قيد التحقيق..!

يكفي صدمات لليوم ولكن هذه كانت أقواها! شعرت بالفعل أن الأرض تدور بي وستهوي قريباً وتبتلعني، خنقني هذا الخبر أكثر من خنقة حبل المشنقة عندما انتحرت سابقاً! من شدة الصدمة جلست على الكرسي أحاول أن أستوعب! هذه كانت

فكرتي ولكن بالعكس كنت أقتل الضحايا وأقوم برسمهم الآن الزمن يتكرر لكن الرسومات تطبق على الضحايا!! الآن المتهم الأول هيَ ماريا! مستحيل أن تقتل ماريا حتى فراشة، تلك المشعوذة حقّاً هيَ من يتسبب في ذلك لطالما استهنت بها ولطالما كانت تصدمني دائماً بخباثتها وذكائها!

روجس:

نتالي اذهبي وأحضري كوب ماء لليامز

حسناً سأعود على الفور..

روجس جالساً بجانبي:

ليامز اهدأ يجب أن تتماسك يجب ألا تنهار..

مستحيل تلك الحقيرة اتضح أنها أذكى أكثر مما توقعت، إنها ترغب بتدمير حياة ابنتي!

كل شيء متوقع منها لقد سلبت منها كل شيء

هل تقنعني بأنها كانت تحب ابنها؟؟

الأمر لا يتعلق بحب ابنها أو لا لكن أنت قتلتها وسلبت جسد ابنها وحررت مارا وعدت إلى الحياة أصبحت أفضل منها وأخذت منها كل شيء وكل الخيارات والآن عادت للانتقام..

تفضل..

ناولتني نتالي كوب الماء التقطته منها وشربته كله بدفعة واحدة:

الآن ماذا نفعل؟ هل تم القبض على ماريا بالفعل؟؟

نتالي:

بحسب الأخبار التي وصلتني فإنه تم التحقيق معها فقط في المنزل والآن يتم مراقبتها وحمايتها في آن واحد من قبل الشرطة.

روجس:

من الطبيعي في هذا الوضع سيسألونها فقط مجرد أسئلة هم لا يملكون عليها أي دليل أو أي شيء حتى، أيضاً التحقيقات في هذا الزمن متقدمة ولديهم أجهزة ذكية وكاميرات لا تقلق لن يضعوا أي تهم عليها في الوقت الحالي

لكن في النهاية ستكون كل التهم موجهة إليها أتعرف لماذا؟ لأنهم يتعاملون مع شيطان أو روح أو قرين!! بالتأكيد من سيصدق هذا وكيف سيقبضون عليها مثلاً؟

حسناً اهدأ

قلت بغضب وأنا أتوجه إلى خزانة الملابس:

توقف عن قول اهدأ اهدأ ما الشيء الجيد الذي استفدناه من الهدوء!!؟ ابنتي تتدمر أمامي وتريد مني أن أهدأ؟

إلى أين ستذهب؟ وماذا ستفعل؟ يجب أن نجلس معاً ونفكر في حلول..

سأذهب إلى مكان ما..

خرجت وتركت روجس في حيرته منادياً علي ويحذرني بأن لا أتهور! صراحة لم أستطع أن أصمد أكثر وخرجت بالفعل

وركبت السيارة وقدتها وأنا لا أعرف إلى أين أتجه؟ لم أشعر بنفسي إلا ووجدتني عند منزل ابنتي ووالدتها!! وقفت طوال الليل هناك لمحت سيارة شرطة عرفت أن ما قالته نتالي صحيح هذا يعني أنه يتم مراقبتها وليس حمايتها إن رجال الشرطة أكبر منافقين هم لا يحمون أي أحد..

انتظرت تقريباً حتى الساعة العاشرة بعدها غادرت سيارة الشرطة يبدو أنهم ذهبوا ليملؤوا بطونهم ولا يهتمون بالذي سيحصل! كنت على وشك التحرك لكن شيئاً ما منعني! قلب الأب ربما إذ بعد نصف ساعة رأيتها!! رأيت ماريا خرجت من المنزل وهي تلتفت يميناً ويساراً بتوتر! تلك الفتاة المجنونة ماذا تفعل بالخارج وحدها في هذا الوقت المتأخر وحياتها في خطر!! صعدت ماريا إلى سيارتها وتحركت بسرعة أدرت المفتاح واتبعت سيارتها كانت تقود بسرعة وأنا خلفها تعمدت أن أترك مسافة بيننا حتى لا تشعر بي وتخاف، حتى وصلت إلى وجهتها أخيراً توقفت بمسافة بعيدة عنها قليلاً، كانت وجهتها هي المعرض نفسه ولكنه الآن مغلق! استغربت كثيراً ماذا تفعل هذا الوقت في المعرض؟؟ لكن رأيت سيدة رأيتها سابقاً في المعرض يبدو أنها مسؤولة المعرض رحبت بماريا ودخلتا من باب الموظفين، بقيت في الشارع أحوم يميناً ويساراً لا أعلم ما الذي أفعله؟ لقد تأخرت كثيراً أصبحت الساعة الحادية عشرة والنصف هل أدخل؟ فجاءة رأيت أضواء المعرض انطفأت كلها!! أصبح الظلام يسيطر على المكان الشارع مخيف وفارغ من أي مخلوق!

كسر الصمت أصوات صرخات عالية آتية من داخل المعرض!! انتهى وقت تسمري هنا ركضت بأسرع ما لدي نحو الباب الذي دخلنا منه لكنه كان مغلقاً!! حاولت أن أبحث عن باب آخر ما زلت أسمع صوت صرخاتهم، كنت ألعن نفسي حتة مرة لماذا لم أوقفها عن الدخول؟ ماذا لو تأذت الآن؟ شيء ما مرعب يحدث في الداخل أنا حقاً غبي كان يجب أن أوقفها بأي طريقة، فشلت في فتح جميع الأبواب كانت مؤمنة جداً لأنه معرض يحتوي على أغلى الأعمال، حتى سمعت صوت الباب يفتح، إذ خرجت ماريا تركض كانت ملطخة بالدماء وحالتها يرثى لها! ركضت بسرعة نحو سيارتها وتحركت لم أستطع إيقافها ركبت السيارة بسرعة وانطلقت خلفها، سأقوم بنقل سيارتها!!

قفزت عندما سمعت صوت مارا أتى من المقعد الخلفي..!

ماذا؟؟

لا يوجد مجال للشرح الآن سأقوم بنقل سيارتها إلى جسر العاصمة وأنت توجه إلى هناك سأسقط سيارتها في البحر وأنت قم بإخراجها..

صعقت عندما سمعت كلمات مارا:

صرخت بقوة وأنا أحاول السيطرة على القيادة:

ماذا؟ ماذا تقصدين أيتها المجنونة؟ لماذا ستسقطين سيارة ماريا في البحر؟؟؟ أجيبيني!!

مارا وهي تتلاشى:

ثق بي ولو مرة واحدة أرجوك لا تقلق لن تتأذى ماريا وإذا تأذت فأنت تعلم أين تجدني..

اختفت مارا بعدها عكست الطريق إلى جسر العاصمة بسرعة تجاوزت التسعين، صراحة لم أعرف ماذا تخطط له مارا لكنني وثقت بها هذه المرة لأنها لا تفعل أي شيء يغضبني وأنا من داخلي أعرف هذا الشيء..

وصلت أخيراً إلى الجسر ونزلت عبر مدخل الطريق الذي يؤدي إلى الأسفل أوقفت السيارة وخرجت منها أركض حتى وصلت إلى حدود البحر وهناك رأيت سيارة ماريا تلتقط أنفاسها الأخيرة وتغوص!! اتسعت عيناي وركضت بأسرع ما يمكن ودخلت إلى البحر المتجمد البارد، سبحت وأنا لا أعلم متى آخر مرة سبحت في حياتي لكنني غصت بشكل جيد حتى وصلت إلى السيارة رأيت ماريا فاقدة الوعي بداخلها جن جنوني وأصبحت أضرب الزجاج بيدي حتى كسرته، أدخلت يدي إلى الباب وفتحته وسحبت ماريا وسبحت بها لكن قبل أن أصل إلى سطح الماء شيء ما أمسك قدم ماريا!! التفت إلى الخلف إذ أرى تلك المشعوذة تقوم بمسك قدم ماريا، سحبت ماريا بقوة لكنها كانت ترفض أن تتركها نفسي على وشك الانتهاء ونفس ماريا أيضاً على ما يبدو، قمت أخيراً بركلها في وجهها عدة مرات حتى أفلتت قدم ماريا، وأخيراً خرجت من الماء، وضعت ماريا على الأرض:

أرجوك استيقظي ماريا هل تسمعينني؟؟

لم أجد أي إجابة بدأت أضغط على صدرها حتى أخرجت الماء أخيراً، وبدأت تسعل بقوة لم تستوعب الأمر ولم يكن لدي

خيار آخر عندما سمعت أصوات سيارات الشرطة احتضنتها بقوة ثم تركتها ورحلت بسرعة..

عدت إلى المنزل بعد أن التقيت بروجس وتتالي بالطريق، كنت ثائرة كالبركان صرخت بغضب في وجه روجس:

أين هيَ؟؟

من؟

مارا! أين هيَ كانت ابنتي على وشك أن تموت وأيضاً لا أعلم شيئاً الآن عن صحتها إذا كانت بخير أم لا؟! هل هذه تعتبر خطة حتى!

روجس:

ليامز خطة مارا نجحت تماماً لكي تحمي ماريا لو لم تفعل هذا الشيء لكانت ماريا الآن بالسجن..!

ماذا؟؟

جميع من كانوا مع ماريا بالمعرض قتلتهم تلك الساحرة بأبشع الطرق وتركت ماريا بشكل متعمد حتى يتم اتهامها! لذلك مارا حتى لا يرى أحد ماريا أنها كانت هناك زيفت الرؤية لدى الكاميرات وبحكم أن ماريا لا محالة تم رؤيتها تخرج من المنزل غيرت مارا مسارها وجعلتها على أساس أنها كانت خارجة من العاصمة حتى يكون لديها حجة غياب..!

لم تعد تصدمني أفعال تلك الساحرة، هيَ فعلاً مصممة بكل طرقها أن تدمر ماريا، الجرائم لن تتوقف ستزداد يوماً بعد

يوم هيَ لن يهدأ لها بال حتى تنتقم مني!! أستطيع ان أعرف أين أجدها..

روجس:

ماذا تقصد؟

لا تسألني عن أي شيء الآن سأذهب إلى غرفتي وأرتاح غداً صباحاً أرغب بمعرفة كل الأخبار وأهمها أخبار صحة ماريا..

توجهت إلى الغرفة ودخلت وأغلقت الباب، لم أكن أظن يوماً أنني سأحتاجه ولكن لقد حان الوقت، دخلت إلى مكتبي وأبعدت المفرش الذي يفترش أرضية المكتب ظهرت فتحة بشكل مربع على الأرض، سحبت باب الفتحة ورفعته للأعلى ظهر قبو أرضي، أكره كثيراً أي قبو في الحياة وأنتم تعلمون الأسباب جيداً، لكنه رغم ذلك المكان الأنسب ليكون مكاناً سرياً تخبئ فيه الكثير من الأشياء ومنها جثة مثلاً! لكن الآن أنا لا أبحث عن جثة دفعت السلم وانطلقت إلى الأسفل وضعت قدميّ عليه ونزلت، أشعلت المصباح وتوجهت إلى الخزانة الوحيدة الموجودة في القبو فتحتها بمفاتيح وما أن فتحت الخزانة انطلق علي غبار ذكريات ماضي أندرو وماضي دانيال وماضي ليامز! جميع الذكريات أحتفظ بها هنا، بحثت بعينيّ بشكل سريع عن صندوق أسود حتى وجدته أخرجته وفتحته، وهنا عندما رأيته ابتسمت!

الكتاب ذو العين الواحدة الذي أخبرتني مارا بأنه يجب علي إحراقه لكي تتحرر في ذلك اليوم حتى مارا خدعتها وأحرقت

صفحة واحدة وهيَ الصفحة التي تخصها واحتفظت بالكتاب نفيس وأيضاً حفظت تماماً تلك الصفحة التي حرقتها وأعادت كتابتها في أيام لكي أؤمن نفسي لا يمكن أن أثق في أحد على وجه الأرض، أخرجت الكتاب هذا الكتاب الثمين الذي قضيت معه ثلاثة أيام والذي كان السبب في أن أعود إلى الحياة والذي فيه الكثير من الكنوز والعلم الذي يجعلني أسيطر على جميع المخلوقات حان الوقت لمواجهة ذلك القرين التافه، سأجعلها تعرف أنها ليست الذكية الوحيدة هنا، فتحت الكتاب ذا العين الواحدة كنت أبحث عن صفحات لمحتها تتكلم عن مواجهة القرين الذي يسبب زوبعات وهجمات في الكوابيس وكيف يمكننا إيقافه! بحثت بشكل سريع صفحة خلف صفحة وأخيراً لمحت عنواناً مكتوباً:

«الأحلام الجلية»!

كتب تحت العنوان:

«هناك أحلام جلية أو صافية وهيَ أن يتحكم الإنسان في أحلامه ويستطيع أن يسيطر عليها ويغير ما فيها ويفعل أشياء فيها، وغيرها.. هذه الظاهرة شائعة وأي إنسان على وجه الأرض يستطيع فعلها.. لكن لا يوجد أحد يستطيع التحكم في الكوابيس لأن الكوابيس عادةً ليست من صنع عقل الإنسان بل من صنع الشياطين! ولا أحد يستطيع أن يتحكم في الكوابيس إلا إذا كان شيطاناً..!؟

لذلك هناك طريقة واحدة فقط تستطيع أن تتحكم بها في كوابيسك وكوابيس أي أحد تريد! وهيَ....!





«التحول من بشر إلى إنسان إلى وحش إلى شيطان إلى شيء»

على ضـوء الشـمـس وقـوة مـن القمـر وأنـا أدعـو، إلـى قـوة مـن النجـوم والطاقـة مـن الكثبـان الرمليـة، مـع كل نفـس وكل رعشـة أصبـح أكثـر قـوة! ذهنـي يصبـح أكثـر وضوحـاً ونوايـاي أكثـر طاعـة، أنـا قـوي وأنـا قـادر علـى المطالبـة بقوتـي وأنـا غيـر قابـل للكسـر.. أستدعـي قوتـي وقوتـي للارتقـاء فـوق مخاوفـي وشجاعـة وقسـوة وسحـراً لا نهايـة لـه، أتغلـب علـى التحديـات وأصنـع طريـق الثقـة بالنفـس، لا أحـد يستطيـع هزيمتـي لا أحـد يستطيـع إيقافـي طريقـي إلـى النجـاح مضمـون إلـى الأبـد، لـن يتـم الضغـط علـي بعـد الآن، لأنـي سـأكـون موجـوداً فـي كـل الأيـام والشـهـور والسنـوات والأزمنـة سأكـون كالكابـوس المكـرر للأبـد حتـى فنـاء هـذا العالـم..

«الشيء»

مـا هـو الشـيء الـذي أقصـده؟ هنـاك أشيـاء مصنفـة فـي هـذا العالـم علـى حسـب الأنـواع والأشـكـال والأسمـاء والأفعـال، هنـاك إنسـان وجنـي وشـيطـان وملائكـة، هنـاك حيوانـات وهنـاك حشـرات وهنـاك جمـادات! الإنسـان عندمـا يتخلـى عـن الصفـات الحميـدة وصفـات الخيـر ويفعـل كـل شـيء قابـل للشـر ويعيـث فـي الأرض فسـاداً فهـو يتجـرد مـن تصنيـف الإنسانيـة والبشريـة يشبهونـه تـارة بالشيطـان وتـارة بالوحـش! لكـن هنـاك مراحـل وتصنيفـات يصـل

إليها الإنسان أكثر من هذه التصنيفات أكثر من أن يكون شيطاناً أو وحشاً، مراحل يصل إليها لا أحد يستطيع تصنيفها لذلك يطلقون عليهم "الشيء"!!

والشيء هو معنى أن يتجرد الإنسان من كل صفاته الحميدة والأخلاقية أن يخلع رداء الخير ويلبس الرداء الأكثر شرورية، وهنا يعني بالشرور أكثر من الشر نفسه، يتجرد من الرحمة ومن العطف ومن كل الصفات الحسنة والحميدة، يتجرد من المشاعر كلها ويصبح بدون مشاعر، تصبح جميع الأفكار التي بعقله كلها تتعلق حول السواد والشر والخبث والعنف والدم والقتل، يصنع من السادية عالماً لا نهاية له، لديه شعور بجنون العظمة وأنه سيكون مخلداً على هذا العالم!

فهو مستعد أن يدخل في جميع العوالم ويجرب أي شيء ضد الإنسانية والطبيعة البشرية، لا أحد يستطيع أن يوقفه ولا أحد يستطيع هزيمته فهو كالموت قادم لا محالة..

لا أحد يستطيع الوصول إلى هذه المرحلة إلا بعد أن يأكل لحم إنسان، يقتل شيطاناً ويأكل قلبه، ويعيش عدة مرات..

بعد أن انتهيت من الغوص في قراءة الكتاب والتعمق في أموره لمدة أربعة أيام، شعرت بأنني أنا المعني والمقصود هنا! شعرت بأن كل حرف ينطق في هذا الكتاب يشير إلي، ناهيكم عن الأصوات التي أصبحت أسمعها في رأسي على مدار الأربع والعشرين ساعة! فتحت الكتاب لكي أجد حلاً حتى أقتل تلك الساحرة لكن وجدت الحل وكنوزاً أخرى، أمضيت وقتي كله في

حقاً!! لقد وعدتني بأن تساعدني والآن تسحب نفسها بعد تلك الليلة!!

روجس باستغراب: أي ليلة

توقفت عن الحديث وأنا أشعر بالارتباك:

أقصد!!.. لا تهتم أنا أعرف أين أجدها..

خرجت كالعادة وتركت روجس بحيرته، ركبت سيارتي وتوجهت إلى مكان بعيد جداً يبعد عن المدينة ساعتين في غابة كثيفة وجبال في تلك المنطقة النائية قررت أن أمارس طقوسي التي قرأت عنها في ذلك الكتاب، وفعلت كل شيء استغرقني ذلك ثلاث ساعات، حتى نظرت إلى الساعة وجدتها تشير إلى الساعة العاشرة ليلاً، بعدها أخرجت ورقة من جيبي وفتحتها وقرأتها، انتهيت من قراءتها وأحرقتها بعدها استلقيت على الأرض وأغمضت عينيّ لمدة نصف ساعة حتى سمعت صوتها:

كيف استطعت فعل ذلك؟؟

ابتسمت فوراً وفتحت عينيّ لأجد مارا تجلس أمامي مديرة ظهرها لي، نهضت من مكاني:

أفعل ماذا؟؟ تقصدين استدعاءك؟!

نعم.. بعد كل هذه السنوات أنت عرفت كيف تستدعيني.!

أجل كان هذا متأخراً كثيراً، كلما أردت رؤيتك اصطنعتِ أعذاراً لماذا عليّ أن أنتظرك حتى تأتي؟ لذا قلت لنفسي: أنا أيضاً أستطيع أن أحضرها إلي..

هل تظنني أصنع أعذاراً لعدم لقائك؟

أو عدم مساعدتي يبدو أنك انسحبتِ من مواجهة قرين تلك المشعوذة لذلك تخططين لتركي وحدي..!

أنت تعلم جيداً أنه من المستحيل أن أتركك وحدك

قلت وأنا أتقدم نحوها:

لكن لماذا ترفضين لقائي في هذه الأيام الصعبة؟ ثم لماذا لا تستديرين نحوي وتتحدثين معي.؟

صرخت:

توقف عندك لا تتقدم أكثر!!

توقفت مرتبكاً وأنا أتساءل: ما خطبها لماذا اليوم تتصرف بغرابة؟:

مارا ما الأمر؟ هل كل شيء بخير!

هل انتهيت يجب أن أغادر..؟

لا لن تذهبي إلى أي مكان قبل أن تخبريني ما الأمر؟!

لم أحتمل لذلك توجهت إليها بسرعة وأمسكتها من يدها وأدرتها نحوي ما أن رأيت وجهها صعقت بالكامل!!

كان نصف وجه مارا متشوهاً تماماً! ليس متشوهاً فحسب بل كانت تبدو وكأنها متحولة!! قسم متحول لهيئة وحش والقسم الآخر ما زال جميلاً! قلت بتلعثم وهيَ يبدو عليها الحزن:

ما.. ما خطب وجهك؟ ما الذي حدث لكِ؟

ماراوهيَ تكتم حزنها:

لا بأس هذا عقاب لي وأنا كنت مستعدة لهذا اليوم..

عقاب!! لم أفهم عقاب مِمَن؟ ولماذا؟

لحظة...! استوعبت أنه بعد تلك الليلة التي قضتها مارا معي بعد ما استيقظت عاد وجهي لطبيعته هذا يعني أن مارا وكأنها أخذت التشوه والعيب الذي كان في وجهي لوجهها!..

مارا..! هل هذا حقيقي؟ هل انتقل التشوه الذي كان في وجهي لوجهك!؟

مارا تسحب يدها من يدي:

لا تهتم أنت تحتاج إلى هذا الوجه لأنك في كل الأحوال ما زلت إنساناً وشخصاً طبيعياً..

أنتِ ضحيتِ بأشياء كثيرة من أجلي فقط!!

وسأستمر بالتضحية من أجلك يا أندرو

لماذا تنادينني بذلك الاسم؟؟

لطالما كنت في نظري أندرو كانت أندرو عندما قابلتك أول مرة ومثلت أنني معلمتك، أنت أول شخص يستنجد بي بينما كنت مقيدة في ذلك الكتاب وكنت على علم عندما تكبر ستحررني أنت لذلك أنا أحب أندرو..

وضعت يدي على الجانب المشوه لوجهها وضممتها إلى صدري:

آسف لطالما لم أعاملك بالشكل الجيد كنت أستغيد منك
... أنا حتى لم أشكرك أبداً لذلك شكراً لك وأنتِ في نظري
ستبقين دائماً جميلة أعدك بأنني سأبقى معك دائماً كما بقيت
معي دائماً..

انتهى لقائي مع مارا في تلك الليلة أتى الصباح واستعددت
لقائي اليوم مع ماريا، هذه ستكون المرة الأولى التي سأتحدث
بها معها وجهاً لوجه، هل أحتاج للتدرب على ذلك؟ هل
... أرتبك؟! كل ما يجب أن أفعله أن أقنعها بأن تبقى معي هذه
الأيام حتى أقضي على تلك المشعوذة، أخبرت روجس وتالي
أني على الأغلب اليوم سأحضر ماريا معي ولم تكن لدي خطة
... ولا أعلم هل ستقتنع وتأتي مع شخص غريب؟ قلت
لروجس وتالي أن يستعدا ويكونا بالقرب مني إذا حدث شيء
اضطراري، أتت الساعة المنتظرة والتقطت القناع ولبسته على
وجهي لا أعلم لماذا فعلت ذلك؟ لكن طرأت على بالي فكرة
أني يجب أن أتقمص شخصية ليامز المشوه أمام ماريا إذا
اضطررنا أن تخبرها من أنا؟ وسأزودها بقصة كاذبة عن ليامز
بوالدته وأنها تسعى خلفي وخلف ماريا لأننا نتشارك الموهبة
نفسها، وأن والدها المجهول الذي لم أرَ وجهه هو من قتل
والدتي وأحرق المنزل وأثناء خروجي من المنزل احترقت
رسمتي واحترق نصف وجهي معها،، قصة مثالية أستطيع أن
أخدع بها تلك المسكينة فهي لم تعد تستوعب شيئاً أو تفرق بين
الصدق والكذب..

انطلقت إلى المكان الذي اتفقت عليه مع ماريا، كان مكاناً في منتصف الصحراء، مبنىً مهجوراً وصلت إلى هناك مبكراً جداً جلست في ذلك المبنى القديم المتهالك، أشعلت سيجارة وجلست على حافة المبنى وبقيت أتأمل في ظلام الصحراء، سمعت صوت خطوات قادمة من خلفي لكن لم ألتفت وقلت بهدوء:

توقف عن التسلل فأنا مستحيل أن أشعر بالخوف!..

الصوت:

بالطبع فمن زرع الخوف في الكثير من نفوس البشر مستحيل أن يشعر به

نفثت بعض الدخان من فمي:

من اعتاد على الخوف منذ الطفولة فلن يشعر به بعد الآن أليس كذلك؟

الصوت:

هل كنت تخاف من الواقع أو من الكوابيس؟

من الواقع بالطبع الواقع والبشر أكثر إخافة من الكوابيس

الصوت مقترباً مني:

أمثالك مثلاً؟

نعم بالطبع قررت أن يخافني الناس أفضل من أن أخاف منهم سبق وخفت كثيراً من خالتي وزوجها لأنني وقتها كنت طفلاً أما الآن فلن أسمح لأحد بأن يخيفني سأكون أنا الخوف لهم..

الصوت:

وهل ستستمر في إخافة الناس؟ تبدو غير واضح في خططك إلى الآن؟!

قلت متنهداً:

وهل هذه مقابلة عمل؟؟

الصوت:

نوعاً ما.. أتعرف أنك مشهور كثيراً في عالمنا؟..

بسبب مارا

الصوت:

لا السبب الأول أنك أول إنسان يعود إلى الحياة..

قلبي خفق كثيراً عندما سمعت كلماته التي صدمتني كثيراً! إذاً ماذا عن الرسام؟؟ الذي بدأ كل ذلك من عنده؟

الصوت:

الرسام لم يكن إنساناً من الأساس..

هل تسمع أفكاري؟؟

هذا ليس مهماً المهم أنني أجيب على أسئلتك..

ماذا تريد إذاً؟

الصوت بكل جدية:

أن أقتلك..

صراحة لم أستغرب كثيراً لأنني كنت مستعداً لهذه اللحظات وعلمت منذ اللحظة الأولى التي دخلت فيها في هذا العالم وحررت مارا وأعادتني إلى الحياة مجدداً..

قلت بكل برود:

أخبرتك سابقاً بـ أنني لست خائفاً من الموت ولا من أي شيء..

الصوت:

إذاً دعنا نعقد صفقة..

آسف لا أحب أن أعقد صفقات مع الشياطين..

الصوت ويدا عليه الاستياء:

ومن أخبرك بأنني شيطان؟

لا يهم ماذا تكون

الصوت:

إذاً تفضل الموت؟

لا أحد يفضل الموت لكن لا بأس بما أن الجميع سيكون مصيرهم الموت

الصوت:

لكنك لم تسمح بأن يكون مصيرك الموت في المرة الأولى وعدت إلى الحياة..

حل الصمت بيننا لدقيقة ثم عاد الصوت وكسر الصمت:

أنت مميز بالنسبة لعالمنا ونعلم أن في نواياك أن تصبح من «الشي،» فكل المميزات والصفات تنطبق عليك حتى انهم لا يستطيعون قراءة نواياك الخبيثة وخططك وأفكارك لذلك الجميع يرغبون في خدمتك..

ابتسمت في نفسي وأخيراً جعلتهم يخضعون لي، صراحة لا أعرف من هم لأكون واضحاً لكنّ لدي عقل يتمتع بالذكاء والفطنة يستحق أن يكرم لذلك من المستحيل أن أخدم أحداً بل أجعل الجميع يخدمونني أنا..

قلت وأنا ما زلت أتأمل ظلام الصحراء من أعلى المبنى:

أريد أن أتحكم في كوابيسي وكوابيس غيري..

الصوت:

هذا مخالف جداً لنظامنا أن يتحكم بشري في كوابيس الغير لكن يجب أن تكون في مصلحتنا وفي صفنا حتى تضمن أنك لن تقلب علينا الموازين..

قلت بثقة:

سبق وأن خالفت النظام وعدت إلى الحياة ولم أرَ أي شيء منكم لأنكم لا تستطيعون فعل أي شيء..

الصوت:

هناك من يقوم بحمايتك..

تقصد مارا؟؟

الصوت:

مارا فتاة ضعيفة ولو لم تكن ضعيفة لما كانت وقعت بحبك وأخذت كل العواقب نيابة عنك..

إذاً من؟؟

شخص ستعرفه لاحقاً ولكن أولاً أخبرني ما الذي تريده أيضاً غير أن تتحكم في الكوابيس؟

أريد اسم تلك المشعوذة..

الصوت:

أعطني أمراً فقط وسنمحيها من الوجود في لمحة البصر..

لا هذا أنا أريد أن أفعله

الصوت:

هل تريد أن تواجه قرين ساحرة؟ هذا صعب عليك

لا يوجد صعب علي أبداً أريد مواجهتها لقد قتلتها سابقاً وهيَ بشر وسأقتلها الآن وهيَ قرين..

الصوت:

تعرف ما الذي تحتاجه؟

نعم بالطبع أعرف وأنا مستعد لذلك..

الصوت وهو يتلاشى:

يا هذه معركتك وأنت ستتصرف بها إذا أردت أن تبدأ برحلتك جديدة بعد أن تتخلص من هذه الساحرة فارسم لوحتك التي يد تبدأ أن تكون هي الكابوس..

سؤال أخير قبل أن ترحل!

ما هو؟

هل أستطيع أن اقتل أي أحد في الكوابيس؟؟

الصوت بعد أن سكت لمدة قصيرة:

ـ إلهي انا لم أرَ أحداً من قبل مثل خبثك أنت أبشع من الشياطين بالطبع تستطيع...

شعرت بأن الصوت غادر، ابتسمت وأنا أشعل سيجارة أخرى:

هذا يعني أنني سأكون لكل شخص أسوأ كوابيسه..

نظرت إلى الساعة قاربت على الحادية عشرة بدأت أفقد الأمل وأشعر بأن ماريا ترددت وأنها من الممكن لن تأتي، صراحة لا ألومها إذا تراجعت أي فتاة ستأتي إلى هذا المكان في منتصف الليل لتقابل شخصاً لا تعرف من هو؟ ولا تعرف هويته؟ ومن يكون رجلاً أو امرأة حتى!!؟

بالطبع ابنتي المجنونة تفعل ذلك عندما رأيت أضواء سيارتها قادمة من عمق الظلام..

نهضت من مكاني ووقفت على أقدامي أراقب من الأعلى السيارة وهيَ تركن، رأيت صديقتها معها لم تكن وحدها كنت

متوقعاً بالطبع أنها لن تأتي إلى هنا وحدها، لذلك أرسلت لها بأن تصعد هنا وحدها أو أرحل إذا لم تنفذ أوامري،، كنت أكذب بالطبع لن أرحل اليوم قبل أن آخذها معي، وافقت ماريا ورأيتها تصعد إلى المبنى وحدها وصديقتها بقيت في السيارة، مع كل درجة تخطوها قلبي ينبض بقوة فهذه المرة الأولى التي سأقابل فيها ماريا وأتحدث معها وجهاً لوجه.. أخيراً وصلت رأيتها كانت تتعرق من شدة التوتر والخوف رغم أن الجو كان بارداً، بشرتها شاحبة والسواد يحتل أسفل عينيها، تبدو فاقدة الكثير من الوزن كل ذلك بسبب الكوابيس والخوف! لا بأس تبقى القليل فقط حتى أجعل تلك المشعوذة تندم لأنها تعرضت لكِ..

ناولتني مارا سابقاً سلاح ماريا المضحك وهو صاعق كهربائي، بعد أن همست بأذني بأن تلك الساحرة ضحيتها الجديدة روجينا صديقة ماريا كتهديد مباشر لي وأن الأوان حتى فات على إنقاذ تلك الفتاة المسكينة، أو كنت أستطيع إنقاذها لكنني قررت أن تكون ضحية حتى تصدق ماريا كلامي وحدث ما حدث وما تعرفونه سابقاً.. بعد موت روجينا صدمت ماريا نفسياً رغم أنني لم أردها أن ترى جثة صديقتها المأسوية إلا أنها أصرت ولن تصدق الحقيقة حتى ترى بعينها، بعد أن فقدت ماريا وعيها استغللت الفرصة وأساساً من سابع المستحيلات أن أجعلها تعود بالطبع إلى المنزل بعد هذه الجريمة، أخبرت روجس وتالي أن يهتما بجثة روجينا ويخفياها في مكان لا أحد يجدها فيه لأن هذا ليس من مصلحة ماريا إذا أحد وجد جثة صديقتها بدونها ستكون

في المنتيسة، لذلك من الأفضل أن تكون ماريا وروجينا مفقودتين
بعد كانت ليلة طويلة وصعبة بالنسبة لماريا أخذتها إلى منزلي
وسبق أن جهزت لها غرفة بجانب غرفتي وضعتها في غرفتها
وأخبرت تالي أن تفحصها، وزودتها بمسكن من الممكن أن
يجعلها تنام يومين على الأقل.. أما أنا فذهبت إلى القبو الخاص
بي لأجرب أول تجربة في عالمي الجديد العالم الذي سأصنعه لن
أسمح للكوابيس بأن تزعجني بعد الآن لقد انتهيت من هذه
المرحلة أنا الآن من سيزعج الكوابيس أنا الآن من سيصنعها..



«أول جريمة قتل في كابوس»

بينما تركت ماريا نائمة في غرفتها، روجس وتنالي ذهبا للراحة، نزلت إلى القبو وأحضرت لوحة كبيرة وألواناً وفرشاً لأرسم أول كابوس سيكون من صنعي، لكن فكرت من سيكون الضحية من سيكون التجربة الأولى لي!!؟ لم أطل التفكير حتى مر على ذاكرتي ذلك الصحفي التافه الذي كان في المعرض وأطلق على ماريا مسمى المسخ، لقد وعدته وقتها بأننا سنتحدث لاحقاً وحان الآن وقت الحديث..

لكن فجأة توقفت وترددت قليلاً لكن اختفى هذا التردد عندما سمعت صوت دانيال من خلفي:

ماذا تفعل؟ لماذا أنت ما زلت متردداً؟ لماذا ما تزال محتجزاً بداخل الطفل الضعيف ليامز! أنت لست ليامز أنت دانيال، هل ترغب في استمرار الكوابيس تقوم بحبسك مرة بعد مرة من سنوات عديدة حان الوقت لكي تكون أنت من تقرر من تحبس في الكوابيس! هل نسيت ماذا قالوه لنا؟ والآن هم أيضاً يقولونه لماريا! ماذا فعلوا؟ إنهم ينادونك بالوحش طوال الوقت لذلك أثبت لهم..

بعدها قلت بكل حزم وثقة رغم أنني لست واثقاً بأن صاحب الصوت الذي قال بأنه سيخدمني في أي وقت

سيسمعني الآن، استغنيت عن خدمات مارا لأنني لم أخبرها بمخططي هذا لأسباب ستعرفونها لاحقاً، ولم أخبرها بأنني أصبحت أستطيع أن أتحكم في الكوابيس، لذلك قلت أتحدث مع الفراغ:

أحضر لي اسم الصحفي الذي دعا ماريا بالمسخ..

خيم صمت رهيب عجيب لمدة خمس ثوانٍ تقريباً ثم أتى الصوت نفسه الذي تحدث معي في المبنى المهجور:

اسمه «كارلوس» عمره ثمانية وثلاثون عاماً، هل ترغب بصورة له؟

لا، يكفي، صورته ما زالت في مخيلتي منذ ذلك اليوم..

بعدها أمسكت بالفرشاة وبدأت أرسم الكابوس الذي سأصنعه من أجل كارلوس..

انتهيت من اللوحة تأملتها بكل حب بعدها استلقيت بجانبها وغصت في نوم عميق..!

«الكابوس»

فتحت عينيّ لأجد نفسي في غابة ذات أشجار عملاقة وكثيفة كانت الغابة كما تصورتها في مخيلتي تماماً يغطيها الضباب باردة جداً هنا سيموت كارلوس! نظرت في يديّ لأرى أنني ألبس خاتم زواجي والساعة الذهبية التي اختارتها لي ماريا، من هيئة

جسدي الضخم عرفت أنني دانيال! هذا يعني عندما أكون في كوابيس الناس سأظهر لهم بهيئة دانيال، ضحكت بسبب سعادتي هذا يعني أن دانيال سيكون لهم أسوأ كوابيسهم! يا إلهي ما الذي؟؟

سمعت صوت شخص مليئاً بالخوف والقلق علمت فوراً بأنه كارلوس، هو الآن ضائع في هذا الكابوس، هو الآن يظن أنه مجرد كابوس وسيستيقظ قريباً! ذهبت إليه وكأنني شبح بخطوات رائعة ومخيفة، عندما أدركت أنني اقتربت منه قمت بالدندنة بصوتي بلحن دائماً ما كنت أردده في طفولتي عندما أكون خائفاً حتى يمضي الوقت بسرعة، لا أستطيع أن أشرح لكم الشعور الرائع الذي أشعر به الآن! تخيل أن تصنع كابوساً لشخص آخر؟ وتقوم بزرع الخوف في قلبه والهمسات في عقله!؟ لا أحد يمكن أن يشعر بهذا الشعور أبداً.. فزع كارلوس عندما سمع صوت ترانيم أغنيتي من بعيد، فبدأ بالصراخ:

من هناك؟؟ من أنت؟؟

لم أرد عليه وبقيت أدور حوله وهو يقف كالطفل الضائع عن حضن أمه يرتجف خلف شجرة ضخمة، أخرجت سكين منشار وهذا ما حددت سابقاً في مخيلتي أثناء الرسمة، وسرت بخطوات سريعة باتجاه كارلوس بدون أن يستوعب أمسكت رقبته بدأ يصرخ: من أنت؟ من تكون أنت؟ قلت له هامساً في أذنه:

جسدي الضخم عرفت أنني دانيال! هذا يعني عندما أكون في كوابيس الناس سأظهر لهم بهيئة دانيال، ضحكت بسبب سعادتي حقًا يعني أن دانيال سيكون لهم أسوأ كوابيسهم! يا إلهي من أنا؟؟

سمعت صوت شخص مليئاً بالخوف والقلق علمت فوراً بأنه «كارلوس» هو الآن ضائع في هذا الكابوس، هو الآن يظن أنه مجرد كابوس وسيستيقظ قريباً! ذهبت إليه وكأنني شبح بخطوات واثقة ومخيفة، عندما أدركت أنني اقتربت منه قمت بالدندنة بصوتي بلحن دائماً ما كنت أردده في طفولتي عندما أكون خائفاً حتى يمضي الوقت بسرعة، لا أستطيع أن أشرح لكم الشعور الرائع الذي أشعر به الآن! تخيل أن تصنع كابوساً لشخص آخر؟ وتقوم بزرع الخوف في قلبه والهمسات في عقله!؟ لا أحد يمكن أن يشعر بهذا الشعور أبداً.. فزع كارلوس عندما سمع صوت ترانيم أغنيتي من بعيد، فبدأ بالصراخ:

من هناك؟؟ من أنت؟؟

لم أرد عليه وبقيت أدور حوله وهو يقف كالطفل الضائع عن حضن أمه يرتجف خلف شجرة ضخمة، أخرجت سكين منشار وهنا ما حددت سابقاً في مخيلتي أثناء الرسمة، وسرت بخطوات سريعة باتجاه كارلوس بدون أن يستوعب أمسكت رقبته بدأ يصرخ: من أنت؟ من تكون أنت؟ قلت له هامساً في أذنه:

«أنا المسخ والد المسخ ماريا»

اتسعت حدقتا عينيه جن جنونه في ثانية شعرت بمشاعره لا يعلم أهذا كابوس أم حقيقي أم أوهام؟؟ وبدون مقدمات أخرى غرزت السكين في حنجرته! كان هدوء الغابة هدوءاً مرعباً حتى كسره كارلوس بصرخاته وأنا أقوم بذبحه كالعنزة التي تذبح في مزرعة جزار، انتهيت منه علمت بأنه فارق الحياة، حان الوقت لأضع لمساتي الفنية على الجثة كما رسمتها في اللوحة، كان كل شيء يخرج لي كالسحر أتمنى وبعد ثانية واحدة أجده بجانبي، لذلك رأيت حشرة منقرضة من آلاف السنين تدعى «أحاديات الذنب» (اسم علمي: Monura).

هي رتبة منقرضة من الحشرات عديمة الجناحين تتبع تحت طائفة اللا جناحيات. وكانت هذه الحشرات تشبه أقاربها المعاصرين من هلبيات الذيل القافزة وكان لديها خيوط طويلة تطول من نهاية البطن. كان لديها أيضاً زوج من القرون الشرجية تشبه الساق وبعض الزوائد البطنية غير المتنقلة. وصل طول أكبر العينات المكتشفة إلى ٣٠ ملم (١,٢ بوصة) أو أكثر دون احتساب طول الشعيرة. كانت هذه الحشرة إذا لمست أو قرصت أو عضت إنساناً فهو يتعفن بشكل رسمي حتى الموت! يملأ جسمه الفطريات والفقاعات، أمسكت بالحشرة وللعلم أنا في الكوابيس التي

لصنعها لا يصيبني أي أذى، وضعت الحشرة في فم كارلوس وراقبتها وهيَ تسير في جميع أرجاء جسده وقبل أن أتركه يتعفن أردت أن أجرب شيئاً ما لكي أصدق أن ما حدث في الكابوس يحدث في الواقع، لذلك غرزت السكين في عين الجثة واقتلعت عينه وأمسكت بها في يدي، ونظرت إلى الساعة انتهت الثلاثون دقيقة أصبحت أسمع صوت المنبه الذي وضعته وحان وقت الاستيقاظ..

فتحت عينيّ لكنني لم أستطع النهوض من شدة وقوة التعب والخمول اللذين كنت أشعر بهما، بقيت مستلقياً أشعر بأنني بذلت مجهوداً حقيقياً حتى أخيراً بعد خمس دقائق من الاستلقاء اعتدلت في جلستي، كنت أشعر بصداع يمزق أشلاء دماغي، رفعت يدي حتى أضعها على رأسي لكن صعقت عندما رأيت يدي تمسك بعين إنسان!! رميت العين على الأرض من هول الصدمة! تدحرجت العين بعيداً، نظرت في يديّ كنت أرتعش كثيراً مصدوماً غير مستوعب أن الكابوس الذي صنعته كان حقيقة!! ركضت إلى الحمام فتحت المغسلة وبدأت أغسل وجهي بالماء البارد نظرت في المرآة إذا أرى وجهي نفسه وجه ليامز، كنت في الكابوس دانيال!! أتى صوت دانيال من خلفي:

لماذا أنت خائف؟ هل لهذه الدرجة نسيت شعور القتل؟؟

التفت لأراه متكئاً على باب الحمام.. قلت له:

هل ما حدث حقيقي؟؟

دانيال بابتسامة سعادة:

نعم حقيقي... يجب أن تستوعب الآن مقدار العظمة والمميزات التي تمتلكها أنت.. إذا كنت ما زلت غير مصدق تلك العين التي تدحرجت أسفل الخزانة فابحث بعد يوم أو يومين عن اسم ذلك الصحفي ستجده ميتاً بالطريقة نفسها التي قتلته أنت بها أو آسف أقصد نحن..

خرجت من الحمام وتوجهت إلى اللوحة وجه كارلوس وهو متوحش من تلك الحشرة سيكون على هذه الحالة أيضاً في الحقيقة، جعلت منه ذا شكل مسخ مخيف حتى لا يتجرأ أحد وينعت ابنتي بالمسخ مرة أخرى.. تذكرت ماريا، لذا بدلت ملابسي بسرعة ولبست القناع وخرجت إلى المنزل، كان الهدوء يعم المكان توجهت بسرعة إلى غرفة ماريا وفتحت الباب بهدوء، وجدتها ما زالت نائمة كنت أرغب بالدخول إليها لكنني ترددت، التفت لأجد نتالي تقف خلفي:

آسفة سيد ليامز..

لا بأس أخبريني الآن إلى متى ستنام؟ هل هيَ بخير؟؟

نعم إنها بخير من الناحية الجسدية لكن يبدو أنها من الناحية النفسية ليست بخير تعاني من صدمة نفسية لذلك تفضل النوم على ما يبدو ستنام لمدة يومين أيضاً..

حسناً هل من الممكن أن تسوء حالتها؟

إلى الآن حالتها جيدة سنعرف عندما تستيقظ..

حسناً أنا ذاهب إلى مكان أرجو أن تعتني بها..

بالطبع سأفعل ذلك..

تركت ماريا بين أيادي نتالي وروجر، وركبت سيارتي وخرجت خارج المدينة، توجهت إلى مكاني المعتاد في الغابة جلست على حافة مرتفع صخري حتى غابت الشمس..





«ألم أقدم ما فيه الكفاية؟»

لم تخبرني بأنك أخذت ماريا؟

أتى صوت مارا من خلفي وأنا ما زلت مستلقياً ومغمضاً عينيّ:

هل قام روجس بتوصيل كل المعلومات لك بهذه السرعة؟!

مارا وهيَ تجلس بجانبي:

لا بأس الأهم أنها أصبحت معك، وماذا ستخبرها الآن؟ من يكون أنت بالنسبة لها؟!

اعتدلت في جلستي:

لا تهتمي لما سيحدث معي، اهتمي بأنك خدعتني..

مارا باستغراب:

خدعتك في ماذا؟؟

بشأنك أنتِ! أخبرتني بأنك بشرية ولكن اتضح أنك كنتِ تكذبين، أخبرتني بأن والدك الرسام المزارع هو أول من عاد إلى الحياة وكان بشراً لكنه كان مجرد شيطان!! أتساءل لماذا لم تخبريني الحقيقة؟

مارا وهيَ تمسك يدي:

لقد فعلت ذلك من أجلك فقط، من أجل أن أعطيك الأمل نعم صحيح أنا تم اغتصابي عدة مرات وتمت التجارب علي وتم

تعذيبي حتى تعفنت!! لم يكن لدي أي قوة وعشت حياة بشرية طبيعية بسبب تجريدي من قوتي بسبب والدي الذي خالف قوانين الأنظمة في عالمنا وعاد إلى الحياة، لكن لم أختر أن أكون على هذا النحو أبداً..

أنتِ شيطانة..

وماذا كنت تظنني؟؟

أعلم ذلك بالفعل لكن!!

لكن ماذا؟

لا شيء انسي الأمر فحسب

مارا بحزن:

هل أنت نادم لأنك تحب شيطانة؟؟!

لكن من قال إنني أحبك؟

سمعت صوت تحطم قلب مارا إلى أجزاء لكنني لم أهتم وأكملت:

إذا كنتِ تحبينني حقاً يجب عليك فعل أشياء كثيرة لي!

مارا بخنقة:

وما هو هذا الشيء أخبرني؟ لقد فعلت لك الكثير والكثير منذ أن كنت طفلاً أنا حتى خسرت كل شيء بسببك حتى وجهي انظر إلي جيداً لقد خسرت نصف وجهي من أجلك، ما الشيء الذي لم أفعله لك أيضاً؟؟

هل أنتِ نادمة على ذلك؟ أنا لم أجبرك أبداً..

قالت بصدمة:

أنت ذلك الوحش «دانيال»!!

الوحش!! أخبريني من صنع هذا الوحش ألست أنتِ؟ ألست أنتِ من نقل إلي موهبة الرسم وجعلتني أرسم العشرة أطفال رعبتِ وقتلتِهم؟؟

كنت أرغب في مساعدتك والانتقام لك..

كان من الأفضل أن تساعدي نفسك أولاً!

لقد كنت وحيداً مثلي تماماً تتعذب وتُعنَّف جسدياً ونفسياً كنت خائفاً لو تركت لكنت تعفنت رعباً مثلي في ذلك القبو!!

نهضت من مكاني بغضب:

ماذا؟ هل تقومين بإذلالي الآن؟؟

مارا وهيَ تنهض خلفي:

لا.. من المستحيل أن أفعل ذلك كان هناك أمور لن تستوعبها أبداً وأنت في ذلك السن لذلك أخفيتها عليك كان كل ذلك في مصلحتك يا...

لم تنطق بـ اسمي واكتفت بالسكوت..

كنتِ تتظاهرين طوال الوقت حتى بعد أن نسيتك وعشت حياتي من جديد خرجتِ لي بعد أن قابلت ذلك المحقق

واستمررت بالتظاهر بأن صوت معلمتي الحنون يحرضني على القتل بعدها استمررت في سلسلة القتل بدون توقف!!

نعم لأنني كنت أعلم بأنك كنت شخص ضعيف وأنت قلتها بنفسك لا يمكن أن تكون ملاكاً فـ الملائكة لا يعيشون طويلاً على هذه الأرض.. أنت نفذت كل شيء لأنك كنت تظن أن المعلمة تحدثك لهذه الدرجة أحببت معلمتك؟؟

نعم وتعرفين لماذا؟ لأنها الوحيدة في هذا العالم كانت تعاملني كشخص ما كشخص طبيعي عاملتني كـ إنسان..

نعم وهل كانت ستحبك لو لم تكن أحداً؟ أو لو علمت بأنك أصبحت وحشاً؟؟

قلت صارخاً:

لم يحبني أحد عندما كنت لا أحد..

أنا فعلت يا أندرو أنا أحببتك.. كنت بائساً أنت كنت ضعيفاً جداً وحزيناً جداً، لقد كرهت حياتك..!

لقد كانت حياتي!! حياتي أنا.. وأنتِ لم يكن لديك أي حق في التدخل فيها، أنا كنت أستطيع سحب نفسي من ذلك الجحيم بدون مساعدتك مثلما سبق وسحبت نفسي عدة مرات، أنتِ كنتِ فقط ترغبين بنقل كوابيسك لأكبر قدر من الناس لتقومي بتعذيبهم..!

مارا وهيَ تبكي:

نعم فعلت ذلك لكن كانت هذه هيَ مهمتي التي أردت بها أن أنتقم من الناس كنت أرغب في أن أحرمهم من النوم الذي أنا

حرمت منه!! هل ستتركني؟ لقد أخبرتني المرة الماضية بأنك ستكون معي إلى الأبد..!

أدرت ظهري لها واكتفيت بالصمت.. شعرت بيديها وهي تضمني من الخلف قائلة بحزن:

في تلك الليلة عندما كنت معك لقد راودني حلم، وهذه أول مرة أرى حلماً! فيه حصلت على كل شيء، أو ليس كما تعتقد وحتى أكون أكثر صدقاً لقد كان كابوساً! لطالما أخبرني أبي أننا نستطيع الطيران لذلك اعتقدت أنه يمكنني الطيران لذا قفزت من فوق أعلى جبل لكنني وقعت وتمزقت إلى أشلاء! رأيت قلبي يخرج من صدري ويتدحرج أمامي! رأيت أنه لم يبكِ أحد علي والجميع كانوا غير مهتمين!!

ولكن عندما استيقظت رأيتك معي وأنت تقول:

«لطالما أنا هنا لا أحد يستطيع أن يؤذيك»

أريدك أن تعلم انه لو كان بإمكاني تغيير الطريقة التي ترى بها نفسك، لو بإمكاني فقط التخلص من الوحش دانيال والاعتذار من أندرو لكنت فعلت.

قلت وأنا أمسك بيديها وألتف نحوها:

هل تحبينني لهذه الدرجة؟؟

عن أي درجة تتحدث؟ هل تعرف عندما سقط قلبي في ذلك الكابوس وتدحرج من أمسك به؟؟ هو أنت! أنت من أمسك بقلبي..

وهل هذا شيء جيد؟

كانت الحياة مظلمة ومكتئبة بالنسبة لي حتى قابلتك وأنقذتني كما أنقذتك نحن أنقذنا بعضنا بعضاً..

قلت وأنا أقبل يديها:

إذاً هذه إشارة لي..

قالت بتعجب:

إشارة؟ إشارة ماذا؟؟

وضعت يدي على الجانب الجميل من وجهها:

إذاً أسدي لي خدمة أخيرة حتى أتحقق أكثر من أنك تحبينني!!

مارا بابتسامة وهيَ تمسك يدي:

بالطبع سأفعل أي شيء تريده ما هي؟

أعطيني قلبك..

مارا بسعادة:

لكن قلبي أنت تملكه منذ خمسة وعشرين عاماً..

قلت وأنا أخرج خنجراً:

لا أقصد هذه السخافات أقصد حقاً أنني أريد أن آكل قلبك..

اختفت ابتسامة مارا عندما رأت الخنجر الذي بيدي وسمعت كلماتي، بدأت ترتعش خوفاً والدموع انهمرت من عينيها!!

الخنجر الذي طلبته من صاحب الصوت وأخبرته بخطتي كاملة وأنني حتى أستوفي الشروط لأكون «الشيء» يجب أن أقتل شيطاناً وآكل قلبه، لم أفكر كثيراً ومارا كانت سبيلي الوحيد لأكون على القمة، أخبرني الصوت بطريقة قتل مارا وهو بهذا الخنجر الذي صنع بيدها عندما كانت قبل قرون تعمل في ذلك القصر الملكي!!

مارا وهيَ تتراجع للخلف وتتلعثم بصوتها المخنوق:

ألم أقدم ما فيه الكفاية يا أندرو؟؟

أنا لست أندرو ذلك الطفل انتهت أيامه وزمنه..

قالت وهيَ تمسح دموعها:

كنت أظن أنني أنا وأنت معاً دائماً وأن لا شيء أفضل من هذا! لكن أنت محق لطالما كنت دانيال وستظل كذلك لطالما كنت أظن أنني حقاً أعرفك، ولكن الآن أعلم بأن لديك جانباً لم أعرفه أبداً، وكل الأشياء التي قلتها لم تكن في الأصل حقيقية لم تكن حقيقية أبداً! طوال السنوات كل الألعاب التي لعبتها كنت دائماً تفوز دائماً! كان يجب أن أعلم بأنك أنت الشيطان ولست أنا..

تقدمت إليها وأنا أقول:

كنتِ دائماً ترغبين في مساعدتي وأيضاً موتك الآن سيساعدني كثيراً لذلك لا تجعلي الأمر صعباً..

مارا بعد أن أغمضت عينيها وأعلنت استسلامها:

كن على علم بأنني حتى بعد موتي سأجعلك تفكر بي وأنت في قمة اليأس تبني لي بيتاً هناك في رأسك وكأنه بيتي وبالطبع لا يمكننا العيش فيه معاً! سألقي بروحك عبر كل باب مفتوح يؤدي إلى الجحيم سوف أجعل من أحزاني ذهباً ثميناً وسأجعلك تدفع الثمن وتحصد فقط ما زرعته، والآن سوف أتمنى لو أنك لم تقابلني سوف أتمنى أنك لو تعفنت رعباً في الجحيم المظلم..

غرزت الخنجر في صدرها وشققته من الأعلى حتى الأسفل وهمست في أذنها:

كنتِ مخطئة منذ متى الشياطين تحب الملائكة؟؟ بالطبع سيحدث اختلال في توازن الكون..

وهنا بالطبع كنت صريحاً وكنت أقصد بالشيطان هو أنا والملاك كانت هيَ، أصبحت بحيرة دماء مارا تطفو أسفل قدميّ بعد أن وقعت جثة مارا فيها، انحنيت على ركبتيّ لكي أبدأ بالجزء الأهم، أمسكت بالخنجر وشققت صدرها أكثر وأكثر حتى تكونت فجوة، أدخلت يدي عبر الفجوة وهنا أمسكت بقلبها وانتزعته من مكانه! كان دافئاً جداً أو أكثر سخونة هل لأنها كانت حزينة وغاضبة؟؟ هذا لا يهم وبدون تردد وضعته بين أسناني! وبدأت بالأكل أكلت قلب مارا قلب الشخص الذي ساعدني طوال هذه السنوات لكنها صنعت مني وحشاً أيضا لذلك عليها

أن تحصد ما زرعت! بعد أن انتهيت ضرب صوت الرعد بقوة نظرت إلى السماء وبدأت تمطر بغزارة شديدة وغزارة مخيفة! تساءلت؟ هل السماء حزينة على مارا؟! لكن لماذا لا يحزن علي احد؟ لا بأس الآن سأجعل الجميع يحزنون على أنفسهم أنا سأكون لهم كالكابوس الأبدي الذي يتكرر بدون نهاية.. أطلقت صرخة مدوية ووقعت مغشياً علي بجانب جثة مارا..



«عندما ينام العقل يولد الوحش»

أين أنا من كل هذا؟ من أكون أنا؟ لطالما تساءلت هذا السؤال منذ اللحظة الأولى التي فتحت فيها عيني في المستشفى وأخبروني أن والديّ ماتا في حادثة مؤسفة لذلك يجب علي أن أذهب مع خالتي وزوجها المسخ، منذ تلك اللحظة اختل توازن العقل والنفس الإنسانية والبشرية لدي، لأني عشت مع ناس ليسوا بشر! كنت أبحث طوال الوقت وطوال الحياة التي عشتها عن نفسي، نفسي أنا الحقيقية في هذه الحياة؟ أشعر دائماً بأنني لست شخصاً حقيقياً أو أنني أعيش في كابوس طويل جداً لن ينتهي أبداً! أتساءل متى الاستيقاظ ألم يحن وقته؟ متى سينتهي هذا الكابوس وتبدأ حياتي الواقعية الطبيعية؟ أشعر بأنني في دوامة تدور وتدور بدون نهاية بدون توقف، لا أعلم أين موقعي في هذه الحياة هل أنا مع الخير أو الشر؟؟ هل أنا مع الملائكة أو الشياطين؟ هل أنا مظلوم أم ظالم!؟

لا أعرف حقيقة نفسي ولا حقيقة هذا العالم الذي يبدو وكأنه عالم مزيف أم أنا المزيف!؟ أصبحت أشك أحياناً أنني أعيش في أحد العوالم المرعبة التي رسمتها في لوحاتي، هل أنا حقاً أعيش في لوحة كانفس؟! مليئة بالألوان السوداء والظلام والخوف والرعب، والقسوة والفساد والقتل!! هل من الممكن أن اكون أعيش في لوحة ولا أعرف طريق الخروج منها؟

أم هل أنا شبح يتجول في هذه الحياة لا يعلم أين يذهب وأين يلجأ؟ روح تائهة تنتظر خلاصها، أم أنني وحش هائج يشعر بالجوع على مدار الأربع والعشرين ساعة ويجب أن يسد جوعه عبر سلب أرواح الناس مراراً وتكراراً لا يستطيع التوقف عن نهش لحومهم وشرب دمائهم، وحش يتحجج بأنه عاش ماضياً أسود ماضياً في الجحيم وعليه أن يسحب جميع الناس معه في أسفل الجحيم لكي يشعر براحة تسري في دمه وقلبه ويشفي غليله.. دائماً يبقى السؤال: هل أعيش كرجل صالح؟ أو أموت كوحش؟؟!

فتحت عينيَّ لأجد نفسي في مكان غريب كالعادة لكنني أعرفه جيداً! أنا على ما يبدو أكون في مزرعة نعم مزرعة ضخمة جداً أو بالأصح حقول بدون نهاية، تمتد من كل جهاتها الأربع امتداداً بلا نهاية ويبلغ ارتفاعها كالمباني الشاهقة! كان الوقت صباحاً لكن لا أعلم التوقيت تماماً كل ما أراه هو ضوء الشمس، الجو كان بارداً لكن ليست بتلك البرودة القاتلة، استمررت بالمشي بين تلك الحقول لا أعلم هل أتجه يميناً أو يساراً؟ أسير وأسير بدون وجهة ولا مكان معلوم حتى شعرت أن الحقول انخفض طولها وأصبحت بطولي تقريباً استمررت بالسير حتى أخيراً وصلت إلى ساحة مليئة بالفزاعات! كان منظرها مخيفاً ومهيباً كانت الفزاعات كثيرة جداً على غير العادة لدرجة لا أستطيع حصرها، وكالعادة لا أعلم لماذا ولكن سيناريو الكابوس يتطلب ذلك، سرت باتجاه الفزاعات حتى وصلت إليها دخلت عبرها وأصبحت محاطاً بها من كل اتجاه، بعد ما دققت النظر إليها شعرت بأن هناك شيئاً غريباً! كانت الفزاعات

غريبة تبدو وكأنها أشخاص حقيقيون وليست مجموعة من القش والخشب! استمررت بالسير وكان عددها لا ينتهي حتى وصلت إلى فزاعة كانت تلبس قلادة وكانت تلك القلادة مألوفة لي! رفعت رأسي باتجاهها أكثر أحاول أن أرى القلادة بشكل أوضح لكن الشمس كانت تمنعني، لذلك قررت تسلق الفزاعة وبالفعل وضعت قدمي اليمنى ثم اليسرى وصعدت على الستاند الخاص بها، كانت رائحة الفزاعة عفنة جداً متعفنة ليس تعفن قش وخشب بل أكثر من ذلك، أخيراً استطعت الإمساك بالقلادة كان شكلها لافتاً وغريباً كانت تبدو كالقفص الصدري المتآكل لذا قررت نزعها من رقبة الفزاعة وبالفعل انتزعتها من رقبتها ولكن حدث ما هو متوقع، بعد انتزاعي للقلادة الفزاعة التي يفترض أن تكون من قش وخشب وقماش! فتحت عينيها ونظرت إلي مباشرة بأعين دامية!! هنا صرخت لا إرادياً ووقعت على الأرض، شعرت بالألم في ظهري من قوة الوقوع لكن الخوف في قلبي كان أقوى لدرجة نهضت بسرعة وبدأت بالركض عبر الفزاعات ولا أعلم أين أنا متجه؟؟ وخلال ركضي كنت أرى الفزاعات جميعهن يلتفتن نحوي في منظر مرعب! لم أتوقف عن الركض حتى أخيراً وصلت إلى ساحة فارغة من الحقول كان يوجد في المنتصف منزل صغير خشبي، توقفت لألتقط أنفاسي والعرق يتصبب من ذروة رأسي حتى أسفل قدمي، رفعت عيني لأرى ذلك المنزل الخشبي الذي يقبع في منتصف الحقول، فجأة سمعت صوتاً!! لذا ركضت بسرعة خلف المنزل واختبأت، أخرجت رأسي بحذر لأرى شخصاً ضخماً جداً يبدو عليه الرثاثة

والأوساخ وكأنه كومة عفن تمشي! كان هذا الرجل الضخم يسحب رجلاً آخر أو ضحية كان يصرخ ويتألم من شدة الإصابة والدماء تغطيه، وضع الرجل الضخم الضحية في المتصف وهو يبكي متوسلاً! ذهب الرجل الضخم وأحضر معه سلاسل وقيد الضحية بشكل كامل وتركه وذهب، ما أن تيقنت من ذهابه بعيداً لا أعلم أين؟ لكنني خرجت إلى الضحية كان شاباً صغيراً في العشرينيات تقريباً، وهذه أول مرة أصادف شيئاً كهذا في كابوس أن يكون معي ضحية أخرى وأحاول إنقاذها؟ حتى أنا لا أعرف لماذا فعلت ذلك؟ وصلت عنده وهو يصرخ متألماً ويبكي قلت له وأنا أهمس:

اهدأ..

الشاب:

من أنت؟؟ أرجوك ساعدني!!

حسناً أنا أحاول لكن اهدأ ولا تصرخ..

لا يوجد وقت سيأتي الآن أرجوك أخرجني من هنا!!

لا لقد ذهب بعيداً ولا أظن أنه سيعود الآن لا تقلق..

الشاب بخوف وهلع:

لا أقصده هو بل أقصد شيئاً آخر شيئاً أكثر إخافة!!

توقفت عن محاولة فك وثاقه الذي لن يتفتح أصلاً لكونه سلاسل حديدية:

ماذا تقصد؟ هل هناك أحد غيره!!؟

الشاب بتلعثم وجزع وعينين متسعتين وهو يشير بأصبعه خلفي:

نعم هو صانع الفزاعات..!

شهقت شهقة قوية شعرت بأن روحي ردت إلي بعد أن تجولت كالعادة في الكوابيس وتركت جسدي هنا مستلقياً بجانب جثة مارا! تذكرت بعدها كل شيء ما أن رأيتها بجانبي بوجه محتقن وحزين وغاضب ومكسور ومتألم، كنت أشعر بتعب غير مسبوق يسري في خلايا جسدي ولا أعرف ماذا أفعل حتى أتى الصوت كالعادة:

تهانينا لقد أنجزت مهمتك..

قلت بثقل:

لم أعد أميز عن أي مهمة تتحدث؟؟

قتلك لشيطان وأكل قلبه! لا أحد يستطيع فعل هذا العمل غيرك..

قلت ببرود:

وماذا بعد؟ ماذا سيحدث الآن؟

الصوت:

أنت تعرف ماذا سيحدث لقد أصبحت من «الشيء» وهذا سيعطيك مميزات مخيفة لكونك إنساناً..

لم أرد عليه واكتفيت بالصمت بسبب شعوري الشديد بالإعياء والخمول، لكن استرسل الصوت في حديثه قائلاً:

ومن أهم هذه المميزات أنك تستطيع أن تتخلص من الكوابيس وللأبد لأنك أصبحت أنت مصدر الكوابيس..

حقاً؟ ولماذا الآن ما زلت أرى كوابيس؟ مارا كانت المتحكمة في كوابيسي لكن الآن ماتت وفي الوقت نفسه رأيت كابوساً غريباً! وكأنه مشهد من فيلم!!؟

الصوت:

بالطبع لأنه من المستحيل أن يخلو شخص مثلك من الكوابيس حتى لو ماتت مارا هناك الآن الكثير من الشياطين يسببون الزوبعات والكوابيس المتعددة وبالأخص أنت الجميع يرغبون بالوصول إليك لذلك يتم سحبك في عوالمهم وهيَ الكوابيس..

وإذا اخترت التخلص منها فسأفقد أيضاً الكثير من الأشياء؟

الصوت:

صحيح.. رغم قساوة الكوابيس إلا أنه يوجد بها منفعة كبيرة خصوصاً للأشخاص أمثالك الذين يرغبون بمواجهتها والتعمق في هذا العالم..

حسناً هل من الممكن أن أرفض هذا العرض لكن أجعله لشخص آخر؟

الصوت:

ابنتك.. أنت تريد ألا ترى ابنتك كوابيس أبداً؟

نعم..

حسناً كما تريد، بعد قتلك لتلك الساحرة ستكون كوابيسها كوابيس طبيعية مثل أي شخص في العالم..

شعرت بسعادة أخيراً سأخلص ماريا من هذا الذنب الذي لا ذنب لها فيه، بعد أن أقتل تلك المشعوذة لن ترى ماريا كوابيس غير عادية ولن تخرج معها إلى الواقع وستعيش حياة طبيعية..

الصوت:

هل هناك أي شيء آخر يا سيد؟

قلت باستغراب:

سيد؟!!

نعم بعد قتلك مارا أنت أصبحت بشكل رسمي سيد الكوابيس..

ابتسمت ابتسامة انتصار وقوة:

هناك شيء أرغب في أن أتحقق منه؟

ما هو؟؟

هل فعلاً ذلك الصحفي الذي قتلته في الكابوس ميت الآن؟

الصوت وهو يتلاشى:

عد إلى المنزل وقم بفتح قنوات الأخبار.. وبالنسبة لجثة مارا اتركها لنا نحن..

توجهت إلى سيارتي وركبتها وعدت بها إلى المنزل وصلت مع شروق الشمس كانت ليلة طويلة وحافلة بالنسبة لي، دخلت إلى المنزل كان هادئاً علمت بأن نتالي وروجمن نائمان كنت أفكر ما الذي سأقوله لروجمن إذا سألني عن مارا؟ هو يحبها كثيراً! ماذا سيفعل إذا علم بأنني قتلتها؟ وبالتأكيد سيعرف قريباً، لكن لا يهم

إذا أراد أن يستمر في خدمتي فأهلاً وسهلاً وإذا أراد أن يغادر فبالطبع سيغادر إلى القبر لا خيار آخر، توجهت إلى غرفة ماريا فتحتها بهدوء رأيتها ما زالت تنام كالملاك! أتمنى أن لا تزعجها تلك المشعوذة في نومها، أتمنى أن تكون خالية من الكوابيس رغم أنه من المستحيل.. أغلقت الباب وتوجهت إلى غرفتي كانت ملابسي متسخة ما بين مياه الأمطار والطين ودماء مارا، بدون تردد انتزعتها من على جسدي وتخلصت منها في القمامة، بعدها ملأت حوض الاستحمام وغطست فيه لمدة عشر دقائق، أحاول أن أبعد جميع الأفكار السلبية أحاول أن أكون أنا الشخص المخيف من جديد، أحاول أن أتخلص من كل جزء يخص ليامز الطفل العديم الفائدة الذي يذكرني بـ أندرو، أحاول أن أتخلص من الماضي حتى مارا تخلصت منها لا أريد أن آخذ معي أي شيء يخص تلك الأيام، انتهيت من الاستحمام ارتديت ملابسي وتوجهت إلى المكتب وكما أخبرتني صاحب الصوت فتحت على قنوات الأخبار لكن لم يكن هناك أي أخبار على ما يبدو أن التوقيت ما زال مبكراً جداً، قررت أن أرتاح قليلاً لأنني بالفعل مررت بليلة طويلة، استرخيت على سريري وأغمضت عيني ما أن أغمضت عيني رأيت نفسي في تلك الحقول!! فتحت عينيّ وأنا مفزوع ومتعجب هذه أول مرة يحدث معي هذا الشيء! أن أغمض عينيّ وأرى نفسي في المكان نفسه من آخر كابوس وكأنها ذكرى!؟ هذا لم يحدث معي من قبل! هل هذا بسبب التغيرات التي أمر بها؟؟ أم أن لدي شعوراً بأن هذا الكابوس كابوس الحقول والفزاعات لديه قصة! ومميز؟

هل تعاني من الأرق؟؟

رفعت رأسي لأرى دانيال يقف بابتسامته المعتادة.. ثم أكمل حديثه ساخراً:

أو أنك تشعر بتأنيب الضمير على قتل حبيبتك؟؟

تأنيب ضمير؟؟ هل تعرف ما هو تأنيب الضمير؟

دانيال بسخرية:

هل هو أكلة ما؟؟!

قلت متنهداً:

أشعر بصداع العالم كله في رأسي، ولا أعلم لماذا مازلت تخرج إلي؟ ألم تقل بأنني أنا وأنت هو شخص واحد؟؟! إذاً لماذا تظهر لي في كل مرة؟

دانيال:

أنا كالإرشاد لك، لقد سألتني للتو عن الضمير! أتعرف أن الضمير له صوت؟ ودائماً ما يتحدث في رأسك ويتحكم في أفكارك وقراراتك؟ هذا هو أنا..

كنت سأرد عليه لكن أتى طرق على باب غرفتي:

ليامز هل أنت بالداخل؟؟

نعم روجس تفضل..

دخل روجس كالعادة وهو يحمل كوب قهوتي ووجبتي المفضلة ووضعهما أمامي وهو يقول:

لقد تأخرت حتى ظننت أنك لن تعود اليوم إلى المنزل..

لقد عدت كان لدي عمل أقوم به

هل قابلت مارا؟؟

شعرت برجفة في قلبي وجسدي لا أعلم لكنني شعرت بتوتر:

لا.. لقد اكتفيت بالبحث عن حلول لكي أتخلص من تلك المشعوذة..

وهل هناك حلول بدون مارا؟

أغضبتني جملته:

هل تقلل من قدراتي؟؟ هل تظنني لا أستطيع أن أفعل شيئاً من دون سيدتك!؟ وهل تعرف أن مارا عديمة نفع؟ هيَ إلى الآن لم تحضر لي اسمها ولا مكان جثتها وكل ذلك أنا عرفته وحدي بدون مساعدتها..

روجس:

أعتذر لم أقصد ولكن كل ما أقصده هو أنك أنت مجرد إنسان طبيعي كيف يمكنك مواجهة قرين تلك المشعوذة؟؟

قلت بثقة:

أنا لم أعد كإنسان عادي وستعرف ذلك خلال أيام فقط..

هل فكرت سابقاً أن تتوقف عن القسوة؟؟

داهمني سؤال روجس على حين غرة:

وما هذا السؤال الغريب الآن؟

إنه مجرد سؤال..

حسناً ما رأيك أن نعكس السؤال هكذا مثلاً: «قل لي من علمني القسوة»؟

أليس هذا أفضل؟

روجس:

أياً كان لكن فكر في حياتك التي تعنيت أن تعود إليها، وكيف تعيشها بشكل صحيح..

ضحكت بسخرية:

أعيش؟؟ هل تعرف كيف عشت طفولتي؟؟ ومراهقتي؟ وشبابي؟

إذاً عوضها الآن بشكل صحيح أنت ما زلت صغير السن لديك أموال لديك موهبة عش فقط بشكل طبيعي ورفاهية طبيعية..

نهضت من مكاني وتقدمت نحو روجس:

كان عمري عشر سنوات! عشراً فقط! وعشت مع جثة، جثة متعفنة! هل تعرف ما معنى ذلك؟ هل تعرف معنى أن تنام وتأكل وتستيقظ وتشرب وتقرأ كتباً وترسم وكل روتين حياتك يحدث في قبو ضيق مظلم لا يكفي إلا لشخص واحد وجثة!.. هل تعرف ما معنى أن تراقب طوال الوقت الجثة وتراها كيف تتحلل؟ هل تعرف معنى أنك لا تستطيع أن ترمش ليوم كامل لأنك خائف لو رمشت أن تتحرك تلك الجثة؟ بالطبع لا تعرف أي شيء لذلك من الأفضل أن توفر حكمتك ونصائحك لشخص آخر ولا تطرحها علي..

لم يشعر روجس بالارتياح وشعرت أنه بدأ يشعر بالخوف والتوتر مني، ثم قال قبل أن يخرج:

أرغب في أن أسألك عن شيء أخير سيد ليامز

قلت وأنا أرتشف قهوتي:

تفضل..

هل تذكر ذلك الصحفي؟ أقصد الصحفي الذي استفزك في معرض ماريا؟؟!

وضعت كوب القهوة جانباً باهتمام:

نعم أتذكره

روجس بنظرات شك تجاهي:

لقد وجدته الشرطة ميتاً بطريقة بشعة في غابة في المنطقة وكانت إحدى عينيه مفقودة وما حير الشرطة أن الصحفي تعرض للدغات من حشرة منقرضة لم تعد موجودة في الحياة حتى!؟

قلت ببرود وأنا أتناول فنجان قهوتي:

ومن يهتم؟ إذا مات أو عاش ففي النهاية كان مجرد غرض زائد في هذا الكوكب..

كان روجس بالفعل يعرف أنني أنا من قتله لكن لا يعلم متى؟ وكيف؟ ووقت وفاته كنت نائماً في المنزل! لا يعلم بأنني قتلته في داخل كابوسه..

بعد أن خرج روجس شعرت بشعور جنون العظمة يسري في داخلي، هذا يعني أنني بالفعل أصبحت بشكل رسمي أستطيع

قتل أي شخص في كابوس! هذا يعني أنني لن يكون لدي هم وعناء من أن يكشف أمري مثل المرة السابقة! هذا يعني أنني سأقتل بدون أي قيود وشروط يعني أنني لن أحمل على عاتقي هم ترك دليل خلفي أو بصمات أو أي شيء لأنني سأكون مثل الشبح بشكل رسمي.. هذا يعني أنه لن يستطيع إيقافي أحد سأصنع العديد من العوالم والكوابيس واللوحات بدون توقف سأبهر جميع المخلوقات من إنس وجان وشياطين ولن يستطيع أحد أن يتحداني بعد الآن هذا يعني أنه إذا نام عقلي يولد الوحش ولا يرحم أحداً..

لقد استيقظت..

عاد روجس مرة أخرى إلى غرفتي يخبرني بأن ماريا استيقظت أخيراً، لم أعرف كيف أواجهها للمرة الثانية وكيف أقابلها وأتحدث معها؟ كيف سأخفف عنها منظر موت صديقتها البشع أمام عينيها؟ لكنني سأحاول أن أقنعها أكثر بأنها هنا في أمان وأن الشرطة تبحث عنها وأن ليس لديها خيار آخر غيري..





«اللوحة الأخيرة»

شعور آخر لوحة ترسمها بينما ينتظرك بعدها معرض حافل وجماهير تنتظرك للكشف عن هذه اللوحة! هذا كان شعوري لأنتهي من هذا الجزء من حياتي لأبدأ بجزء آخر يجب أن أجهز الواني وفرشاتي الأخيرة وليست الأخيرة في حياتي لأخط بها في لوحة وأصنع عالماً كاملاً عالماً يشع رعباً، سندخل الآن في المهم جميعكم تعلمون الأحداث التي حدثت عندما استيقظت ماريا استطعت أن أقنعها بأنني خيارها الوحيد! وأخبرتها بأنني ليامز الفتى المشوه ابن تلك المشعوذة، وبالنسبة لتلك المشعوذة بقي فقط اسمها وعرفت أنه يجب أن أدخل إلى كابوس قديم يخص ليامز حتى أستطيع الحصول على اسمها، أخبرني الصوت بأنه بكل سهولة مع قدراتي أستطيع دخول أحد كوابيس ذلك الفتى لكن لا أستطيع اختيار أسهلها هذا يعني أنه من الممكن أن أدخل في كابوس مرعب وصعب لكن الأهم يجب أن أحصل على اسمها لأتخلص منها بسرعة.

عدنا للزمن الحاضر: بعد أن فقدت ماريا أمام عيني في المحطة بسبب غباء نتالي وصديقها وغبائي لأنني استهنت بقدرات تلك المشعوذة، علمت بأنها أخذت ماريا إلى منزلها الأساسي كان يفترض بي حرقه تماماً، كنت مستعداً للدخول إلى أحد كوابيس ليامز وكنت أعلم بأن ماريا الآن من المحتمل والأكيد أنها ستعرف من أنا، لذلك استعددت بجميع خططي لمواجهة كل المواقف

وخصوصاً الخطة الأهم والتي ستعرفونها لاحقاً! كانت العاصفة تعيق طريقي وكنت متعجلاً أحاول أن أخفي توتري لا أعلم إذا كانت تلك المشعوذة ستنهي حياة ماريا أم ستنتظرني؟ في كل الأحوال كنت خائفاً كثيراً، حتى أتى الصوت يهمس في أذني:

عندما تصل إلى القرية ابقَ في أقرب منزل من منزلها ومارس طقوس النوم حتى تدخل في الكابوس..

قلت بصوت عالٍ كالمجنون أمام نتالي وصديقها:

وماذا عن ماريا؟؟

الصوت:

حتى ذلك الوقت لا تقلق ستكون بخير ثق بنا..

وصلنا إلى القرية وتركنا صديق نتالي ينصرف بعدها تحجج روجس وقال بأنه هناك استدعاء هام من رؤسائه وأنه يجب أن يذهب في هذا اليوم المهم ويتخلى عني، على ما يبدو هذه بداية الانقلاب وعلى ما يبدو أنه عرف أنني قتلت مارا، لكن سأتصرف معه بعد أن أنقذ ماريا، وصلنا أنا ونتالي ودخلنا تلك القرية المشؤومة المظلمة التي ينبع منها الشر والفساد والجهل لطالما تذكرني بقريتي، كان الجو بارداً ومظلماً وممطراً أشرت لنتالي أننا سندخل ذلك المنزل القريب من منزلها الوحيد المضيء، دخلنا إلى منزل متهالك شديد الظلمة وشديد البرودة الكثير من الفئران تسكنه، لاحظت أن نتالي كانت خائفة كثيراً من هذه المهمة الصعبة، قلت لها وأنا اضيء بعض الشموع:

أخبرتك أن تغادري مع صديقك أفضل لك..

تتالي:

لا تقلق سأكون بخير يا سيد ليامز..

إذاً اجلسي هنا..

جلست نتالي بجانبي وسبق أن أخبرتها بالتعليمات وأنه عندما تنطفئ الشموع وأنا نائم يجب أن تقوم فوراً بإشعالها، هزت نتالي رأسها:

حسناً فهمت..

لكنّ لدي سؤال أخير لكِ؟

نتالي بتوتر:

ما هو؟

لماذا لم تغادري مع روجر معلمك؟

لا أعلم هو لم يخبرني بأنه سيغادر بعيداً عنك لماذا؟ هل هو سيرحل؟

نعم سيرحل لأنني قتلت مارا ولن يبقى معي وسيختار أن يقف مع أعدائي للانتقام مني هل ترغبين بالذهاب معه؟ سأسمح لكِ وإذا رغبتِ بالاستمرار معي فسأسمح لكِ وأعطيك كل الثقة..

نتالي بتعابيرها التي أدركت بما أنني استطعت قتل مارا هذا يعني أنني سأكون الأقوى لذلك قالت:

سأستمر معك يا سيد ليامز

ولكن كيف أستطيع أن أثق بك هل تظنين أنني سأصدق أنك ستتخلين عن الرجل الذي اهتم بك منذ طفولتك وتأتين مع شخص لا تعرفين عنه شيئاً؟

ذات مرة قال لنا السيد روجس بأننا يجب أن نخوض في مغامرات وتجارب كثيرة ويجب أن نختار دائماً الأقوى لذلك أنا أختارك صدقني سأفعل أشياء تجعلك تثق بي أكثر..

حسناً إذاً سنرى في المستقبل القريب..

الآن أنا سأنام لكن قبل ذلك يجب ألا تصدقي أي همسات تأتي في رأسك ولا تخرجي إلى الخارج أبداً هل فهمتِ؟؟

نعم فهمت..

استلقيت في منتصف الشموع ورغم أن قلبي يكاد يخرج من مكانه من شدة الخوف على ماريا إلا أنني غصت في نوم عميق لأذهب إلى داخل أحد كوابيس ليامز القديمة حتى أعرف اسم والدته..

فتحت عينيّ لأجد نفسي في مكان يبدو وكأنه صحراء مظلمة، كان الجو مظلماً جداً الضوء يعتمد على نور القمر فقط! سرت كالعادة عبر الكثبان الرملية الناعمة الباردة، سرت بدون توقف لا أرى سوى الظلام حتى لمحت شخصاً يسير أو صبياً نعم كان ليامز في مراهقته أو هذا الشكل الأخير له قبل أن أسرق جسده، مشيت خلفه بكل هدوء لم يكن خائفاً بل كان يمشي بثقة رغم أنه في كابوس من المفترض أن يكون خائفاً ولو قليلاً! هل اعتاد على الكوابيس لهذه الدرجة؟ هل أصبح متبلد المشاعر؟!

استمررت في السير خلفه بحذر كان يسير وكأنه حافظ طريق الكابوس غير متفاجئ بالمرة!! سرنا بدون توقف حتى لدرجة شعرت بالتعب والعطش وكأنني في صحراء حقيقية، حتى وصل إلى طريق أرضي غير صحراوي طريق معبد مثل طرق السيارات لكن بدون سيارات، عبر ليامز هذا الطريق وقطعه قطعته خلفه حتى وصلنا إلى بئر، رأيت ليامز يتجه نحو البئر فتوقفت أراقبه لا أعلم كيف سأحصل على اسم والدته في هذه الصحراء؟ وقف ليامز بجانب البئر تماماً وأنا أراقبه عن بعد بتركيز لكنه استمر بالوقوف كالصنم تماماً حتى الرياح التي كانت تحرك شعري لكنها لا تحرك شعره! نفد صبري وتوجهت نحوه بخطوات حذرة حتى وصلت إليه لا أعرف لماذا؟ لكنني وضعت يدي على كتفه ما أن لمسته التفت إلي بعينين سوداوين تماماً وفم مفتوح باتساع مترين!! شهقت وتراجعت إلى الخلف كان ليامز يشير بأصبعه إلى البئر بدون أي حركة مع فمه المفتوح وعينيه اللتين يغطيهما السواد!! عدت إلى البئر لأرى إلى ماذا يشير تبين أنه كان يشير إلى حبل داخل البئر يبدو أنه لا يقدر أو لا يستطيع أن يسحبه! لذلك أمسكت بالحبل وقمت بسحبه كان الحبل محملاً بشيء مجهول لا أعرف ما هو رغم ذلك استمررت بسحبه ونبضات قلبي تدق بسرعة لا أعلم ماذا ينتظرني وماذا أسحب؟ كل ما أعرفه هو أنني يجب أن أنتهي بسرعة من هذا الكابوس وأنقذ ماريا، استمررت بالسحب حتى وصل الشيء المجهول أخيراً إلى السطح، كان كيساً وما أن رميته على الأرض حتى تناثر ما بداخل

الكيس وكان بداخله جثة والد ليامز الذي كان أول ضحية لتلك المشعوذة والدته!!

هنا عاد وجه ليامز إلى شكله الطبيعي إذ كانت هذه هيَ أمنية ليامز أن يجد جثة والده الذي كان الحلم الوحيد في حياته والجميع كانوا له كابوساً! انحنى ليامز وأنا أراقبه إلى جثة والده وأخذ القلادة التي كانت في رقبته قام بفتح القلادة هنا نبض قلبي علمت بأن القلادة بالتأكيد تحتوي على أسماء العائلة لكن فجأة وقبل أن يفتحها هبت رياح شديدة جداً أطارت كثبان الرمال نحونا حتى دخلت في عيني وبدأت الرؤية تنعدم، ركضت نحو ليامز وأمسكت به واحتضنته ودائماً أفعل أشياء ليس لها تفسير في الكوابيس قلت له:

لا تقلق سأقوم بحمايتك.. لم أتوقع رده لكنه صدمني عندما قال:

لقد قلت ذلك لي قبل هذه المرة وسرقت جسدي!!!

شعرت بالصدمة هذا يعني أنني لست في كابوس معاد؟ أو أحد كوابيس ليامز؟ على ما يبدو أننا تشاركنا في كابوس فحسب،،

قلت له:

هل تتذكر ذلك الكابوس؟ الكابوس الذي خرج المخلوق الصغير فيه من فمي كان في غرفتك هذه إشارة لي بأنني أنا وانت يفترض بنا أن نكون معاً، نحن عانينا المعاناة نفسها الكوابيس أنفسها الجحيم نفسه أخبرني باسم والدتك أرجوك ليس لدي وقت!!

إنها هناك تلك الوحش الجميع يريدون أن يخرجوا منها إنها تحتجزهم بداخلها!!

قلت باستغراب:

من؟؟

أشار ليامز بأصبعه خلفي إذ ألتفت وأرى هذا المنظر المهيب:

رأيت تلك المشعوذة كانت تقف بشموخ وتبدو كأنها شجرة! وجميع الضحايا يخرجون منها كفروع وأغصان لهذه الشجرة!! كونت تحفة فنية غير مسبوقة..

وكان تحت الشجرة أشخاص وكأنهم يتضرعون لها!! تلك الحقيرة تظن نفسها أنها إله!؟ مضحك حقاً لطالما ظنت نفسها شيئاً مميزاً وهيَ مجرد مشعوذة لعينة، امتدت أيدي الضحايا نحوي أنا وليامز وكأن الشجرة ترغب في ابتلاعنا، عدت إلى الخلف وسحبت ليامز الذي كان متجمداً من الخوف والدته خوفه الأكبر وهيَ حية وهيَ ميتة وهو حي وهو ميت في كل الأحوال والدته أكبر خوف له!

أمسكت بليامز وبدأت أصرخ في ظل صراخ تلك الشجرة الوحش:

ليامز أخبرني ما هو اسم والدتك؟؟ يجب أن تخبرني لكي نتخلص منها للأبد!!؟ أرجوك أخبرني..

لم يتحدث ذلك الصبي الجبان حتى وصلت يدا الشجرة وأمسكتا بقدم ليامز وسحبتاه، أمسكت بيدَيْ ليامز وهو يصرخ:

ستبتلعني.. ستبتلعني يجب أن أسمع لها!!

صرخت وأنا أخبره:

ليامز هذا كله غير حقيقي إنه عالم زوبعات هيَ تصنعها فقط أخبرني ما اسمها!؟

ليامز:

الجميع يسمعون لها يجب أن نسمع لها هذا هو معنى اسمها!

مرت الذكرى كسرعة البرق في رأسي عندما قال ليامز هذه الكلمات! تذكرت عندما أخبرتني تلك الساحرة في سنة من السنوات أن جميع الضحايا يجب أن يطيعوها وينصتوا لها هذا هو معنى اسمها! يعني اسمها:

«ساماناثا» وهو اسم مؤنث ومذكر بالنسبة للسريلانكيين، له أصل يوناني ومعناه (السامع لله) وله أصل سنهالي يشير للإله سامان الذي كان يعبده السنهاليون القدماء، والذي كانوا يشبهونه بالشجرة وهم الأغصان والفروع من حوله يحميهم ويحمونه كالعائلة الواحدة!.

ما أن نطقت باسمها صرخت صرخة مدوّية من شدتها مع الرياح القوية طرت بعيداً وأفلت يد ليامز سقطت على الأرض وشعرت بأن كل عظمة في جسدي تحطمت إلى أجزاء، نهضت بثقل إذ رأيت الشجرة تفرعت واتجهت تلك العجوز نحوي وركضت بسرعة بشكل مرعب في اتجاهي وهيَ تصرخ، لم أستوعب أي شيء إلا وقفزت فوقي وهيَ تصرخ أمسكت برقبتها كانت تحاول بدون مزاح أن تلتهمني وأنا ممسك برأسها حتى لا تغرّ أسنانها في رقبتي وأكون ضحية التهام لها، استمرت في الصراخ في وجهي استجمعت شتاتي وقوتي ووضعت يديَّ حول رأسها والأصبع الإبهام الأيسر والأيمن وضعتهما في عينيها وهيَ تصرخ وضغطت بكل قواي حتى شعرت بأصابعي تلامس مقلتَيْ عينيها وأخيراً اقتربت نحو أذنها وهمست لها:

فلتتعفني في الجحيم للأبد يا «ساماتثا» وهنا صرخت حتى تفجر رأسها وانتثرت أشلاؤها فوقي للمرة الثانية! وفقدت الوعي أو استيقظت وعدت إلى العالم الواقعي..

نهضت مفزوعاً التفت يميناً ويساراً نظرت إلى يديّ وشكلي وكانت تغطيها الدماء، علمت بأن كل شيء حدث، حدث بشكل حقيقي هذا يعني أن تلك المشعوذة ماتت وإلى الأبد، رأيت الشموع انطفأت ونتالي غير موجودة! لم أهتم بقدر أنه يجب أن أصل الآن إلى ماريا خرجت من المنزل أركض توجهت إلى منزل تلك المشعوذة لكن تفاجأت بأن نتالي خرجت وهيَ تمسك ماريا، شعرت بسعادة عارمة وركضت نحوهما ما أن وصلت إلى ماريا ووقفت مقابلاً لها أوقفتني نظراتها الخائفة والمرعوبة والمصدومة ثم قالت:

من تكون أنت؟؟

لم أستطع أن أعطيها إجابة..

سألت ماريا مرة أخرى بعينين دامعتين:

من تكون أخبرني؟؟

ماريا.. أنا..

توقف!! لا يمكنك أن تقول بأنك أبي لأني في كل الأحوال لن آخذ وحشاً إلى أحضاني...

صراحة لم تصدمني كلماتها لأن هذا هو المتوقع منها.. كسر حاجز الصمت صوت دوريات الشرطة، نظرت نتالي إلي بشكل متفاجيء:

ليامز..

اعلم يجب أن أقوم بتسليم نفسي..

نظرت ماريا إلي وهيَ مصدومة:

ماذا؟؟

الجرائم التي حدثت من تلك الساحرة لن يصدق الشرطة أن هناك ساحرة لذلك لن أجعلهم يعتقلون ماريا، أنا سآخذ هذه الجرائم.. في كل الأحوال يجب أن يكون هناك عقاب لذنوب قديمة..

ماريا باكية:

أنا أشعر بأنني في كابوس لا أصدق شيئاً.. أبداً!! أريد العودة إلى أمي فحسب..

وصلت الشرطة وتم اعتقالي بتهم ست جرائم قتل، بالطبع ليامز لم يكن لديه هوية ولا بصمة ولا أي شيء لذلك أخبرتهم بأنني ابن تلك السفاحة المشهورة في عهدها والآن ابنها يرثها! شوهت سمعة ليامز وهو بريء، هل سأشعر بتأنيب الضمير نحوه!؟ ذلك تأنيب الضمير الذي أخبرني دانيال عنه ولم أعرف ما هو؟ ولا أريد أن أعرف أصلاً؟

عندما أقول: «إلى الأبد»

«أعني الأبدية التي أريد أن أقضيها معكم، الأبدية التي تخترق فيها أسناني جلودكم الرقيقة! أيديكم الباردة كالثلج وأعينكم الحمراء كالدم! وأفقد نفسي فيها كل قرن جديد حياة الإنسان لا تكفي أبداً نحن بحاجة إلى المزيد نحتاج إلى الأبدية حيث تهرب الشمس مني كل يوم وأتجول في الظلام كل ليلة! أضع يدك بيدي ونرقص تحت ضوء القمر وفوق رؤوس الجثث أنا وأنت والكابوس الذي يجمعنا إلى الأبد..»

«دانيال»





«لكل وحش نهاية لكن لكل شيء بداية»

أقضي وقتي بين التأمل والدوران حول نفسي وحول الأربعة الجدران في هذه الزنزانة منذ ثلاث سنوات، مرة أشعر بالملل لذا أدخل في كابوس شخص ما وأقتله، حتى أستمتع وفي اليوم التالي أسمعها من الراديو الصوتي وهم يبحثون عن هذا القاتل الطليق لإيقاف سلسلة الجرائم المجهولة والمرعبة التي ولا تصف كاميرا ترصد هذا القاتل الذي كالشبح! أضحك عليهم وأنا مستلقٍ في زنزانتي وبالمال أستطيع إحضار هاتف وطعام وأيضاً الكثير من اللوحات لأمارس هوايتي المحببة الرسم بعذر أنه من حقوق الإنسان حتى وهو في السجن أن يمارس الشيء الذي يحبه! نعم النظام هنا يسمح بالحقوق حتى للمجرم تحت عذر أنه إنسان!؟ كيف يمكن لإنسان أن يوجد في هذا المكان الذي هو مناسب للوحوش؟ غريب أمر البشر إنهم يهتمون لحقوق المجرمين أكثر من البشر الحقيقيين الذين يعانون خارج هذه الزنزانات!

وكأنه عاد الزمن نفسه أصبح لدي الكثير من المعجبين والجماهير ولقبوني بخليفة السفاح «دانيال»! لا يعلمون بأنني نفسه، وبالنسبة لماريا انقطعت أخبارها وكانت تالي تتواصل معي عبر المكالمات وتخبرني بأنها توقفت عن الرسم وعادت لممارسة حياتها بشكل طبيعي، ولم تعد ترى كوابيس والأهم لم يعرف

أحد هوية والدها الحقيقي، كنت أخبر نتالي أنني أرغب في رؤيتها ولو مرة واحدة فقط لكنها تخبر نتالي بأنها لا تعرفني وما زالت غير مصدقة بأنني أكون والدها، لا ألومها بالطبع من سيصدق كل هذه الأمور؟ على الرغم من أن تلك الساحرة جعلتها ترى كل شيء وتذكرت طفولتها ولكنها بالطبع ستنكر، في يوم من الأيام أثناء انشغالي برسم لوحة أتى الصوت وهذه كانت المرة الأولى بعد مضي ثلاث سنوات:

الصوت:

أنت تعرف أنه يمكنك الخروج في أي وقت ولكن رغم ذلك تبقى هنا مستلقياً وغارقاً في الرسم؟!..

قلت ساخراً وأنا ما زلت أرسم:

أوه أهلاً بصديقي القديم ظننت أنكم نسيتموني من الرائع أنكم تتذكرونني إلى الآن..

الصوت:

نحن لا ننسى سيدنا نقوم بمراقبتك دائماً لكن فضلنا أن نجعلك تتصرف كما تريد حتى الوقت الراهن، ألم يحِنِ الوقت لخروجك؟ ألم تشعر بالملل؟

ملل؟ هل تعلم بأنني أعيش لحظات سعيدة هنا؟ أقوم بقتل الناس في كوابيسهم أقوم بالرسم وبيع لوحاتي لدي جمهور ضخم ناهيك عن الأموال التي تصلني أين الملل في الموضوع؟؟

الصوت:

أعلم بأن ليس هذا ما تبحث عنه وأنك تعتبر هذه منطقة راحة مؤقتة..

بالطبع أنا أرتاح لماذا تقوم بإزعاجي؟؟

هل تعلم بأن خادم مارا يجهز الانتقام منك؟؟

قلت ببرود:

كنت متوقعاً ذلك لا أهتم لذلك العجوز بكابوس مني أستطيع أن أتخلص منه

الصوت:

إذاً ما هي خطتك القادمة هل ستبقى في هذه الزنزانة تتلقى الرسائل من المعجبين حتى يأتي ذلك العجوز ويقتص منك؟

لا بالطبع ولن أهرب منه أيضاً في كل الأحوال أنا أنتظر مقابلة أحد للمرة الأخيرة وبعدها سأخرج من هنا..

الصوت:

تقصد ماريا؟ هيَ لن تأتي إلى هنا لماذا لا تخرج أنت لها؟

قلت بثقة وأنا أضع توقيعي على اللوحة بعد الانتهاء منها:

لا، ستأتي هذه المرة بعد أن أهديها هذه اللوحة لعيد ميلادها القادم..

الصوت:

نحن نثق بما تفعله وأنت حر بأفعالك..

ذهب صاحب الصوت، وأنا قمت بتغليف اللوحة التي رسمتها من أجل ماريا طوال الثلاثة الأعوام الماضية كنت أحاول مقابلتها لكنها ترفض وأنا لا ألومها، وأشعر أنه يجب علي أن أكون قريباً منها بأي طريقة، أتى اليوم المنتظر واستخدمت واسطتي وأموالي لإيصال اللوحة إلى ماريا وبالفعل وصلتها، كنت أحاول أن أرتاح وأمارس التأمل كثيراً في تلك الأيام الأخيرة لي بالسجن، أردت أن أحاول أن أعطي جسد ليامز الكثير من القوة والصحة والمتعة لأنه في أيامه الأخيرة!

مضى أسبوع منذ أن أهديت ماريا اللوحة، وأتى اليوم الموعود أخيراً سمعت باب الزنزانة يفتح وأنا كنت منغمساً في ممارسة التأمل قال الشرطي:

لديك زيارة..

كنت أظنها نتالي لأنها الشخص الوحيد الذي يزورني وأرادت الاستمرار معي بالعمل كمساعدة ولأنها كان لها دور كبير في إنقاذ ماريا ولأنها هيَ الوحيدة التي تتحدث مع ماريا وتعطيني أخبارها لذا وافقت أن تستمر بالعمل معي، قلت للشرطي وما زالت عيناي مغلقتين:

أخبرها بأنني لم أطلبها لذلك ليس لدي نية لرؤيتها..

كان الجميع يعرفون نتالي وأنها هيَ الوحيدة التي تقوم بزيارتي قال الشرطي:

ليست صديقتك نتالي إنها الرسامة ماريا التي أخبرتنا أنها إذا ...ت يجب أن نسمح لها بزيارتك..

فتحت عيني وبدأ قلبي بالخفقان بقوة، أخيراً أتى اليوم الذي ..أتحدث فيه مع ماريا كوالدها وليس كشخص ثانٍ، نهضت من مكاني بحماس وتوجهت إلى الشرطي قائلاً:

لا أريدها من خلف الزجاج أريد أن أكون معها في غرفة..

الشرطي بتوتر:

لكن أنت تعلم بأن هذا ممنوع يا سيد ليامز لا أستطيع فعل ذلك إنه مخالف للقوانين.!

ابتسمت وأنا أضع يدي على كتفه وأربت عليه بلطف:

لطالما كنت تخالف القوانين هل أتى الأمر على هذا القانون؟ لا تقلق أنا أعرف هذه الفتاة ولن أوذيها والحراسة ستكون موجودة ويداي مقيدتان ناهيك عن دفعة الأموال التي ستصلك بعد نهاية هذا اليوم!.. ما رأيك؟

قال يتلعثم هامساً:

حسناً.. حسناً.. ولكن أرجوك فقط عشر دقائق ولا تفعل أي شيء يدمرني..

رائع هذا هو صديقي..

خرجنا مع حارس آخر سرت عبر الممرات الطويلة بين الزنزانات التي تحتوي على أخطر المجرمين والقتلة، طوال

الثلاث السنوات كنت في زنزانة انفرادية ولم أكن أحتك بأحد أبداً تجنباً للمشاجنات، وصلنا أخيراً إلى غرفة الزيارة كانت مثل غرفة التحقيق تقريباً الحرس يقفون بالخارج ويرقبوننا من النافذة الزجاجية، فتح لي الباب وعندما رأيتها تجلس بعينين بريئتين ونظرات متوترة ملامح جميلة تحاول التمثيل أنها غير خائفة لكنها تفشل، يبدو أنها قامت أيضاً بقص شعرها وتغيير لونه من الأسود إلى الرمادي، كانت ترتدي معطفاً أبيض وشالاً مبرقعاً باللون الأحمر وتظهر كالملاك تماماً..

جلست على الكرسي المقابل لها بحيث أستطيع سماع أنفاسها ونبضات قلبها الخائفة! باشرت بالحديث:

يعجبني لون شعرك الجديد..

لم ترد علي واكتفت بالصمت، استمررت بالحديث:

لقد ازددتِ جمالاً..

قالت بصوت مهزوز:

قل ما عندك، طوال هذه السنوات كنت ترسل تتالي أنك ترغب برؤيتي والآن أنا هنا ما الأمر؟

صراحة كنت فقط أرغب برؤيتك لقد اشتقت إليك كثيراً..

ماذا؟؟ لماذا من تكون أنت لتشتاق إلي؟!

كنت أعلم بأنك ستستمرين في إنكار أنني والدك وأنا لا ألومك بالطبع لديك كل الحق.. قاطعتني صارخة:

توقف!! لا تقل شيئاً كيف تريدني أن أعتبرك والدي؟ بصفتك شخصاً يظهر لي في جسد شاب بعد سنوات ويقول بأنه والدي! أو بصفتك شخصاً غريباً لديه علم في أمور السحر وما إلى ذلك؟ أو بصفتك وحشاً قتلت العديد من الأشخاص في حين كانت تظن ابنتك أنك أب مثالي؟

ثم عمّ الهدوء بيننا لمدة ما يقارب دقيقة ثم استرسلت في حديثها بأعين دامعة:

لقد انتحرت أمام عينيّ!! لماذا عدت؟؟ ما هو الشيء الجيد الذي تفعله لتستحق العودة إلى الحياة؟ أخبرني!! ما هو الشيء المميز فيك والجيد لكي تصر على العودة حياً مرة أخرى؟! كان يفترض بك بعد سلب أرواح الكثيرين أن تموت أيضاً مثلهم؟ هذا ليس عدلاً أنت تستحق الموت أنت مجرد وحش.. لماذا عدت؟؟

من أجلك.. أنتِ الشيء الوحيد الجميل في حياتي لذلك أردت أن أبدأ صفحة جديدة وحياة أخرى بالقرب منك..

ماذا؟؟ صفحة جديدة! أنت يجب أن تعاقب على أفعالك التي هربت منها!

وأنا الآن اخترت أن أعاقب نفسي ولحمايتك أنا الآن في السجن..

نعم وهذا المكان الذي يجب أن تكون فيه..

ثم أكملت حديثها وهيَ تنظر إلي ودموعها تسبق حديثها:

أرغب في أن أسألك سؤالاً؟

قلت باهتمام:

ما هو؟

هـل تعرف مـا هو السـؤال الـذي كنـت أسـألك إياه دائمـاً عندما كنت طفلة ولم أجد إجابة منك أبداً؟؟

أشعرني سؤالها بصدمة تفاجـأت كثيراً بأنهـا ما زالـت تتذكر هذا الأمـر بالـذات! عـادت إلـي الذكـرة عندمـا تدخـل إلـي فـي كل مرة وهيَ طفلة وتسألني السؤال نفسه مراراً وتكراراً:

«أبـي مـا هـو شـكل الشـيطان»؟ أنـا أسـتطيع أن أرسـم المـلاك بأجنحـة بيضـاء وطـوق مضـيء علـى رأسـه، لكـن لا أعـرف كيـف يكون شكل الشيطان؟؟

كنت دائمـاً أتهـرب مـن الإجابة على هـذا السـؤال ولا أعـرف ما السبب؟ هل السبب أنني كنت أريدها أن تـرى العالم بشكل جميل ومثالـي ولا يوجـد فيـه إلا الملائكـة؟ أم لأننـي لا أريدهـا أن ترسـم أشياء بشعة وسوداء ومرعبة!؟

أم هذا لأنك أنت الشيطان؟!..

قالتها ماريا وهيَ تنظر إلي مباشرة..:

هل لهذا كنت دائماً تتهرب من الإجابة؟؟

نعم.. أعترف بأنني شيطان آسف لأننـي خيبت ظنك آسف لأنني جعلتـك تعانيـن وتشـعرين بـكل هـذه المشـاعر السـيئة وتعيشـين في رعب أنتِ ووالدتك، آسف لأنك أصبحتِ ترين الكوابيس دائماً..

أنت أسوأ كوابيسي هل تعرف ذلك؟

نعم أعلم أرجوك سامحيني يا ابنتي أنا أحبك كثيراً وعودتي إلى هذه الحياة كانت من أجلك فقط..

أسامحك! وماذا بعد؟ هل سنعيش كعائلة سعيدة بعد أن سرقت جسد طفل بريء يحتاج إلى المساعدة أيضاً؟؟

ليامز لم يكن البريء وحده أيضاً أنا كنت بريئاً لذلك أصبحت ما أنا عليه الآن..

لا يمكنك أن تبرر أفعالك بهذه الطريقة ما حدث لك كان في الماضي ولا يمكنك أن تدمر مستقبل الآخرين..

نعم في الماضي لكنه ما زال يؤلم..!

مددت يدي ممسكاً بيدها حاولت أن تسحبها لكنني أمسكتها بقوة:

أفلت يدي الآن..!!

اسمعيني ماريا سأكون دائماً بجانبك صدقيني لن أخذلك أبداً بعد الآن سأكون في حياتك حتى تسامحيني.. أعطيني فرصة واحدة فقط

لا أصدق ما تقول!!؟

اسمحي لي أن أكون جزءاً من حياتك أرجوك!

قالت بحزن:

ولكنك بالفعل أنت دائماً وللأبد ستظل جزءاً من حياتي ألا يكفي أن دمك يجري في دمي؟؟ وهذا مؤسف..

هذا يعني أنكِ لا تتمنين رؤيتي مجدداً؟؟

كنت بحاجة إلى جندي يحميني، كنت بحاجة إلى أب! لكنك كنت وحشاً كنت كابوساً كنت قاتلاً أصبحت كل شيء سيئ إلا أباً..

وماذا عن سؤالي؟؟ هل ترغبين برؤيتي مجدداً؟

اكتفت بالصمت ولم ترد على سؤالي، قلت لها وأنا ما زلت ممسكاً بيدها:

إذاً سأعتبر هذه إشارة..

قالت باستغراب:

إشارة لماذا؟؟

لا تهتمي الآن الأهم أنني علمت بأن ابنتي ما زالت تحبني، هل تسمحين لي بطلب أخير على الأقل؟

قالت بتردد:

ما هو؟

أرغب في أن أحتضنك للمرة الأخيرة..

قالت بتعجب:

المرة الأخيرة؟!

هنا ازداد الأمل والسعادة في قلبي:

ألم تخبريني بأنكِ لا ترغبين برؤيتي ثانية؟

ردت متلعثمة:

نعم لا أرغب برؤيتك مجدداً..

لا بأس لن تري وجهي هذا ثانيةً

ماريا وهيَ تنهض من على الكرسي:

أظن أن الزيارة انتهت أنا سأغادر هل هناك شيء آخر؟

قلت وأنا أقف خلفها:

الا تودين تحقيق أمنيتي الأخيرة؟؟

بدت وكأنها تنرفزت من كلماتي:

ما خطب كلمة الأخيرة!! لا تتخيل أنني سأشفق عليك مثلاً؟ أو تحاول استعطافي بهذه الكلمة!!...

لم أجعلها تنهي كلامها واحتضنتها...

لم تحاول إبعادي كنت أعلم بأن لديها مشاعر مشتتة ملخبطة متوترة لا تعرف كيف تتعامل مع الأمور الغريبة، لذا احتضنتها لمدة دقيقة وهمست في أذنها:

شكراً لكِ صدقيني لن أتخلى عنك مجدداً وسأحاول أن أكون كالحلم الجميل في حياتك الحلم الذي ترغبين برؤيته أنتِ فقط بدلاً عن الكابوس..

أحبك كثيراً يا ابنتي.. وداعاً..

دخل الحارس وقال إن الزيارة انتهت خرجت ماريا وهيَ مكتفية بالصمت فقط والعينين الباكيتين، أما أنا فعدت إلى زنزانتي وأنا

أشعر بالأمل والسعادة بقيت في السجن بعد زيارة ماريا لي تقريباً شهراً كاملاً حتى أتى اليوم الموعود، رسمت لوحتي الأخيرة..

السعادة، الحب، السلام، الأمان. كل هذه الأشياء يبدو أنها تتبع الكثير من الناس أينما ذهبوا! وأنا أراقبهم وأكون غيوراً منهم جداً لأنهم يحظون بكل ذلك.. الدفء الذي يملكونه إنه مغرٍ، لذلك أخذت وأخذت منهم وسأظل كذلك، على أمل تجربة أدنى قدر من الأشياء التي لديهم. لكن كل ما فعلته هو جعلها تختفي فحسب! وكأنه شيء لا يمكن أن يختبره سوى أشخاص معينين وليس شخصاً مثلي!

الجميع يعيش حياته على أمل الأحلام الجميع يستوحي آماله وتطلعاته وسعادته ومستقبله من الأحلام، لكن أنا استوحيت حياتي من الكوابيس! قضيت حياتي أحدق في قاع الظلام الذي أرسمه في لوحاتي، آمل يوماً أن أحقق حلماً لكن الأحلام تأتي ببطء وتختفي بسرعة وعندما أغلق عيني لكي أراها لا أرى إلا الكوابيس! ربما الآن أنا أفهم لماذا كل شيء ألمسه يموت! لأنني مصنوع من كابوس وليس من حلم..

الجميع في هذه الحياة يتظاهرون بـ الإنسانية! التظاهر صعب لا يتقنه الكثير وأنا منهم، الجميع يتساءلون لماذا أنا أصبحت هكذا؟ لماذا أنا وحش؟ ماذا في رأيكم؟! لقد عشت معظم حياتي أتنقل من كابوس لكابوس لم أعرف ما هي الواقعية؟ لم أعرف ما هو الحلم؟ لم أعرف ما هي الطبيعة؟ كيف سأبدو برأيكم وأنا مصنوع

من كابوس؟! ماذا يوجد في الكوابيس؟ الظلام الوحوش الشياطين أشياء ليس لها تفسير، أشياء وعوالم لا توصف ولا تجسد، أشياء مخيفة لدرجة الموت! أشياء تجعلك تتحول من إنسان إلى وحش..

منذ اللحظة الأولى التي بدأتها مع مارا وجعلتني أجسد كوابيسي على أرض الواقع شعرت بالتحرر منها، أن تهرب وتسحبها معك إلى واقعك يكون بمثابة لعبة تلعبها مع تلك الكوابيس ومثلما هيَ تسحبك إلى عالمها أنت أيضاً اسحبها إلى عالمك، الكوابيس التي أراها وأصبحت متمرساً فيها جعلت مني وحشاً وجعلت مني شيطاناً وجعلت مني شيئاً، أصبحت الآن أنا أتحكم بها أصبحت ملكها أنا ملك الكوابيس وسأصنع منها عالماً ومملكة، سيكون الوحوش والشياطين والمسوخ شعبي والضحايا أعدائي! أما الألوان واللوحات فهيَ أسلحتي والرسم طريقة تجسيدي للكوابيس على جميع العالم أن يروا هذا الفن الذي يخاف منه الجميع فن الكوابيس أيضاً له أحقية أن يجسد على هذا الواقع ولولا تجسيدي للكوابيس على لوحاتي لكنت منذ زمن تعفنت رعباً حتى الموت..

وعلى طريقة فان جوخ في رسالته الوداعية قبل الانتحار كتبت هذه الرسالة لابنتي على أمل أن تفهم وتشعر بكل حرف فيها:

عزيزتي ماريا:

إلى أين تمضي الحياة بي؟ وما الذي تصنعه كوابيسي بي؟ كل أحلامي وكوابيسي تقودني نحو الكآبة والجنون!

إنني أتعفن رعباً وخوفاً وهلعاً لولا ريشتي وألواني هذه، أعيد بها خلق كوابيسي من جديد على لوحاتي حتى تخرج من باطن عقلي وتستقر على لوحة بيضاء..

ماذا أصنع؟ أريد أن أبتكر خطوطاً وألواناً جديدة غير تلك التي تتعثر بها حياتي كل يوم..

كل الألوان والرسومات لها بريق بشع ومخيف ومرعب وكئيب في عقلي، وهل هي هكذا في الطبيعة؟ أم أن عقلي المريض؟

دائماً أتساءل: هل كل رسام كئيب؟ أم كل كئيب رسام؟ رغم أننا نمارس أجمل موهبة زرعت على الأرض لكن لِمَ ينتهي المطاف دائماً بنا نحو التعاسة؟

عني أنا لا أعرف هل أبتكر فناً جديداً؟ هل أرسم عالم وخطوط وألوان جديداً؟ أم هل اتجهت إلى طريق الفن لكي أرمي بكوابيسي على أشخاص آخرين؟ أم هل أنا أصنع وحوشاً جديدة؟! وحوشاً تغزو هذا العالم وحوشاً مخلوقة من كوابيسي وأصبحت في لوحات فنية..

هل يجب علي أن أبرر لفني الذي كلما كبر أصبح أكثر قسوة وأكثر حدة وأكثر جمالاً؟ كل الكوابيس في عيني أصبحت تافهة أريد أن أخلق عوالم وألواناً جديدة منها تغزو أفكاري وأفكار العالم، عوالم تقودنا إلى حافة الظلام، ولِمَ لا؟ الظلام أكثر وضوحاً من الضوء، هذه الكوابيس التي استقرت

في عقلي وجعلتها تستقر في لوحات وبعدها استقرت على ضحايا ليكونوا جثثاً متعفنة تجسد الكوابيس لأقصى درجة، عزيزتي ماريا لا أملك شيئاً في هذه الحياة سوى كوابيسي ولوحاتي وألواني وجثثي المتعفنة وأنتِ.. كل حياتي الواقعية كانت أقسى من الكوابيس ما الفرق بينها وبين الكوابيس؟! الفرق الوحيد أننا في الكوابيس نرى الوحوش على أشكال مخيفة ومسوخ، أما في الحياة الواقعية فالوحوش هم البشر لا يحتاجون إلى التشكل لشكل مخيف، روحهم تكون وحشاً، لا مجال كل إنسان يولد على هذه الأرض يكون بداخله وحش وهذه هيَ الحقيقة..

اعلمي دوماً بأنني سأكون في لوحاتك التي ترسمينها لأنك لا ترسمين سوى الكوابيس والظلام وأنا هناك أرضي وبيتي ومسكني، سأكون أميز كوابيسك وحامي عوالمك التي تصنعينها، سأصنع لك عرشاً هناك ولا تقلقي لن تكون الكوابيس مفزعة لكِ بل ستكون مثل الأحلام، الأحلام التي تتحكمين بها وتجعلين كل شيء بين يديك يصبح لعبة، لا تجعلي الكوابيس تلعب بك بل يجب عليكِ أنتِ اللعب بها..

لطالما كنتِ الحلم الوحيد في حياتي وستظلين كذلك أحبك يا ابنتي على أمل أن نلتقي مرة أخرى في لوحة أو كابوس..

والدك «أندرو»..

وضعت الرسـالة مـع اللوحـة، توجهت إلـى منتصـف الزنزانة بعد أن أحضـر لـي الصـوت كل شـيء طلبته سـابقاً، وحتـى أنـه جهز لي منصـة الانتحار، كالمـرة السـابقة حبل المشـنقة مثبت بإحـكام يتدلى مـن السـقف، الكرسـي أسـفله صعـدت علـى الكرسـي ووضعـت الحبل حـول رقبتي كنـت بدون مشـاعر متجرداً من الخـوف وكل ما أشـعر بـه هـو مـا الـذي ينتظرنـي بعـد هـذه المـرة؟! أفلت نفسـي من علـى الكرسـي لأصبـح فـي المنظـر نفسـه قبـل ١٦ عامـاً متدليـاً من حبل المشـنقة ميتاً ولكن بجسـد آخر..

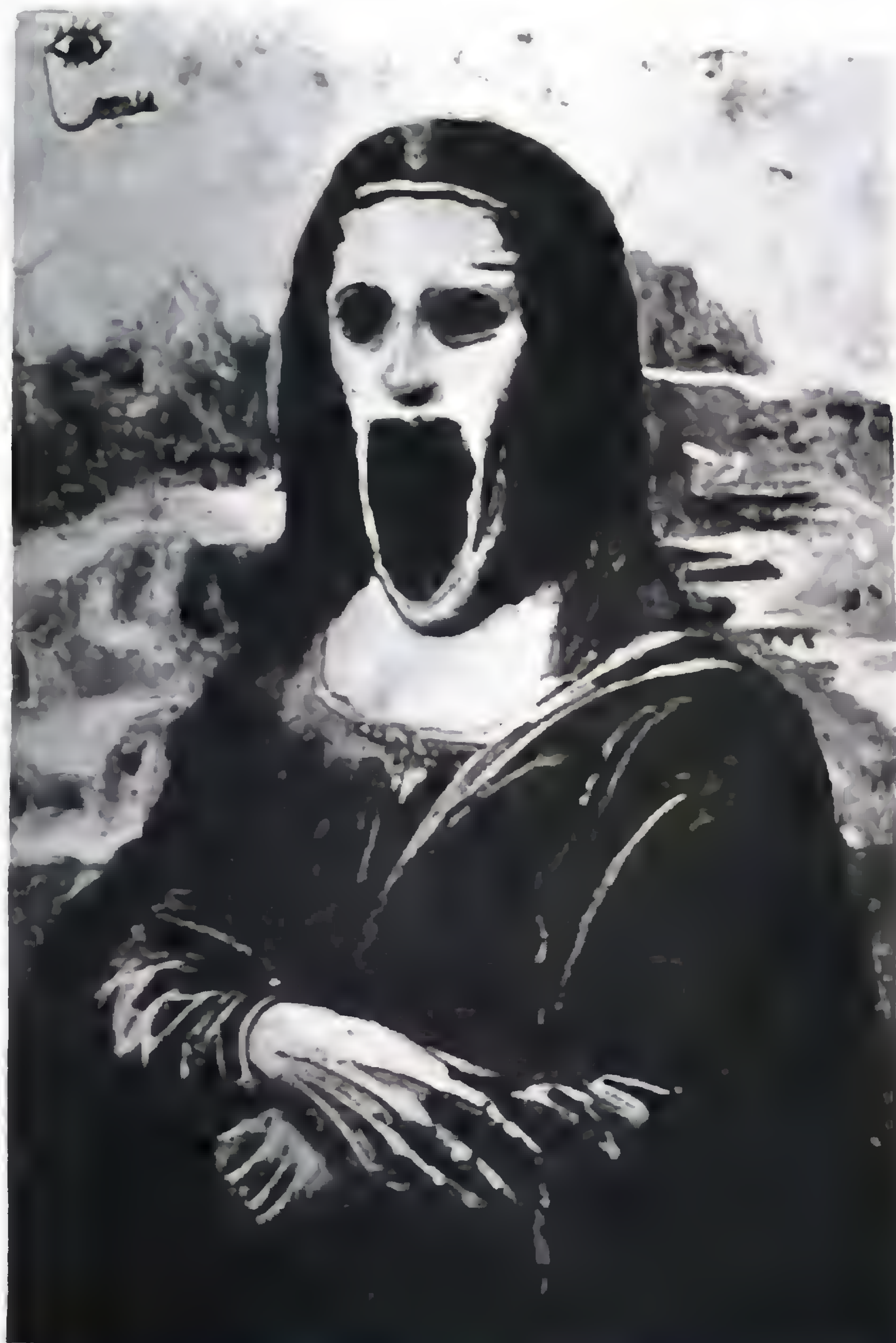
«كل كلماتي وأنفاسـي ألقـي تعويذاتـي، وأبث الحيـاة فـي الظلال مـن الجحيـم، دع الظـلام يأخـذ كل شـيء ويمـحُ السـلام الـذي لا أحتاج إلى رؤيته!

هواء الليل يهمس باسمي، وأنا أستمتع بظلاله وهمساته وأنفاسه،

مع هـذه التعويـذة أنا حر وأجد السـلام فـي ظلال الغمـوض وفي عمق الظلام..»

رأيـت دانيـال وليامـز وأنـدرو ينهشـون لحمـي رغـم ذلـك كنت سعيداً..





«المونامار يـــــا»

أرى نفسي في ساحة واسعة ضخمة جداً دائرية سقفها من الزجاج وأرضيتها أيضاً من الزجاج! عندما أنظر إلى أسفل قدميَّ أرى نفسي فوق السحاب! كانت الجدران الوحيدة هيَ من حجر، كان المكان خياليّاً جداً لدرجة شعرت بأنني في حلم! نعم هل هذا حلم؟ أنا لا أعرف كيف تكون الأحلام وكل ما أعرفه هيَ الكوابيس! سرت إلى الأمام وأنا أشعر بالخوف من السير على زجاج شفاف وأنني معلقة في السماء بدون أي وجهة، كنت أرتدي فستاناً أبيض به الكثير من الزهور الحمراء وشعري منسدل على كتفي، وخاتم كان بشكل وجه الفيل بلون فضي وفي منتصف وجهه فص أزرق، خلال سيري كنت أسمع صوت شخص يدندن أنا أعرف هذه الأغنية وهذا اللحن لكن أين سمعتها؟؟ استمررت بالسير باتجاه الصوت وكان يقرب أكثر فأكثر حتى وصلت كان يفصلني عن الصوت بوابة أو باب ضخم خشبي به نقوش ورسومات عديدة رغم أن المكان جميل جداً لدرجة الخيال لكن الرسومات التي كانت على الباب كانت رسومات مرعبة مثل رسوماتي التي أرسمها! وقتها علمت بأنني في كابوس لا مفر من الكوابيس، لكن كابوس بشكل آخر تقدمت إلى الباب الضخم ودفعته بيديّ حتى انفتح بعدها دخلت إلى ذلك المكان، كانت غرفة صغيرة بسيطة تختلف كليّاً عن العالم الذي أتيت منه للتو، كانت تبدو وكأنها غرفة أطفال أنا أعرف هذه الغرفة جيداً!!!

إنها غرفتي... هذه الغرفة غرفتي عندما كان عمري ست سنوات عندما كنت أعيش مع أبي! سمعت صوتاً قادماً من خلفي التفت إذ رأيت أبي بابتسامته البريئة المصطنعة أبي الذي كنت أظن أنه أفضل أب في العالم ولكنه أسوأ أب في العالم، الذي ظننت أنه ملاك ولكن كان شيطاناً يلبس قناع الملائكة!

نظرت إليه بأعين دامعة كان غارقاً بالرسم كعادته يدندن أغنيته المفضلة أعرف جيداً هذه الأغنية لكن لم أعرف معناها إلى الآن! تقدمت نحوه كان ما زال مستمرّاً في الرسم نظرت إلى اللوحة فقال بدون أن ينظر إلي:

ما رأيك يا عزيزتي؟ انظري لطالما الناس كانوا يقدسون الجمال لذلك كانوا يحبون كثيراً هذه الرسمة المشهورة في كل أنحاء العالم «الموناليزا»! هل تعرفين أنها تعني السيدة ليزا؟ الكثير لا يعرف معناها وهيَ تعود لامرأة اسمها ليزا، الجميع سحرتهم ابتسامتها الغامضة المبهمة لذلك أصبحت أشهر لوحة، لا أعلم ولكن رسم لوحة جميلة يشعرني بالملل، ألا تتذكرين عندما أخبرتني بأنك تريدين رسم الشيطان ولكن لا تعرفين شكله؟

هززت رأسي بدون أن أتحدث..

أكمل حديثه وهو يأخذ فرشاة ويغمسها باللون الأسود:

الآن أنا سأخبرك أخيراً يا عزيزتي الشيطان ليس له شكل واحد! الجميع يستطيع أن يكون شيطاناً! له عدة أشكال لا تنتهي

ولا تنحصر في عدد، كل شخص فائق الجمال أيضاً يستطيع أن يكون شيطاناً هل تعرفين كيف؟

وجدت نفسي أرد عليه بدون أن أشعر:

كيف؟؟

مثل هذه الرسمة الجميلة الطبيعية التي رسمتها نقلتها مثل أي أحد يكررها رسمة السيدة ليزا، ما أن تنظري إليها تجدينها جميلة ورائعة ولكنها مملة لذلك أستطيع بلمسة واحدة أن أحولها من ملاك إلى شيطان، ومن جميلة إلى وحش..

وضع الفرشاة المليئة بالسواد على فم السيدة ليزا وغيرها بالكامل من رسمة جميلة طبيعية إلى رسمة مرعبة مخيفة!! جعلها فماً أسود مفتوحاً وأعيناً سوداء! أما الطبيعة التي خلفها فحولها إلى جبال سوداء يخرج منها أصوات صرخات نساء وأطفال!!

هنا بدأ قلبي ينبض بقوة وأنفاسي أصبحت ثقيلة، هنا بدأت أدرك أنني في كابوس ولستُ في حلم..

بعد أن انتهى نهض من مكانه وبدأ يخطو خطواته باتجاهي قائلاً:

هكذا هيَ حقيقة الجميع، كلهم وحوش ولكنهم يختبئون تحت رداء الملائكة عليكِ أن تحذريهم فقط اكشفي هيئتهم الحقيقية..

تراجعت للخلف بخطوات ترتعش:

ابتعد عني لا تقترب مني!!.

ماريا هذا أنا والدك لا يمكن أن أبتعد عنكِ أنا هنا لحمايتك فقط.

لا أنت لست هو أنت وحش..

مد يديه وهو يقول:

ثقي بي أعطيني يدك الوحش الحقيقي خلفك!!

التفت خلفي لأرى دانيال!! دانيال هو أبي والشاب الذي كان يرسم هو أندرو في مراهقته!!

دانيال بابتسامة:

أعطيني يدك أنا هو والدك لا تثقي به!

أندرو:

لا تفعلي لا تذهبي معه ماريا أنا هو والدك أعطيني يدك..

وضعت يديّ على رأسي وأغمضت عينيّ وأنا أصرخ وأردد:

دعاني وشأني كلاكما الشخص نفسه الوحش نفسه ابتعدا عني..!

شعرت بيد تمسكني وتسحبني ولكن لأنني كنت مغمضة عينيّ لم أرَ من فاز بي بعدها فتحت عينيّ وعدت إلى أرض الواقع مستيقظة من النوم خارجة من الكابوس أخيراً..

انتهى هذا الكابوس ليس غريباً لكنني كنت مستعدة طوال الأربع السنوات بما أنه عاد إلى حياتي كنت أعلم جيداً بأنني سـ أراه كثيراً في كوابيسي، نعم مضت أربع سنوات ثلاث عندما كان بالسجن وذهبت للقائه للمرة الأولى والأخيرة، والسنة الرابعة أيضاً مضت عندما أعلنوا أن القاتل المتسلسل «ليامز» انتحر في

زنزانتـه شنقاً بعـد مضـي ثلاثـة أعـوام فقـط علـى حكمـه!! هـو كرر طريقـة موتـه مـرة أخـرى طريقـة موتـه الـذي بـدأت معـه الكوابيس لـدي، بـدأت رؤيتـي لأول كابـوس وهـو كابـوس «الرجـل المعلق» وهذا لـم يكـن فـي الحقيقـة كابوسـاً بـل هـو مشـهد واقعـي لذلـك لـم أستطع رؤيـة وجهـه لأننـي كنـت فاقـدة للذاكـرة مـن شـدة الصدمـة! علمـت أن أبـي وحـش وانتحـر أمامـي مباشـرة قبـل أن أعاتبـه! بعـد كـل الحـوادث التـي عشـتها فـي حياتـي وآخـر مـا مررت بـه مـن الكوابيـس تلـك السـاحرة التـي قتلـت أناسـاً أبريـاء لكـي تنتقم مـن أبـي، مـوت صديقتـي روجينـا، ظهـور أبـي مـرة أخـرى وعودته إلـى الحيـاة فـي جسـد شـخص آخـر! وكـل ذلـك سـبب لـي صدمات لا نهايـة لهـا، الآن أصبحـت مقتنعـة بـأن الكوابيـس بالفعـل تأتـي مـن الواقـع، واقعنـا فـي هـذه الحيـاة هـو بحـد ذاتـه كابـوس، أحـاول أن أكمـل حياتـي وأتأقلـم مـع الأوضـاع لأنـه فـي كـل حـال مـن الأحـوال بدونـي أو معـي الحيـاة مسـتمرة، عندمـا أعلنـت الشـرطة وفـاة «ليامز» أو «دانيـال» أو «أنـدرو» أو أبـي أو ذلـك القاتـل أو الوحـش أو أيـاً يكن! لـم أشـعر بشـيء أبـداً كـل مـا شـعرت بـه هـو اللا شـعور! لـم أخبر أمي بالطبـع عـن أي شـيء ولا عـن عـودة أبـي بجسـد شـخص آخـر، ولكننـي أخبرتهـا عندمـا اختطفنـي ذلـك القاتـل تذكـرت كـل شـيء تذكـرت أبـي الـذي كان مثلـه، شـعرت بالحـزن كثيـراً واعتـذرت لي بأنهـا لـم تسـتطع إخبـاري عـن أبـي الحقيقـي وأنـا لا ألومهـا أبـداً، لكن يومـاً بعـد يـوم أكـره نفسـي كثيـراً عندمـا أسـتيقظ فـي منتصـف الليل أبحـث عـن معلومـات تخـص حيـاة دانيـال سـابقاً الـذي شـبهوني به

في البداية ولم أكن أعرف من يكون؟ أحياناً أنهض من النوم وأبكي أشعر بالخجل من قولها لكنني اشعر بأنني أشتاق إليه!! أرغب في الحديث معه أكثر لذلك أغمض عينيّ وأتمنى أن أراه في كابوس ما كما وعدني، وعندما أراه أموت رعباً منه وأستيقظ مفزوعة مرعوبة!! هناك جانب مني سعيد لأن أبي عاد! وجانب مني حزين لأنه مات مرة أخرى! جانب مني يتعاطف معه وجانب آخر يكرهه بشدة!.. استطعت عن طريق تتالي أن أحصل على بعض رسوماته ولوحاته غير التي أهداني إياها ورسمها لي وهو بالسجن شعرت بأنني محظوظة هل أصبحت مهووسة بأبي!؟ هل من المعقول أنني سأتحول مثله؟؟ لا طبعاً أبي مر بظروف وعاش طفولة في وسط الجحيم لذلك نتج منه ذلك الوحش! وماذا عني؟ لا أعلم أصلاً كيف كانت طفولتي بعد انتحار أبي وفقداني للذاكرة، طوال حياتي كنت أظن أن أبي رجل آخر وهو زوج أمي الذي توفي في حادث قبل سنوات عديدة واتضح لي الآن من لوحة من لوحات أبي أنه هو من قام بقتله! مضحك جداً هو جعل حياة أمي جحيماً وأيضاً سلب روح زوجها الذي أحبها وقبل بها! وقال لي في إحدى رسائله بأنه غضب عندما علم بأن أمي نقلت اسمي لاسم ذلك الرجل! لماذا يغضب ما المتوقع؟ هل يجب أن أعيش حياتي تحت اسم ذلك الوحش؟ لكنت الآن أتعفن في الجحيم..

ورغم ذلك كله تأتيني أفكار أنني أرغب بأن أخبر العالم كله بأن دانيال الرسام المشهور والقاتل المتسلسل والذي دب الرعب

في قلوب العالم والذي أصبح سيد الكوابيس يكون أبي أنا..
لا أعرف أين الفخر في الموضوع ولكن أشعر بقليل من المشاعر السعيدة هل ستسمونني بالمريضة النفسية! لا أعرف سموني ما شئتم ولكن هذه هيَ مشاعري..

ماريا..

دخلت أمي علي وهيَ تحمل صينية طعام قائلة:

تبدين مشرقة اليوم ملابسك جميلة وشكلك جميل تبدين كالأميرة حقاً..

قلت وأنا أحتضنها:

آه أمي أحب عندما تمدحينني بهذه الطريقة من الصباح الباكر..

أمي وهيَ تضع لقمة في فمي:

يجب أن تأكلي كثيراً هذا أول معرض لكِ ستحضرينه بعد أربع سنوات..

أمي لم أعد طفلة لا تقلقي علي سأكون بخير

أنا سعيدة حقاً بأنك عدتِ لتمارسي الرسم ولم تهتمي بكلام أي أحد..

قلت لها وأنا أمسك بيدها:

أمي هناك الكثير من الناس يحبونني الآن والكثير ينتظرونني لألهمهم وأعلمهم وأنشر هذا الفن أشعر بأنني يجب أن أورثهم هذا الشيء، الكثير يعانون من الأرق والكوابيس والنوم المزمن

تواصلوا معي وعندما أخبرتهم بأن يحاولوا أن يرسموها بالفعل الكثير نجح معهم هذا العلاج..

أمي بسعادة:

إنه العلاج بالفن..

لا أمي هذا شائع جداً ما أفعله أنا له اسم آخر

أمي باستغراب:

ما هو؟؟

اسمه «فن الكوابيس»

انتهيت من الإفطار وتوجهت إلى أقرب مقهىً وأخذت قهوتي وذهبت إلى المعرض السنوي، كالمعتاد مزدحم جداً ويعج بالناس من كل مكان توجهت إلى منصتي وعرضت لوحات جديدة تجمهر الصحافة والزائرون حولي، انتهوا من التصوير وانتهيت من بعض المقابلات والتوقيع للمعجبين، مضت ساعة تقريباً لذلك شعرت بالجوع وقررت أن أذهب لكي آكل وأنا في طريقي لمحت الناس يتجمهرون على لوحة في زاوية من زوايا المعرض! كان التجمهر غير طبيعي وغفيراً لدرجة وكأن هناك حادثة ما!! دخلت في زحام الناس وبدأت أدفعهم واحداً خلف الآخر، كان سيقتلني الفضول وأنا أرى ملامح الناس مذهولة مرعوبة ولا أعرف السبب لذلك سألت واحدة من وسط الحشد:

ما الذي يجري؟؟

الشابة وهيَ تحاول أن ترفع هاتفها للتصوير:

لا أعلـم هناك لوحـة غريبـة البعض مذهـول والآخر معتـرض أنه تم تشويهها والبعض يبحث عن الرسام لشراء هذه اللوحة المميزة..

لـم أسـتطع رؤيـة اللوحـة بسـبب التزاحـم لذلـك لـم أستسـلم ودخلـت أكثر وتجـاوزت بصعوبة الحشـد حتى وصلت إلى منصة اللوحـة وهنا كانـت الصدمة!! شـعرت بأن دمـي توقف عـن الجريان في عروقـي، أصبحـت شـاحبة كجثـة هامـدة اتسـعت حدقتـا عينـيّ عندمـا رأيـت اللوحـة التـي رسـمها «دانيـال» فـي الكابـوس اليـوم كانـت هيَ نفسـها موجـودة!! السـيدة ليزا بشـكل مرعب!! مسـتحيل مـا الـذي تفعلـه هنـا؟ وكيف وصلـت إلـى هنـا؟؟ تجـاوزت حراس الأمن وعندما رأوني سألتهم وأنا أرجف:

هل تعرفون صاحب هذه اللوحة؟؟

الحارس بملل:

لا نعلـم إنهـا كباقـي اللوحـات أحضرهـا إلى هنـا المنظمـون في الصبـاح الباكـر وأنـتِ تعلمين يا آنسـة بأنه ليـس ضروريّـاً حضور أي رسـام مع أعماله..

نعم أعلم لكن هل وضع اسمه على اللوحة؟؟

الحارس وهو ينظر إلى اللوحة:

لا أعلم..

هل يمكنني أن أتفحصها قليلاً؟ أرجوك أنت تعرفني أنا رسامة مشهورة وأعرف الكثير هنا والكثير يعرفونني لذا دعني ألقِ نظرة فقط..

الحارس وهو ينظر إلى صديقه! هز صديقه رأسه بالموافقة ثم قال: حسناً تفضلي ولكن أسرعي تعلمين جيداً يجب استئذان صاحب الرسمة أولاً في كل شيء..

حسناً شكراً لك..

دخلت إلى المنصة والناس من خلفي ينظرون باهتمام، أستطيع سماع أصواتهم تهمس وهم يقولون:

- أليست هذه الرسمة تشبه رسوماتها؟؟

تقدمت إلى اللوحة وكانت هيَ نفسها التي بالكابوس وعندما رأيت عنوان اللوحة! نبض قلبي بقوة وبدأ العرق يتصبب مني! كان اسم اللوحة:

«الموناماريا» تيقنت أكثر بأنها هيَ الرسمة التي رسمها دانيال في الكابوس لقد بدل اسمي باسمها!!

نزلت من على المنصة وأنا أركض وكانت الصحافة تركض خلفي:

هل تعلمين من صاحب هذه اللوحة؟؟

هل عرفتِ شيئاً؟؟

هل هو مهووس جديد بك؟

هل هو مقلد؟ أو قاتل جديد؟؟

ركضت بسرعة متجاهلة أسئلتهم حتى وصلت إلى الإدارة استقبلتني مديرة المعرض لم أعطِها فرصة لترحب بي:

أخبريني من صاحب هذه اللوحة؟؟

آنسة ماريا اهدئي ما الخطب؟

لا يوجد وقت أرجوك أريد أن أعرف بشكل ضروري من صاحب هذه اللوحة؟

حسناً اهدئي سأفتح الآن قائمة أسماء الفنانين المشاركين في المعرض ولكن أنتِ تعلمين الكثير من الفنانين يرسمون تحت اسم مستعار..

هذا صحيح شعرت بأن الأمل زال وهيَ محقة فلم تجد أي اسم لصاحب هذه اللوحة لذلك خرجت من المعرض وأنا أشعر بخيبة أمل، تحدثت مع صناع المعرض وأخبرتهم بأنني أرغب في شراء اللوحة وبالفعل اشتريتها لكن لن تصلني إلا بعد أن ينتهي المعرض، لكنني بعد انتهاء المعرض ومغادرة الزوار قررت أن أعود إلى اللوحة وأتأملها وحدي، ذهبت إلى المعرض وأنا في طريقي إلى اللوحة رأيت حراس الأمن في استراحة يأكلون الطعام اقتربت منهم وألقيت التحية عليهم:

مساء الخير..

الحارس نفسه:

أوه مساء النور آنسة ماريا ظننت أنك غادرتِ؟

بالفعل غادرت ولكن عدت لرؤية تلك اللوحة لأنني اشتريتها والبيع الآن تحت الإجراء لذلك أخذت الإذن بأن أعود وأنظر إليها..

بالطبع هذا من حقك لهذا أتى صاحب اللوحة لقد بيعت لوحته من اليوم الأول..

نبض قلبي عدما سمعت كلماته وقلت بتلعثم:

ماذا؟؟ أتى صاحب اللوحة؟ متى؟

قبل قليل وهو ما زال بالداخل..

لم أجعل الحارس ينهي كلماته، انطلقت أركض بكل سرعتي إلى داخل القاعة حتى وصلت إلى منصة اللوحة وهناك كان يقف رجل يدير وجهه نحو اللوحة لا أستطيع إلا رؤية ظهره كان طويل القامة عريض المنكبين مع شعر أسود يرتدي معطفاً أسود وقفازات سوداء وشالاً أسود! ذكرني بليامز عندما ظهر لي أول مرة، تقدمت نحو ذلك الرجل حتى وصلت إليه ولم يلتفت إلي رغم أنني أعلم بأنه سمعني قلت بصوت خافت وأنا أحاول أن أرى وجهه:

مرحباً

قال بصوت عميق:

أهلاً.. التفت إلي بابتسامة شيطانية شبيهة بابتسامة دانيال! لكنه ليس هو كان يملك وجهاً معتدل الطول وعينين واسعتين ملامح حادة بشرة قمحية يبدو عليه علامات الثراء والأناقة، عطره أيضاً يشبه كثيراً تلك الرائحة التي كانت في ليامز! وكان يبدو عليه في مقتبل الثلاثين

ثم قال:

معك السيد «رافاتيل» صاحب اللوحة

هل أنت من قام برسم اللوحة؟

وهل لديك شك؟

قلت بتوتر:

لا بالطبع

أكمل وهو ينظر إلى اللوحة:

لقد أخبروني بأن لوحتي تم بيعها في أول ساعات المعرض لذا أتيت إلى هنا لأقوم بتوديعها أنت تعلمين هذا الشعور بما أنك رسامة..

نعم بالفعل ولكنْ لدي سؤال..

تفضلي..

من أين استلهمت لوحتك؟

من كابوس..

دب الرعب في قلبي ولكن حاولت أن أخفي توتري:

الكثير هذه الأيام يسرقون إجابتي..

ضحك قائلاً:

نعم للأسف..

أكملت سؤالي:

لماذا قمت بتسميتها بهذا الاسم؟؟

أجاب ببرود:

علمت بأنها ستكون ملكك لذلك اقتبست الاسم باسمك..

قلت بصدمة:

ماذا؟؟ وكيف عرفت أنني سأشتريها؟

رد بثقة:

لأنني أنا من قمت برسمها..

ومن تكون أنت؟؟

قال متنهداً وهو يسير مبتعداً عني:

يجب أن أغادر الآن لدي لوحات كثيرة غير منتهية تنتظرني..

ذهب وأنا أرقبه وخلال سيره مبتعداً صعقت بالكامل! هيئته وظهره وكأنه تحول إلى شخص آخر أقصد إلى شخص أعرفه حتى من ظهره؟ ليس الظهر الذي كان قبل قليل يتأمل اللوحة لقد اختلف؟ وكأنه ظهر دانيال ظهر أبي!!؟ ثم بدأ يدندن تلك الأغنية التي كان أبي يغنيها دائماً! والتي غناها اليوم أيضاً في الكابوس وهو يرسم هذي اللوحة:

«لا تنم في السرير! إذا لم ترغب في مقابلة الذي احترق في الجحيم»

«اسمي هو سيد الكوابيس كنت معروفاً بالطفل المشؤوم»

«ثم بالرسام المشهور الغريب الأطوار»

«ثم بـ آكل اللحوم وسالب أرواح الناس»

«وصديق الوحوش وعدو الشياطين»

«كل ما حولي يحترق، كل ما حولي يموت»

«قد أكون في عالمك ميتاً، ولكنني عدت على هيئة شيطان»

«وحش فظيع بشع! لكن الشر جعلني قوياً»

«سأتحكم في كوابيسك، لن يمحوني من ذاكرتهم»

«سوف يعانون من إرهاب انتقامي، ستكون مجزرة»

«مجزرة كوابيس!!»

«قبل أن أتمنى لك ليلة سعيدة»

«لدي نصيحة لك! ودع واقعك وحياتك وعائلتك!»

«لأنك ستعيش في جحيم كوابيسك»

«والآن أتمنى لك موتاً سعيداً»

«ومرحباً بك في أسوأ كوابيسك»..

ما أن انتهى من ترديد أغنيته أخرج سيجارة وأخرج القداحة التي أعرفها بالفعل تلك القداحة التي وضعها لي قبل أربع سنوات في دورات المياه! تلك القداحة المخيفة الغريبة إنها قداحة دانيال!! هذا يعني أن هذا الرجل يكون أبي عاد مرة أخرى!..

للمرة الثالثة عاد «أندرو دانيال ليامز والآن رافائيل..

أبي هو فعلاً تجسيد للكوابيس هو الكابوس الحقيقي».

انتهى..

خاتمة

أنت تنظر إلي؟

لا.. أنت من ينظر إلي!

هل تستطيع رؤيتي؟

نعم بكل وضوح..

ومن أنت؟

أنت من تكون!؟

كل ليلة تقوم بزيارتي!!

أنا كابوسك ما هي الطريقة التي تريد أن تموت بها؟!

«دانيـــال»



خاتمة «فن الكوابيس»

لدي علاقة وطيدة مع كوابيسي، تربطني بها صلة كصلة الأم وابنتها! لم أكن يوماً أعامل الكوابيس على أنها مجرد كوابيس ولا أستطيع فعل ذلك أصلًا، الكوابيس تكون جزءاً لا يتجزأ من حياتي وحياة كثيرٍ من الناس، الكثير يتساءل: من يصنع الكوابيس في منامنا؟ وما سبب هذه الكوابيس؟ لن أتطرق الآن إلى دراسات واختبارات وتجارب وما إلى ذلك.. لكن كل ما أعرفه أن الكوابيس مقتبسة من الحياة الواقعية تأتي من ضغوطاتنا التي نواجهها في الحياة من صدمتنا من البشر الذين حولنا، الكوابيس خمسون بالمئة من صنع الشياطين والخمسون الأخرى من صنع البشر، لكن أين أنت من كل ذلك؟ هل هناك كابوس يصنع منك أنت؟ أتساءل أحياناً: هل أنا من أقوم بصنع كوابيسي؟ هل أنا أجذبها بطريقة ما؟!

لكن تارة أقول: إن كوابيسي هيَ عالمي الوحيد، تعبت من رؤية الجماليات المزيفة في هذه الحياة الواقعية، تعبت من الجماليات الكمالية والمبالغ فيها في الأحلام العادية، أرى أن الكوابيس والأحلام الغريبة تشدني إليها أكثر تبهرني بطريقة ما! هناك عوالم لا توصف ولا تصدق ولا تشرح! هناك فيها كل ما لا يخطر على البال، صحيح هيَ مؤذية للنفس وربما للجسد والعقل لكن لا يوجد فيها شيء مكرر أو ممل!

لطالما الرسم كان نجاة لي من جميع هذه الكوابيس فن الكوابيس ساعدني كثيراً على تخطي الاكتئاب وصعوباتي وأحزاني وصدماتي وكل تعثراتي في الحياة أخرجها من روحي وأجسدها على لوحاتي البيضاء لتتشكل على هيئة وحش مرعب!..

أتلقى بعض الأحيان هجمات على مواقع التواصل الاجتماعي مثل: ما هذا الذي ترسمينه؟ هذه الأشياء محرمة! ساحرة مشعوذة!! كيف تصلين؟ الملائكة لا تدخل إلى غرفتك؟ والخخخ..

أحب أن أقول بكل مجاز وبكل سرور: جميع أنواع هذه الكلمات لا تؤثر علي أبداً لقد واجهت كوابيسي كيف لا أستطيع مواجهة كلمات سخيفة كهذه؟ لا الناس هم من يحكمون الدين ولا هم من يفرضون العقاب والجزاء، ولا هم من يحددون من الكافر ومن المسلم ومن الذي يدخل غرفتي ملائكة أم شياطين حتى! ولا ذنبي هو ذنبهم ولا حسناتي هيَ حسناتهم كل واحد في شأن..

ولا أنسى الاشخاص الذين لطالما دعموني في رحلتي في كتابة هذه الرواية وكانوا معي في كل كابوس من كوابيسي شكراً لكم من القلب..

ولا أنسى عائلتي وأمي وأبي لطالما كنتم أجمل لوحة في حياتي إخوتي شكراً لأنكم اليد التي دائماً ما تسحبني من وسط كوابيسي وتنقذني أحبكم..

ولطالما أغرب سؤال وصلني:

هل تبيعين كوابيسك؟؟

وهل الكوابيس ثمينة لهذه الدرجة؟ أم أنا أحاول التخلص منها؟ أم أن الناس يهربون من كوابيسهم ثم يشترون كوابيس شخص آخر؟..

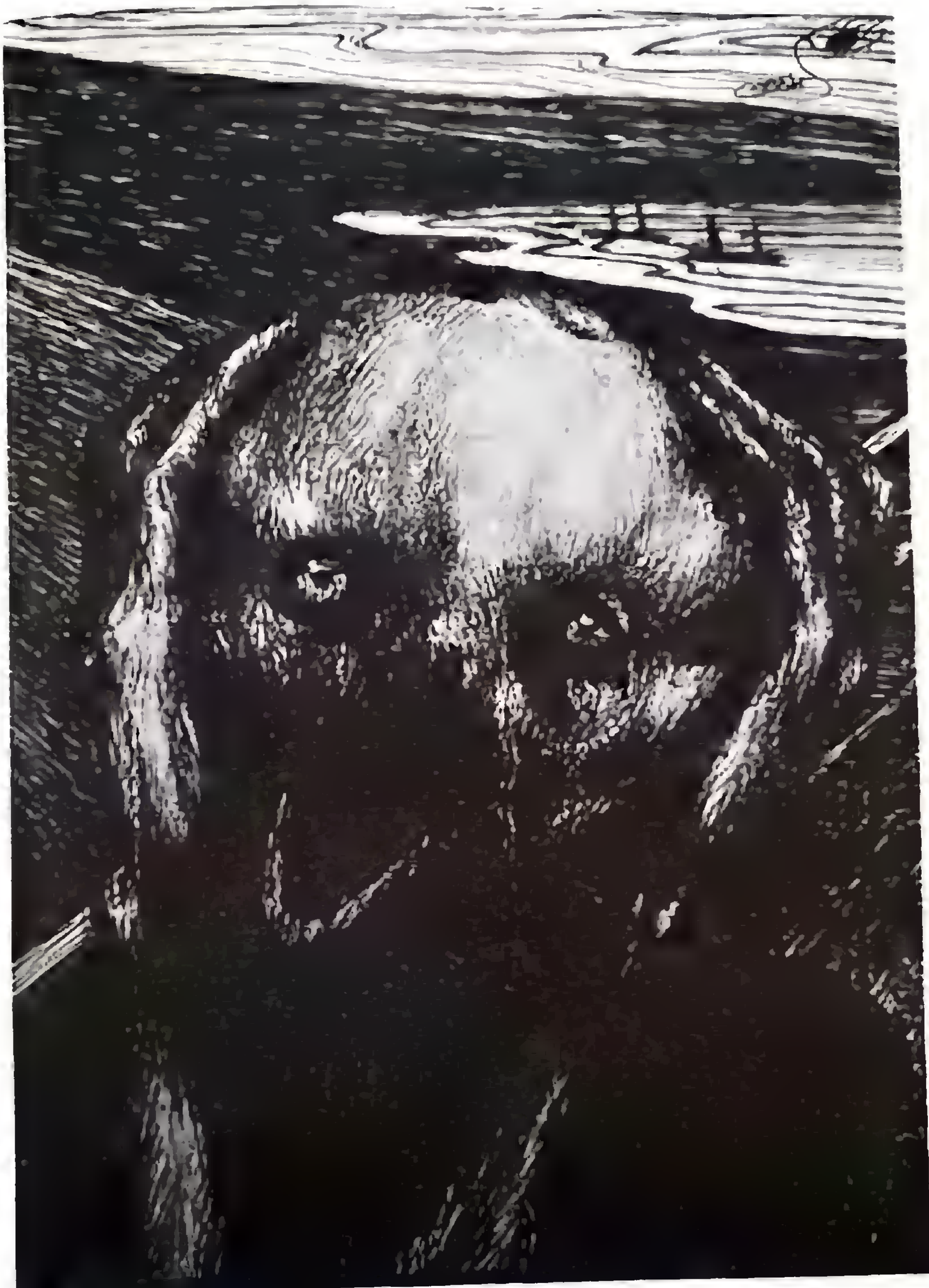
أو حقيقةً أنا أقوم ببيعها حتى لا أتعفن رعباً..

تمـــت..

ماريا الحيـي..

الجمعـة..

٣-٣-٢٠٢٣ م..



مع كل صرخة من كابوس صنعت لوحة ومع كل صرخة ابتكرت فناً وعالماً جديدين، ومع كل صرخة كتبت صرخاتي على ورق حتى تكون مسموعة لكم.

«ماريا العيسى»